البيعة

وولاية العهد والشورى

وآثارها في تنصيب الخليفة

تأليف
سامي الغريري

البيعة

وولاية العهد والشورى

وآثارها في تنصيب الخليفة

تأليف
سامي الغريري

شبكة الفكر
alfeker.net

▼
البيعة و ولاية العهد والشّورىٰ و آثارها في تنصيب الخليفة
تأليف: سامي الغريري
الناشر: دليل ما
المطبعة: نگارش
الطبعة: الأولى
سنة النشر: ١٤٢٥هـ.ق
عدد النسخ: ١٥٠٠ نسخة
شابک (ردمک): ٣ـ ٤١ـ ٧٩٩٠ـ ٩٦٤ ISBN
العنوان: ايران، قم، شارع معلم، زقاق ٢٩، برقم ٤٤٨
هاتف وفكس: ٧٧٣٣٤١٣، ٧٧٤٤٩٨٨(٩٨٢٥١)
صندوق البريد: ١١٥٣ـ ٣٧١٣٥
WWW.Dalile-ma.com
info@dalile-ma.com
انتشارات دليل ما

غريري، سامي
البيعة و ولاية العهد والشّورىٰ و آثارها في تنصيب الخليفة: دراسة عملية تحليلية لرد الشبهات / تاليف سامي الغريري. ـ قم: دليل ما، ١٣٨٣.
٤٥٤ ص.
ISBN 964- 7990 - 41 - 3
فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
عربى.
كتابنامه: ص. ٤٢٧ ـ ٤٥٤؛ همچنين به صورت زيرنويس.
١. على بن ابى طالب :. امام اول، ٢٣ قبل از هجرت ـ ٤٠ ق. ـ ـ اثبات خلافت. ٢. بيعت. ٣. خلافت ـ ـ بيعت. الف. عنوان.
٩ ب ٤ غ / ٥٤ / BP ٢٢٣ ٢٩٧/ ٤٥٢
كتابخانه ملى ايران ٨٣٠ـ ٨٠م

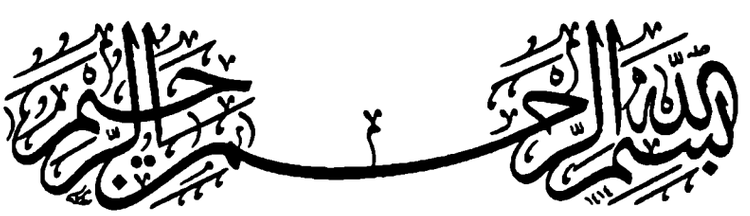
بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الموضوعات

الإهداء ٩

المقدمة ١١

من الّذي يعين رئيس الدّولة ؟ ١٣

البيعة لغة ١٤

البيعة عند العرب ١٥

البيعة أصطلاحاً ١٦

١. بيعة العقبة الأولىٰ: ١٩

٢. بيعة العقبة الثّانية: ٢٠

٣. بيعة الرّضوان أو بيعة الشّجرة: ٢٢

أركان وشروط البيعة ٢٣

آ. المبايع: ٢٣

ب. المُبايع له: ٢٥

ج. المعاهدة علىٰ الطّاعة للقيام بعمل ما : ٢٧

د. مكان البيعة : ٢٧

أنواع البيعة ٢٨

عدل القرآن «حديث الثّقلين» : ٤٧

آ. في حجّة الوداع يوم عرفة : ٤٧

ب. في غدير خم : ٤٧

ج. في مسجد الخيف : ٤٨

د. علىٰ المنبر في خطبة خطبها : ٤٨

هـ في مرض موته عن فاطمة الزّهراء عليها السلام : ٤٩

الصّحابيّ لغة : ٥١

الضّابط لمعرفة الصّحابيّ : ٥٦

البيعة العامة ٦٧

بيعة أبي بكر ٦٩

توطئة : ٦٩

١. نظرية النّص : ٧٣

مقدمات السّقيفة ٨٠

آ. يوم وفاة الرّسول صلى الله عليه وآله ٩٤

ب. دفن رسول الله صلى الله عليه وآله ١٠٤

ج. السّقيفة برواية عمر بن الخطاب : ١٠٦

آ. موقف الإمام عليّ عليه السلام وبضعة المصطفىٰ صلى الله عليه وآله الزّهراء عليها السلام من بيعة أبي بكر : ١١٩

ب. موقف أُسامة بن زيد من أبي بكر : ١٢٦

ج. موقف ابن عباس : ١٢٨

د. موقف الفضل بن العباس، وعتبة بن أبي لهب: ١٢٩
هـ. موقف خالد بن سعيد الأُمويّ: ١٣٠
و. موقف أبي ذر الغفاريّ: ١٣١
ز. موقف سلمان المحمديّ: ١٣١
ح. موقف أبي سفيان صخر بن حرب الأُمويّ: ١٣٢
ط. موقف فروة بن عمرو: ١٣٥
ي. موقف سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصاريّ: ١٣٥
ك. موقف الوالدّ من الولد: ١٣٧
ل. موقف أُم مسطح بن اثالة (سلمىٰ أبنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف): ١٣٧
م. موقف النّعمان بن عجلان الزّرقيّ الأنصاريّ: ١٣٨
س. رأي عمر بن الخطاب في أبي بكر: ١٣٨
بيعة عمر بن الخطاب ١٤٣
بيعة عثمان بن عفان ١٦٣
أسباب الثّورة علىٰ عثمان بن عفان: ١٩٨
بيعة النّاس للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٢٢٧
العودة إلىٰ الذّات ٢٢٨
البيعة الكبرىٰ للإمام عليّ عليه السلام يوم الغدير: ٢٦٠
أ. وممن نصّ علىٰ صحته من أئمّة الحديث عندكم: ٢٦٦
ب. وممن نصّ علىٰ تواتره من أهل السّنه أيضاً كثير وكثير جداً ولكن... ..... ٢٦٩
ج. أمّا دلالة الحديث علىٰ ولاية الإمام عليّ عليه السلام فهي واضحة أيضاً كالشّمس ٢٨١

بيعة النّاس للإمام الحسن بن عليّ عليه السلام ٣٠٣

بيعة النّاس لمسلم بن عقيل رضي الله عنه نيابة عن الإمام الحسين عليه السلام ٣٣١

القوّة أم الحبّ : ٣٣٤

السّياسة الماكرة ٣٤١

بيعة النّاس للإمام الرّضا عليه السلام بولاية العهد ٣٤٧

الوثيقة التّأريخية : ٣٦٣

بيعة النّاس للإمام المهديّ عليه السلام في عصر الظّهور ٣٧٣

فهرس الآيات ٤٠١

فهرس الأحاديث ٤١٣

فهرس المصادر والمنابع ٤٢٧

الإهداء

* إلىٰ الرّوح الّتي كانت راضية عن الله عزّوجل، ومخالفة لهواها.

* إلىٰ الرّوح الّتي لا تغلظ علىٰ من يؤذيها، ولا تخوض فيما لا يعنيها.

* إلىٰ الرّوح الّتي لا تعرف الحقد والحسد، ولم تكن وثّابة ولا سبّابة ولا عيّابة ولا مغتابة، بل تكره الوقيعة.

* إلىٰ الرّوح اللّينة العريكة الرّصينة الوقار، القليلة الأذىٰ، غير المتأفّكة ولا المتهتّكة، إن ضحكت لم تخرق، وإن غضبت لم تنزق.

* إلىٰ الرّوح الّتي هي أصلب من الصَّلْد، ومكادحتها أحلىٰ من الشّهد.

* إلىٰ الرّوح الّتي كانت تجالس الفقراء، وتؤازر أهل الحقّ، وتكون عوناً للغريب، وأباً لليتيم، وكفيلاً للأرملة.

* إلىٰ الرّوح الّتي كانت تحفظ الغيب، وتقبل المعذرة، وتغفر الزّلّة، ولا تطلع علىٰ نصح فتكيده، ولا ترىٰ من عليه ضعفٌ إلّا أعانته!

* إلىٰ الرّوح الّتي كانت ناصرة لله عزّوجل، محامية عن المؤمنين، وكهفاً للمسلمين، ولا تخرق النّساء سمعها، ولا ينكأ الطّمع قلبها، ولا يصرف العيب حكمها، لا هي طيّاشة ولا فحّاشة، ولا تقتني أثر شرار النّاس، رفيقة بالحقّ

مسارعة في عون الضّعيف، لا تهتك ستراً، ولا تكشف سرّاً.

* إلىٰ أسد الله الغالب ليث بني غالب أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

* إليك أهدي هذه البضاعة المزجاة، والّتي أراد مقص الرّقيب أن ينال منها، المتعصّبون من تلامذة الأبناء وحفّاظ آل أُمية، إذ رأوا أنّ بيان هذه الحقائق لك يا أمير المؤمنين يفضح سلفهم العاري عن كلّ مكرمة، المتلبس بأضداد هذه الصّفات، فتحاملوا عليها.

المُقدَّمةُ

تُعد الإمامة أو الخلافة من أهم الأسباب الّتي أدت إلىٰ إختلاف المسلمين وتفرقهم إلىٰ جماعات، وفرق ومذاهب، فمنذ وفاة الرّسول الأعظمﷺ وحتىٰ الآن والصّراع قائم بين المذاهب الإسلاميّة، فالإمامية لديها النّصوص الّتي تثبت حقّ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام من بعد وفاة النّبيّﷺ، وأنّ هذا الحقّ قد اُغتصب منه، وأنّ هذا الحقّ قائم ومتوارث لمن يخلفه من الهاشميين آل البيت من نسل الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام... وأنّ العدالة الإلهية تقوم بتنصيب هذا الحقّ للإمام من الله سبحانه وتعالىٰ، وهو لطف واجب علىٰ الله تعالىٰ وفي الجانب الآخر نجد أهل السّنة ينادون بالخلافة القائمة علىٰ أساس الإختيار، وإجماع الأُمّة، ممثلة في أهل الحل والعقد...

ويتميز الفكر الإماميّ بخصائص جعلته متميزاً بمكوناته الدّينية والدّنيوية، وإنطلاقاً من إختيار صحة المقوله الّتي تدعي: «إنّ امتزاج خاصية الفكر بالحركة لأيّ نظام سياسي يشكل تجديداً مستمراً لقيمه ومبادئه الفكرية، ليتمكن من التّعايش مع الظّروف المتغيرة...

وبمفهوم المخالفة: «فإنّ عدم امتزاج خاصية الفكر مع الحركة لأيّ نظام سياسي يؤدي إلىٰ الجمود الفكري، ومن ثَمَّ عدم تمكنه عن التّكيف، أو التّعايش مع

الظّروف المتغيرة»؛ ولإختبار مدىٰ صحة هذه المقولة سعيت إلىٰ تحقيق عدد من الأهداف البحثية بعد أن قرأت الكتاب الّذي كتبه محمّد بن محمود البرذونيّ، وحصل فيه علىٰ شهادة الدّكتوراه تحت عنوان «البيعة والشّورىٰ»؛ ولكن العنوان تبين لي غير المعنون بأنه أثار شبهات حول آل البيت مَنْ هم، وأدخل نساء النّبيّ ﷺ، ثُمّ أدخل العشيرة والقبيلة في آل البيت، ثُمّ كلّ أقارب النّبيّ ﷺ، ثُمّ قال أولاد المطلب بن عبد مناف، ثُمّ ذرية هاشم و...، ثُمّ توصل إلىٰ أنّ الأُمّة هي الّتي تختار الخليفة، ثُمّ تخيط تخبطاً عشوائياً فأرجع الإختيار إلىٰ الصّحابة، ثُمّ أهل الحل والعقد، ثُمّ ولاية العهد وهكذا... مما دفعني إلىٰ أن أعنون رسالتي تحت عنوان «البيعة وولاية العهد والشّورىٰ وآثارها في تنصيب الخليفة»؛ ولكن في واقع الرّسالة هو إبطال نظرية العهد، وصلاة أبي بكر، والشّورىٰ، وإبطال نظرية الصّحابة، وأهل الحل والعقد، وإثبات أنّ أهل البيت عليهم السلام هم المنصوص عليهم من قبل النّبيّ ﷺ والقرآن الكريم.

وفي الواقع أراد محمّد بن محمود البرذونيّ أنْ يُبطل بيعة الغدير، وأنا أثبت البيعة من مصادر أهل السّنة فقط وفقط. وكلّ النّقاش كان علىٰ شكل إنْ قلتَ قلنا وإثارة التّساؤلات، ثُمَّ الإجابة عليها.

وفي الختام لا يفوتني أن أُقدم شكري وجزيل دعائي إلىٰ الأُخوة مسؤولي مؤسسة زهراء(س) آكادمي علىٰ ما قدّموه لنا من عونٍ، وذلك بالاستفادة من المصادر والمراجع في مكتبتهم، جزاهم الله وايانا خير الجزاء بمحمّد وآل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين.

المؤلف

من الّذي يعين رئيس الدّولة ؟

يشترك في تعيين الرّئيس أو الخليفة أو الإمام أوالوليّ.

آ. الشّارع ـ المشرع ـ هو الله سبحانه وتعالىٰ الّذي اختار محمّداً ﷺ نبياً وسماه إماماً ووليا، وبايعه الّذين آمنوا به وبرسالته وكوَّن معهم النّواة الأُولىٰ للدولة الإسلاميّة، وقبل وفاته ﷺ عين خليفته بناءً علىٰ النّص الشّرعي كما ثبت ذلك بالأدلة القطعية، ولسنا بصدد بيان هذه المسألة.

ب. الأُمّة هي الّتي تختار رئيسها عن طريق الشّورىٰ؛ لأنّها جعلته ـ طريق الشّورىٰ ـ مكان الأستفتاء الشّعبي، وأرادوا بهذا تصحيح الخلافة بعد وفاة النّبيّ ﷺ ولسنا بصدد بيان ذلك أيضاً.

ج. إذا اختارت الأُمّة ما أختاره الله ورسوله ﷺ فتقوم تبايعه، ويتقدم هؤلاء أهلُ الشّورىٰ وأهلُ الحل والعقد فيبايعونه بيعة خاصة، ثمّ يتبعهم العامة ويبايعونه بيعة عامة، فإذا بايعوه تولىٰ زمام الأُمور وقام بأعباء الرّئاسة، وإذا لم يبايعوه يتعذر عليه أن يصبح رئيساً؛ ولكن يبقىٰ في المقام الّذي إختاره الله له، كما حدث للإمام عليّ عليه السلام فقد إختاره الله سبحانه ولياً ووصياً وخليفة بعد رسول الله ﷺ؛ لكن الأُمّة لم تبايعه وعدلت إلىٰ آخر تولىٰ الحكم الفعلي دون الحكم الشّرعي، وهذا حقّ مارسته الأُمّة بتعيين الرّئيس بواسطة البيعة، ولكن لم يكن هو المطلوب، وهذا

هو الّذي نريد أن نسلط الضّوء عليه من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النّبوية الشّريفة وآراء العلماء والفقهاء من كلا الفريقين:

البيعة لغة

مصدر باع لأن المبايع يجعل كلّ مالديه تحت إختيار من يبايع، ويتعهد المبايع بالمقابل له من إِصلاح حاله وكأنها عملية تجارية، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في تعريف البيعة «... اعلم، أَن البيعة هي العهد علىٰ الطّاعة كأن المبايع يعاهد أميره علىٰ أن يسلم له النّظر في أُموره وأُمور المسلمين ويطيعه فيما يكلفه من التّكاليف، وكانوا إذا بايعوا الأمير جعلوا أيديهم في يده تأكيداً، فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري[١]. وورد في كتاب العين: أنّ البيعة هي: «الصّفقة علىٰ إيجاب البيع»[٢]. وفي المصباح المنير مثله وزاد: وجمعها «بيعات» بالسكون، وتُحرك في لغة هذيل، وتأتي بمعنىٰ الصّفقة، أي ضربت بيدي علىٰ يده، وكانت العرب إذا وجب البيع ضرب أحدهمايده علىٰ يد صاحبه، ثمّ أستعملت في العقد تَقَبّل، بارك الله لك في صفقة يمينك[٣]. وفي لسان العرب «البيعة: المبايعة والطّاعة، وبايعه عليه مبايعة: عاهده، وفي الحديث أنهﷺ قال: «ألا تبايعوني علىٰ الإسلام، وهو عبارة عن المعاقدة والمعاهدة»[٤]. وصفق يده بالبيعة والبيع وعلىٰ يده صفقاً: ضرب بيده علىٰ يده عند وجوب البيع، وتصافقوا: تبايعوا»[٥].

---

(١) مقدمة ابن خلدون: ١٧٥.

(٢) الفراهيديّ، ترتيب كتاب العين: ١٠٢ قم، مؤسّسة النّشر الإسلامي ١٤١٤هـ.

(٣) ج ١: ٦٩، دارالفكر وص: ٣٤٣ مادة صفق.

(٤) ابن منظور ٨: ٢٦ ط قم، نشر أدب الحوزة ١٤٠٥ هـ.

(٥) لسان العرب، مادة «صفق».

وفي تفسير روح البيان : «سميت المعاهدة مبايعة تشبيهاً بالمعاوضة المالية : أي مبادلة المال بالمال في اشتمال كلّ واحد منهما علىٰ معنىٰ المبادلة»[١].

إذاً هي : المعاهدة ، والمعاقدة ، والاتفاق بين طرفين علىٰ أُسس متفق عليها .

البيعة عند العرب

كانت ولا زالت البيعة عند العرب تعني العهد والحلف بأساليب مختلفه ، مثل مافعل بنو عبد مناف حين أرادوا أن يقاتلوا بني عبد الدّار علىٰ مَن يقوم بحجابة الكعبة ، وسقاية الحاج ، وأخذ مفاتيح البيت ، والقيام بأعمال السّيادة بمكّة المكرمة ، ولذا نرىٰ ابن إسحاق يروي لنا كيفية اخراج بني عبد مناف جفنة لهم مملوءة بالطيب ، ووضعوها في المسجد عند الكعبة ، ثمّ غمسوا أيديهم فيها ، وتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم ، ثمّ مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً علىٰ أنفسهم وسموا «المتطيبين»[٢]. وروىٰ لنا أيضاً «أنّ البُنيان عندما بلغ موضع الرّكن اختصموا فيه ، كلّ قبيلة تريد أن ترفعه إلىٰ موضعه دون الأُخرىٰ ، حتىٰ تحاوروا وتحالفوا ، وأعدوا للقتال ، فقربت بنو عبد الدّار جفنة مملوءة دماً ، ثمّ تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي علىٰ الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدّم في تلك الجفنة ، فسموا «لَعَقَة الدّم»[٣].

وذكر مؤرخو السّيرة أنّ النّبيّ ﷺ أبقاها في أيديهم بعد فتح مكّة . ويبدو أنّ هذه المهمة هي من إحدىٰ المسؤوليات الكبرىٰ الّتي كانت في مكّة المكرمة ، كالرفادة والّتي مهمتها إطعام الحاج في الموسم ، والّتي سنها قصي بن كلاب وجرت

---

(١) تفسير روح البيان ٩ : ١٩ ، دار إحياء التّراث العربيّ ط ٧ ، ١٩٨٥ .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٤١ـ١٤٣ .

(٣) المصدر السّابق ١ : ٢١٣ .

قريش عليها حتىٰ جاء الإسلام، وكانت لبني هاشم، وقيل: لبني أسد وذهب جماعة إلىٰ إنّها كانت لبني نوفل؛ ولعل الجميع تعاقبوا عليها وتداولوها. وكذلك السّقاية والعمارة والّتي مهمتها توفير الماء لندرته في ذلك الوقت للحاج، وكذلك عمارة الكعبة، ومراقبة الحاج من حيثُ سلوكُهُ والتّزامه، بأن لا يرفع صوته، ولا يتكلم بفسق وفحش، وهجر، وقد كانت لبني عبد مناف، وقد تولاها العباس بن عبد المطلب في نهاية العصر الجاهلي. وكذلك اللّواء الّذي هو الرّاية ونصبها للحرب وهو منصب عسكري تُسمىٰ في ذلك الوقت بـ«العقاب»، وكانت لبني أُميّة وعبد الدّار. ومنها القبة والأعنة، الّتي كانت لقريش وهي تهيئة معدات الحرب تُشترىٰ وتوضع في مكان يُسمىٰ القبة، وكذلك الخيول وأُمراء الكتيبة ـ كتيبة الفرسان ـ أثناء الحرب وقد كانت لبني مخزوم. ومنها القيادة والّتي تعني إمارة القوافل للمقاتلين وكانت لبني أُميّة في آخر العصر الجاهلي بقيادة أبي سفيان بن حرب وهي الّتي قادت قريش في معاركها ضد الإسلام في بدر وأُحد. ومنها الحكومة الّتي تجمع التّبرعات والنّذور المخصصة للأصنام والأوثان وكانت لبني سهم. ومنها الأيسار الّتي تعني الأزلام والّتي يستقسمون بها وكانت لبني جمح. ومنها الأشناق والّتي مفردها شنق وهو مازاد علىٰ الدّية خمساً أو ستاً من الإبل وكانت لبني تيم. ومنها السّفارة الّتي تدير علاقة القبائل الأُخرىٰ مع قريش والّتي كانت بيد بني عدي وآخر ما كانت بيده في العصر الجاهليّ عمر بن الخطاب. ومنها المشورة الّتي قريش لا تقوم بعمل إلّا أن تعرضه علىٰ أصحاب الرّأي وكانت لبني أسد[1].

البيعة أصطلاحا

هو المعنىٰ اللّغوي نفسه: الاتفاق والمعاهدة... لكن غلب استعماله في الوفاء

---

(١) نظام الحكم والإدارة في الإسلام للشيخ محمّد مهدي شمس الدّين: ٧١٥.

بالعقود والميثاق الّذي جاء به التّنزيل الحكيم قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[١] وقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[٢].

و«البيعة عهد من قبل الحاكم علىٰ تطبيق الإسلام... والبيعة من قبل الأُمّة طاعة هذا الحاكم في غير معصية». و «البيعة في الإسلام علىٰ معاهدة المبايع المبايعَ له أن يبذل له الطّاعة فيما تقرر، ويقال: بايعه عليه مبايعة: عاهده عليه»[٣].

وهناك إجماع، بأنَّ أهل المدينة بايعوا رسول الله ﷺ في السّنة الحادية عشرة والثّانية عشرة في العقبة بمنىٰ مرتين. ففي الأُولىٰ بايعوه علىٰ أن لا يشركوا بالله ولا يسرقوا ولا يقترفوا فاحشة... إلخ[٤]. وفي الثّانية بايعوه علىٰ نصرته والدّفاع عنه كما يدافعون عن أولادهم وأهليهم...[٥].

وهناك إجماع أيضاً، بأنّ سبب نزول الآيتين السّابقتين كان في صلح الحديبية خلال المفاوضات الّتي جرت بين رسول الله ﷺ من طرف، وقريش من طرف آخر. والبيعة الأُولىٰ أيضاً كانت بين رسول الله ﷺ من جهة، وأصحابه من جهة أُخرىٰ، لا لتعينه رئيساً أو حاكماً، بل لأعطائه الميثاق علىٰ الوفاء، بأن لا يشركوا

---

(١) الفتح: ١٠.

(٢) الفتح: ١٨.

(٣) معالم المدرستين للعلاّمة السّيد مرتضىٰ العسكريّ ١: ٢٠٦ ط ٥.

(٤) سيرة ابن هشام ١: ٤٣١.

(٥) المصدر السّابق ١: ٤٣٨.

بالله... وفي الثّانية النّصرة وهي الطّاعة لقيادته ﷺ في الحرب وعدم الفرار، وهذا نابع من إيمانهم بالله سبحانه وبنبوته ﷺ قبل أن يبايعوه؛ لأن البيعة هُنا لم تعن الأعتراف بنبوته، بل جاءت لأجل التّدليل والتّأكيد العمليّ والفعلي، علىٰ الالتزام بما تعاقدوا عليه ولذا نجده ﷺ يقول: «إنّها تُرضي الله، وإنه يتعاقد معهم نيابة عن الله... وقال ﷺ: فإن آمنتم بي فبايعوني علىٰ أن تطيعوني، وتصلوا وتزكوا... وقال ﷺ: وأن تدفعوا عني العدو حتىٰ الموت... ولا تفروا من الحرب...»[١].

إذاً البيعة هي ميثاق بين شخصين تندرج تحت قوله تعالىٰ: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[٢] وقوله سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾[٣].

ويقول أميرالمؤمنين ﷺ: «وأمّا حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنّصيحة علىٰ المشهد والمغيب والإجابة حين أدعوكم والطّاعة حين آمركم»[٤]. ونلاحظ في هذه الخطبة وغيرها، أنّ نكث البيعة هو نقض ونكث للميثاق، ومن الذّنوب الكبيرة، لا أنه عزل للحاكم وإزاحته عن منصب الولاية كما يقول الأُستاذ جعفر السّبحاني[٥].

ولبيان أهمية البيعة لابد لنا أن نتعرض إلىٰ سُنة الرّسول ﷺ في أخذ البيعة من المسلمين، نذكر ثلاث نماذج منها علىٰ سبيل المثال لا الحصر.

---

(١) أُنظر، سبب نزول الآيتين في كتب التّفسير ومحاسن التّأويل للقاسميّ ١٥: ٥٤٠١ و ١٦: ٥٤، والأحاديث في صحيح البخاريّ كتاب الإيمان، ومسند أحمد ٤: ١٥ و ج٣: ٢٩٢.

(٢) المائدة: ١.

(٣) الإسراء: ٣٤.

(٤) نهج البلاغة، تنظيم الدكتور صبحي الصّالح: الخطبة ٣٤.

(٥) معالم الحكومة الإسلاميّة، بقلم الشّيخ الأُستاذ جعفر الهاديّ: ٢٦٣، ط الجامعة الإسلاميّة في قم المقدسة سنة ١٤٠١هـ.

١. بيعة العقبة الأولى:

وهي أوّل بيعة في الإسلام بايعها بعض الأنصار لرسول الله ﷺ، علىٰ الجانب العقائديّ والتّشريعيّ، أي بمعنىٰ الدّخول في الإسلام، والإقرار بربوبية وتوحيد الخالق سبحانه وبنبوته ﷺ، والالتزام بالقانون الإلهي، وهي كبيعة النّساء الّتي أوردناها سابقاً من خلال الآية علىٰ أن لا يشركوا بالله شيئاً، ولا يسرقوا، ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم... كما أخبر عنها عبادة بن الصّامت قال: «وافىٰ موسم الحجّ من الأنصار أثنا عشر رجلاً ممن أسلم منهم في المدينة، وقال عبادة: بايعنا رسول الله ﷺ بيعة النّساء، وذلك قبل أن يفترض علينا الحرب علىٰ أن لانُشرك بالله شيئاً، ولانسرق، ولانزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولانعصيه في معروف، فإن وفيتم فلكم الجنّة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بحده في الدّنيا فهو كفارة له، وإن سترتم عليه إلىٰ يوم القيامة فأمركم إلىٰ الله عزّ وجلّ، إن شاء عذب وإن شاء غفر»[1]، وتلحق بها بيعة النّساء والّتي كانت بعد فتح مكّة[2]. ويقول ابن إسحاق: لما أراد الله عزّ وجلّ إظهار دينه، وإعزاز نبيه ﷺ خرج رسول الله في الموسم الّذي لقيه فيه النّفر من الأنصار، فعرض نفسه علىٰ قبائل العرب، كما كان يصنع في كلّ موسم، فبينما هو عند العقبة لَقِي رهطاً من الخزرج، أراد الله بهم خيراً قال لهم: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج، قال: أمن موالي اليهود؟ قالوا: نعم. قال: أفلا تجلسون أُكلمكم قالوا: بلىٰ، فجلسوا معه فدعاهم إلىٰ الله عزّ وجلّ، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن... فلما كلم رسول الله ﷺ أُولئك النّفر ودعاهم إلىٰ الله، قال بعضهم لبعض: «ياقوم، تعلمون

---

(١) سيرة ابن هشام٢: ٤٠ـ٤٢ و: ٧٥ ط الحلبيّ.

(٢) أُنظر، سورة الممتحنة: ١٢.

والله إنه للنبيّ الّذي يدعوكم به اليهود، فلا يسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إلىٰ الله إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ماعرض عليهم من الإسلام، وقالوا: إنّا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم العداوة والشّر ما بينهم، فعسىٰ أن يجمعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم إلىٰ أمرك، ونعرض عليهم الّذي أجبناك إليه من هذا الدّين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك..، ثمّ انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلىٰ بلادهم وقد آمنوا، وصدقوا حتىٰ إذا كان العام المُقبل، وأمّ الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً فلقوه بالعقبة وهي «العقبة الأُولىٰ»، فبايعوا رسول الله ﷺ علىٰ بيعة النّساء وذلك قبل أن تُفرض الحرب...»[1]. فلما انصرفوا بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير وأمره أن يُقرئهم القرآن.

٢. بيعة العقبة الثّانية:

وهي البيعة الّتي تمت بين رسول الله ﷺ، وبين الّذين خرجوا من المدينة للحج، فقد روىٰ كعب بن مالك قال: «خرجنا من المدينة للحج وتواعدنا مع رسول الله ﷺ العقبة أواسط أيام التّشريق، وخرجنا بعد مضي ثلث اللّيل، متسللين حتىٰ اجتمعنا في ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين، فجاء رسول الله ﷺ، ومعه عمّه العباس، فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن، ودعا إلىٰ الله، ورغب في الإسلام، ثمّ قال: «أُبايعكم علىٰ أن تمنعوني مما تمنعون نساءكم وأبناءكم»، فأخذ البراء بن معرور بيده، ثمّ قال: نعم والّذي بعثك بالحق لنمنعنّك مما نمنع به أُزرنا ـ نساءنا ـ فبايعنا يارسول الله، فنحن والله أهل الحروب..... فقال أبو الهيثم بن التّيهان: يا رسول الله إن بيننا وبين الرّجال حبالاً وإنّا قاطعوها ـ يعني اليهود ـ فهل عسيت إنْ نحن فعلنا ذلك، ثمّ أظهرك الله أنْ ترجع إلىٰ قومك وتدعنا؟ فتبسم رسول الله ﷺ،

---

(١) سيرة ابن هشام ٢: ٧٠ و ٧٥، ط آخر.

ثمّ قال : «بل الدّم الدّم ، والهدم الهدم . . .» أي : ذمتي ذمتكم ، وحرمتي حرمتكم .

وقال رسول الله ﷺ : «أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا علىٰ قومهم بما فيهم» ، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً ؛ تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس ، قال رسول الله ﷺ : «أنتم علىٰ قومكم بما فيكم كفلاء ، ككفالة الحواريين لعيسىٰ بن مريم ، وأنا كفيل علىٰ قومي» ، يعني المسلمين . قالوا : نعم . واختلفوا فيمن كان أول من ضرب علىٰ يده ، أسعد بن زرارة ، أم أبو الهيثم بن التّيهان»[١] .

وفي مقابل هذا الموقف يوجد موقف آخر عكس موقف أبي الهيثم ، أو زرارة ، فهناك من دخل الإسلام ليركب متن الصّراع وليكون الأمر له من بعد رسول الله ﷺ . فعندما عرض النّبيّ ﷺ نفسه علىٰ بني عامر بن صعصعة قال له رجل : أرأيت إنْ نحن بايعناك علىٰ أمرك ، ثمّ أظهرك الله علىٰ من خالفك ، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال : «الأمر لله يضعه حيث يشاء» ، فقالوا له : أفتهدي نحورنا للعرب دونك ، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟ لاحاجة لنا بأمرك ، فأبوا عليه . . .[٢] .

لقد أدرك بعض العرب أنّ دعوة رسول الله ﷺ سيكون لها شأن عظيم والدّخول فيها يكون صفقة مربحة ، ولذا عبر رجل من بني عامر بن صعصعة بقوله : «والله لو أنني أخذت هذا الفتىٰ من قريش ، لأكلت به العرب»[٣] . هذا الأسلوب الصّريح عبر عنه تلقائياً ، ذلك نتيجة حبّ الرّئاسة وطلب المجد والرّفعة ، لكن هناك من اندس في الدّعوة وكتم ما في أخلاج نفسه من مكر ودهاء لينتظر الفرصة السّانحة له ، وكان يترقب وفاة رسول الله ﷺ بتلهف وهذا مانشير إليه فيما بعد إن شاء الله تعالىٰ .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٤٧ـ٥٦ و ١ : ٤٣٢ و ٤٣٣ ط آخر .

(٢) المصدر السّابق ٢ : ٧٣ .

(٣) المصدر السّابق .

٣. بيعة الرّضوان أو بيعة الشّجرة:

وهي البيعة الّتي سبقت صُلح الحديبية ـ وهي البيعة علىٰ الجهاد ـ وإنْ كان واجباً علىٰ المسلمين إلّا أنّها جاءت تاكيداً علىٰ الوجوب الشّرعي؛ لأن بعض المسلمين، كانوا يخالفون بعض الأحكام الشّرعية ولايخالفون الميثاق والعهد والعقد الّذي سبق أنْ أبرموه مع الرّسولﷺ، والوفاء به.

ففي سنة سبع[١] من الهجرة استنفر رسول اللهﷺ أصحابه للعمرة فخرج معه ألف وثلاثمئة، أو ألف وستمئة[٢] ومعه سبعون بدنة، وقال: لست أحمل السّلاح، إنّما خرجت معتمراً، وأحرموا من ذي الحليفة، وساروا حتىٰ دَنَوْا من الحديبية علىٰ تسعة أميال من مكّة، فبلغ الخبر أهل مكّة فراعهم، واستنفروا من أطاعهم من القبائل وحولهم قدموا مئتي فارس عليهم خالد بن الوليد، أو عكرمة بن أبي جهل، فاستعد لهم رسول اللهﷺ وقال: «إن الله أمرني بالبيعة. فأقبل النّاس يبايعونه علىٰ ألا يفروا، وقيل: بايعهم علىٰ الموت، وأرسلت قريش وفداً للمفاوضه، فلما رأوا ذلك تهيبوا وصالحوا رسول اللهﷺ...»[٣]، وكان جابر بن عبدالله يقول: «إن رسول اللهﷺ لم يبايعنا علىٰ الموت، ولكن بايعنا علىٰ أنْ لا نفر»[٤]. وهذه البيعة هي تجديد للبيعة الثّانية وذلك؛ لأن الرّسولﷺ كان قد

---

(١) وقيل: ست للهجرة.

(٢) وقيل: أكثر من ذلك. وقيل: تخلف عنه كثير من الأعراب منافقون، وذمهم القرآن في سورة الفتح بقوله: (وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً)، وقيل: تخلف عن البيعة رجل يدعىٰ الجد بن قيس الأنصاريّ.

(٣) إمتاع الأسماع للمقريزي: ٢٧٤ـ٢٩١.

(٤) السّيرة النّبوية لابن هشام ٣: ٣٣٠، والسّيرة لابن كثير ٣: ٣١٥ و٣١٦ و٣١٧، الكامل في التّأريخ ٢: ١٣٦، الطّبقات لابن سعد ٢: ٩٦.

استنفرهم للعمرة. وبعد تبدل الحالة من العمرة إلىٰ القتال، كانت الحالة الحادثة مخالفة للعمل الّذي استنفرهم له وخرجوا من أجله، فكأنه كان مخالفاً لما عاهدهم عليه، فلذلك احتاج إلىٰ أخذ البيعة منهم للتجديد بالعمل. وبالفعل أعطت هذه البيعة ثمارها. وسنقف مع هذه البيعة أيضاً في صُلح الحديبية، وموقف بعضهم من هذه المعاهدة.

٤. بيعة الغدير، وسنفرد لها فصلاً مستقلاً إن شاء الله تعالىٰ.

٥. بيعة أبي بكر، وسنفرد لهافصلاً مستقلاً إن شاء الله تعالىٰ.

٦. بيعة عمر بن الخطاب، وسنفرد لها فصلاً مستقلاً إن شاء الله تعالىٰ.

٧. بيعة عثمان بن عفان، وسنفرد لها فصلاً مستقلاً إن شاء الله تعالىٰ.

٨. بيعة النّاس للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وسنفرد لها فصلاً مستقلاً إن شاء الله تعالىٰ.

٩. بيعة النّاس للإمام الحسن عليه السلام.

١٠. بيعة النّاس لمسلم بن عقيل نيابة عن الإمام الحسين عليه السلام.

١١. بيعة النّاس للإمام الرّضا عليه السلام بولاية العهد.

١٢. بيعة النّاس للإمام المهديّ ـ عجل الله تعالىٰ فرجه ـ بعد الظّهور.

أركان وشروط البيعة

يتضح لنا خلال تعريف البيعة لغةً وأصطلاحاً: أنّ للبيعة أركاناً وشروطاً ثلاثة:

آ. المبايع:

لم يحدثنا التّأريخ بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد أكره شخصاً ما علىٰ البيعة قط، مع أنّه نبي مرسل إلىٰ كافة النّاس كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا

وَنَذِيرًا...﴾[١]. وإمام المسلمين وقائدهم وسيدهم، والإمام هو رئيس الدّولة، ومع أنّ دولته ﷺ كانت تضم المهاجرين والأنصار واليهود والمشركين. فتصح البيعة إذا كان المُبايع قد بلغ سن التّكليف، وكان عاقلاً. «فقد روىٰ الهرماس بن زياد قال: مددت يدي إلىٰ النّبيّ ﷺ وأنا غلام ليبايعني فلم يبايعني»[٢] وأنْ يُبايع مختاراً دون إكراه أو إجبار، كما حدث لرسول الله ﷺ، وكذلك الإمام عليّ عليه السلام عندما ردّ علىٰ طلحة بقوله عليه السلام: «... إنّما كان لكما ـ طلحة والزّبير ـ ألا ترضيا قبل الرّضا وقبل البيعة، وأمّا الآن فليس لكما غير مارضيتما به إلّا أن تخرجا مما بويعت عليه بحدث»[٣].

فها هم الأنصار والمهاجرون بايعوا رسول الله ﷺ مختارين غير مكرهين، وكذلك أسلموا وهاجروا باختيارهم ورضاهم، وقبلوا قيادته ﷺ والتزموا بشريعة وقانون دولته، حتىٰ المنافقين التّزموا من حيث الظّاهر بالقانون من دون إكراه، وأنه ﷺ لم يتدخل في نواياهم، بل تركهم للواحد القهار. ويحدثنا التّأريخ عن اليهود كذلك، وما اُستعمل من الإكراه علىٰ البيعة في زمن أبي بكر، أو عمر، أو عثمان، أو معاوية، أو المنصور، فلا علاقة له بذلك وسنناقشه فيما بعد. ويحدثنا التّأريخ أيضاً أنّ المنافق الشّهير عبدالله بن اُبيّ دعا رسول الله ﷺ ليكون في ضيافته برضاه.

إذاً لا تكون القيادة شرعية حقاً إلّا إذا جاءت نتيجة الإختيار الحر، والبيعة الصّحيحة لا بالضغط والمناورات، كما يقول القرضاوي[٤]. أو كما يقول الشّهيد

---

(١) سبأ: ٢٨.

(٢) صحيح البخاريّ: باب بيعة الصّغير.

(٣) الإمامة والسّياسة: ١٥٤ طـ مؤسّسة الرّسالة.

(٤) الحكم الإسلامي: ١٥٤.

عودة: «..إختيار ورضا الأُمّة شرطاً في إنعقاد الخلافة»[١]. والأستطاعة من أهم شروط البيعة فقد روي عن عبدالله بن عمر قال: كنا نبايع رسول الله ﷺ على السّمع والطّاعة، ثمّ نقول: «فيما أستطعت»[٢].

ب. المُبايع له:

تصح البيعة إذاكان المُبايع له ممن يكون صالحاً ومؤهلاً ومنصباً تنصيباً شرعياً خاصاً بالنصّ ومصرحاً باسمه، أو شخصه، كرسول الله ﷺ، والإمام عليّ عليه السلام، ومَنْ بعده من الأئمّة الأطهار، ولا تصح بيعة غير العادل، كما قال الإمام الحسين عليه السلام: «ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النّفس المحرمة، معلن بالفسق: ومثلي لا يُبايع مثله»[٣]، ويرىٰ القرطبيّ في بيعة أهل الحل والعقد والّتي هي إحدىٰ طُرق إثبات الولاية إذا لم يكن الإمام مُعلناً الفسق والفساد.[٤] وروىٰ حسن بن شعبة عن الحسين عليه السلام: «مجاري الأمور والأحكام علىٰ أيدي العلماء بالله الأمناء علىٰ حلاله وحرامه»[٥]. وعن الفضيل بن يسار قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: «من خرج يدعو النّاس وفيهم من هو اعلم منه فهو ضال مبتدع»[٦]. وروىٰ البرقيّ عن رسول الله ﷺ قال: «من أمَّ قوماً وفيهم اعلم منة أو أفقه منه لم يزل أمرهم في سفال إلىٰ يوم القيامة»[٧] وقال القلقشنديّ: «العلم المؤدي إلىٰ الاجتهاد في النّوازل

---

(١) الإسلام وأوضاعنا السّياسية عبد القادر عودة: ١٥٤.

(٢) صحيح البخاريّ: ج ٥ كتاب الأحكام باب البيعة.

(٣) بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٥ طـ٢ مؤسّسة الوفاء.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١: ١٦٨ ط ٣ دار الكتب المصرية.

(٥) تُحف العقول: ٢٣٧.

(٦) وسائل الشّيعة ١٨: ٥٦٤.

(٧) المحاسن ١: ٩٣.

والأحكام، فلا تنعقد إمامة غير العالم بذلك»[١]. «وزاد كثير الاجتهاد في الأُصول والفروع»، كما قال ابن الهمام في المسامرة[٢]. وقالت الشّافعية: « والعلم بحيث يصلح أنْ يكون فقيهاً من أهل الاجتهاد»[٣]. وعن الإمام عليّ عليه السلام: «أيها النّاس إن أحقّ النّاس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه، فإنْ شُغب شاغب أُستعتب، فإنْ أبىٰ قوتل».[٤] وروىٰ البيهقيّ عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من أستعمل عملاً من المسلمين وهو يعلم أنّ فيهم أولىٰ بذلك منه، واعلم بكتاب الله وسنة نبيه، فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين»[٥]. وقال النّوويّ: «شروط الإمامة وهي كونه مكلفاً مسلماً عادلاً، حراً، ذكراً، عالماً، مجتهداً»[٦] وقال شمس الدّين الرّميلي: «إنّ هذا الشّرط لابد منه في الإمامة، كالقاضي والوليّ، بل حكي فيه الإجماع»[٧]. وادعىٰ صاحب البحر الزّخار الإجماع وقال: «العلم، فيجب كونه مجتهداً إجماعاً ليتمكن من إجراء الشّريعة علىٰ قوانينها»[٨]. وقال الجرجانيّ: «الجمهور علىٰ أهل الإمامة ومستحقها مَن هو مجتهد في الأُصول والفروع ليقوم بأمر الدّين متمكناً من إقامة الحجج، وحل الشّبهة في العقائد الدّينية، مستقلاً بالفتوىٰ في النّوازل وأحكام الوقائع، نصاً واستنباطاً؛ لأن أهم مقاصد الأُمّة حفظ

---

(١) مآثر الأنافة في معالم الخلافة ١: ٣٧.

(٢) المسامرة في شرح المسايرة: ١٦٢.

(٣) الفقه الأكبر للإمام الشّافعيّ: ٣٩.

(٤) نهج البلاغة تنظيم الدكتور صبحي الصّالح: ٢٤٧ خطبة ١٧٣.

(٥) سنن البيهقيّ ١٠: ١١٨.

(٦) رئاسة الدّولة للدكتور رأفت عثمان: ١٣٥.

(٧) نهاية المحتاج إلىٰ شرح المهناج ٧: ٣٩٨.

(٨) البحر الزّخّار ٥: ٢٧٩.

العقائد وفصل الحكومات ورفع المخاصمات ولن يتم ذلك بدون هذا الشّرط»[١].

ج. المعاهدة علىٰ الطّاعة للقيام بعمل ما:

تصح البيعة إذا كان الأمر أو متعلقه شرعياً، واجباً كان أم مندوباً أم مباحاً، فلا تصح البيعة للقيام بمعصية الله تعالىٰ أو علىٰ أمر سلبي فيه مفسدة، كمبايعة معاوية وغيره في محاربة الإمام عليّ عليه السلام. ويتضح ذلك أيضاً من قول الإمام الصّادق عليه السلام: «إن أتاكم آتٍ منا فأنظروا علىٰ أي شيء تخرجون، ولا تقولوا خرج زيد، فإن زيداً كان عالماً وكان صدوقاً، ولم يدعُكم إلىٰ نفسه، وإنّما دعاكم إلىٰ الرّضا من آل محمّد، ولو ظفر لوفىٰ بما دعاكم إليه، إنّما خرج إلىٰ سلطان مجتمع لينقضه»[٢]. وعن ابن عمر قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله علىٰ المرء المسلم السّمع والطّاعة فيما أحب وكره، إلّا أنْ يأمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[٣]. وعن عبدالله بن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «سيلي أُموركم بعدي رجال يطفئون السّنة، ويعملون بالبدعة، ويؤخرون عن الصّلاة مواقيتها، فقلت: يارسول الله إنْ أدركتهم كيف أفعل؟ قال: تسألني يابن أُمّ عبد كيف تفعل؟ لا طاعة لمن عصىٰ الله»[٤]. وعن أنس: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا طاعة لمن لم يطع الله»[٥].

د. مكان البيعة:

من المعروف والثّابت تأريخياً أنّ أوّل مؤسّسة قام رسول الله صلى الله عليه وآله بإنشائها هي

---

(١) شرح المواقف ٨: ٣٤٩.

(٢) وسائل الشّيعة ١١: ٣٦ ط ٥ دارالتّراث العربيّ.

(٣) صحيح البخاريّ ج ٣: باب السّمع والطّاعة من كتاب الأحكام.

(٤) مسند أحمد ١: ٤٠٠.

(٥) كنز العمال ٦: ٦٧.

مؤسّسة المسجد، وجعله مركزاً للعبادة والتّعليم والحكم والإدارة. وهو المقر الوحيد في الدّولة. وهذا مسجد «قباء»، هو أول مسجد تم بناؤه في الإسلام في قرية قباء القريبة من المدينة، ثمّ بعد ذلك بُنيت في عهده ﷺ تسعة مساجد سوىٰ مسجده ﷺ في المدينة[١]. ولذا نرىٰ أنّ الإمام عليّاً ﷺ أبىٰ أنْ يُبايع إلّا في المسجد، وعندما قالوا له: أنت أحقّ بهذا الأمر، وأرادوا أن يبايعوه وهو في بيته أبىٰ ورفض ذلك وقال: «فإن بيعتي لاتكون خفية، ولاتكون إلّا عن رضا المسلمين، ويجب أنْ تكون في المسجد... ولذا قال ابن عباس: فكرهت أنْ يأتي المسجد مخافة أنْ يُشغب عليه النّاس، وأبىٰ هو إلّا في المسجد فدخل المهاجرون والأنصار فبايعوه، ومن ثمّ بايعه النّاس... إذاً المسجد هو المكان المخصص للبيعة أيضاً[٢].

أنواع البيعة

سبق وأنْ أشرنا بداية البحث إلىٰ نوعين من البيعة «الخاصة والعامة» وهنا نريد أن نعرف مَن هُم المعنيون بالبيعة الخاصة والعامة؟

١. ذكر بعض أهل السّير والتّأريخ، أنّ المراد بأهل البيعة الخاصة هم: القرابة، أهل البيت، وقيل: هم العترة، وقيل: بنو عبد المطلب.

٢. وذكر البعض الآخر من المؤرخين، أنّ المراد بأهل البيعة الخاصة هم: خيرة الصّحابة.

أمّا إذا كنا نحن والرّأي الأوّل أي البيعة الخاصة من قبل القرابة فمن هم القرابة؟

---

(١) فتوح البلدان: ٦، الرّوض الأُنف ٢: ٢٤٧، مقدمة ابن خلدون: ٢٨٣، وقيل: إنه بنىٰ أكثر من ذلك العدد حتىٰ إن صاحب التّراتيب الإدارية أوصلها إلىٰ عشرين مسجداً ١: ٣٤٩.

(٢) نظام الحكم للقاسميّ: ٢٤٢، الإمامة والسّياسة ١: ٦٥ـ٦٦، الفتوح لابن أعثم ٢: ٢٤٨، تأريخ الطّبريّ ٥: ١٥٣، ابن الأثير ٣: ١٠٢.

(آ) أهل البيت: فالأهل من الإهالة، والإهالة لغةً الودك، والمستأهل هو الّذي يأخذ الإهالة[١] والأهل، والأقارب، والعشيرة، والزّوجة، وأهل الشّيء أصحابه، وأهل الدّار[٢] سكانها، وقد اقترنت كلمة أهل في القرآن الكريم، واللّغة اقتراناً واضحاً وفي كلّ مورد تُعطي معنىً غير المعنىٰ الأوّل. ومن هنا لابد لنا من استعراض لبعض الموارد علىٰ سبيل المثال لا الحصر.

١. فقد وردت في قصة موسىٰ عليه السلام بعد ولادته مباشرة عندما وضعته أُمّه في صندوق، وألقته في البحر، والتّقطه آل فرعون وأخذوه ولكن عليه السلام رفض الرّضاعة من أية امرأة، فتحير آل فرعون، فجاءتهم أُخته وقالت لهم: ﴿...هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَـٰصِحُونَ﴾[٣]، فهنا كلمة «أهل بيت»، وردت بصيغة التّنكير لا التّعريف، ونحن قصدنا المراد من «أهل البيت»، الّذي يخص بحثنا.

٢. وردت أيضاً في قصة إبراهيم عليه السلام عندما عجبت زوجته من بشارة الملائكة لها بإسحاق، قال تعالىٰ علىٰ لسان الملائكة: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾[٤]. وهذه الآية لا تصلح أنْ تكون دليلاً علىٰ أنّ الزّوجة من أهل البيت بشكل مطلق، بل إنّ القرينة هي وحدها الّتي دلت علىٰ أنّ زوجة إبراهيم هُنا هي من أهل البيت، والقرينة هي أنّ الخطاب في الآية موجه لزوجة إبراهيم عليه السلام، ومثل ذلك إذا وردت كلمة أهل وحدها دون البيت فإنها تُعطي معنىٰ حسب القرينة الموجودة في الآية. ومنها:

(آ) قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ

---

(١) مختارات الصّحاح للرازيّ: ٣١.

(٢) المصدر السّابق: ٧٠.

(٣) القصص: ١٢.

(٤) هود: ٧٣.

نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا...﴾[١]، أهل موسىٰ عليه السلام، هُنا ليس غير زوجه الّتي خرج بها عائداً من مدين إلىٰ مصر وليس معه أحد سواها.

(ب) قال تعالىٰ: ﴿...قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢]. وهذه الآية صريحة بأنّ المراد من لفظة «أهلك»، هي زوج عزيز مصر لا غير.

(ج) قال تعالىٰ: ﴿... إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾[٣]. وقال تعالىٰ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا...﴾[٤]. وقال تعالىٰ: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى... ۞ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ...﴾[٥].

فالمراد من كلمة أهلك في هاتين الآيتين هم الأُسرة ـ من الزّوجين والأولاد ومتعلقي الرّجال؛ لأن الآية الأُولىٰ نزلت في لوط عندما أنجاه الله من العقوبة الّتي حلت بقومه، وحدثتنا كتب التّأريخ والتّفسير بأنه لم ينج معه إلّا ابنتاه، بل انّ زوجته شملها العذاب، بينما الآية الثّانية هي تحث وتوجه المؤمنين علىٰ أنْ يأمروا أهلهم وأزواجهم وأولادهم بالصلاة. أمّا الآية الثّالثة فتُعطي معنىٰ أهله الّذين حملوا رسالته عليه السلام، من الزّوجة والأولاد وزوجات أولاده، ولذا أخرجت ابنه الّذي هو من صُلبه؛ لأنه لم يحمل رسالة أبيه. أو كما عبر الأُستاذ عبد الزّهرة عثمان بتعبير أدق: «الأهل تعني أُسرة الرّجل الّذين يندمجون في الخط الفكري الّذي يحمل ويتبنىٰ دون سواهم من أفراد الأُسرة»[٦].

---

(١) القصص: ٢٩.

(٢) يوسف: ٢٥.

(٣) العنكبوت: ٣٣.

(٤) طه: ١٣٢.

(٥) هود: ٤٥ـ٤٦.

(٦) الإمام في الرّسالة الإسلاميّة: ١٣٨، ط قم المقدسة.

(د) قال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ...﴾[١] وقال تعالىٰ: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ...﴾[٢].

ففي الآية الأُولىٰ هم: أقارب الزّوجين كما في كثير من التّفاسير[٣]. والآية الثّانية أرادت أقارب زوج عزيز مصر، فالشاهد هو من أهلها، كما تقول التّفاسير علىٰ رغم أختلافهم هل هو ابن عمّها، أو ابن أُختها، أو رجل من أقاربها...[٤].

(هـ) قال تعالىٰ: ﴿...فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم...﴾[٥]. فالأهل هنا هم أولاده فقط دون الزّوجة الّذين نزل عليهم البلاء.

(و) قال تعالىٰ: ﴿...وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ...﴾[٦]. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا...﴾[٧]. وقال تعالىٰ: ﴿...قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا...﴾[٨]. ففي هذه الآيات الثّلاث لفظة أهل تعني الأصحاب. والّذي يلاحظ قواميس اللّغة العربية المعتمدة يجد أنّ كلمة «أهل»، وردت (٥٤) مرة بمعانٍ مختلفة[٩].

---

(١) النّساء: ٣٥.

(٢) يوسف: ٢٦.

(٣) أُنظر، التّفاسير المتعلقة بهذه الآية، كالطبري والجلالين وشبر والميزان والآلوسي... إلخ.

(٤) المصادر السّابقة في تفسير هذه الآية وخاصة تفسير الميزان ١٢: ١٤٢.

(٥) الأنبياء: ٨٤.

(٦) فاطر: ٤٣.

(٧) النّساء: ٥٨.

(٨) الكهف: ٧١.

(٩) القاموس المحيط للفيروز آبادي ج٣، فصل الهمزة باب اللام: ٣٣١، ط القاهرة، مجمع اللّغة العربية أعداد أحمد حسن الزّيات، ط مصر.

أمّا كلمة «بيت»، فإنها وردت في مواضع كثيرة من الكتاب والسّنة، لكنها أعطت مدلولين فقط.

١. البيت النّسبي ـ جزء العشيرة، أو القبيلة ـ كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[١]، والبيت بمنطق الآية لوط وابنتاه[٢].

٢. البيت المادي المعد للسكن، أو العبادة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ ...﴾[٣]. وقال تعالىٰ: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ ...﴾[٤]. ولو نظرنا إلىٰ قواميس اللّغة نجد أنّ كلمة بيت وردت بمعنىٰ المسجد الحرام (١٥) مرة[٥].

والسّؤال الّذي يطرح نفسه هل الشّورىٰ تعتمد علىٰ هؤلاء في البيعة أم هنالك معنىٰ آخر لأهل البيت؟ والجواب هو قوله تعالىٰ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَاتَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ.... * إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٦]. هذا الخطاب القرآني أوجب شبهات عند بعض في مَن هو المراد بأهل البيت، واتخذه مبرراً لإثارة بعض الشّكوك؛ لأن الآية ورد فيها ذكر أزواج النّبيّ ﷺ.

وبعد الإيضاحات السّابقة من خلال الآيات الشّريفة نورد بعض الأقوال

---

(١) الذّاريات: ٣٦.

(٢) التّفاسير السّابقة.

(٣) يوسف: ٢٣.

(٤) النّور: ٣٦.

(٥) البقرة: ١٢٥ و١٢٧ و١٥٨، آل عمران: ٩٦ و٩٧، المائدة: ٢ و٩٧، الأنفال: ٣٥، هود: ٧٣، الإسراء: ٩٣ الحج: ٢٦ و٢٩ و٣٣، القصص: ١٢، العنكبوت: ٤١، الطّور: ٤، قريش: ٣.

(٦) الأحزاب: ٣١ـ٣٢.

المدعية بأنّ الأداة في الآية : ﴿إِنَّمَا﴾ ، لم تكن أداة حصر علىٰ أهل البيت ، بل تشمل الكثير ، بل انّ بعضهم ادعىٰ أنّها نزلت بخصوص نساء النّبيّ ﷺ فقط ، وسنشير إلىٰ الأقوال العديدة أشارة عابرة وهي كالتالي :

(١) ما أدعاه عكرمة[١] وكان ينادي بالأسواق ويقول : إنّ المراد بأهل البيت خصوص نساءالنّبيّ ﷺ ولايشمل غيرهن ، ومع الأسف نسب هذا القول إلىٰ ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وهما منه براء ، وسنشير إلىٰ رواية ابن عباس ، وسعيد فيما بعد إن شاء الله تعالىٰ . ونسب هذا القول أيضاً إلىٰ مقاتل[٢] .

(٢) وقال آخرون : المراد بأهل البيت هم أصحاب الكساء ـ النّبيّ ﷺ وعليّ عليه السلام ، وفاطمة عليها السلام ، والحسن والحسين عليهما السلام ، بالإضافة إلىٰ زوجات النّبيّ ﷺ وبعضهم ذكر الزّوجات ، وأصحاب الكساء دون النّبيّ ﷺ ، كما عن الفخر الرّازيّ[٣] .

---

(١) هو عكرمة بن عبدالله مولىٰ عبدالله بن عباس المتوفي عام ١٠٧هـ، أصله من البربر ، وكان مولىٰ الحصين بن النّمير العنبري فوهبه لابن عباس ، وحدث عنه وعن ابن عمر وأبي هريرة وأبي سعيد الخدريّ وعائشة ، وكان يرىٰ رأي الخوارج وخاصة رأي نجدة الحروري ، وهو من أشد الخوارج بغضاً للإمام عليّ عليه السلام ويرىٰ كُفر جميع المسلمين ما عدا الخوارج ، وهو القائل للحاج في موسم الحج : (وددت أنّ بيدي حربة فأعترض بها من شهد الموسم يميناً وشمالاً) ، وعن يعقوب الحضرمي عن جده أنه قال : (وقف عكرمة علىٰ باب المسجد فقال : ما فيه إلّا كافر) . أُنظر ، ترجمته بشكل مفصل في تهذيب الكمال ٢٠ : ٢٤٦ رقم : ٤٠٠٩ وميزان الإعتدال والمعارف وطبقات ابن سعد .

(٢) هو مقاتل بن سليمان البلخي الأزديّ الخراساني (ت ١٥٠ هـ) أصله من بلخ أنتقل إلىٰ البصرة ، ثمّ إلىٰ بغداد ، كان مفسراً للقرآن علىٰ طريقته الخاصة حتىٰ قال فيه ابن المبارك (ما أحسن تفسيره لوكان ثقة) ، وكان من غُلاة المجسمة يشبه الخالق بالمخلوقين ، وقال عنه أبو حنيفة : (أفرط مقاتل ـ في الإثبات ـ حتىٰ جعله مثل خلقه) . أُنظر ، ترجمته في تهذيب الكمال ، وميزان الإعتدال ٤ : ١٧٣ و٣ : ٥٦٢ رقم : ٨٧٤١ ، ط ١ ، والفصل لابن حزم ٤ : ٢٠٥ .

(٣) أُنظر ، تفسير الفخر الرّازيّ ، ومفاتيح الغيب لأبي عبد الله محمّد بن عمر (ت ٦٠٤ هـ) بخصوص هذه الآية .

(٣) وقيل: المراد بأهل البيت، النّبيّ صلى الله عليه وآله وحده[١]. وهو رأي شاذ ولم يَتَبَنَّهُ أحد من علماء ومفسري الأُمّة.

(٤) وقيل: المراد بأهل البيت، هم بنو هاشم، ولا يشمل النّساء[٢].

وقيل: النّساء وجميع بني هاشم.[٣]

وقيل: مَن أجتمع بالنبي صلى الله عليه وآله بسبب أو نسب[٤].

(٥) وقال أبو حيان: «لما كان أهل البيت يشملهن وآباءهن، غلب المذكر على المؤنث»[٥].

(٦) وقيل: هُم عليّ وفاطمة والحسنان. وقيل: إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله داخل معهم، ونسب هذا القول إلىٰ أنس بن مالك، وواثلة بن الأسقع[٦].

(٧) وقيل: المراد بهم جميع الائمة من أهل البيت عليهم السلام[٧].

وخلاصه هذه الأقوال تدور حول محاور ثلاثة هي:

(آ) هل تدخل زوجات النّبيّ صلى الله عليه وآله في أهل البيت؟

(ب) وهل تشتمل كلمة أهل البيت كلّ أقارب النّبيّ صلى الله عليه وآله؟

---

(١) الصّواعق المحرقة: ١٤١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٤: ١٨٣، وفتح القدير ٢: ١٢٧.

(٣) الصّواعق المحرقة: ١٤١، وتهذيب تأريخ دمشق ٤: ٢٠٨.

(٤) المواهب اللّدنية ٢: ١٢٧.

(٥) تهذيب تأريخ دمشق ٤: ٢٠٩.

(٦) مجمع البيان ٨: ٣٥٦، وكذلك ينابيع المودة ١: ٣٢٠ و٣٢١ و٣٤٨ و٢: ٤١ و٥٩ و١١٩ و٢٢٥ و٤٢٩ و٣: ٣٦٤ و٣٦٨، الصّواعق: ١٤١، وتهذيب تأريخ دمشق ٤: ٢٠٨.

(٧) جوامع الجامع: ٣٧٢ في الهامش.

(ج) هل يشمل أهل البيت أصحاب الكساء فقط دون غيرهم؟ علماً بأنّ النّبيّ ﷺ من أهل الكساء، بل هو الأصل.

أمّا إذا كُنا نحن والرّأي الأوّل الّذي يقول بدخول زوجات النّبيّ ﷺ ضمن أهل البيت، بغض النّظر عمن يقول بأنها مختصه بنسائه ﷺ فإنه قول لا يعتد به؛ لأن صاحبه متهم بالكذب، ومعتقداته فاسدة، وقد تلاعب بمعاني ودلالات القرآن كثيراً، وينطبق عليه قول الإمام الباقر عليه السلام فيما كتبه إلىٰ سعد الخير حيث قال: «وكان من نبذهم الكتاب أنْ أقاموا حروفه، وحرفوا حدوده، فهم يرونه ولا يرعونه، والجهال يعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يحزنهم بتركهم للرعاية...»[1].

ثمّ نطرح السّؤال التّالي أتدخل زوجاته ﷺ كلهن ضمن أهل البيت؟ أم يدخل بعضهن دون بعضهن الآخر؟

فإذا كان الجواب بدخولهن كلهن فلماذا لم تدخل أُمّ سلمة رضي الله عنها ضمن أهل البيت؟ والدّليل علىٰ عدم دخولهن هو أعترافهن الصّريح بذلك فها هي السّيدة عائشة تقدم هذا الأعتراف في روايات عديدة منها:

«أخبرني أبو عبد الله الدّينوريّ قال: حدثنا عبدالله بن الفضل، قال: حدثنا الحسن بن عليّ، قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا العوام بن حوشب، قال: حدثني ابن عمّ ليّ من بني الحارث بن تيم الله يقال له: مجمع «جميع» بن عمير قال: دخلت مع أُمّي علىٰ عائشة فسألتها أُمّي قالت: أرأيت خروجك يوم الجمل؟ قالت: إنه كان قدراً من الله، فسألتها عن عليّ فقالت: تسألينني عن أحبّ النّاس كان إلىٰ رسول الله ﷺ وزوج أحبّ النّاس كان إلىٰ رسول الله، لقد رأيت

---

(١) الوافي آخر كتاب الصّلاة: ٢٤٧ أو ٥: ٢٧٤، الكافيّ ٨: ٥٣، البحار ٧٥: ٣٥٩، البيان للسيد الخوئيّ: ١٩٨، ط ٨، أنوار الهدىٰ.

عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً، وجمع رسول الله بثوب عليهم، ثمّ قال: اللّهمّ إن هؤلاء أهل بيتي وحامتي فأذهب عنهم الرّجس وطهرهم تطهيراً. فقلت يارسول الله أنا من أهلك؟ قال: تنحي فإنك إلىٰ خير»[١] وفي لفظ آخر: «إنك علىٰ خير»[٢] وفي لفظ: «إنك لعلىٰ خير، ولم يدخلني معهم»[٣]. فهذا أعتراف صريح من قبل السّيدة عائشة، فهل تبقىٰ حجّة لمن يدخل زوجات النّبيّ ﷺ بأهل البيت؟ وهنالك أحاديث أُخرىٰ تبين فيها السّيدة عائشة بأنها ـ الآية ـ نزلت في أهل بيت النّبيّ ﷺ وهم عليّ عليه السلام، وفاطمة عليها السلام، والحسن والحسين عليهما السلام، وأنّها ـ أي السّيدة عائشة ـ ليست منهم[٤].

أمّا أُمّ سلمة فقد اعترفت هي أيضاً بأنها ليست منهم، فقد روىٰ الحاكم الحسكانيّ في شواهد التّنزيل: «حدثنا عبدالله بن يوسف الإصبهانيّ قال: أخبرنا أبوبكر أحمد بن سعيد بن فرضخ قال: حدثنا موسىٰ بن الحسن قال: حدثنا أبو نعيم قال: حدثنا فضيل بن مرزوق: عن عطية عن أبي سعيد قال: قالت أُمّ سلمة: نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

---

(١) شواهد التّنزيل للحاكم الحسكانيّ ٢: ٦٢ ح ٦٨٤، تحقيق الشّيخ محمّد باقر المحموديّ.

(٢) المصدر السّابق: ٦٦ ح ٦٨٢.

(٣) المصدر السّابق: ٦٢ ح ٦٨٣.

(٤) المصادر السّابقة: ٥٦ و٥٧ و٥٨ و٥٩ و٦٠ و٦١ و٦٢ و٦٣ ومن ح ٦٧٦ و٦٧٨ و٦٧٩ و٦٨٠ و٦٨١ و٦٨٢ و٦٨٣ و٦٨٣ و٦٨٤ و٦٨٥، صحيح مسلم ٢: ٣٦٨ ط مصر، ٤: ١٨٨٣ تحت رقم (٢٤٢٤) و ١٥: ١٩٤، بشرح النّوويّ، تأريخ دمشق ١٢: ١٩ وفي ط ١: ٦٣، ٢: ٦٣ ط ٢ تحت رقم (٦٥٠)، تفسيرالطّبريّ ٢٢: ٦، وكفاية الطّالب: ٥٤، السّنن الكبرىٰ ٢: ١٤٩، المصنف ١٣: ٧٢، مستدرك الحاكم ٣: ١٤٧، معالم التّنزيل للبغوي ٣: ٥٢٩ ط ١، المناقب للصنعاني ج ٥ تحت الرّقم (٦١٦)، الكشف والبيان ٣: ١٣٩، الأمالي: ٤٢٣ ج ٥ نظم درر السّمطين للزرندي: ١٣٣، الدّرالمنثور ٥: ١٩٨، فتح القدير ٤: ٢٧٩، ذخائرالعقبىٰ: ٢٤ الصّراط المستقيم ١: ١٨٥، ١٨٧، كفاية الطّالب: ٣٢٣، العمدة لابن البطريق: ٤٠ مجمع البيان ٨: ٣٥٧.

تَطْهِيرًا﴾[١] وأنا جالسة علىٰ باب البيت، فقلت: يارسول الله ألست من أهل البيت؟ قال: «أنتِ إلىٰ خير، أنتِ من أزواج النّبيّ ﷺ...»[٢]. وهنالك أحاديث آخر تعترف فيها أُمّ سلمة بأنها ـ أي أُمّ سلمة ـ خارجة عن أهل البيت، بل إنّها تؤكد مراراً وتكراراً بأنها ـ الآية ـ نزلت في عليّ، وفاطمة، والحسن والحسين[٣]. وروىٰ أنه ﷺ منع دخول زينب معهم وقال لها: «مكانك فإنك إلىٰ خير إن شاء الله تعالىٰ»[٤].

وأمّا إذا كان الجواب بالثاني ـ أي دخول بعضهن ـ نساء النّبيّ ﷺ ـ دون بعضهن الآخر فنحن نقول: عليه أن يقدم لنا دليلاً واحداً علىٰ ذلك مهما كان نوع الرّاوي والمصدر عدا ماذكرنا سابقاً، كعكرمة، وأمثاله. وأنه لم يقل بدخول بعضهن دون بعض فلاحظ وتأمل.

---

(١) الأحزاب: ٣٢.

(٢) شواهد التّنزيل ٢: ٨٥و٦: ٧٠، تحقيق الشّيخ المحموديّ.

(٣) المصدر السّابق: ٣٩ح ٦٥٩ و: ٨٦وما بعدها ح ٧٠٧و٧٠٨و٧٠٩و٧١٠و٧١٣و٧١٤و٧١٧و٧٢٠و٧٢٢ و٧٢٤و٧٢٥و٧٢٦و٧٢٩و٧٣١و٧٣٧و٧٣٨و٧٤٠و٧٤٧و٧٤٨و٧٥٢و٧٥٣و٧٥٤و٧٥٥و٧٥٧و٧٥٨ و٧٥٩و٧٦٠و٧٦١و٧٦٤و٧٦٥و٧٦٨. تأريخ دمشق١٢: ٢٢ ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، تفسيرالحبري ٢٢: ٧، المصنف ١٢: ٧٣، المستدرك ٣: ١١٦، المناقب لابن المغازليّ: ٣٠٦ح ٣٥١، معالم التّنزيل ٣: ٥٢٩، المعجم الكبير٣: ٤٦، تفسيرالطّبريّ ٢٢: ٨، مشكل الآثار للطحاوي ١: ٣٣٢ أمالي الشّيخ الطّوسيّ ١: ٢٦٩ ح ٢٠، مسند أحمد ٦: ٢٩٨، مجمع الزّوائد ٩: ١٩٤، سنن التّرمذيّ ٥: ٦٦٢،الفصول المهمة لابن الصّباغ المالكيّ: ٨، الرّياض النّضرة ٢: ٢٤٨ ط ٢، فتح القدير ٤: ٢٧٩، الدّرالمنثور ٥: ١٩٨، مطالب السّؤول ١: ١٩ ط النّجف، كفاية الطّالب: ٣٧٢، أُسد الغابة ٢: ١٢ و٣: ٤١٣ وج ٤: ٢٩، نظم دررالسّمطين: ٢٣٨، ينابيع المودة ٢: ٢٢١ و٢٢٢ و٢٢٧ و٤٣٠ ط أسوة.

(٤) فرائد السّمطين ٢: ١٩، شواهد التّنزيل ٢: ٥٣ و٥٤، الصّراط المستقيم ١: ١٨٧، العمدة ص: ٤٠، تفسير القرآن العظيم ٣: ٤٨٥ بالإضافة إلىٰ المصادر السّابقة.

أمّا إذا كنا نحن والمحور الثّاني بأنّ أهل البيت هم: كلّ أقارب النّبيّ ﷺ.

فالجواب: من خلال التّتبع التّأريخي يتبين لنا أنّ عشيرة الرّسول ﷺ، هُم من «هاشم سليل عبد مناف ـ المغيرة بن قصي بن كلاب»، وكان يقال له قمر البطحاء لحسنه وجماله وهو الجد الثّالث لرسول الله محمّد ﷺ[١]. وعندما مات قصي قام عبد مناف بن قصي مكانه في الرّئاسة والزّعامة للعشيرة، ولذا اقتصر رسول الله ﷺ على عبد مناف بن قصي فقط عندمانزلت الآيه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[٢]. فتراجعت قريش كلّها إلّا بني عبد مناف، ولذا قال رسول الله ﷺ: «إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، وأنتم الأقربون من قريش، وإني والله لا أملك لكم من الله حظاً ولا من الآخره نصيباً إلّا أن تقولوا لا إله إلّا الله فأشهد لكم بها عند ربكم وتدين لكم العرب وتذل لكم بها العجم»[٣]. وسنقف مع آية الأنذار فيمابعد إن شاء الله تعالىٰ.

ولكن السّؤال الّذي يطرح نفسه أيضاً مَن هُم أولاد عبد مناف؟

والجواب هم: (١) المطلب بن عبد مناف (٢) هاشم بن عبد مناف (٣) عبد شمس بن عبد مناف. (٤) نوفل بن عبد مناف[٤]. وانضم بنو هاشم وبنو عبد المطلب إلىٰ كتلة واحدة، وبنو عبد شمس وبنو نوفل إلىٰ كتلة ثانية ولكن بقيت السّيادة والقيادة والرّفادة والسّقاية بيد عبد مناف إلىٰ أنْ مات هاشم في أرض الشّام، وأوصىٰ هاشم إلىٰ أخيه المطلب[٥].

---

(١) طبقات ابن سعد ٢: ١٨١، السّيرة الحلبية ١: ٧.

(٢) الشّعراء: ٢١٤.

(٣) المصدر السّابق ١: ٧٤.

(٤) الطّبقات ١: ٧٥، السّيرة الحلبية ١: ٥، تأريخ الطّبريّ ٢: ١٨٠.

(٥) المصدر السّابق ١: ٧٨ و ١: ٦.

وذرية هاشم هم: (١) شيبة الحمد ـ عبد المطلب ـ وهو سيد قريش حتىٰ مات (٢) عمرو أبو صيفي بن هاشم (٣) أسد بن هاشم (٤) نفلة بن هاشم[١]. وأوصىٰ عبد المطلب إلىٰ ابنه الزّبير بن عبد المطلب، وأوصىٰ الزّبير إلىٰ أبي طالب[٢].

أمّا ذرية عبد المطلب فهم (١) الحارث (٢) الزّبير (٣) عبد مناف «أبو طالب» (٤) عبد الله (٥) الحمزة (٦) أبو لهب (٧) الغيدان (٨) المقوم (٩) ضرار (١٠) العباس[٣].

والسّؤال الّذي نطرحه علىٰ الّذين يقولون بالرأي ـ المحور ـ الثّاني هل شملت هؤلاء جميعاً لفظة أهل البيت؟ فإذا كان الجواب بنعم، فبماذا يجيبون علىٰ نزول الآية في أبي لهب: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ * مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾[٤]، وإذا كان الجواب بالنفي فقد ثبت المطلوب؟

أمّا إذا كنا نحن والمحور الثّالث القائل: بأنّ أهل البيت هُم أصحاب الكساء دون غيرهم، علماً بأنّ النّبيّ ﷺ منهم فهذا هو الّذي نريد أن نثبته من خلال سبب نزول هذه الآية عن طريق السّنة النّبوية المطهرة.

وبعد إبطال المحور الأوّل والثّاني لم يبق لدينا إلّا المحور الثّالث، وهذا المحور قد أكده رسول الله ﷺ مراراً وتكراراً؛ لأنّه ﷺ كان حريصاً علىٰ تحديد وتشخيص أهل البيت الّذين نزل فيهم القرآن، والمنع عن استعمال هذه اللّفظة في غير أهلها، وادخال من ليس منهم فيهم، كما ادعاه أصحاب المحور الأوّل والثّاني.

---

(١) المصدر السّابق.

(٢) تأريخ الطّبريّ ٢: ١٧٩.

(٣) الطّبقات الكبرىٰ ١: ٨٨.

(٤) المسد: ١ ـ ٣.

وبما أنّا أوردنا كلام السّيدة عائشة، وأُمّ سلمة، وزينب، وغيرهن، وكذلك لم يكن هنالك نصيب للآخرين من آل عقيل، وآل العباس، وآل جعفر، فلا نعيد ماذكرنا، بل نقتصر علىٰ مثال واحد أو مثالين يبين ويحصر لنا معنىٰ أهل البيت، ثمّ نذكر المصادر الّتي تشير إلىٰ ذلك، فمن أراد المزيد فليراجع؛ لأن الرّوايات هي الّتي تفسر لنا القرآن الكريم، وتوضح لنا بأنّ المراد من أهل البيت هُم: أهل الكساء، وقد رواها ـ الأحاديث ـ العلماء والمحدثون علىٰ إختلاف مذاهبهم ومشاربهم، وهي متواترة من طُرق أهل السّنة فضلاً عن تواترها عند الشّيعة الإماميّة أيضاً. وأهل الكساء هم، كما ذكرنا عليّ عليه السلام، وفاطمة عليها السلام، والحسنان عليهما السلام، وهم أهل العصمة من كلّ ذنب، والصّادقون المنزهون، والّذين لا يجوز لاي مسلم أنْ يشك في صدقهم ورواياتهم؛ لأن الكذب من أفحش الرّجس الّذي برأهم الله تعالىٰ منه. وليس شأن أهل البيت شأن سائر المجتهدين؛ لأن المجتهد قد يصيب وقد يُخطئ، وإنّما هُم نقلة حديث رسول الله وحملة ميراث الرّسالة ولذا قال الصّادق عليه السلام: «حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السلام وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله قول الله عزوجل»[1].

وقال الصّادق عليه السلام أيضاً: «إنّا لو كنا نُفتي النّاس برأينا وهوانا لكنا من الهالكين، ولكنها آثار من رسول الله صلى الله عليه وآله أصل علم نتوارثها كابراً عن كابر، نكنزها كما يكنز النّاس ذهبهم وفضتهم»[2].

---

(١) أُصول الكافيّ ١: ٥٣.

(٢) بصائر الدّرجات: ٣١٩.

ولسنا بصدد بيان الإرادة الملحوظة في الآية أولاً وبالذات، أهي الإرادة التّشريعية أم التّشريعية والتّكوينية معاً؟ بل نقول إن الآية تتضمن أخباراً عن أنّ الله سبحانه يرعىٰ أهل البيت عليهم السلام ويعمل علىٰ تطهيرهم، وعلىٰ دفع كلّ رجس عنهم، وهذا ماعبر عنه السّمهوديّ: «إن إرادته تعالىٰ منحصرة علىٰ تطهيرهم، ثمّ أكده بما يدل علىٰ أنّ طهارتهم طهارة كاملة وفي أعلىٰ مراتب الطّهارة»[1]. والله سبحانه وتعالىٰ هو الّذي يفيض الوجود علىٰ النّاس، وأفعال العباد لا يمكن أنْ تصدر عنهم دون الإفاضة عليهم من قبل الله، ولكن العباد هم الّذين يختارون الفعل ويبادرون إليه. ومن هنا يتضح أن الله تعالىٰ عَلِم أنّ الأئمّة ـ بما عندهم وبما زودهم من الاستعدادات الذّاتية والملكات النّفسانية والإمدادات الغيبية ـ لايختارون إلّا ماشرعه الله ويرضاه، ولذا أفاض الوجود بالإرادة التّكوينية عليهم، وأخبرنا بأنه يريد في الآية هذا المعنىٰ، وهو إذهاب الرّجس عنهم، وتطهيرهم تطهيراً، كما هو الحال عند الأنبياء المعصومين.

والعصمة ليست أمراً يخرج الإمام عن كونه أحد أفراد المجتمع البشريّ، يحس بما يحسون ويشعر بما يشعرون ويتألم بما يتألمون. وهو ليس مخلوقاً آخر لا يلتقي معهم في خصائصهم، كما يدعي المدعي بأنّ الإماميّة هذا هو معتقدهم في الأئمّة، بل إن العصمة هي ملكة نفسية لاتصدر المعاصي عمن اتصف بها مع قدرته علىٰ مقارفتها، بل قال بعضهم إنّها لطف من الله تعالىٰ بصاحبها، وحقيقة اللّطف من المسائل الفلسفية، فالذي ذهب إلىٰ وجوب اللّطف علىٰ الله ـ في نصب الإمام هم المعتزلة والشّيعة. أمّا الّذين أنكروا وجوبه فهم الأشاعرة ـ أهل السّنة ـ ولسنا بصدد بيان ذلك أيضاً فمن شاء فليراجع المصادر المتعلقة به[2].

---

(١) ينابيع المودة: ٣٠٩.

(٢) شرح تجريد الإعتقاد للحليّ: ٣٠٣، شرح الأُصول الخمسة: ٥٢١، شرح المقاصد ٥: ٢٤٠، الملل والنّحل ١:

كما أنّ العصمة ليست نتاجاً عقلياً بحتاً، بل تستند إلىٰ نصوص قرآنية وأحاديث نبوية شريفة، ومنها هذه الآية الّتي نحن بصددها ـ آية التّطهير ـ ولذا صرح رسول الله ﷺ في ذلك تصريحاً لا يترك لأحد شكاً بعده فيقول ﷺ: «نزلت هذه الآية في خمسة: فيَّ وفي عليّ عليه السلام وفاطمة عليها السلام وحسن وحسين عليهما السلام»[1] وفي رواية عبدالله بن جعفر بن أبي طالب: «لمانظر رسول الله ﷺ إلىٰ الرّحمة هابطة قال: (ادعوا ليّ، أدعوا ليّ) فقالت صفية ـ بنت حي بن أخطب من سبط هارون بن عمران من بني إسرائيل زوج رسول الله ﷺ ـ مَن يارسول الله؟ قال: أهل بيتي عليّاً وفاطمة والحسن والحسين» فجيء بهم. فألقىٰ عليهم النّبيّ ﷺ كساءه، ثمّ رفع يديه، ثمّ قال: «اللّهمّ هؤلاء آلي فصل علىٰ محمّد وآل محمّد» وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ...﴾[2]. وفي رواية، أُمّ المؤمنين عائشة: أنّ الكساء كان مرطاً مرحلاً من شعر أسود[3]. وفي رواية أُمّ سلمة: «فأرسل رسول الله ﷺ إلىٰ عليّ وفاطمة والحسن والحسين، فقال: «هؤلاء أهل بيتي»»[4].

وقد سبقت الإشارة إلىٰ الرّوايات عن طريق السّيدة عائشة، وأُمّ سلمة.

وفي روايات أبي سعيد الخدريّ منها: قال: «جمع رسول الله ﷺ عليّاً عليه السلام وفاطمة عليها السلام، والحسن والحسين عليهما السلام، ثُم أدار عليهم الكساء، فقال: هؤلاء أهل بيتي اللّهمّ أذهب عنهم الرّجس وطهرهم تطهيراً...»[5]. ومنها: «... سأل أبا سعيد

⇔ ١٠٢ و٥٣ و٥٧، تفسير الرّازيّ ١: ١٤٤ هذه المصادر ذُكرت علىٰ سبيل المثال لا الحصر.

(١) رواه الطّبري في التّفسير ٢٢: ٥ والمحب الطّبري في ذخائرالعقبىٰ: ٤٤، وابن كثير في التّفسير ٣: ٤٥٨.

(٢) أُنظر، مستدرك الصّحيحين ٣: ١٤٧.

(٣) أُنظر، صحيح مسلم ٧: ١٣٠، ٤: ١٨٨٣ و٤: ٢٤٢، سنن البيهقيّ ٢: ١٤٩، المصنف ٧: ٥٠١ ح ٣٩.

(٤) المستدرك علىٰ الصّحيحين ٣: ١٥٨ ح ٤٧٠٥، السّنن الكبرىٰ ٢: ٢١٤ ح ٢٨٦١.

(٥) شواهدالتّنزيل ٢: ٣٨ ح ٦٥٧ و٦٥٨، تنبيه الخواطر ١: ٢٣.

الخدريّ عن قوله تعالىٰ ـ إنّما يريد الله... فأخبره أنّها نزلت في رسول الله ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن[١] والحسين[٢]. وفي رواية واثلة بن الأسقع: «أنّ رسول الله ﷺ أدنىٰ عليّاً وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسناً وحسيناً كلّ واحد منهما علىٰ فخذه...».

وقد روىٰ[٣] شأن نزول آية التّطهير غير من ذكرنا كلّ من:

(١) عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد أبوحفص المخزوميّ ربيب رسول الله، أُمّه أُمّ سلمة قال: «نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ...﴾ في بيت أُمّ سلمة، فدعا النّبيّ ﷺ، فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء، وعليّ خلف ظهره فجلله بكساء، ثمّ قال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب الرّجس عنهم...»[٤].

(٢) سعد بن أبي وقاص: واسم أبي وقاص مالك بن أُهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشيّ، وكان سابع سبعة سبقوا إلىٰ الإسلام، وأبىٰ أنْ يُبايع عليّاً وأبىٰ علىٰ معاوية أنْ يسب عليّاً حينما دعاه للسب وبكىٰ، فقال له معاوية: ما الّذي أبكاك؟ قال: ولِمَ لا أبكي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ يُسب عندك ولا

---

(١) أسباب نزول القرآن: ٣٦٨ ح ٦٩٦، أمالي الشّيخ الطّوسيّ: ٢٤٨ ح ٤٣٨، تأريخ دمشق ترجمة الحسن عليه السلام: ٧٥ ح ١٠٨.

(٢) شواهد التّنزيل ٢: ٣٨، تنبيه الخواطر ١: ٢٣، تفسير الطّبريّ ١٢: ٢٢.

(٣) سنن البيهقيّ ٢: ١٥٢ و٢١٧، مسند أحمد ٤: ١٠٧، مستدرك الصّحيحين ٢: ٤١٦ و٣: ١٤٧، مجمع الزّوائد ٩: ١٦٧، مسند أبي يعلىٰ ٦: ٤٧٩ ح ٧٤٤٨، نثر الدّر ١: ٢٣٦، وهناك روايات أُخر عن طريق واثلة وردت في المناقب للخوارزمي: ٦٣ ح ٣٢، كنزالعمّال ١٣: ٦٠٣ ح ٣٧٥٤٤، فضائل الصّحابة لأحمد ٢: ٥٧٧ ح ٩٧٨، والمسند لأحمد ٦: ٤٥ ح ١٦٩٨٥، العمدة ص: ٤٠ ح ٢٥، المعجم الكبير ٣: ٤٩ ح ٢٦٧٠.

(٤) فضائل الخمسة ١: ٢١٤، عن صحيح التّرمذيّ ٢: ٢٠٩، أُسد الغابة ٢: ١٧، تفسير الطّبريّ ١٢: ٢٢ ح ٨، تأريخ دمشق ـ ترجمة الحسن: ٧١ ح ١٠٤.

أستطيع أنْ أُغير، وقد كان في عليّ خصال؛ لأَن تكون فيّ واحدة منها أحبّ من الدّنيا وما فيها. إلىٰ أن قال... والخامسة: نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ...﴾، فدعا النّبيّ ﷺ عليّاً وحسناً وحسيناً وفاطمة عليهم السلام فقال: «اللّهمّ هؤلاء أهلي فأذهب عنهم الرّجس...»[1].

(٣) عبدالله بن عباس: قال: «دعا رسول الله ﷺ الحسن والحسين وعليّاً وفاطمة، ومد عليهم ثوباً، ثمّ قال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي وحامتي فأذهب عنهم الرّجس وطهرهم تطهيراً»[2].

(٤) البراء بن عازب: قال: «جاء عليّ وفاطمة والحسن والحسين إلىٰ باب النّبيّ ﷺ فقام بردائه وطرحه عليهم، ثمّ قال: «اللّهمّ هؤلاء عترتي»»[3].

(٥) وقد استشهد بهذه الأية الكريمة ـ إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت... الإمام الحسن عليه السلام، وهو علىٰ المنبر قال: «لما نزلت آية التّطهير جمعنا رسول الله ﷺ في كساء لأُمّ سلمة خيبري، ثمّ قال: «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي وعترتي، فأذهب عنهم الرّجس وطهرهم تطهيراً»»[4].

---

(١) أمالي الشّيخ الطّوسيّ: ٥٩٨ ح ١٢٤٣، ووردت عنه روايات أُخر في شأن نزول: «قل تعالوا ندع أبناءنا...»، فأُنظرها في صحيح مسلم ٤: ١٨٧١، سنن التّرمذيّ ٥: ٢٢٥ ح ٢٩٩٩، مسند أحمد ١: ٣٩١، المستدرك ٣: ١٦٣.

(٢) شواهد التّنزيل ٢: ٥٠ ح ٦٧٠، تأريخ دمشق ترجمة الإمام عليّ ١: ١٨٤ ح ٢٤٩، مسند أحمد ٣٣٠، خصائص النّسائيّ: ١١، الرّياض النّضرة ٢: ٢٦٩، مجمع الزّوائد ٩: ١١٩، وهناك روايات كثيرة وردت عن ابن عباس فلاحظها في المستدرك ٣: ١٤٣ ح ٤٦٥٢، خصائص الإمام عليّ للنسائي: ٧٠ ح ٢٣، الفقيه ٤: ١٧٩ ح ٥٤٠٤، أمالي الصّدوق: ٣٩٣ ح ١٨، المعجم الكبير ٢٤: ١٣٤، المصنف ٥: ٤٨٩ ح ٩٧٨٢.

(٣) تأريخ دمشق ٢: ٤٣٧ ح ٩٤٤، شواهد التّنزيل ٢: ٢٦ ح ٦٤٥.

(٤) المناقب لابن المغازليّ: ٣٠٢ ح ٣٤٦، أمالي الطّوسيّ: ٥٥٩ ح ١١٧٣، واستشهد بها في خطبته بالعراق كما ↔

(٦) واستشهد بها أيضاً الإمام الحسين عليه السلام فيما جرىٰ بينه، وبين مروان بن الحكم عندما قال له عليه السلام: «إليك عني، فإنك رجس، وإني من أهل بيت الطّهارة قد أنزل الله فينا: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ...﴾[1].

(٧) واستشهد بها الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام في الشّام عندما أتاه شيخ من أشياخ الشّام فقال لهم: الحمد لله الّذي قتلكم وأهلككم وقطع قرن الفتنة... فلما انقضىٰ كلامه قال له الإمام عليه السلام: «أما قرأت كتاب الله... فهل قرأت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ...﴾[2] قال: بلىٰ، قال فنحن هم...»[3].

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله بعد نزول هذه الآية عدة أشهر يأتي إلىٰ باب عليّ وفاطمة يسلم عليهم ويقرأ الآية. قال ابن عباس: «شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله تسعة أشهر يأتي كلّ يوم باب عليّ بن أبي طالب عند وقت كلّ صلاة فيقول: «السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت إنّما يريد الله... الصّلاة رحمكم الله» كلّ يوم خمس مرات»[4].

وعن أبي الحمراء قال: «حفظت رسول الله ثمانية أشهر بالمدينة ليس مرّة يخرج إلىٰ صلاة الغداة إلّا أتىٰ باب عليّ فوضع يده علىٰ جنبتي الباب، ثمّ قال:

↔ ورد في المعجم الكبير ٣: ٩٦ ح ٢٧٦١، تأريخ دمشق ترجمة الإمام الحسن عليه السلام: ١٨٠ ح ٣٠٤ و ٣٠٥، مستدرك الصّحيحين ٣: ١٧٢، مجمع الزّوائد ٩: ١٤٦ و ١٧٢.

(١) مقتل الخوارزميّ ١: ١٨٥، الفتوح لابن أعثم ٥: ١٧، وهناك روايات أُخر وردت عنه عليه السلام فلاحظها في كفاية الأثر: ١٧١.

(٢) الأحزاب: ٣٢.

(٣) أمالي الصّدوق: ١٤١ ح ٣، الملهوف: ١٧٦، مقتل للخوارزمي ٢: ٦١.

(٤) راجع الدّر المنثور ٦: ٤٠٣ و ٦٠٦، في الآية (وأمر أهلك بالصلاة) طه: ٦.

«الصّلاة إنّما يريد الله . . .)[١].

وقال أبو برزة الأسلميّ : «إنه صلّىٰ مع رسول الله سبعة أشهر ، فإذا خرج من بيته أَتىٰ باب فاطمة . . .»[٢].

وعن الإمام عليّ عليه السلام قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأتينا كلّ غداة فيقول : الصّلاة رحمكم الله ، الصّلاة : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ...﴾[٣].

وعن الإمام الصّادق عن أبيه عن جده زين العابدين عن الحسن عليهم السلام . . ، ثمّ مكث رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك ـ أي بعد نزول الآية ـ بقية عمره حتىٰ قبضه الله إليه يأتينا كلّ يوم عند طلوع الفجر فيقول : الصّلاة يرحمكم الله : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ...﴾[٤].

ومن الواضح أنّ هذا الاختلاف في عدد الأشهر : قيل تسعة ، وقيل ستة ، وقيل سبعة ، وقيل ثمانية ، وقيل شهراً ، وقيل أربعين صباحاً ، وقيل تسعة عشر شهراً . . . لم يؤثر ولا يوجب وهناً ولا شكاً في أصل الواقعة ، بل من القريب جداً أنّ كلّ واحد من هؤلاء الرّواة نقل ما شاهده بنفسه . . .[٥].

---

(١) مجمع الزّوائد ٩ : ١٦٨ ، وهناك روايات أُخر عنه ـ أبو الحمراء ـ فلاحظها في أُسد الغابة ٦ : ٧٤ ح ٥٨٢٧ ، شواهد التّنزيل ٢ : ٧٤ ح ٦٩٤ ، الاستيعاب ٢ : ٥٩٨ .

(٢) مجمع الزّوائد ٩ : ١٦٩ .

(٣) أمالي الطّوسيّ : ٨٩ و ١٣٨ ، أمالي المفيد : ٣١٨ ح ٤ .

(٤) ينابيع المودة ٣ : ٣٨٦ ، أمالي الطّوسيّ : ٥٦٥ ح ١١٧٤ .

(٥) الدّر المنثور ٦ : ٦٠٦ ، تأويل الآيات الظّاهرة : ٣١٦ ، شواهد التّنزيل ٢ : ٤٧ ح ٦٦٧ و ٦٦٨ ، أمالي الشّيخ الصّدوق : ٤٢٩ ح ١ ، المعجم الكبير ٣ : ٥٦ ح ٢٦٧١ ، المناقب للخوارزمي : ٦٠ ح ٢٨ ، أُسد الغابة ٥ : ٣٨١ ح ٥٣٩٠ ، مسند الطّيالسي : ٢٧٤ ، العمدة : ٤١ ح ٢٧ ، ذخائر العقبىٰ : ٢٥ ، كفاية الطّالب : ٣٧٦ ، تفسير الطّبريّ ٢٢ : ١٢ ح ٦ .

أمّا النّصوص الواردة عن رسول الله ﷺ علىٰ إمامة أهل البيت عليهم السلام علىٰ الأُمّة من بعده فكثيرة، منها ماورد بخصوص بعضهم كما أشرنا سابقاً، وأُخرىٰ تعم جميع أئمّة أهل البيت. ومما ورد في عامتهم مايلي:

عدل القرآن «حديث الثّقلين»:

الحديث الشّريف منقول بألفاظ مختلفة، لكن الرّوايات كلّها متفقة في المقصود، وقد يكون إختلاف الألفاظ من قبله ﷺ، كما ذكرنا تاكيداً عليهم دون غيرهم.

آ. في حجّة الوداع يوم عرفة:

«روىٰ التّرمذيّ عن جابر قال: رأيت رسول الله في حجته يوم عرفة وهو علىٰ ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول: يا أيها النّاس أنّي قد تركت فيكم، ما أن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، قال التّرمذيّ: وفي الباب عن أبي سعيد، وزيد بن أرقم، وحذيفة بن أُسَيْد[1].

ب. في غدير خم:

في صحيح مسلم، وسنن الدّارميّ، والبيهقيّ، وغيرها واللّفظ للأوّل عن زيد ابن أرقم قال: «إن رسول الله قام خطيباً بماء يدعىٰ خماً بين مكّة والمدينة...، ثُمّ قال: «ألا أيها النّاس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأُجيب وإني تارك فيكم ثقلين: أوّلهما كتاب الله فيه الهدىٰ والنّور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به... وأهل بيتي ...»[2].

---

(١) سنن التّرمذيّ ٥: ٦٦٢ ح ٣٧٨٦، وصحيح مسلم ٤: ١٨٧٣ ح ٢٤٠٨، فرائد السّمطين ٢: ٢٣٤ ح ٥١٣، سنن الدّارميّ ٢: ٨٨٩ ح ٣١٩٨، مسند أحمد ٧: ٧٥ ح ٩١٢٨٥، السّنن الكبرىٰ ١٠: ١٩٤ ح ٢٠٣٣٥.

(٢) صحيح مسلم باب فضائل عليّ بن أبي طالب، مسند أحمد ٤: ٣٦٦، سنن الدّارميّ ٢: ٤٣١، سنن البيهقيّ ٢:

وفي سنن التّرمذيّ، ومسند أحمد، واللّفظ للأوّل: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السّماء إلىٰ الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتىٰ يردا عليّ الحوض، فأنظروا كيف تخلفوني فيهما»[١].

وفي مستدرك الصّحيحين: «كأني قد دُعيت فأجبت، إني تركت فيكم الثّقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله، وعترتي فأنظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليّ الحوض...»[٢].

ج. في مسجد الخيف:

قال الإمام عليّ عليه السلام: «إن الّذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم عرفة علىٰ ناقته القصواء، وفي مسجد خيف، ويوم الغدير، ويوم قبض، في خطبةٍ علىٰ المنبر: «أيها النّاس: إني تركت فيكم الثّقلين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما، الأكبر منهما كتاب الله، والأصغر عترتي أهل بيتي...»[٣].

د. علىٰ المنبر في خطبة خطبها:

عن أبي سعيد الخدريّ قال: «إن آخر خطبة خطبنا بها رسول الله صلى الله عليه وآله لخطبة خطبنا في مرضه الّذي توفي فيه، خرج متوكئاً علىٰ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وميمونة ـ مولاته ـ فجلس علىٰ المنبر، ثمّ قال: أيها النّاس إني تارك فيكم الثّقلين وسكت،

⇔ ١٤٨ و٧: ٣٠.

(١) التّرمذيّ ١٣: ٢٠١، أُسد الغابة ٢: ١٢، الدّر المنثور في تفسير آية المودة من سورة الشّورىٰ.

(٢) مستدرك الصّحيحين ٣: ١٠٩، ١١٨ ط آخر ح ٤٥٧٦، خصائص النّسائيّ: ١٥٠ ح ٧٩، مسند أحمد ٣: ١٧، كنزالعمّال ١: ٤٧، طبقات ابن سعد ٢ ق ٢ ح ٢.

(٣) ينابيع المودة ١: ١٠٩ ح ٣١، كتاب سليم بن قيس الهلاليّ ١: ١٢١، غاية المرام: ٢٢٦ باب ٢٩ ح ٣٠.

فقام رجل فقال: يارسول الله ما هذان الثّقلان؟ فغضب حتىٰ احمر وجهه، ثمّ سكن، وقال: ما ذكرتهما إلّا وأنا أُريد أنْ أُخبركم بهما ولكن ربوت فلم أستطع، سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم، تعملون فيه كذا وكذا، ألا وهو القرآن والثّقل الأصغر أهل بيتي»[١].

هـ في مرض موته صلى الله عليه وآله عن فاطمة الزّهراء عليها السلام:

قالت: «سمعت أبي صلى الله عليه وآله في مرضه الّذي قبض فيه يقول: «أيها النّاس، يوشك أنْ أُقبض قبضاً سريعاً وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم، ألا وإني مخلف فيكم كتاب ربّي عزّ وجلّ وعترتي أهل بيتي، ثمّ أخذ بيد عليّ فقال: هذا عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ، لا يفترقان حتىٰ يردا عليّ الحوض، فأسالكم ما تخلفوني فيهما»[٢].

فهذا الحديث حجّة قاطعة علىٰ البشرية جمعاء، لاسيما المسلمين بمختلف مذاهبهم، أمّا المحاولات اليائسة الّتي تقوّل بها بعض المدعين للعلم والمعرفة أنّ السّنة لا تكون عدلاً للقرآن وبعضهم الآخر بدل لفظة عترتي بـ«سنتي» ولا نريد أنْ نناقش هذه الآراء، بل نقول إنّها محاولات مغرضه جاءت من بعضهم عمداً وبعضهم الآخر غفلة.

وهناك روايات وارده فيها أسماء الأئمّة عليهم السلام فقد ورد عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ: «دخلت علىٰ فاطمة عليها السلام، وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها، فعددت اثني عشر أحدهم القائم، ثلاثة منهم محمّد، وأربعة منهم عليّ»[٣].

---

(١) أمالي الشّيخ المفيد: ١٣٥ ح ٣، الكافيّ ٢: ٤١٥، ينابيع المودة ١: ١٢٥ ح ٥٨ ط أُسوة، الاحتجاج ١: ١٧١ ح ٣، جواهر العقدين ٢: ١٦٩.

(٢) مسند زيد: ٤٠٤، ينابيع المودة ١: ١٢٤ ح ٥٦، جواهر العقدين ٢: ١٧٤ـ ١٧٥.

(٣) فرائد السّمطين ٢: ١٣٩، الإرشاد ٢: ٣٤٦، الفقيه ٤: ١٨٠ ح ٥٤٠٨، الكافيّ ١: ٥٣٢ ح ٩، مرآة العقول ٦:

وقال جابر بن يزيد الجعفيّ: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاريّ يقول: «لما أنزل الله عز وجل علىٰ نبيه محمّدﷺ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ...﴾[1] قلت: يارسول الله عرفنا الله ورسوله فمن أولو الأمر الّذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال: هم خلفائي ياجابر، وأئمّة المسلمين من بعدي، أوّلهم عليّ بن أبي طالب، ثمّ الحسن والحسين، ثمّ عليّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن عليّ المعروف في التّوراة بـ«الباقر»، وستدركه ياجابر، فإذا لقيته فأقرئه مني السّلام، ثمّ الصّادق جعفر بن محمّد، ثمّ موسىٰ بن جعفر، ثمّ عليّ بن موسىٰ، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ عليّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن عليّ، ثمّ سميي وكنيتي، حجّة الله في أرضه وبقيته في عباده، ابن الحسن بن عليّ، ذلك الّذي يفتح الله تعالىٰ ذكره علىٰ يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لايثبت فيها علىٰ القول بإمامته إلّا من إمتحن الله قلبه للإيمان».[2]

وهنالك حديث السّفينة الّذي يبين مكانتهم كما روي عن أبي ذر قال: «سمعت النّبيّﷺ يقول: ألا إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من قومه، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق»[3].

وهناك حديث حطة حيث قالﷺ: «إنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة

↔ ٢٢٧ ح ٩، كمال الدّين: ٢٦٩ ح ١٣.

(١) النّساء: ٥٩.

(٢) كمال الدّين: ٣٥٣ ح ٣، المناقب لابن شهرآشوب ١: ٢٨٢، تأويل الآيات الطّاهرة: ١٤١، كفاية الأثر: ٥٣، قريب من هذا في ينابيع المودة ٣: ٢٨٣ ح ٢، وفرائد السّمطين ٢: ١٣٣، ١٣٤ ح ٤٣٠، الكافيّ ١: ٤٦٦ ح ١٠.

(٣) المستدرك ٣: ١٦٣ ح ٤٧٢٠، المناقب لابن المغازليّ: ١٣٢، الاحتجاج ١: ٣٦١، أمالي الطّوسيّ ٦: ٨٨، كمال الدّين: ٢٣٩ ح ٥٩، فرائدالسّمطين ٢: ٢٤٧ ح ٥١٩، ينابيع المودة ١: ٩٤ ح ٥ و٣: ٣٥٩، وقريب من هذا اللّفظ في بشارة المصطفىٰ: ٣٠، وكتاب سليم بن قيس ٢: ٨٣٠، وغرر الحكم: ٧٨٩٤.

في بني إسرائيل، من دخله غفر له»[١].

وقال ﷺ: «النّجوم أمان لأهل الأرض، وأهل بيتي أمان لأُمتي من الإختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب إختلفوا، فصاروا حزب إبليس»[٢].

وحديث: مثلهم مثل بيت الله، ومثل العينين، وخلفاء الله، وخلفاء النّبيّ، والأوصياء، وأهل الذّكر، وأبواب الله، وغير ذلك كثير.

أفبعد هذا وذلك تبقىٰ حجّة لأهل الشّورىٰ في أنّ البيعة لتعيين الإمام، الخليفة تتم عن طريق غير هؤلاء. اذاً، المحور الأوّل، لم يدخل فيه نساء النّبيّ ﷺ، ولا عشيرته، ولا الأقربين، بل أختص بأهل البيت عليهم السلام.

٢. أمّا الصّحابة ـ خيرة الصّحابة ـ وهو المحور الثّاني، فهم أهل البيعة كما يدعي بعض، فلابد لنا أنْ نقف وقفة قصيرة مع هؤلاء في تعريف الصّحابيّ لغةً واصطلاحاً وما هي صفاته...

الصّحابيّ لغة:

مأخوذ من الصّحبة وهي المعاشرة والملازمة،[٣] يقال: صحبته أصحبه، فأنا صاحب، والجمع: صحب وأصحاب، وصحابة.[٤]

وقال الرّاغب: «ولا يقال في العُرف إلّا لمن كثرت ملازمته...»[٥] وتقع

---

(١) الصّواعق المحرقة: ١٥٢، الغيبة للنعماني: ٤٤، المعجم الأوسط ٦: ٨٥ ح ٥٨٧٠، المعجم الصّغير ٢: ٢٢، وقريب منه في أمالي الصّدوق: ٦٩ ح ٦، تنبيه الخواطر ٢: ١٥٦، المناقب لابن شهرآشوب ١: ٢٩٥، كفاية الأثر: ٣٨، كنزالعمال ٢: ٤٣٤ ح ٤٤٢٩، أمالي المفيد: ١٤٥ ح ٥.

(٢) الحاكم في المستدرك ٣: ١٤٩.

(٣) لسان العرب، مادة (صحب).

(٤) القاموس المحيط مادة: (صحب).

(٥) المفردات، مادة: (صحب).

الصّحبة بين المؤمن والكافر، كما تقع بين المؤمن والمؤمن، قال تعالىٰ في المحاورة الّتي وقعت بين المؤمن والكافر: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ...﴾[١]. وقال تعالىٰ مخاطباً كفار قريش: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾[٢].

إذاً الأصل في هذا الإطلاق: «لمن حصل له رؤية ومجالسة»[٣].

وبما أنّ الصّحبة تكون بين طرفين فلا بد أنْ يُضاف: «الصّاحب، الصّحب أو...» إلىٰ اسم ما في الكلام كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ...﴾[٤]، وقال تعالىٰ: ﴿...قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ...﴾[٥]، ويطلق مجازاً علىٰ من تمذهب بمذهب من مذاهب الأئمّة فيقول: «أصحاب» الشّافعيّ، و «أصحاب» أبي حنيفة، كما يقول الفيوميّ[٦]. وكان يقال في عصر رسول الله ﷺ: «أصحاب رسول الله»، و« صاحب رسول الله»، كما يقول: «أصحاب بيعة الشّجرة»، و «أصحاب الصّفّة»؟

إذاً هي تطلق أيضاً حتىٰ بين العاقل وغير العاقل، وكذلك بين العاقل والجماد؛ لأن الصّفّة ـ هي دكة ـ من الجماد، وكما يقولون إن العرب سموا الحمار صاحباً فقالوا:[٧]

إنّ الحمار مع الحمار مطية فإذا خلوت به فبئس الصّاحب

---

(١) الكهف: ٣٧.

(٢) النّجم: ٢ـ٣.

(٣) المصباح المنير الفيوميّ (ت ٧٧٠هـ) ١: ٣٣٣، ط، دار الفكر.

(٤) يوسف: ٣٩.

(٥) الشّعراء: ٦١.

(٦) المصباح المنير ١: ٣٣٣.

(٧) بحثت عنه فلم أجده في مصدر قديم.

أمّا تعريف الصّحابيّ في الإصطلاح فهو: «من طالت مجالسته مع النّبيّ ﷺ على طريق التّتبع له والأخذ عنه، بخلاف من وفد إليه وانصرف بلا مصاحبة ولا متابعة»[١].

وقيل: إنه: «من لقي النّبيّ ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام، طالت مجالسته معه أو قصرت، روى عنه أو لم يروِ، غزا معه أو لم يغزُ، من رآه ولم يجالسه، ومن لم يرَه لعارض»[٢].

وقيل: إنه من رأى النّبيّ وهو صبي مميز، فهو صحابيّ، إذ غير المميز لا تصح نسبة الرّؤية له[٣]، وقيل إنه: كلّ مسلم رأى رسول الله ﷺ[٤]، وقيل: إنه من أدرك زمنه ﷺ وإن لم يره[٥]، وقيل: إنه من لقي النّبيّ ﷺ مؤمناً به ومات على الإيمان والإسلام وأن تخللت ردة[٦].

هذه التّعاريف على إطلاقها تصطدم مع النّصوص القرآنية، والأحاديث النّبوية، وحتى سيرة الصّحابة، وبالتالي تؤدي إلى إنحراف المفهوم، ويصبح الحديث عن الصّحابة صعباً مستصعباً، لا يتحمله إلّا ذو عقل سليم من حيثُ كونُ التّعريف يتجاوز اللّغة والعُرف وذلك؛ لأن المنافقين دخلوا في هذا التّعريف، والقرآن يصفهم بقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ...﴾[٧]. وقال تعالى:

---

(١) مقباس الهداية، الدّرجات الرّفيعة: ١٠.

(٢) الإصابة في تمييز الصّحابة لابن حجر ١: ٧و٨و٩و١٠.

(٣) المصدر السّابق.

(٤) المختصر ٢: ٦٧.

(٥) مقباس الهداية، الدّرجات الرّفيعة: ١٠.

(٦) ابن حجر العسقلانيّ ١: ١٠، وأختاره الشّهيد الثّاني في الدّراية الباب الرّابع: ١٢٠، والسّيد عليّ خان المدنيّ: ٩، ونسبه المامقانيّ وابن حجر إلى المحققين.

(٧) التّوبة: ٦١.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[١]. وقال تعالىٰ: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ...﴾[٢]، فإذا كان حال هؤلاء بهذه الدّرجة الكبيرة من النّفاق بحيث القرآن يحذر منهم، فكيف يجوز الاقتداء بهم؟

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى...﴾[٣]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٤]، عظيم جداً والعظمة لله وحده، أنّ الصّحابيّ البدريّ الّذي جاء بالإفك قد لعنه القرآن الكريم، ثمّ نقتدي به، ولا أدري إلىٰ أي مكان ينقاد هذا الصّحابيّ؟ إلىٰ قعر جهنم أم إلىٰ جنات النّعيم؟ لأن الّذي يريد أنْ يقتدي لابد له أنْ يقتدي برجل صالح يقوده إلىٰ الخير لا إلىٰ الشّر، والصّحابة فيهم رجال ورجال أمثال عمار، وسلمان، وحمزة، ومصعب بن عمير، وعمرو بن الجموح، وخزيمة بن ثابت الأنصاريّ و... و... إلخ. وها هو أبو بكر يبكي عندما سمع رسول الله ﷺ قال لشهداء أُحد: «هؤلاء اشهد عليهم»، فقال أبوبكر: ألسنا يا رسول الله إخوانهم، أسلمنا كما أسلموا وجاهدنا كما جاهدوا، فقال ﷺ: «بلىٰ ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي»، فبكىٰ أبوبكر، ثمّ بكىٰ، ثمّ قال: أئنا لكائنون بعدك![٥].

---

(١) التّوبة: ٥٨.

(٢) التّوبة: ٦٤.

(٣) محمّد: ٢٥.

(٤) النّور: ٢٣.

(٥) موطأ مالك كتاب الجهاد: ٣٧١.

إذاً تعريف الصّحابيّ بهذا الشّكل لا يُقبَلُ، ولابد من مراعاة الشّروط الّتي تتوفر في الصّحابيّ حتىٰ يُطلق عليه لفظ صحابيّ.

ولسنا بصدد تمييز أحد دون آخر، إلّا بمقدار الضّابط الشّرعي لمن يتصف به من الصّحابة، والتّفضيل لا علىٰ أساس القرب والبعد، بل علىٰ أساس الضّابط؛ لأن الصّحابة لم يكونوا بدرجة واحدة عند الله ورسوله، كما أنّ الله سبحانه فضل بين الرّسل كما في قوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ...﴾[١]. وقال تعالىٰ: ﴿...وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ...﴾[٢]. وقال تعالىٰ: ﴿...فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً...﴾[٣].

فالتفضيل إذاً شيء شرعي ومنطقي وعرفي، ولذا نرىٰ الحاكم في المستدرك جمع الصّحابة وجعلهم في اثنتي عشرة طبقة، وابن سعد في طبقاته جمعهم في خمس. فمنهم الّذين أسلموا بمكّة قبل الهجرة، ومنهم أصحاب دار النّدوة ومهاجرو الحبشة، وأصحاب العقبة الأُولىٰ والثّانية، وأهل بدر، وأهل بيعة الرّضوان، ومنهم قبل الفتح، ومنهم بعد الفتح، ومنهم يوم الفتح وهم الطّلقاء...[٤] ولذا نجد المسلمين إختلفوا في الصّحابة:

١. فمنهم من كفرّ الجميع كما قالت: «الكاملية».

٢. ومنهم من قال: بعدالة جميع الصّحابة، واشتهر به أهل السّنة.

٣. ومنهم من فصل واشتهر به الشّيعة الإماميّة.

---

(١) البقرة: ٢٥٣.

(٢) الإسراء: ٥٥.

(٣) النّساء: ٩٥.

(٤) تأريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٢٧.

الضابط لمعرفة الصحابيّ :

لا نريد أن ندرس الضّوابط بكل تفاصيلها، بل نأخذ ما يهم دراستنا وهي عدالة الصّحابيّ حتىٰ يتبين لنا أتتم البيعة من قبل بعض الصّحابة أم تشمل كلّ من هب ودب؟ وهنا نأخذ رأي الفريقين الأخيرين دون الفريق الأوّل؛ لأنه لا فائدة من بحثه، فهو قول لم يؤخذ به، علماً بأنّ الفرقة قد انقرضت.[١]

أمّا رأي الفريق الثّاني وهو الّذي اشتهر بين أهل السّنة، فالصحابة عندهم كلّهم عدول ثقات، لا يتطرق إليهم الجرح، ولا يجوز تكذيبهم في شيء من رواياتهم، والطّعن في الأقوال المنقولة عنهم...

قال إمام أهل الجرح والتّعديل عبد الرّحمن بن أبي حاتم الرّازيّ (ت ٣٢٧هـ) في تقدمة كتابه: «فأما أصحاب رسول الله ﷺ فهم الّذين شهدوا الوحي والتّنزيل وعرفوا التّفسير والتّأويل، وهم الّذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ﷺ ونصرته... فنفىٰ عنهم الشّك والكذب، والغلط والرّيبة، والفخر واللّمز، وسماهم عدول الأُمّة... وندب الله عز وجل إلىٰ التّمسك بهديهم والجري علىٰ منهاجهم... وجردوا أنفسهم مع تقدمة حسن النّية والقربة إلىٰ الله...»[٢].

وقال المزني: «كلّهم ثقة مؤتمن...»[٣].

وقال صاحب الإصابة: «أتفق أهل السّنة علىٰ أنّ الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلّا شذوذ من المبتدعة»[٤].

---

(١) أجوبة مسائل جار الله للسيد عبد الحسين شرف الدّين: ١٣.

(٢) كتاب الجرح والتّعديل: ٧ و ٩، ط حيدر آباد عام ١٣٧١ هـ.

(٣) جامع بيان العلم لابن عبد البر ٢: ٨٩.

(٤) الإصابة ١: ١٧ـ٢٢.

وقال صاحب الإستيعاب : «ثبتت عدالتّهم جميعهم»[١].

وقال ابن الأثير : «... إنّ السّنن الّتي عليها مدار تفصيل الأحكام ، ومعرفة الحلال والحرام، إلىٰ غير ذلك من أُمور الدّين ، إنّما ثبتت بعد معرفة رجال أسانيدها ورواتها ، وأوّلهم والمقدم عليهم أصحاب رسول اللهﷺ فإذا جهلهم الإنسان كان بغيرهم أشد جهلاً وأعظم إنكاراً... والصّحابة يشاركون سائر الرّواة في جميع ذلك إلّا في الجرح والتّعديل ؛ فإنهم كلّهم عدول لا يتطرق إليهم الجرح...»[٢].

وروي عن أبي زرعة أنّه قال : «إذا رأيت الرّجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول اللهﷺ فاعلم أنّه زنديق ، وذلك أنّ الرّسول حقّ ، والقرآن حقّ ، وماجاء به حقّ ، وإنّما أدىٰ ذلك إلينا كلّه الصّحابة ، وهؤلاء يريدون أنْ يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسّنة ، والجرح بهم أولىٰ وهم زنادقة»[٣].

وقال ابن حزم : «الصّحابة كلّهم من أهل الجنّة قطعاً»[٤].

وقال الخطيب : «عدالة الصّحابة ثابتة معلومة»[٥].

وقال صاحب الإصابة : «... ومما جاء عن الأئمّة من الأقوال المجملة في الصّفة الّتي يعرف بها كون الرّجل صحابياً وإنْ لم يرد التّنصيص علىٰ ذلك ، ما أورده ابن أبي شيبة في مصنفه من طريق لا بأس به : «إنهم كانوا في الفتوح لا يؤمّرون إلّا الصّحابة»[٦]، وقد روىٰ الطّبريّ عن عبادة قال : «... وكانت الرّؤساء تكون من

---

(١) ابن عبد البر ١ : ٨٥.

(٢) أُسد الغابة ١ : ٣.

(٣) الإصابة ١ : ١٨.

(٤) المصدر السّابق : ١٩.

(٥) المصدر السّابق : ١٧ـ١٨.

(٦) المصدر السّابق : ١٣.

الصّحابة حتىٰ لا يجدوا من يحتمل ذلك»[١]، وفي رواية أُخرىٰ: «أنّ الخليفة عمر ابن الخطاب كان لا يعدل أن يؤمر الصّحابة إذا وجد من يجزي عنه في حربه، فإن لم يوجد ففي التّابعين بإحسان، ولا يطمع من أنبعث في الرّدة في الرّئاسة...»[٢].

لا نُريد أنْ نناقش هذه الآراء كلّ كلمة بكلمة، ولانُريد أنْ نعيد ما ذكرناه سابقاً بأنّ الصّحابة فيهم المنافق والكذاب واللّماز، بل نورد بعض الملاحظات بشكل إجمالي بقدر ما يهم بحثنا وهو ـ البيعة ـ وبالله التّوفيق:

١. إنّ دعوىٰ الإجماع الّتي وردت في بعض الشّهادات يكذبها قول جماعة من كبار العلماء: قال ابن الحاجب: «الأكثر علىٰ عدالة الصّحابة، وقيل: كغيرهم، وقيل: إلىٰ حين الفتن فلا يقبل الدّاخلون؛ لأن الفاسق غير معين، وقالت المعتزلة: عدول إلّا من قاتل عليّاً...»[٣].

وكذا في جمع الجوامع وشرحه حيث قال: «والأكثر علىٰ عدالة الصّحابة لا يبحث عنها في رواية ولا شهادة...»[٤]. وصرح جماعة منهم التّفتازانيّ في شرح المقاصد[٥]، ومنهم شارح البرهان[٦]، وابن العماد الحنبليّ[٧]، والشّوكانيّ في إرشاد الفحول[٨]. ومن المتأخرين أبو رية في شيخ المضيرة «أبو هريرة»[٩]، والشّيخ محمّد

---

(١) تأريخ الطّبريّ ١: ٢١٥، ط أوربا.

(٢) المصدر السّابق ١: ٢٤٥٧ـ٢٤٥٨.

(٣) المختصر ٢: ٦٧.

(٤) النّصائح الكافية لمن يتولىٰ معاوية: ١٦٠.

(٥) شرح المقاصد ٥: ٣١٠.

(٦) الإصابة ١: ١٩.

(٧) النّصائح الكافية: ٦٢.

(٨) إرشاد الفحول: ٢١٦، ط القاهرة.

(٩) شيخ المضيرة: ١٠١.

عبدة في أضواء علىٰ السّنة المحمدية[١]، والسّيد محمّد بن عقيل العلويّ في النّصائح الكافية[٢]، والسّيد محمّد رشيد رضا[٣]، والشّيخ المقبلي[٤]، والشّيخ مصطفىٰ الرّافعي في إعجاز القرآن[٥]، وآخرون. صرح هؤلاء جميعاً: «بأنّ الصّحابة غير معصومين وفيهم العدول وغيرالعدول».

٢. كيف يجب تعظيم الصّحابة كلّهم والكف عن القدح بهم، ومنهم المنافق، والفاسق، والباغي، والزّاني[٦]، وشارب الخمر، وقاتل النّفس المحترمة... وقد ذمهم القرآن الكريم في مواطن كثيرة أشرنا إليها سابقاً. ومنها سورة براءة... ومنها: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَاتَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾[٧]، وفيهم مَن أخبر الله عنهم بالإفك[٨]، ومنهم: من حاول اغتيال رسول الله ﷺ، عند رجوعه

---

(١) أضواء علىٰ السّنّة المحمّدية: ٣٥٥.

(٢) النّصائح الكافية: ٦٣.

(٣) المنار ٤: ٣١٠.

(٤) المصدر السّابق.

(٥) إعجاز القرآن ٢: ٢٢٦.

(٦) قصة المغيرة بن شعبة وخلاصتها أنّه ـ المغيرة ـ زنا بأُم جميل بنت عمرو، وهي امرأة من قيس، وشهد عليه بذلك: أبوبكرة، ونافع بن الحارث، وشبل بن معبد. ولما جاء الرّابع وهو زياد بن سمية أو زياد بن أبيه ليشهد أفهمه عمر بن الخطاب رغبته في أنْ يُدلي بشهادته بحيث لا تكون صريحة في الموضوع حتىٰ لا يلحق المغيرة خزي بإقامة الحد عليه، ثمّ سأله عما رآه قائلا: أرايته يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة؟ فقال: لا. فقال عمر: الله أكبر، قُم يامغيرة إليهم فاضربهم... فقام يُقيم الحد علىٰ الشّهود الثّلاثة. أُنظر، وفيات الأعيان ٦: ٣٦٨، ابن كثير ٧: ٨١، الطّبريّ ٤: ٢٠٧، بتصرف.

(٧) التّوبة: ١٠١.

(٨) سورة النّور: ١١ـ١٧.

من غزوة تبوك[١] أو حجّة الوداع[٢].

٣. كيف يجب تعظيمهم جميعاً وفيهم مَن ارتد كما صرح به القرآن الكريم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ...﴾[٣]، وجاء في السّيرة: «أنّ عبد الله بن سعد بن أبي سرح قد أسلم وهاجر إلىٰ المدينة وكتب الوحي للرسول ﷺ، وارتد في النّهاية مشركاً»[٤]

٤. وبمثل هذا جاءت السّنة النّبوية مبينة ومفصلة، فقد روىٰ البخاريّ عن النّبيّ ﷺ: «ما من نبي إلّا كانت له بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف، وبطانة تأمره بالشر»[٥]، ونحوه في مسند أحمد[٦]، وروىٰ البخاريّ أيضاً: «أنّهم ارتدوا جميعاً علىٰ أدبارهم القهقرىٰ، وأنّهم إلىٰ النّار ولا يخلص منهم إلّا مثل هُمل النّعم»[٧]، فكيف نعظم هؤلاء أيها المؤرخون الكرام؟

٥. كيف نعظم ونقدس ونأخذ بروايات من قال فيه رسول الله ﷺ: «اللّهمّ إني أبرأ إليك مما صنع خالد» مرتين[٨]، ولو كان مافعله خالد صواباً لما تبرأ الرّسول

---

(١) مسند أحمد ٥: ٣٩٠ـ٤٥٣، صحيح مسلم ٨: ١٣٢، مجمع الزّوائد ١: ١١٠ و٦: ١٩٥، مغازي الواقديّ ٣: ١٠٤٢، إمتاع الأسماع: ٤٧٧، الدّر المنثور ٣: ٢٥٨، والآية: «وهمّوا بما لم ينالوا»، التّوبة: ٧٤.

(٢) المصادر الّتي تتعلق بحجة الوداع ـ واقعة غدير خُم ـ الّتي أشرنا إليها سابقاً.

(٣) المائده: ٥٤.

(٤) الاستيعاب ١: ٩١٨، الإصابة ٤: ١٠٩، المعارف: ١٣١ و١٤١.

(٥) باب بطانة الإمام وأهل مشورته من كتاب االأحكام.

(٦) مسند أحمد ٢: ٢٨٩.

(٧) أُنظر، دلائل الصّدق للشيخ محمّد حسن المظفر م٣ المطلب ٥: ٤، نقلاً عن البخاريّ وأُنظر، شرح النهج لابن أبي الحديد ٤: ٤٥٤.

(٨) رواه البخاريّ في المغازي باب بعثة النّبيّ ﷺ، خالد بن الوليد إلىٰ جذيمة، ورواه في كتاب الأحكام إذا قضىٰ

منه، وإذا كان خالد قد خالفه في حياته ﷺ فتبرأ منه، فكيف نقتدي به بعد مماته ﷺ، بل الأجدر بنا أنْ نتبرأ من كلّ عمل يصدر من هذا الرّجل طبقاً لقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴾[١].

٦. كيف نعظم ونقتدي بمن أسلم وفي نفس اليوم أمّره الخليفة الثّاني وولاه علىٰ المسلمين، وهو لم يصلِّ ركعة واحدة، فقد روىٰ صاحب الأغانيّ: «أسلم أمرؤ القيس علىٰ يد عمر وولاه قبل أنْ يُصلي لله ركعة واحدة»[٢].

ومثله علقمة بن علاثة الكلبيّ أسلم علىٰ عهد رسول الله ﷺ وأدرك صحبته، ثُم ارتد علىٰ عهد أبي بكر، فبعث أبو بكر إليه خالداً ففر منه. قالوا: ثمّ رجع فأسلم.[٣] وفي الإصابة: «...شرب الخمر علىٰ عهد عمر فحده، فارتد ولحق بالروم...، ثمّ رجع وأسلم...» والقصة طويلة. وبالتالي ولاه الخليفة عمر بن الخطاب حوران ـ كورة من أعمال دمشق ـ[٤].

٧. كيف نعظم ونقتدي ونهتدي بمن قال فيهم رسول الله ﷺ: «... فأقول سحقاً سحقاً»؟[٥] وفي حديث الحوض المشهور: «فأقول: يارب، أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»؟[٦].

↔ الحاكم بجور أو خلاف أهل العلم فهو رد، وفي الصّحيح ٣: ٧١، والطّبريّ في تأريخه ٣: ١٢٢، والكامل في التّأريخ لابن الأثير ٢: ١٢٣.

(١) الأحزاب: ٢١.

(٢) الأغاني ١٤: ١٥٨، ط ساسي، جمهرة أنساب العرب: ٢٨٤.

(٣) المصدر السّابق ١٥: ٥٠، وفي الجمهرة: ٢٨٤.

(٤) أُنظر القصة كاملة في المصدرين السّابقين، والإصابة ٢: ٤٩٦ و٤٩٨ ترجمته.

(٥) سنن ابن ماجة ٢: ١٤٣٩ ح ٤٣٠٦ باب الحوض، مسند أحمد ٦: ٢٩٧، مصابيح السّنة ٣: ٥٣٧ ح ٤٣١٥.

(٦) صحيح البخاريّ ٩: ٨٣ ح ٣ ـ الفتن، صحيح مسلم ٤: ١٧٩٦ ح ٢٢٩٧، مسند أحمد ٣: ١٤٠، ٢٨١.

٨. كيف نعظم ونقدس ونقتدي ونهتدي بمن شرب الخمر من الصّحابة الّذين ادعىٰ بعض منهم أنهم من كُتّاب الوحي؟ فقد جاء في مسند أحمد: «عن عبدالله بن بريدة الأسلمي قال: دخلت أنا وأبي علىٰ معاوية بن أبي سفيان فأجلسنا علىٰ الفرش، ثمّ أُتِينا بالطعام فأكلنا، ثمّ أُتِينا بالشراب فشرب معاوية، ثمّ ناول أبي، قال: ما شربته منذ حرمه رسول الله ﷺ...»[1].

٩. كيف نهتدي ونقتدي بمن لا يستطيع أنْ يمتثل لقول رسول الله ﷺ، ولو مرة واحدة في عمره، حتىٰ ولو في أبسط الأشياء، كتغيير اسمه مثلاً؟ فقد ورد أنّ سعيد ابن المسيب حدث أنّ جده حزن، قدم علىٰ النّبيّ ﷺ فقال: ما اسمك؟ قال اسمي حزن، قال: بل أنت سهل، قال: ما أنا بمغير اسماً سمانيه أبي. وفي رواية: قلت: لا أغير اسماً سمانيه أبي، قال ابن المسيب: فما زالت فينا الحزونة...[2].

أفبعد هذه العجرفة توجد عجرفة؟

١٠. كيف نعظم ونقتدي بمن كان منافقاً لا يعلمه إلّا الله؟ وقد أخبر نبيه بأنّ عليّاً لا يحبه إلّا مؤمن ولا يبغضه إلّا منافق، كما روىٰ ذلك أبو سعيد الخدريّ قال: «إنّا كنا لنعرف المنافقين نحن معشر الأنصار ببغضهم عليّ بن أبي طالب»[3].

⇐ الموطأ ٢: ٤٦٢ ح ٣٢.

(١) مسند أحمد ٥: ٣٤٧.

(٢) رواه البخاريّ علىٰ نحو ورقتين من آخر كتاب الأدب في باب اسم حزن.

(٣) سنن التّرمذيّ ٥: ٦٣٥ ح ٣٧١٧، حلية أبي نعيم ٦: ٢٨٤، تأريخ دمشق (ترجمة الإمام عليّ) ٢: ٢٢ ح ٧١٨، تأريخ الخلفاء: ٢٠٢، المعجم الأوسط ٤: ٢٦٤ ح ٤١٥١، ومثله في مناقب الخوارزميّ عن طريق آخر ١: ٣٣٢ ح ٣٥٣، والفضائل لأحمد بن حنبل ٢: ٦٣٩ ح ١٠٨٦، وتذكرة الخواص: ٢٨، وعيون أخبارالرّضا ٢: ٦٧ ح ٣٠٥، وكفاية الأثر: ١٠٢، والعمدة: ٢١٦ ح ٣٣٤، المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٢٠٧، قرب الأسناد: ٢٦ ح ٨٦.

وقال رسول الله ﷺ: «من أبغضنا ـ أهل البيت ـ فهو منافق»[١].

وقال ﷺ: «من أبغض عترتي فهو ملعون ومنافق خاسر»[٢].

وقال ﷺ: «من أبغضنا ـ أهل البيت ـ حشره الله يوم القيامة يهودياً...»[٣].

ورُوي مثلُه عن الإمام عليّ عليه السلام، والسّيدة عائشة، وأُمّ سلمة، وعبد الله بن عباس، وأبي ذر الغفاريّ، وأنس بن مالك...[٤]

والخلاصة: هل يقبل أهل الشّورىٰ بأنْ يكون الصّحابيّ بهذا الشّكل وبهذا المعنىٰ الّذي طرحوه ـ بأنْ يكون الصّحابة هم أهل البيعة؟ سؤال يطرح نفسه علىٰ أصحاب هذا الرّأي.

أمّا الرّأي الثّالث والقائل بالتفصيل، والّذي أشتهر به الشّيعة الإماميّة وبعض الفرق الإسلاميّة، فقد قالوا في تعريف الصّحابيّ وشروطه ما يلي:

ترىٰ مدرسة أهل البيت عليهم السلام، بأنّ الصّحابة كسائر النّاس فيهم العادل والفاسق، المؤمن والمنافق، وبالتالي فليس كلّهم بمستوىً واحد؛ لأن في الصّحابة مؤمنين أثنىٰ القرآن الكريم عليهم كما في بيعة الشّجرة مثلاً: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[٥]. فقد خصّ الله الثّناء بالمؤمنين ممن حضروا بيعة الشّجرة،

---

(١) الفضائل لأحمد ٢: ٦٦١ ح ١١٢٦، الدّر المنثور ٧: ٣٤٩، المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٢٠٥.

(٢) جامع الأخبار: ٢١٤ ح ٥٢٧.

(٣) المعجم الأوسط ٤: ٢١٢ ح ٤٠٠٢، أمالي الصّدوق: ٢٧٣ ح ٢٧، روضة الواعظين: ٢٩٧.

(٤) راجع المصادر التّالية علىٰ سبيل المثال لا الحصر: صحيح مسلم ١: ٦١، سنن ابن ماجة باب ١١ من مقدمته، سنن النّسائيّ ٢: ٢٧١، تأريخ بغداد ٢: ٢٥٥ و ٨: ٤١٧ و ١٦: ٤٢٦، تأريخ الإسلام للذهبي ٢: ١٩٨، تأريخ ابن كثير ٧: ٣٥٤، الاستيعاب ٢: ٤٦٠، كنزالعمّال ٦: ١٥٨ ط الأُولىٰ و٧: ١٤٠ و١٥: ٩١، أيضاً الطّبعه الأُولىٰ.

(٥) الفتح: ١٨.

ولم يشمل المنافقين الّذين حضروها مثل عبد الله بن أُبي ...

إذاً الصّحبة ليست شرفاً تقتضي عصمتهم، ولذا نجد القرآن يؤنب بعضهم وينبيء بردة بعضهم، وأنحراف بعضهم الآخر، ويخبر بأنهم آذوا رسول الله ﷺ بأفعالهم وأقوالهم. والأحاديث الواردة عنه ﷺ مشحونة برد بعضهم، وكذلك كتب الحديث مشحونة أيضاً برد بعضهم علىٰ بعض، وتكذيب بعضهم بعضاً، وقتل بعضهم بعضاً ... وطعن بعضهم برواية بعضٍ ... فقد سئل مالك بن أنس: «عمن أخذ بحديثين مختلفين حدثه بهما ثقة عن رسول الله ﷺ، أتراه من ذلك في سعة؟ فقال: لا والله حتىٰ يُصيب الحقّ، ما الحقّ إلّا في واحد، قولان يكونان صواباً؟ ما الحقّ وما الصّواب إلّا في واحد»[١].

وسئل عن إختلاف الصّحابة فقال: «خطأ وصواب، فأَنظرُ في ذلك»[٢].

وعن أبي حنيفة قال: «الصّحابة كلّهم عدول ماعدا رجالاً، ثمّ عدّ منهم أبا هريرة، وأنس بن مالك»[٣].

وعن الشّافعيّ: «أنه سر إلىٰ الرّبيع: لا يقبل شهادة أربعة من الصّحابة وهم: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وزياد بن أبيه»[٤]، وقال شعبة: «كان أبو هريرة يُدَلّس»[٥]، وعن اللّيث: «إذا جاء الإختلاف أخذنا بالأحوط»[٦].

---

(١) إحكام الأحكام لابن حزم.

(٢) جامع بيان العلم لابن عبد البر ٢: ٩٦.

(٣) شرح النّهج لابن ابي الحديد، أُنظر، (ترجمة هؤلاء).

(٤) المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء، أُنظر، (ترجمة هؤلاء).

(٥) البداية والنّهاية، أُنظر، (ترجمتة).

(٦) جامع بيان العلم ٢: ٩٤.

إذاً رأي الشّيعة الإماميّة في الصّحابة، هو لا إفراط ولا تفريط، ولذا نجد القرآن كما ذكرنا سابقاً يمدح بعضهم، قال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُ فَـَٔازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمَا﴾[1]، وكلمة «منهم» تدل علىٰ التّبعيض، وهو تعبير عن إختصاص فئة معينة بالمغفرة والأَجر العظيم دون غيرهم.

كما أنّ الإمام عليّ عليه السلام كان يصفهم بأحسن وصف حيث يقول عليه السلام:

«لقد، رأيت أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله فما أرىٰ أحداً يشبههم منكم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سجداً وقياماً، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون علىٰ مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم رُكَبَ المعزىٰ من طول سجودهم، إذا ذُكر الله هملت أعينهم، حتىٰ تبل جيوبهم، ومادوا كما يُميد الشّجر يوم الرّيح العاصف خوفاً من العقاب، ورجاء الثّواب»[2].

ويقول عليه السلام: «أين إخواني الّذين ركبوا الطّريق ومَضَوْا علىٰ الحقّ؟ أين عمار؟ وأين ابن التّيهان؟، وأين ذو الشّهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الّذين تَلَوْا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه؟ أحيوا السّنة وأماتوا البدعة، دُعُوْا إلىٰ الجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه؟»[3].

---

(١) الفتح: ٢٩.

(٢) نهج البلاغة تنظيم الدكتور صبحي الصّالح: ٩١.

(٣) المصدر السّابق: ٢٦٤ خطبة: ١٨٢.

وها هو الإمام زين العابدين عليه السلام يدعو لهم ويقول:

«... اللّهمّ: وأتباعُ الرّسل ومصدقوهم من أهل الأرض بالغيب عند معارضة المُعاندين لهم بالتكذيب... اللّهمّ وأصحاب محمّد خاصة، الّذين أحسنوا الصّحبة والّذين أبلوا البلاءَ الحسن في نصره... وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته وانتصروا به، ومن كانوا منطوين علىٰ محبته، يرجون تجارة لن تبور في مودته، والّذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في ظل قرابته، فلا تنسَ لهم ما تركوا لك وفيك، وأرضهم من رضوانك، واشكرهم علىٰ هجرهم فيك ديارَ قومهم...»[1].

أمّا علماء الإماميّة فيقولون بالصحابة كما قال أئمتهم، فقد قال محمّد الحسين آل كاشف الغطاء: «لا أقول إن الآخرين من الصّحابة ـ وهم الأكثر الّذين لم يتسموا بسمة الولاء لأهل البيت ـ قد خالفوا النّبيّ صلى الله عليه وآله ولم يأخذوا بإرشاده، كلا ومعاذ الله أنْ يظن فيهم ذلك، وهم خيرة من علىٰ وجه الأرض يومئذ، ولكن لعل تلك الكلمات لم يسمعها كلّهم، ومن سمع بعضها لم يلتفت إلىٰ المقصود منها، وصحابة النّبيّ الكرام أسمىٰ من أنْ تحلق إلىٰ أوج مقامهم بُغاث الأوهام»[2].

ووصفهم السّيد الشّهيد محمّد باقر الصّدر، المجتهد، والمرجع الشّيعي الشّهير الّذي أعدمته السّلطات البعثية في العراق سنه ١٩٨٠م بقوله: «إن الصّحابة بوصفهم الطّليعة المؤمنة والمستنيرة، كانوا أفضل وأصلح بذرة لنشوء أُمّة رسالية، حتىٰ أنّ تأريخ الإنسانية لم يشهد جيلاً عقائدياً أروع وأنبل وأطهر من الجيل الّذي أنشأه الرّسول القائد صلى الله عليه وآله»[3].

---

(١) الصّحيفة السّجادية رقم الدّعاء: ٤.

(٢) أصل الشّيعة وأصولها: ٨٤ و: ٩٤، أيضاً له قول آخر فيهم.

(٣) بحث حول الولاية: ٤٨، من المجموعة الكاملة ج ١١.

وقال الشّيخ محمّد جواد مغنية : قال الشّيعة : «إن الخليفة يتعين بالنصّ لا بالانتخاب ، هذا هو التّشيع وهكذا ابتدأ ونشأ دون أن يضاف إليه شي ء آخر ، أمّا المغالاة في عليّ وصفاته ، أو تكفير خصومه السّياسيين وما إلىٰ ذلك ، فلا يمت إلىٰ التّشيع بسبب»[١] .

هذه هي عقيدة الشّيعة الإماميّة في الصّحابة فماذا يرىٰ أهل الشّورىٰ؟ أفتتم البيعة للإمام من قبل هؤلاء، أم من قبل أصحاب الرّأي الأوّل والثّاني؟ مجرد سؤال .

البيعة العامة

بعد أن بحثنا البيعة الخاصة ومَن هم أصحابها ، نَطلُ إطلالة أُخرىٰ سريعة علىٰ مَن هو المراد بالبيعة العامة؟ وكيف تؤخذ منهم؟

فالبيعة العامة : هي مبايعة عامة النّاس للإمام ، ويبايعه كلّ الّذين ينطقون بالشهادتين : «لا آله إلّا الله ، محمّد رسول الله» ، مباشرةً أو بالنيابة ، علماً بأنّ الشّيعة الإماميّة ، وبعض الفرق الإسلامية كما أكدنا سابقاً يقولون: بأنّ رسول الله ﷺ سمىٰ خليفته من بعده حال حياته بأمر من ربّه ، وكلّ إمام يأتي بعده فهو معين بنصّ مّنْ سَبَقَهُ ، وهذا مختص بالأئمّة عليهم السلام ، ورغم كلّ ذلك لم تبايعهم الأُمّة ولم يتمكنوا من أداء واجبات الإمامة ، لكنهم بقوا أئمّة للمسلمين للنصوص الّتي أثبتناها سابقاً ، بينما يرىٰ أهل السّنة بأنّ الرّسول ﷺ لم يعين ، ورأىٰ بعضهم الآخر أنه ﷺ سمىٰ خليفته ضمناً ، وكلفه بإمامة النّاس بالصلاة فعلاً وهو : «تكليف بالإمامة الكبرىٰ ، أو إمارة المؤمنين» ، كما يدعي ابن سعد في طبقاته[٢] . وسنناقش هذه النّظريات بدءاً ببيعة أبي بكر ، ثُم عمر ، ثُم عثمان .

---

(١) الشّيعة في الميزان : ١٥ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣ : ١٧٨ ، والإمامة والسّياسة لابن قتيبة الدّينوريّ ١ : ٢٠ ، طـ قم منشورات الشّريف الرّضي تحقيق عليّ شيري .

﴿ ١ ﴾

بيعة أبي بكر

توطئة :

عرفنا سابقاً أنّ البيعة كالبيع تنعقد بالرضا والاختيار بين الطّرفين، ولا تنعقد علىٰ معصية، ولا في أمر يخالف الشّرع، ولا لمن يعصي الله، ولا تنعقد بحد السّيف والجبر والإكراه.

وعلمنا أنّ أوّل بيعة بعد بيعة الغدير الّتي لم يعمل بها، كانت بيعة أبي بكر، وعلىٰ صحتها تتوقف بيعة عمر؛ لأنّها أنعقدت من قبل أبي بكر فقط. وعلىٰ صحة بيعة عمر تتوقف بيعة عثمان؛ لأنّها أُخذت بأمر عمر حين أمر أنْ يبايعوا مِن السّتة القرشيين مَن بايعه عبد الرّحمن بن عوف، وأنْ يقتلوا مَن خالف، ولذا اختلف المسلمون في هذه المسألة هل هي ـ الإمامة ـ أمر واجب مطلقاً، أو إنّها أمر جائز مطلقاً وليس فرضاً.

فذهبت الإماميّة جميعاً وبعض أهل السّنة، والمرجئة، والخوارج، والمعتزلة إلىٰ الوجوب[1].

---

(١) طبقات المعتزلة: ٦١، الفرق بين الفرق: ١٦٣.

وذهب أبوبكر الأصم، وأصحاب هشام بن عمرو الفوطيّ، والمحكمة من الخوارج، والنّجدات، والعجاردة إلىٰ الجواز[١].

ويوجد فريق ثالث قال بالتفصيل:

(آ) نفي الوجوب في حال الفتنة، وإثبات الوجوب في حال عدم الفتنة.

(ب) عكس (آ) أي لاحاجة للإمام وقت الأمن والاستقرار، ويجب عند الخوف وظهور الفتن[٢].

والقائلون بالوجوب أيضاً اختلفوا في الدّليل: أَ هو العقل أم الشّرع، أم هما معاً؟.

فقالت طائفة منهم بالعقل. وقالت طائفة أُخرىٰ بالشرع...[٣]، والمشهور عند السّنة الوجوب بالشرع دون العقل، كما يقول الغزاليّ: «... ولاينبغي أنْ تظن أنّ وجوب ذلك مأخوذ من العقل...»[٤]. وقال الرّازيّ: «نصبه ـ الإمام ـ واجب، والطّريق إلىٰ معرفة هذا الوجوب السّمع دون العقل، وهذا قول أصحابنا»[٥]. واستدلوا بإجماع الصّحابة، كمايقول ابن خلدون: «فقد بادر الصّحابة فور وفاة النّبيّ ﷺ إلىٰ البحث في أمر الإمامة، وجرىٰ ماجرىٰ في السّقيفة بشأنها، ولو لم تكن أمراً واجباً لما احتفل لها الصّحابة هذا الأحتفال...[٦].

---

(١) الملل ١: ٧٢ و ١١٦، أُصول الدّين: ٢٧١، الفصل ٤: ٢٠٤ و٨٧، شرح المواقف ٨: ٣٤٧.

(٢) شرح المواقف ٨: ٣٤٨.

(٣) الأحكام السّلطانية: ٥.

(٤) الإقتصاد في الإعتقاد: ٩٦ طـ ٢ مصر.

(٥) الأربعين في أُصول الدّين: ٤٢٦.

(٦) تأريخ ابن خلدون ١: ٣٣٩، ط، دار الكتاب ـ بيروت.

واستدل سعد الدّين التّفتازانيّ بالإجماع أيضاً، والأيجي كذلك[١].

وذهب الشّيعة، والمعتزلة البغداديون، وبعض البصريين إلىٰ أنّ نصب الإمام واجب بالعقل.

واستدل نصير الدّين الطّوسيّ بقاعدة اللّطف[٢]. وقال الرّازيّ: «إنه يجب عقلاً نصب علىٰ الخلق أن ينصبوا لأنفسهم رئيساً... وهذا قول أبي الحسن البصريّ، والجاحظ، والخياط، والكعبيّ»[٣].

وهناك خلاف آخر ظهر وهو: الإمامة من أُصول الدّين أم من فروعه؟

ذهب الإماميّة إلىٰ أنّها أصل من أُصول الدّين، كالنبوة، والتّوحيد، والمعاد لايجوز التّقليد فيها، ولا يتم الإيمان إلّا بالإعتقاد بها... واستدلوا بأحاديث كثيرة منها: «من مات ولم يعرف إمام زمانه، مات ميتة جاهلية»[٤]. وروي هذا الحديث بألفاظ مختلفة لكن المعنىٰ واحد، وجاء بلفظ: «من مات بغير إمام، مات ميتة جاهلية»[٥] وبلفظ: «من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية»[٦]، وله ألفاظ أُخرىٰ..

وهناك استدلال آخر للشيخ المظفر: «نعتقد أنّ الإمامة أصل من أُصول الدّين... وعلىٰ الأقل أنّ الإعتقاد بفراغ ذمة المكلف من التّكاليف الشّرعية

---

(١) المواقف في علم الكلام: ٣٩٥، شرح المواقف للجرجانيّ ٨: ٣٤٦.

(٢) تلخيص المحصل: ٤٠٦.

(٣) الأربعين في أُصول الدّين للرازيّ: ٤٢٦.

(٤) شرح المقاصد ٥: ٢٣٩.

(٥) مسند أحمد ٤: ٩٦ و٦: ٢٢ ح ١٨٧٦، ط آخر، المعجم الكبير ١٩: ٣٨٨ ح ٩١٠، مسند الطيالسي: ٢٥٩، تفسير العياشيّ ٢: ٣٠٣ ح ١١٩ الإختصاص: ٢٦٨.

(٦) سنن البيهقيّ ٨: ١٥٦ و ٢٧٠ ح ١٦٦١٢، صحيح مسلم ٣: ١٤٧٨ ح ٥٨، المعجم الكبير ١٩: ٣٣٤ ح ٧٦٩.

المفروضة عليه...»[١].

أمّا أهل السّنة، والخوارج، والمرجئة، والجمهور الأعظم من المعتزلة، والزّيدية، فاعتبروا الإمامة فرعاً من فروع الدّين، كما ذكر التّفتازانيّ: «لا نزاع في أنّ مباحث الإمامة بعلم الفروع أليق...»[٢].

وقال صاحب المواقف: «ليست ـ الإمامة ـ من أُصول الدّيانات والعقائد، خلافاً للشيعة، بل عندنا من الفروع».[٣]

والقائلون بأنّ الإمامة من أُصول الدّين ذهبوا إلىٰ أنّها واجبة علىٰ الله، فهي ليست أمراً يرجع إلىٰ المسلمين يرون فيه رأيهم، بل هي أمر يرجع إلىٰ الله ورسوله، وقد بينه ووضحه رسول الله ﷺ بأمر من الله تعالىٰ بقاعدة اللّطف، كما يقول الطّوسيّ: «الإمام لطف فيجب نصبه علىٰ الله تعالىٰ تحصيلاً»[٤]. وتوجد روايات ترشد إلىٰ ذلك، منها؛ ما رواه الكلينيّ قال: قال الصّادق عليه السلام: «إن الله أجل وأعظم من أنْ يترك الأرض بغير إمام عادل»[٥]. وقال عليه السلام: «إنّ الله لم يدع الأرض بغير إمام عادل، ولولا ذلك لم يعرف الحقّ من الباطل»[٦].

أمّا القائلون بأنّ الإمامة فرع من فروع الدّين، فقد ذهبوا إلىٰ أنّها واجب كفائي علىٰ الأُمّة المسلمة. قال: فالأُمة كلّها مسؤولة عن إقامة الإمامة فإذا لم تقمها

---

(١) عقائد الإماميّة: ١٠٢.

(٢) شرح المقاصد ٥: ٢٣٢، وشرح المواقف: ٣٩٥.

(٣) المصدر السّابق.

(٤) شرح تجريد الإعتقاد للعلاّمة الحليّ المقصد الخامس: ٣٣٨.

(٥) الكافيّ ١: ١٧٨.

(٦) المصدر السّابق.

أثمت، كما يقول الرّازيّ: «إنه يجب عقلاً على الخلق أنْ ينصبوا لأنفسهم رئيساً...»[١]. ومثل ذلك عند عبد القاهر الجرجانيّ حيث قال: «قال الجمهور الأعظم من أصحابنا... إن طريق ثبوتها ـ الإمامة ـ الإختيار من الأُمّة»[٢].

وقال الماورديّ: «فإذا ثبت وجوب الإمامة، ففرضها على الكفاية، كالجهاد وطلب العلم»[٣]. وقال ابن خلدون: «وإذا تقرر أنّ هذا النّصب واجب بإجماع، فهو من فروض الكفاية»[٤].

أمّا طريق ثبوتها فقيل: تثبت بالنصّ، وقيل: بالميراث، وقيل: بإختيار الأُمّة، وقيل: بالعهد من الإمام السّابق، وقيل: بالدعوة إلى النّفس أو الاستيلاء على السّلطة بالقوة. بعد هذا نريد أنْ نعرف من أي نوع من هذه الأنواع كانت بيعة ـ أبي بكر ـ؟ وهذا يتطلب منا أنْ نبحث ولو بشكل موجز تعريف هذه الأنواع وماصفاتها وشروطها؟ ومن قبل مَن من أهل البيعة؟ أهم الخاصة أم العامة؟ ومتى؟ وكيف؟.

١. نظرية النّص:

ذهبت الإماميّة إلى أنّ منصب الإمامة منصب إلٰهي كالنبوة، وطريق تعيين الإمام هو النّص أو مايقوم مقامه لا غير، وكلّ مايعتبر في النّبوة معتبر في الإمامة، وكلّ ما ليس بمعتبر في النّبوة فليس معتبراً في الإمامة.

إذاً نصب الإمام بيد الله لا بيد النّاس، والطّريق إلى معرفته هو النّص. وبهذا

---

(١) الأربعين في أُصول الدّين: ٤٢٦.

(٢) أُصول الدّين: ٢٧٩.

(٣) الأحكام السّلطانية: ٦.

(٤) تأريخ ابن خلدون ١: ٣٤٢.

يسيرون وفقاً لما ذهبوا إليه سابقاً في وجوب الإمامة، وأنّها من الأُصول، ومن هنا رأي الإماميّة قاطبة: أنْ النّص عيّن الإمام بالاسم موضحاً له بالشخص، وذهب إلىٰ هذا الرّأي بعض المعتزلة، كالنظّامية، والحايطية، والحدثية[١]، وكلّ هؤلاء يقولون بـ«النّص الجلي».

ومنهم من ذهب إلىٰ أنّ النّص من قبل النّبيّ ﷺ علىٰ الإمام، ولكن بالوصف دون الاسم، وهؤلاء هم الجارودية من الزّيدية. يعني أنّ النّبيّ ﷺ نصّ علىٰ الإمام عليّ بن أبي طالب بالوصف لا بالاسم، أي يقولون بـ«النّص الخفي»[٢].

وإذا تأملنا بالنصوص السّابقة، كنصّ الغدير، والثّقلين، والدّواة، والمنزلة، وغير ذلك كثير، وجدنا أنّ المرمىٰ والهدف في كلّ هذه الأحاديث واحد، وهو تشخيص الإمام من بعده ﷺ فتارة يصرح باسمه، وتارة يلمح بوصفه. ولسنا بصدد بيان كلّ الموارد الّتي لم يتعبد الطّرف الآخر بها فإنها أكثر ممن يحصيها مثلي. ولكن نأخذ علىٰ سبيل المثال لا الحصر رزية يوم الخميس ـ كما يسميها ابن عباس ـ يوم مُنع رسول الله ﷺ من كتابة كتابه، وهو ذلك الحدث الّذي هزّ النّظام الإسلامي هزاً عنيفاً، بل نسفه من أساسه وأعاد العصبية والجاهلية مرة أُخرىٰ، بعدما أندثرت، وظهر النّفاق قبل وبعد وفاة رسول الله ﷺ، وقويت بذلك شوكة المنافقين وعتت نفوس الكافرين، وتضعضعت أركان الدّين، وانخلعت قلوب المؤمنين، ولذا صبروا وفي العين قذىٰ وفي الحلق شجىٰ؛ لأنه ﷺ أمرهم بالصبر علىٰ الأذىٰ والغض علىٰ القذىٰ، كما ورد في حديث عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكون بعدي أثرة، وأُمور تنكرونها...»[٣]. وروىٰ حذيفة بن

---

(١) الملل والنّحل ١: ٥٧، ومابعدها.

(٢) المصدر السّابق ١: ١٥٧، وتلخيص المحصل: ٤٠٨ و٤١٦.

(٣) صحيح مسلم ٢: ١١٨، ورواه غير واحد من أصحاب الصّحاح.

اليمان أنّه ﷺ قال: «يكون بعدي أئمّة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشّياطين في جثمان إنس... قلت: كيف أصنع يارسول الله إنْ أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع... وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع»[١].

روىٰ ابن عباس أمْرَ كتابةِ وصيةِ رسول الله ﷺ وقال:

«لما حضر النّبيّ ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال: «هلم أكتب لكم كتاباً، لن تضلوا بعده»، قال عمر: إنّ النّبيّ غلبه الوجع وعندكم كتاب الله، فحسبنا كتاب الله. واختلف أهل البيت، فمنهم من يقول: القول ما قال عمر. فلما أكثروا اللّغط والاختلاف قال ﷺ: «قوموا عني، لا ينبغي عندي التّنازع» وفي رواية: بكىٰ ابن عباس حتىٰ خضب دمعه الحصباء فقال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: «آتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً» فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي التّنازع فقالوا: هجر رسول الله ﷺ... وفي رواية:

فكان ابن عباس يقول: إن الرّزية كلّ الرّزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أنْ يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم...»[٢].

وهذا الحديث مما لا كلام في صحته ولا في صدوره، وقد أورده البخاريّ في عدة مواضع كما أشرنا، واخرجه مسلم في صحيحه[٣]. ورواه أحمد في

---

(١) صحيح مسلم ٢: ١٢٠ و٣٥ ط عيسىٰ الحلبيّ و٦: ٢٠ ط محمّد عليّ و١٢: ٢٣٨ ط مصر بشرح النّوويّ، رواه سائر أصحاب السّنن.

(٢) صحيح البخاريّ، كتاب العلم ١: ٢٢ و ج٢: ١٢٠ باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد. وج ٧: ٩ باب قول المريض، ط اصطنبول و٧: ١٥٦، ط. محمّد عليّ و٤: ٧، دار إحياء الكتب ٤: ٥، ط المعاهد و٦: ٩٧، ط بمبي.

(٣) صحيح البخاريّ ٢: ١٤ و ٥: ٧٥، باب آخر كتاب الوصية ط محمّد عليّ و ٢: ١٦ ط عيسىٰ الحلبيّ و ١١:

مسنده[١] ورواه سائر أصحاب السّنن. لكن مع الأسف الشّديد بعضهم نقله بالمعنىٰ بدليل أنّ اللّفظ في الحديث هو: «أنّ النّبيّ يهجر»، لكنهم هذبوا اللّفظة بـ«قد غلبه الوجع» وهذا ما أشار إليه أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ في كتابه السّقيفة[٢]. وفي لفظ البخاريّ: «فقالوا: هجر رسول الله ﷺ...»[٣]. وفي لفظ مسلم: «أنّ رسول الله يهجر»[٤]. ومثله في مسند أحمد بن حنبل[٥]. والطّبريّ في تأريخه[٦]. والكامل في التّأريخ لابن الأثير[٧]. هذا أولاً.

وثانياً: إنهم لم يصرحوا باسم المعارض ـ أي القائل بأنّ النّبيّ ﷺ يهجر أو غلب عليه الوجع ـ بل أوهموا عليه بلفظ، قالوا: ماشأنه أهجر؟ وفي لفظ آخر، قالوا: ماله أهجر أستفهموه؟ لكن من الثّابت أنّ القائل هو عمر بن الخطاب، وذلك بدليل قولهم القول ماقاله عمر كما جاء في الحديث المروي عن ابن عباس، وهو القائل أيضاً في رده علىٰ النّسوة من وراء السّتر عندما قالت النّسوه: ألا تسمعون مايقول رسول الله ﷺ قال عمر: فقلت: إنكن صويحبات يوسف، إذا مرض رسول الله عصرتن أعينكن، وإذا صح ركبتن عنقه! فقال رسول الله ﷺ: دعوهن فإنهن

⇔ ٩٥، ط مصر بشرح النّوويّ.

(١) مسند أحمد ٤: ٣٢٥ و٤: ٣٥٦ ح ٢٩٩٢ ط مصر.

(٢) السقيفة ٢: ٢٠، من شرح النّهج للمعتزلي و٦: ١٥، ط مصر تحقيق محمّد أبو الفضل و٢: ٢٠ ط ١، و٢: ٢٩٤، ط مكتبة الحياة.

(٣) صحيح البخاريّ ٢: ١١٨ و٤: ٣١، ط اصطنبول و٤: ٨٥، ط مصر و٢: ١٧٨، ط دار إحياء الكتب.

(٤) صحيح مسلم ٢: ١٦، ط عيسىٰ الحلبيّ، باب كتاب الوصية و١١: ٩٤، ط مصر بشرح النّوويّ.

(٥) مسند أحمد ١: ٣٥٥، ط مصر.

(٦) تأريخ الطّبريّ ٣: ١٩٣، ط مصر.

(٧) الكامل في التّأريخ ٢: ٣٢٠.

خير منكم[١].

وثالثاً: إنهم علموا علم اليقين بأنّه ﷺ إنما أراد توثيق العهد بالخلافة، وتوكيداً للنصوص السّابقة علىٰ الخليفة من بعده ﷺ وهو عليّ بن أبي طالب، ولذلك صدوه عنه، وهذا ما اعترف به عمر بن الخطاب في الحوار الّذي دار بينه وبين ابن عباس، وهو حوار طويل نشير إليه إشارة عابرة قال عمر: «يابن عباس، أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمّد ﷺ؟ قال ابن عباس: فكرهت أنْ أُجيبه. فقلت له: إنْ لم أكن أدري فإنّ أمير المؤمنين يدري، فقال عمر: كرهوا أنْ يجمعوا لكم النّبوة والخلافة، فتبجحوا علىٰ قومكم بجحاً بجحاً، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت، فقلت: يا أميرالمؤمنين إنْ تأذن ليّ في الكلام وتميط عني الغضب تكلمت. فقال: تكلم يابن عباس... فقلت: أمّا قولك... إختارت قريش... فلو أنّ قريشاً إختارت لأنفسها حيث إختار الله لها، لكان لها الصّواب بيدها غير مردود ولا محسود...»[٢]. وحاوره مرة ثانية وفيها: «... ولقد أراد أنْ يصرح باسمه فمنعه...»[٣]. وحاوره مرة ثالثة وفيها: «قال عمر بن الخطاب: يابن عباس ما

---

(١) كنز العمّال ٣: ١٣٨ و ٤: ٥٢، الطّبقات الكبرىٰ ٢: ٤٢٣، نهاية الإرب ١٨: ٣٧٥، إمتاع الأسماع: ٥٤٦، ولكن بلفظ: (وقالت زينب بنت جحش وصواحبها)، بدل النّسوة. ومثل ذلك في الطّبقات، وجاء في كتاب المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدّين: ٤٥٦ و ٤٥٧ لفظ: (..إنّ أوّل من قال يومئذ: هجر رسول الله إنّما هو عمر بن الخطاب..) وجاء في الهامش من الصّفحة: ٤٥٨، تحقيق حسين الرّاضي، ط مؤسّسة دار الكتاب الإسلامي مانصه: (قول عمر بن لخطاب: إنّ النّبيّ ليهجر. أُنظر، تذكرة الخواص للسبط بن الجوزيّ ص: ٦٢، ط الحيدرية و: ٣٦، ط إيران، سر العالمين وكشف ما في الدّارين لأبي حامد الغزاليّ: ٢١، مطبعة النّعمان).

(٢) الكامل في التّأريخ لابن الأثير ٣: ٦٣، شرح النّهج للمعتزلي ٣: ١٠٧، ط ١ مصر، تأريخ الطّبريّ ٤: ٢٠٣.

(٣) شرح النّهج ٣: ٩٧، ط ١، مصر و١٢: ٢٠، ط مصر تحقيق محمّد أبو الفضل.

أرىٰ صاحبك إلّا مظلوماً ...»[١]. وقال عمر بن الخطاب مرة رابعة: «يا ابن عباس أمّا والله إنّ صاحبك هذا لأولىٰ النّاس بالأمر بعد رسول الله ﷺ..»[٢]. وقال عمر في محاورة خامسة: «لقد كان عليّ فيكم أولىٰ بهذا الأمر منيّ ومن أبي بكر...»[٣].

ورابعاً: إنهم لم يأخذوا، بل كأنهم لم يسمعوا بكتاب الله حيث قال: ﴿... وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا...﴾[٤]. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ * مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾[٥]. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[٦]. وقال تعالىٰ: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[٧].

أفبعد كلّ هذه الآيات وغيرها يقول قائلهم: إنه ليهجر؟ ولذا فلم يبقَ له ﷺ أكثر من أنْ يقول لهم: قوموا عني...

وخامساً: إن الأعذار الّتي اعتذر بها بعضهم في منع عمر له ﷺ من أنْ يكتب

---

(١) المصدر السّابق ٣: ١٠٥ و٢: ١٨ أفست ط مصر، و١٢: ٤٦ و٦: ٤٥، ط مصر تحقيق محمّد أبو الفضل.

(٢) المصدر السّابق ١: ١٣٤ و٢: ٢٠، أفست علىٰ ط ١ مصر و٢: ٥٧ و٦: ٥١، ط مصر تحقيق محمّد أبو الفضل.

(٣) محاضرات الرّاغب الإصبهانيّ ٧: ٢١٣، الغدير ١: ٣٨٩ و٧: ٨٠، ط بيروت، المسترشد في إمامة عليّ عليه السلام للطبريّ: ١٦٨، السّقيفة للجوهريّ: ٧٠، كشف اليقين للحليّ: ٤٦١ ح ٥٦١، كشف الغمة ٢: ٤٥.

(٤) الحشر: ٧.

(٥) التّكوير: ١٩ ـ ٢٢.

(٦) الحاقة: ٤٠ ـ ٤٣.

(٧) النّجم: ٢ ـ ٥.

لهم كتاباً... بأنّه أمر إرشادي وليس أمر عزيمة، أو أنّ عمر خشي عليه من التّعب، أو من أنْ يكتب أُموراً يعجز النّاس عنها...

فهذا جوابه واضح لذوي الألباب بأنّه ﷺ في حال إحتضار، وهذا الوقت وقت نصح وإعذار وإنذار، وليس وقت مشورة، ولذا عندما كثر اللّغط قال لهم: قوموا وهذا ظاهر في استيائه منهم، بل إنهم كانوا عالمين بأنّه يريد أمراً يكرهونه... ولذا اعترف عمر لابن عباس في إحدىٰ محاوراته معه كما ذكرنا سابقاً.

وكيف يفسر عمر قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا﴾[1]؟ وهل عمر بن الخطاب كان أعرف من رسول الله في أُمور التّكليف والقدرة وعدم القدرة...؟

ساد ساً: ادعىٰ بعض أنّه ﷺ نصّ علىٰ أبي بكر... ولا نريد أنْ نقف مع هذه الأكذوبة الموضوعة من قبل شرذمة صغيرة عرفت بـ«البكرية» والّتي وضعت الأحاديث الكثيرة في فضل أبي بكر، نصّ علىٰ وضعها علماء أهل السّنة أنفسهم، كابن الجوزيّ في كتابه الموضوعات. هذا بالإضافة إلىٰ أنّ صاحب المقاصد، وكذلك صاحب شرح المقاصد اعترفا بأنّ النّص في حقّ أبي بكر منتف[2]. ولو صح لما خفي علىٰ الصّحابة والتّابعين... وبعد هذا نقول كيف تمت بيعة أبي بكر؟ وعن أي طريق؟ وقبل الجواب علىٰ ذلك لابد من التّطرق إلىٰ السّقيفة.

---

(١) الأحزاب: ٣٦.

(٢) شرح المواقف ٨: ٣٥٤.

مقدمات السّقيفة

إنّ حوادث السّقيفة تتصل مقدماتها بأيام مرض الرّسول ﷺ وما وقع من حوادث أثناء إحتضاره ﷺ وهنا يحتج بها أهل السّنة من أهل المعرفة والعلم أنّ رسول الله ﷺ استخلف أبابكر في الصّلاة. وقد ورد ذلك عن عائشة وعدّة من الصّحابة، وأسانيد تلك القصة تنتهي كلّها إلىٰ عائشة، ومن جهة أُخرىٰ كلّها تشتمل علىٰ أنّه ﷺ خرج إلىٰ المحراب وصلاته بالناس كانت بنفسه الشّريفة[1].

أخرج البخاريّ في مواضع عديدة من صحيحه بأسانيد مختلفة، منها علىٰ سبيل المثال لا الحصر: «حدثنا عمر بن حفص... عن إبراهيم، قال الأسود: قال: كنا عند عائشة فذكرنا المواظبة علىٰ الصّلاة والتّعظيم لها فقالت: «لما مرض رسول الله ﷺ مرضه الّذي مات فيه فحضرت الصّلاة فأذن، فقال: مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس، فقيل له: أنّ أبابكر رجل أسيف إذا قام في مقامك لم يستطع أنْ يُصلي وأعاد فأعادوا له، فأعاد الثّالثة، فقال: إنكن صواحب يوسف! مروا أبابكر فليصلِّ بالناس. فخرج أبو بكر فصلىٰ، فوجد النّبيّ ﷺ من نفسه خفة، فخرج يتهادىٰ بين رجلين، كأني أنظر رجليه تخطان من الوجع، فأراد أبوبكر أنْ يتأخر، فأومأ إليه النّبيّ ﷺ أنْ مكانك، ثمّ أتىٰ به حتىٰ جلس إلىٰ جنبه. قيل للأعمش: وكان رسول الله ﷺ يصلي وأبو بكر يصلي بصلاته والنّاس يصلون بصلاة أبي بكر؟ فقال برأسه: نعم. رواه أبو داود ـ الطّيالسي ـ عن شعبة عن الأعمش بعضه. وزاد أبو معاوية: جلس عن يسار أبي بكر، فكان أبو بكر يصلي قائماً..»[2]. وفي رواية

---

(١) البخاريّ بشرح ابن حجر ٢: ١٣٢ و ١٣٧ و ١٦٢، مسلم بشرح النّوويّ هامش إرشاد السّاريّ ٣: ٥٤ و ٦١.

(٢) صحيح البخاريّ ـ بشرح ابن حجر ٢: ١٢٠، باب حدّ المريض إن يشهد الجماعة.

أُخرىٰ بلفظ: «إن أبابكر رجل رقيق، إذا قرأ غلبه البكاء»[١]. وفي رواية ثالثة بلفظ: «..فلما رآه أبو بكر أستاخر فأشار إليه أنْ كما كنت... فجلس رسول الله ﷺ حذاء أبي بكر إلىٰ جنبه...»[٢]. وفي رواية رابعة: «... فأتاه الرّسول فصلىٰ بالناس في حياة النّبيّ ﷺ»[٣]. وفي رواية خامسة: «... إنّ أبابكر إذا قام في مقامك لم يسمع النّاس من البكاء! فمر عمر بن الخطاب... فقالت عائشة: فقلت لحفصة: قولي له... فمر عمر ابن الخطاب... ففعلت حفصة... فقال رسول الله ﷺ: صه إنكن لأنتن صواحب يوسف... فقالت حفصة لعائشة: ما كنت لأصيب منك خيراً»[٤].

وهكذا يورد البخاريّ أكثر من عشرة أحاديث فلاحظها.

وجاء في موطأ مالك قريب من هذه الألفاظ[٥]. وفي صحيح مسلم أيضاً[٦]، أورد أكثر من عشرة أحاديث. ومثله في صحيح التّرمذيّ[٧]، ومثله في سنن أبي داود[٨]، ومثله في سنن النّسائيّ[٩]، ومثله في سنن ابن ماجة[١٠]، وقريب من هذا في

---

(١) المصدر السّابق ٢: ١٣٠، باب أهل العلم والفضل أحقّ بالإمامة.

(٢) المصدر السّابق ٢: ١٣٢، باب من قام إلىٰ جنب الإمام لعلة.

(٣) المصدر السّابق ٢: ١٣٠.

(٤) المصدر السّابق.

(٥) الموطأ ـ بشرح السّيوطيّ ١: ١٥٦.

(٦) صحيح مسلم بشرح النّوويّ هامش إرشاد السّاريّ ٣: ٥٤ و ٥٩ و ٦١ و ٦٣ و...

(٧) صحيح الترمذيّ ٥: ٥٧٣، باب مناقب أبي بكر.

(٨) سنن أبي داود ٢: ٢٦٦، باب في إستخلاف أبي بكر.

(٩) سنن النسائيّ ٢: ١٠ و ٩٩ و ٧٧ و ٧٤، كتاب الإمامة من كتاب الصّلاة، صلاة الإمام خلف رجل من رعيته.

(١٠) سنن ابن ماجة ١: ٣٨٩، باب ما جاء في صلاة رسول الله في مرضه.

مسند أحمد[١]، وجاء مثله في دلائل النّبوة للبيهقي[٢].

ولسنا بصدد بيان ماجاء في كلّ رواية وسندها ودلالتها، ولكن لدينا بعض الملاحظات نطرحها ونترك الإجابة لأهل العلم والمعرفة والإنصاف والتّحقيق، وأصحاب الضّمائر الحية والله المستعان.

٢. هل خرج أبوبكر في جيش أُسامة؟

فإذا كان الجواب بنعم فكيف يُصلي بالناس وهو خارج المدينة؟ ولقد أجمعت المصادر علىٰ سرية أُسامة بن زيد، وأجمعت أيضاً علىٰ أنه ﷺ أمر مشايخ القوم بالخروج معه، وكان ذلك يوم الإثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدىٰ عشرة: فلما كان يوم الأربعاء بدىء برسول الله ﷺ فحم وصدع. فلما أصبح يوم الخميس عقد لأُسامة لواءه بيده... فخرج بلوائه معقوداً وعسكر بالجرف ـ موضع يبعد ثلاثة أميال عن المدينة بطرف الشّام ـ فلم يبقَ أحد من وجوه القوم ـ المهاجرين والأنصار ـ إلّا انتدب في تلك الغزوة، وفيهم أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة، وسعد ابن أبي وقاص، وسعيد بن زيد... إلخ، وهذا ما اعترف به ـ أي الخروج ـ ابن حجر في شرح البخاريّ لكن فيه إختلاف بسيط، وهو أنّ تجهيز أُسامة كان يوم السّبت قبل موت النّبيّ ﷺ بيومين بدلاً من يوم الإثنين...[٣]. وأجمعت المصادر

---

(١) مسند أحمد ١: ٢٣١ و ٣٥٦ و ٢١٦.

(٢) دلائل النبوة ٧: ١٨٦ و ١٨٩.

(٣) القصة كاملة في فتح الباريّ ٨: ١٢٤، طبقات ابن سعد ٢: ١٩٠، عيون الأثر ٢: ٢٨١، تأريخ اليعقوبيّ ٢: ٩٣، شرح النّهج ١: ٥٣ و ٢: ٢١، سمط النّجوم العوالي لعبد الملك العاصميّ المكيّ ٢: ٢٢٤، السّيرة الحلبية ٣: ٢٠٧، كنزالعمّال ٥: ٣١٢، أنساب الأشراف ١: ٤٧٤، الكامل لابن الأثير ٣: ١٢٣، تأريخ ابن عساكر ١: ٤٣٣ و ٤٣٨.

أيضاً: «توفي رسول الله ﷺ نصف النّهار يوم الإثنين وأبو بكر غائب بالسنح وعمر حاضر فأستاذن عمر ودخل عليه مع المغيرة بن شعبة...»[١]، ومثله في سنن أبي داود بلفظ: «وكان أبو بكر غائباً، فقلت: ياعمر، قم فصلِّ بالناس...»[٢].

وإذاكان الجواب كما ادعىٰ بعضهم بأنّ أبابكر لم يكن في جيش أُسامة. فكيف تردون قول من يقول: فجعل ﷺ يقول: «أنفذوا بعث أُسامة، لعن الله من تخلف عنه»، وكرر ذلك، فخرج أُسامة... حتىٰ كان بالجرف نزل ومعه أبو بكر، وعمر... فجاءه رسول أُمّ أيمن يقول له ادخل فإن رسول الله يموت، فقام من فوره، فدخل المدينة واللّواء معه، فجاء به حتىٰ ركزه بباب رسول الله، ورسول الله قد مات في تلك السّاعة؟[٣]

وكيف تفسرون قوله ﷺ: «جهزوا جيش أُسامة، لعن الله من تخلف عنه»؟[٤].

وهل تقبلون أنْ يكون صاحبكم من الملعونين والمطرودين من رحمة الله علىٰ لسان نبي الرّحمة، ثمّ بعد ذلك تجعلونه إماماً وقائداً ووليّاً لكم في أُمور دينكم ودنياكم؟

وهل تقبلون أنْ يكون حال صاحبكم، كحال إبليس عندما طُرد من رحمة الله؟ كما قال تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٥]، وقال تعالىٰ: ﴿...ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾[٦].

---

(١) أُنظر، مسند أحمد ٦: ٢١٩، تأريخ الطّبريّ ١: ١٨١٨، ط أُوربا تأريخ أبي الفداء ١: ١٤٦.

(٢) الصّراط المستقيم للعلاّمة البياضيّ ٢: ٢٩٦، شرح النّهج ١: ١٦٠.

(٣) شرح النّهج لابن أبي الحديد ٢: ٢١.

(٤) الملل والنّحل للشهرستانيّ ١: ٢٣، ط. أُفست دار المعرفة، السّقيفة للجوهري، وشرح النّهج ٦: ٥٢، ط مصر تحقيق محمّد أبو الفضل و٢: ٢١ أُفست بيروت علىٰ ط ١ بمصر.

(٥) الأعراف: ١٨.

(٦) الإسراء: ١٨.

إذاً اللّعن ثابت علىٰ من تخلف عن جيش أُسامة، كما يقول صاحب الملل والنّحل وصاحب شرح النّهج[١].

أمّا لو سلمنا جدلاً بصحة الحديث بأنهﷺ أمر أبابكر بالصلاة، فهل هذا فيه دلالة خاصة له علىٰ الإمامة الكبرىٰ والخلافة العظمىٰ دون غيره من المسلمين ممن أقامه مقامه، كسالم مولىٰ حذيفة الّذي كان يؤم المهاجرين والأنصار في مسجد قباء؟[٢] وكان عتاب بن أُسيد إمام مكّة؟[٣] وأنّهﷺ إستخلف ابن أُمّ مكتوم للإمامة وهو أعمىٰ؟ وعقد أبو داود في سننه باباً بعنوان ـ إمامة الأعمىٰ ـ «... إن النّبيّﷺ إستخلف ابن أُمّ مكتوم يؤم النّاس وهو أعمىٰ»[٤]. وقد اعترف شيخ الإسلام ـ ابن تيمية ـ في ذلك حيث قال: «الأستخلاف في الحياة نوع نيابة لابدّ لكل ولي أمر، وليس كلّ من يصلح للاستخلاف في الحياة علىٰ بعض الأُمّة يصلح أنْ يستخلف بعد الموت، فإنّ النّبيّﷺ إستخلف غير واحد، ومنهم لا يصلح للخلافة بعد موته، كما أستعمل ابن أُمّ مكتوم الأعمىٰ في حياته وهو لا يصلح للخلافة بعد موته، وكذلك بشير بن عبد المنذر وغيره[٥].

وقيل: «إن عمرو بن العاص كان يؤم المهاجرين والأنصار في غزوة ذات السّلاسل وفيهم أبو بكر وعمر...»[٦]. وقيل: «كان صهيب الرّوميّ يؤم المسلمين

---

(١) الملل والنحل ١: ٢٩، وهو في الكتاب عن الآمدي ٨: ٣٧٦، وفي شرح النّهج ٢: ٤١.

(٢) شرح النّهج للمعتزلي ٢: ٢٦٤.

(٣) الطّبقات الكبرىٰ لابن سعد ٣: ٨٧ و٨٨، السّيرة الحلبية ٢: ٢٣، الخلفاء الرّاشدون ٤: ٢٣٢ للدكتور طه حسين.

(٤) سنن أبي داود ١: ٩٨.

(٥) منهاج السّنة ٤: ٩١ وأُسد الغابة ٤: ٢٣٦، ط مصر، مغازي الواقديّ ١: ١٨٣، سيرة ابن هشام ٢: ٢٦٣.

(٦) تأريخ الطّبريّ ٣: ١٢٦.

أثناء مرض عمر بن الخطاب بما فيهم المبشرين في الجنّة»،[١] علماً بأن عبد الرّحمن ابن عوف أمهم في يوم طعن عمر بن الخطاب وصلّىٰ بهم بأقصر سورتين في القرآن[٢]. وقيل: إن عبد الرّحمن بن عوف صلّىٰ وصلّىٰ رسول الله ﷺ خلفه في ركعة من ركعات السّفر،[٣] ألا يستطيع هؤلاء كلّهم أنْ يُطالبوا بإمارة وإمامة وخلافة المسلمين؛ لأنهم أموا النّاس في الصّلاة، والصّلاة عماد الدّين؟ ولم نسمع أحداً منهم ادعاها له بعد رسول الله ﷺ؟

٣. كيف تفسرون هذا الاضطراب في الرّوايات الواردة بخصوص صلاة أبي بكر؟ فتارةً تقولون صلّىٰ ﷺ عن يمينه وهو يصلي عن يساره، وأُخرىٰ تقولون: صلّىٰ أبو بكر بصلاة النّبيّ ﷺ والمسلمون يصلون بصلاة أبي بكر، والسّؤال الّذي يطرح نفسه: كيف يأتم أبو بكر بالرسول ﷺ وهو عن يساره؟ وهل يوجد من يصحح هذه الفوضىٰ الفقهية ـ إن صح التّعبير؟

وثالثة تقولون: إن أبابكر كان مبلغاً! فمعنىٰ الاقتداء هو اقتداؤه بصوته علىٰ أنه ﷺ كان جالساً وأبو بكر قائماً فكانت بعض أفعاله ﷺ تخفىٰ علىٰ بعض المأمومين فلأجل ذلك كان أبوبكر، كالإمام في حقهم[٤]، وصرح الشّافعيّ بأنه ﷺ لم يصلّ بالناس في مرض موته في المسجد إلّا مرة واحدة. وهي هذه المرة الّتي صلّىٰ فيها قاعداً وكان أبوبكر إماماً، ثمّ صار مأموماً يسمع النّاس التّكبير[٥]. ويُفهم من كلام

---

(١) الإمامة والسّياسة لابن قتيبة ١: ٤٢، تحقيق عليّ شيري، منشورات الشّريف الرّضي.

(٢) المصدر السّابق ١: ٣٩.

(٣) دلائل الصّدق ٣: ١٩، نقلاً عن الفصل.

(٤) عمدة القاريّ ٥: ١٩٠.

(٥) فتح الباريّ ٢: ١٣٨.

الشّافعيّ بأنه لم يصلّ أبوبكر إماماً حتىٰ ولو ركعة واحدة، بل يُفهم منه أنه ربما دخل في الصّلاة كإمام وفي الأثناء وصل رسول اللهﷺ وجذبه من خلفه وأرجعه إلىٰ الوراء وتقدم هوﷺ يؤم المسلمين الصّلاة وهذا هو الحقّ. وذلك؛ لأنه لايجوز أنْ يتقدم علىٰ رسول اللهﷺ أحد في الصّلاة طبقاً لهذه القاعدة والّتي نصّ عليها كثير من علماء أهل السّنة، فعن القاضي عياض أنّه مشهور عن مالك، وجماعة من أصحابه قال: وهو أولىٰ الأقاويل[1]. وقال الحلبيّ بعد حديث تراجع أبي بكر عن مقامه: «وهذا استدل به القاضي عياض علىٰ أنّه لا يجوز لأحد أنْ يؤمهﷺ؛ لأنه لا يصح التّقدم بين يديه في الصّلاة ولا في غيرها لا لعذر ولا لغيره، ولقد نهىٰ الله المؤمنين عن ذلك، ولا يكون أحد شافعاً له، وقد قال: «أئمتكم شفعاؤكم»[2].

٤. كيف تفسرون الاضطراب الوارد أيضاً في متن الرّواية، فمرة تذكرون أنّ عائشة قالت لبلال مره ـ أبابكر ـ فليصلِّ بالناس، ومرة ثانية تقولون: إن عمر صلّىٰ ورسول اللهﷺ سمع صوته فغضب وقال: مروا أبابكر. ومرة ثالثة عن بلال قال: يا رسول الله، بأبي وأُمّي مَن يُصلي بالناس؟ وهناك دعا عليّاً عليه السلام قائلاً: «ادعو ليّ عليّاً»، قالت عائشة: «ندعو لك أبابكر؟»، وقالت حفصة: «ندعو لك عمر؟...»[3].

ومرة رابعة تقولون: إن الّذي أمر عمر بالصلاة هو عبد الله عندما خرج من عيادة رسول اللهﷺ ولقيَ ناساً...، ثُم لقيَ عمر بن الخطاب... فقال عبد الله له: صلِّ بالناس ياعمر... فقال عمر: ماكنت أظنُّ حين أمرتني إلّا أنّ رسول الله أمرك

---

(١) نيل الأوطار ٣: ١٩٥.

(٢) السّيرة الحلبية ٣: ٣٦٥.

(٣) مسند أحمد ٣: ٢٠٢، تأريخ الطّبريّ ٢: ٤٣٩.

بذلك... فقال عبد الله: لما لم أرَ أبابكر رأيتك أحقَّ من غيره بالصلاة».

ومرة خامسة تقولون: أنّه ﷺ قال: «مروا بلالاً فليؤَذّنْ، ومروابلالاً فليصلِّ بالناس»[١]

ومرة سادسة تقولون: إن عائشة قالت إنّ أبابكر رجل أسيف.

ومرة تقولون: إنّها قالت: إنه رجل رقيق القلب كثير البكاء.

ومرة سابعة تقولون: إن أبابكر أمر عمر أنْ يُصلي بالناس، وأولتم هذا الكلام تارة علىٰ تواضعه، واُخرىٰ؛ لأنه رقيق القلب، وثالثة علىٰ أنه فهم من الإمامة الصّغرىٰ الإمامة الكبرىٰ، وعلم أنّه لا يتحملها، أو أنّه علم أنّ في تحملها خطراً عظيماً وجسيماً وعلم أنّ ماعند عمر بن الخطاب من القوة ورباطة الجأش فاختاره لذلك...[٢]. ولسنا بصدد مناقشة هذه التّمحلات والأسباب الّتي دعت السّيدة عائشة إلىٰ ذلك، بل نتركها للقاريء الكريم أنْ يُحكم عقله وضميره في كلّ هذه الأقوال.

٥. كيف تستدلون وتصححون إمارة وخلافة أبي بكر من خلال قوله ﷺ وهو في أثناء سكرات الموت كما تقولون: «مروا أبابكر فليصلِّ بالناس»، وفي نفس الوقت تقولون إن الرّسول يهجر، وفي نفس الوقت تمنعونه ﷺ، من كتابة الوصية وهي الحقّ الشّرعي لأيّ مسلم كان فكيف بسيد الكائنات يُمنع من أبسط حقوقه؟ علماً بأنه ﷺ أكد أنْ الوحي أكثر ماكان يأتيه وهو مريض كما تدعون؟[٣].

---

(١) الإمامة في أهم الكتب الكلامية للسيد عليّ الميلانيّ: ٣٥٥، منشورات الشّريف الرّضي نقلا عن بغية الطّالب في تأريخ حلب مخطوط، ورقة ١٩٤ لكمال الدّين بن العديم الحنفيّ المتوفي سنه ٦٦٠هـ، كما جاء في الهامش رقم (٢).

(٢) فتح الباريّ ٢: ١٢٣.

(٣) كتاب المرضىٰ من صحيح البخاريّ ١: ٢٢، مسند أحمد ١: ٣٢٥، السّقيفة، شرح النّهج ٣: ٢٠ و٢: ١٨٨،

وكيف تفسرون وتوجهون قول عمر بن الخطاب: «إنْ إستخلفْ فقد إستخلفَ مَن هو خير مني ـ يعني أبابكر ـ وإنْ أدَعْ فقد ودع مَن هو خير مني ـ يعني رسول الله ﷺ ـ»[١].

ألم يكن هذا إعترافاً صريحاً من عمر بن الخطاب بأنّ رسول الله ﷺ لم يستخلف وأنّ أبابكر قد إستخلفه؟ وإذا كان رسول الله ﷺ قد خلىٰ وترك للناس أمرهم، فلماذا لا يقتدي به أبوبكر ويخلي للناس أمرهم؟ ولماذا لم يفعل عمر بن الخطاب مافعله رسول الله، أو مافعله صاحبه الأوّل؛ لأنه ترك سنة رسول الله ﷺ كما قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴾[٢]؟ والمفروض عندكم أنّه ﷺ لم يستخلف مع كونه اعلم وأعرف بالمصالح والمفاسد من صاحبكم، وبهذا يكون الاستخلاف من صاحبه مخالفة له وتركاً لاتباعه، وبالتالي يكون هذا قدحاً له في استحقاق الإمارة والخلافة.

وكيف تفسرون قول السّيدة عائشة عندما سُئلت: «لو أنّ الرّسول ﷺ إستخلف مَن يستخلف؟ فقالت: لو أنّ الرّسول إستخلف لاستخلف أبابكر، ومن بعده عمر ومن بعده أبا عبيدة»؟[٣].

ألم يكن هذا إعترافاً صريحاً من السّيدة أُمّ المؤمنين عائشة بأنّ الرّسول ﷺ لم يستخلف ولم يسم أباها أميراً...؟ ولو عين أباها أو سماه لاعترضت واستنكرت علىٰ السّائل...؟ وهي القائلة: «ماترك رسول الله ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا

↔ معجم الطّبرانيّ ١: ١٣٨.

(١) أُنظر، الإمامه والسّياسة: ٤١، منشورات الشّريف الرّضي، كنزالعمّال ٥: ٦٥٣ ح ١٤١٤٣ و٦٥٢ ح ١٤٤٠ و ٦٤٥ ح ١٤١٣٤ و ١٤٣٧.

(٢) الأحزاب: ٢١.

(٣) الإمامة والسّياسة: ٤٢، الطّبقات الكبرىٰ ٣: ١٨١، كنزالعمّال ٥: ٦٤٤ ح ١٤١٣٢.

بعيراً ولا أوصىٰ بشيء...»[١].

٦. كيف يحق لأبي بكر أنْ يكتب وصيته وهو في حال سكرات الموت كما تدعون ويؤخذ بها ولا يحق لنبي الله ﷺ ورسول الإنسانية وصاحب التّشريع أنْ يوصي؟ فإنْ قلتم بأنه كان يخشىٰ علىٰ أُمّة محمّد ﷺ أنْ تبقىٰ بدون راعٍ، فكيف برسول الله ﷺ أنْ لا يخشىٰ علىٰ أُمّته وهو الّذي وصف بالرحمة والعطف كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[٢]؟ وهل أبو بكر أو السّيدة عائشة أو عمر بن الخطاب أكثر رحمة وعطفاً وحناناً علىٰ المؤمنين من رسول البشرية محمّد ﷺ ـ والعياذ بالله من ذلك القول؟

ولماذا لم يقل عمر بن الخطاب في سكرات موت أبي بكر واستدعائه لعثمان بن عفان أنْ يكتب العهد له أنْ يقول: «حسبنا كتاب الله ولا حاجة لنا بعهد أبي بكر؟ فقد كتب المؤرخون: «أنّه دعا أبو بكر عثمان بن عفان فأمره أنْ يكتب عهداً، فقال: اكتب: بسم الله الرّحمن الرّحيم، هذا ماعهد به أبو بكر بن أبي قحافة آخر عهده في الدّنيا نازحاً عنها، وأوّل عهده بالآخره داخلاً فيها...، ثُم أُغمي عليه... وكتب عثمان: قد إستخلفت عليكم عمر بن الخطاب، وأفاق أبو بكر، فقال: اقرأ. فقرأه، فكبر أبو بكر، وسر وقال: أراك خفت أنْ يختلف النّاس إنْ متُّ في غشيتي! قال: نعم، قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله»[٣].

وفي هذا الجو ـ جو الإغماء والهجر والهذيان الحقيقي ـ يكتب العهد وعمر بن الخطاب وأصحابه يهوّنون عليه الخطب ويستخدمون معه أحسن وأرق وأعذب الألفاظ، ويبشرونه بالجنة، ثمّ يخرجون من عنده، ولكن في رواية أُخرىٰ: «إنه ـ

---

(١) كنزالعمّال ٤: ٦٠ ح ١١٧٠.

(٢) الأنبياء: ١٠٧.

(٣) تأريخ الطّبريّ ٣: ٣٢٩.

أبابكر ـ يرسل إلىٰ عمر بن الخطاب ويقول له: ياعمر أُحبك محب، وأُبغضك مبغض، وقديماً يحب الشّر، ويبغض الخير، فقال: عمر: لاحاجة لي بها، فقال أبوبكر: لكن بها إليك حاجة...، ثمّ قال: خذ هذا الكتاب واخرج به إلىٰ النّاس وأخبرهم أنّه عهدي، وسلهم عن سمعهم وطاعتهم. فخرج عمر بالكتاب... فقال له رجل: ما في الكتاب يا أبا حفص؟ قال: لا أدري، ولكني أوّل من سمع وأطاع. قال: لكني والله أدري مافيه أمَّرته عام أوّل، وأمرك العام[1].

٧. كيف تفسرون إعتراف عمر بن الخطاب الّذي إعترف بكل شجاعة وصراحة حين بلغه مقالة بعض المسلمين أنْ لو مات عمر لبايعنا فلاناً... فقال:

«... إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وإنّها قد كانت كذلك، وقىٰ الله شرها...»؟[2]. وهذا القول يكشف لنا أيضاً أنّ البيعة كانت غلطة أو كانت فتنة كما رواها ابن الأثير في الكامل بلفظ «الفتنة»، ويكشف لنا أيضاً أنّ الّذي يعود إلىٰ مثلها يقتل، وأنْ لا بيعة له، وهذا الطّعن من عمر بن الخطاب يكفي لإبطال بيعة أبي بكر علىٰ رأيكم وليس علىٰ رأي الخصم؛ لأن الخصم من الأساس لايعترف إلّا بالنصّ. أو أنه ـ عمر ـ اراد أنْ يقطع الطّريق علىٰ مَن يُريد أنْ تصل إليه الخلافة بالطريق الشّرعي، ألا وهو الإمام عليّ عليه السلام؛ لأن القائل: «إن الرّجل الّذي قال لو قد مات عمر لبايعت فلاناً هو عمار بن ياسر الّذي قال: لوقد مات عمر لبايعت عليّاً،

---

(١) الإمامة والسّياسة ١: ٣٨، أُنظر، سيرة عمر لابن الجوزيّ: ٣٧، تأريخ ابن خلدون ٢: ٨٥.

(٢) صحيح البخاريّ ٨: ١٦٨، تأريخ الطّبريّ ٣: ٢٠٥، الفتح الرّبانيّ ٢٣: ٥٩، كنزالعمّال ٥: ٦٤٩، شرح النّهج لابن أبي الحديد ١: ١٢٣، السّيرة النّبوية ٤: ٢٢٦، النّهاية لابن الأثير ٣: ٤٦٦، الكامل في التّأريخ ٢: ٣٢٧، الصّواعق المحرقة: ٥ و٨، تأريخ الخلفاء للسيوطيّ: ٦٧، السّيرة الحلبية ٣: ٣٦٠، مسند أحمد ٦: ٥٥، الرّياض النّضرة ١: ١٦١، أنساب الأشراف ٥: ١٥، شرح المقاصد ٥: ٢٨٠.

وهذا القول هو الّذي أهاج عمر بن الخطاب أنْ خطب بما خطب»[١].

٨. كيف تفسرون وتؤوّلون مقولة أبي بكر: «أقيلوني فلست بخيركم وعليّ فيكم...»؟[٢]. وروي هذا القول بألفاظ مختلفة، فقد أورده ابن قتيبة بلفظ: «إنّ ليّ شيطاناً يعتريني فإنْ استقمت فأعينوني، وإنْ زِغْت فقوّموني وإنْ غضبت فجنبوني...»[٣]. وفي كنز العمّال بلفظ: «هي لكم رد ولا بيعة لكم عندي»[٤]. وفي لفظ آخر بالكنز عن الطّبرانيّ في الأوسط: «قد أقلتم رأيكم أنيّ لست بخيركم»،[٥]. وفي لفظ آخر في الكنز: «قد أقلت بيعتكم»،[٦]. وقريب من هذا اللّفظ في شرح شرح النّهج لابن أبي الحديد، وقد أخذه من خطبة الشّقشقية: «... فياعجبا بينما هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته»،[٧]، وفي تأريخ الطّبريّ قال: «وُلّيتُ عليكم ولست بخيركم»، وفي لفظ: «أما والله ماأنابخيركم»[٨]، ومثل ذلك كثير كما في الكامل لابن الأثير،[٩] وطبقات ابن

---

(١) شرح النّهج لابن أبي الحديد ٢: ١٥٧، نقلاً عن الجاحظ، وفي أنساب الأشراف ١: ٥٨١ بلفظ: «إن عمر قال: بلغني أنّ الزّبير قال لو قد مات عمر بايعنا عليّاً»، وقيل: إن القائل هو ابن الزّبير: «والله لو قد مات عمر لبايعت عليّاً فأن بيعة أبي بكر إنّما كانت فلتة وتمت، فغضب عمر وخطب هذه الخطبة...»، شرح القسطلانيّ على صحيح البخاريّ ١١: ٣٥٢.

(٢) التّجريد في إستقالة أبي بكر، وشرح التّجريد للقوشجيّ، ذكر القول بدون أنْ يناقش فيه.

(٣) الإمامة والسّياسة ١: ٣٤.

(٤) كنزالعمّال ٣: ١٣٢.

(٥) كنزالعمّال ٣: ١٣٥.

(٦) كنزالعمّال ٣: ١٤١.

(٧) شرح النّهج لابن أبي الحديد ١: ٥٦.

(٨) تأريخ الطّبريّ ٧: ٢٠٣، كنزالعمّال عن الحسن، المصدر السّابق.

(٩) الكامل لابن الأثير ٢: ١٦٠.

سعد،[١] ومجمع الزّوائد،[٢] والسّيرة لابن هشام،[٣] والسّيوطيّ في تأريخ الخلفاء[٤]، وفي السّيرة الحلبية،[٥] وفي السّيرة النّبوية لابن كثير،[٦] ورواه الزّبير ابن بكار في الأخبار الموفقيات،[٧] والسّيد المرتضىٰ في الشّافيّ،[٨] وفي الصّواعق أيضاً،[٩] وغيرهم كثير. ورغم كلّ هذه المصادر الّتي ذكرت القول يأتي بعضُ من يدعي العلم والمعرفة ويشكك في صحة الرّواية ويقول بلفظ: «إنْ صح هذا فهو من باب التّواضع».

والجواب أنه ـ أبوبكر ـ لو كان معتقداً بإمارته لم يجز له طلب الإقالة، كما لايجوز للنبي ﷺ، أنْ يقيل نفسه من النّبوة؛ لأنّها تنصيب إلهي، فكذلك الإمامة هي تنصيب إلٰهي؛ لأنّها إمتداد للنبوة. ولايجوز له أيضاً الفسخ بناءً علىٰ الاختيار؛ لأن الاختيار هو في أصل انعقادها فإلحاق الحل به مما لادليل عليه، بل هو مخالف لقوله تعالىٰ: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[١٠]، وأنه كان يعلم علم اليقين بأن الإمام عليّاً أفضل منه، ولذا نصّ عليه عند إستقالته.

---

(١) الطّبقات الكبرىٰ ٣: ١٨٣.

(٢) مجمع الزوائد ٥: ١٨٦.

(٣) السّيرة لابن هشام ٤: ٣١١.

(٤) تأريخ الخلفاء: ٦٦.

(٥) السّيرة الحلبية ٣: ٣٥٩.

(٦) السّيرة النبوية ٤: ٤٩٣.

(٧) الموفقيات: ٥٧٩.

(٨) الشّافيّ ٣: ١١٦.

(٩) الصّواعق المحرقة: الفصل الأوّل من الباب الأوّل.

(١٠) أُنظر، دلائل الصّدق ٣: ١٤، والآية في سورة المائده: ١.

هذا من جهة، ومن جهة أُخرىٰ أراد أن يهيج الرّأي العام عليه ـ علىٰ أميرالمؤمنين ـ ويحرض أعوانه عليه ليبلغ أحد الأمرين، إما انفراد عليّ عليه السلام أو قتله، فيأمن بذلك علىٰ مستقبله.[١] وكيف يصلح للأُمّة مَن كان له شيطان يعتريه وكيف يحافظ علىٰ الأحكام والدّماء والفروج، وعلىٰ هذا يمكن أنْ تعلل حرب أبي بكر للمسلمين بعد أنْ استقام له الأمر واشرأب النّفاق بالمدينة وارتداد العرب كما تقولون، وهم القائلون نصلّي ولا نؤدي الزّكاة... ولذا نرىٰ عمر خلا به نهاره أجمع،[٢] لعله يرجع عن رأيه في قتالهم فلم يفلح.

إذاً عمله هذا من الشّيطان الّذي اعتراه في تلك السّاعة، ولذا نراه في حال عدم وجود الشّيطان في رأسه يقول الحقّ في أثناء محاورته لعبد الرّحمن بن عوف حين حضرته الوفاة، قال عبد الرّحمن: «... خفّض عليك من هذا يرحمك الله، فإنّ هذا يهيضك علىٰ مابك... ولا أراك تأسىٰ علىٰ شيء من الدّنيا فاتك.

قال: أجل، والله ما آسي إلّا علىٰ ثلاث فعلتهن: ليتني كنت تركتهن، وثلاث تركتهن ليتني فعلتهن: وثلاث ليتني سألت رسول الله عنهن، فأما اللاتي فعلتهن وليتني لم أفعلهن: فليتني تركت بيت عليّ وإنْ كان أعلن عليَّ الحرب، وليتني يوم سقيفة بني ساعدة كنت ضربت علىٰ يد أحد الرّجلين... وليتني حين أتيت بذي الفجاءة السّلمي أسيراً... ولم أكن أحرقته[٣]

---

(١) المصدرالسّابق. (بتصرف).

(٢) الإمامة والسّياسة ١: ٣٥، صحيح مسلم كتاب الإيمان باب ٨ ج ١: ٥١، سنن ابن ماجة ٢: ١٢٩٥ باب سنن البيهقيّ ٨: ١٩٠ و ١٩٦، صحيح البخاريّ ٩: ٦ باب ٦، صحيح التّرمذيّ ٤: ٤٩ ح ١٤٤٤، مسند أحمد ١: ٦١ـ٧٠، كنزالعمّال ١٥: ١٤٨.

(٣) تأريخ الطّبريّ ٣: ٤٢٩، ط مصر تحقيق محمّد أبو الفضل، الكامل للمبرد أيضاً ١: ١١ والعقد الفريد ٤: ٢٦٨، وإعجاز القرآن: ١١٦.

بالنّار... إلخ»[١].

هذا وغيره كثير ولسنا بصدد بيان كلّ ماجاء منه قبل وفاتهﷺ. والسّؤال الّذي يطرح نفسه هو: أفبعد كلّ هذا توجد بيعة منصوص عليها أو قرينة من خلال الأحاديث تدل علىٰ خلافة أبي بكر؟

أمّا حال السّقيفة أثناء وبعد وفاتهﷺ فرواياتها كثيرة ومتعددة وألفاظها مختلفة أيضاً، لكننا نختصر الموقف كله عن لسان عمر بن الخطاب، ونشير إلىٰ مصادر الرّوايات الأُخر إشارة عابرة حتىٰ لايطول بنا المقام.

آ. يوم وفاة الرّسولﷺ

توفي رسول اللهﷺ نصف النّهار يوم الإثنين وأبوبكر غائب في السّنح ـ منزل لأبي بكر علىٰ بعد ميل من شرقي المدينة ـ[٢] وعمر حاضر[٣] قالت عائشة: فاستأذن عمر، ومغيرة بن شعبة، ودخلا عليه، فكشفا الثّوب عن وجهه فقال عمر: واغشياه! ماأشد غشي رسول اللهﷺ، ثمّ قاما، فلما انتهيا إلىٰ الباب، قال المغيرة: يا عمر مات والله رسول اللهﷺ، فقال عمر: كذبت مامات رسول الله ولكنك رجل تحوسك فتنة، ولن يموت رسول الله حتىٰ يفني المنافقين...[٤] أخذ عمر يهدد بالقتل من قال: إنّ رسول الله قد مات، ويقول: إنّ رجالاً من المنافقين

---

(١) أُنظر، تأريخ الطّبريّ ٣: ٤٢٩، ط مصر تحقيق محمّد أبو الفضل، الكامل للمبرد ١: ١١ والعقد الفريد: ٢٦، إعجاز القرآن: ١١٦.

(٢) معجم البلدان، وتأريخ الطّبريّ ١: ١٧٦٩، طـأوربا وتأريخ الخميس ١: ١٨٥.

(٣) تأريخ الطّبريّ ٢: ٤٤٢، سيرة ابن هشام ٤: ٣٣١.

(٤) الطّبقات لابن سعد ٢: ٥٤، مسند أحمد ٦: ٢١٩، نهاية الأرب ١٨: ٣٨٥، الذّهبيّ في تأريخه ١: ٣١٧، أنساب الأشراف ١: ٥٦٣، كنزالعمّال ٤: ٥٠.

يزعمون أنّ رسول الله توفي، وإنّ رسول الله ما مات ولكنه ذهب إلىٰ ربه كما ذهب موسىٰ بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلة، ثمّ رجع بعد أنْ قيل مات، والله ليرجعن رسول الله، فليقطعن أيدي رجال وأرجل من يزعمون أنّ رسول الله مات[١]، ثمّ قال: «من قال: إنه مات علوت رأسه بسيفي هذا وإنّما أرتفع إلىٰ السّماء»[٢]. وفي رواية إنه قال: «من قال أنّ محمّداً قد مات ضربته بسيفي»[٣]، فقرأ عليه عمرو بن زائدة الأصم ـ ابن أُمّ مكتوم الأعمىٰ ـ في المسجد قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[٤].

وقال العباس: «إن رسول الله قد مات، وإني رأيت في وجهه مالم أزل أعرفه في وجوه بني عبد المطلب عند الموت»[٥] ولم ينته عمر حتىٰ خرج العباس علىٰ النّاس فقال: «هل عند أحدكم عهدٌ من رسول الله ﷺ في وفاته فليحدثنا؟ فقالوا: لا. قال: هل عندك ياعمر من علم؟ قال: لا. فقال العباس: اشهدوا أيها النّاس أنّ أحداً لايشهد علىٰ رسول الله بعهد عهد إليه في وفاته».[٦] وزاد أبو الفداء في تأريخه: «والله الّذي لا آله إلّا هو لقد ذاق رسول الله الموت»،[٧] ولم يزل عمر يرعد

---

(١) أنساب الأشراف ١: ٥٦٥، البداية والنّهاية ٥: ٢٤٢، تأريخ اليعقوبيّ ٢: ٩٥ والطّبريّ: ١٩٨، تأريخ الخميس ٢: ١٨٥.

(٢) تأريخ أبي الفداء ١: ١٦٤، السّيرة لزيني دحلان ٣: ٣٩٠.

(٣) المصدران السّابقان.

(٤) آل عمران: ١٤٤، وروىٰ ذلك ابن سعد في طبقاته ٢: ٥٧، ابن كثير في تأريخه ٥: ٢٤٣، كنزالعمّال ٤: ٥٣ ح١٠٩٢.

(٥) التّمهيد للباقلانيّ: ١٩٢، شرح المواهب للزّرقانيّ ٨: ٢٨١.

(٦) الطّبقات لابن سعد ٢: ٥٧، تأريخ ابن كثير ٥: ٢٤٣، السّيرة الحلبية ٣: ٣٩٠، كنزالعمّال ٤: ٥٣ ح ١٠٩٢.

(٧) تأريخ أبي الفداء ١: ١٥٢.

ويهدد. فقال العباس: «... إنّ رسول الله قد مات فأدفنوا صاحبكم...»،[١] «فما زال عمر يتكلم حتىٰ أزبد شدقاه»،[٢] فذهب سالم بن عبيد، وراء الصّديق إلىٰ السّنح فأعلمه بموت رسول الله[٣]. فأقبل أبوبكر ـ فوجد عمر قائماً يوعد النّاس ويقول: إن رسول الله حيّ لم يمت... لكن عمر حينما رأىٰ أبابكر مقبلاً جلس[٤]، وهنا وقف أبوبكر وحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمّ قال: من كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لا يموت، ومن كان يعبد محمّداً فإنّ محمّداً قد مات، ثمّ قرأ الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ...﴾[٥] فقال عمر. هذا في كتاب الله؟ قال: نعم[٦].

وهنا تركوا رسول الله ﷺ كما هو وأغلقوا الباب دونه وأسرعوا إلىٰ السّقيفة[٧].

وكانت الأنصار قد سبقت إلىٰ سقيفة بني ساعدة للمذاكره في الإمارة وتبعهم جماعة من المهاجرين ولم يبقَ حول رسول الله إلّا أقاربه، وهم تولوا غسله وتكفينه[٨]، وذكرت المصادر أنّ الّذين أجتمعوا لغسل رسول الله ﷺ هم: «عمّه

---

(١) الطّبقات ٢: ٥٣، أنساب الأشراف ١: ٥٦٧، سنن الدارميّ: ٣٩، كنزالعمّال ٤: ٥٣ ح ١٠٩٠، تأريخ الخميس ٢: ١٨٥... إلخ.

(٢) أُنظر، المصادر السّابقة.

(٣) تأريخ ابن كثير ٥: ٢٤٤.

(٤) تأريخ الطّبريّ ٢: ٤٤٣، وابن كثير ٥: ٢٤٢، شرح النّهج لابن أبي الحديد ١: ٦٠، كنزالعمّال ٤: ٥٣ ح ١٠٩٢.

(٥) آل عمران: ١٤٤.

(٦) الطّبقات ٢: ٥٤، الطّبريّ ٢: ١٨١٦، طـأوربا، ابن كثير ٥: ٢٤٣، السّيرة الحلبية ٣: ٣٩٢.

(٧) البدء والتّأريخ ٥: ٦٥، سيرة ابن هشام ٤: ٣٣٦، تأريخ الخميس ١: ١٨٦، الرّياض النّضرة ١: ١٦٣، تأريخ الطّبريّ ٢: ٤٥٦.

(٨) مسند أحمد ١: ٢٦٠ البدء والتّأريخ ٥: ٦٨، التّنبيه والأشراف للمسعوديّ: ٤٤، تأريخ الخميس ١: ١٨٩، الطّبريّ ٢: ٤٥١، ابن كثير ٥: ٢٦٠، صفة الصّفوة ١: ٨٥، تأريخ أبي الفداء ١: ١٥٢، أُسد الغابة ١: ٣٤، العقد الفريد ٣: ٦١، تأريخ الإسلام للذهبيّ ١: ٣٢١، الطّبقات ٢: ٧٠.

العباس بن عبد المطلب، وعليّ بن أبي طالب، والفضل بن العباس، والقثم بن العباس، وأُسامة بن زيد بن حارثة، وصالح مولاه، وأسنده عليّ إلىٰ صدره وعليه قميصه...»[١].

وبعد هذا وذاك نطرح التّساؤلات التّالية والّتي تدور حول هذه القصة.

١. ألم يكن قول عمر للمغيرة بن شعبة: «لكنك رجل تحوسك فتنة، ولن يموت رسول الله حتىٰ يفني المنافقين»، هو تثبيت وتنصيص من قبله علىٰ أنّ المغيرة بن شعبة بن أبي عامر هو أحد المنافقين؟ ودخل في الإسلام عام الخندق وبقي منافقاً حتىٰ توفي سنة (٥٠ هـ) بعد أنْ كان أميراً علىٰ البصرة[٢] في ولاية عمر بن الخطاب، ثمّ تولىٰ الكوفة من قبل معاوية بن أبي سفيان[٣].

ثمّ كيف تعدونه من الصّحابة وأهل الحل والعقد؟ وكيف يولىٰ المنافق علىٰ المسلمين؟ وبالتالي ألم تسقط نظرية الصّحابة الّتي تدل علىٰ أنهم كلّهم عدول من هذا السّبب وغيره؟ أمّا إذا رفضتم ذاك فكيف توجهون كلام صحابي ـ جليل كما تقولون ـ بأنْ يتهم صحابياً آخر بالكذب والنّفاق؟ ألم يكن هذا الاتهام باطلاً؟ والباطل لا يأتي إلّا من الباطل؟ والنّتيجة أنّ كلام عمر بن الخطاب هذا باطل. فكيف نستدل به بعد ذلك؟ وهذا مجرد سؤال وليس باستدلال علىٰ إبطال كلام الخليفة الثّاني عمر بن الخطاب؟

٢. ألا تستشفون من كلام عمر بن الخطاب هذا بأنه أوّل المغالين في الإسلام،

---

(١) الاستيعاب ٤: ٦٥ و٦٦ و٢٠٢ و٢٦٢ و١: ٣٤ و٤٨، أُسدالغابة ٥: ١٨٨ و٤: ١٨٤ و١٩٧ و٣: ١ و١: ١٤٥، الإصابة ٤: ٦٦ و٣: ٢١٨ و٢٠٢ و١: ٤٦ و ٩٥ و٢: ١٥٠، الأغانيّ ٦: ٥٦.

(٢) الاستيعاب ٣: ٢٦٨، أُسد الغابة ٤: ٤٠٦، الإصابة ٣: ٤٣٢.

(٣) المصادر السّابقة.

ثمّ أخذت الفرق المغالية الغلو منه؟ بعد أنْ أنكر موت الرّسول ﷺ، ثمّ تتهمون الآخرين بالغلو والمغالاة! ألا تعتقدون بأنّ الغلو أخذ ينتشر من تلك المقولة العُمرية حتىٰ وصل الأمر بمجموعة من أصحاب السّيدة عائشة يوم الجمل أنْ يشمّوا بعر الجمل بعد أنْ يفتوه، ثمّ يقولوا: بعر جمل أُمّنا عائشة فيه ريح مسك الجنّة؟ بينما عمر بن الخطاب في إمارته ينهىٰ عن المغالاة في صداق النّساء. وقد روىٰ ذلك أصحاب الحديث والتّفسير وذكروا المحاورة الّتي دارت بين عمر بن الخطاب، والمرأة القرشية عندما قالت له: يا أميرالمؤمنين: أكتاب الله أحقّ أنْ يُتبع أم قولك؟ قال: بل كتاب الله تعالىٰ، فما ذاك؟ قالت: نهيت النّاس آنفاً أنْ يغالوا في صداق النّساء والله تعالىٰ يقول: ﴿...وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَاتَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا...﴾[1] فقال عمر: كلّ أحد أفقه من عمر...[2]. وفي رواية أُخرىٰ قال عمر: «إن امرأة خاصمت عمر فخصمته»[3]. وفي رواية ثالثة قال عمر: «امرأة أصابت ورجل أخطأ»[4].

ونحن نعلم بأن رسول الله ﷺ كفر الغلاة فجاء عنه ﷺ: «صنفان من أُمّتي لا نصيب لهما في الإسلام: النّاصب لأهل بيتي حرباً، وغالٍ في الدّين مارق منه»،[5] وقال ﷺ: «لا ترفعوني فوق حقي، فإن الله تعالىٰ اتخذني عبداً قبل أنْ يتخذني

---

(١) النّساء: ٢٠.

(٢) تفسير الدّر المنثور في التّفسير بالمأثور ٢: ١٣٣، السّنن الكبرىٰ ٧: ٢٣٣، المستدرك علىٰ الصّحيحين ٢: ١٧٧، إرشاد السّاريّ ٨: ٥٧، كنزالعمّال ٨: ٢٩٨، تفسير القرطبيّ للآية والزّمخشري وابن كثير والسّيوطيّ وتفسير الخازن والنّيسابوريّ وغيرهم كثير.

(٣) شرح النّهج للمعتزليّ ٣: ٩٦.

(٤) الحاكم في المستدرك ٢: ١٧٧.

(٥) من لا يحضره الفقيه ٣: ٤٠٨ ح ٤٤٢٥.

رسولاً»،[١]. وقال الإمام عليّ عليه السلام: «اللّهمّ إني بريء من الغلاة كبراءة عيسىٰ ابن مريم من النّصارى، اللّهمّ اخذلهم أبداً ولا تنصر منهم أحداً»،[٢] وقال الإمام عليّ ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «إن اليهود أحبوا عزيراً حتىٰ قالوا فيه ماقالوا، فلا عزير منهم ولاهم من عزير، وإن النّصارىٰ أحبوا عيسىٰ حتىٰ قالوا فيه ماقالوا، فلا عيسىٰ منهم، ولا هم من عيسىٰ»،[٣] وقال الإمام الصّادق عليه السلام: «لاتصلِّ خلف الغالي وإن كان يقول بقولك، والمجهول والجاهر بالفسق وإن كان مقتصداً[٤]. والسّؤال الّذي يطرح نفسه هو أين تضعون وتصنفون الخليفة عمر بن الخطاب من هؤلاء الّذين لانصيب لهم في الإسلام كما تدعون وليس كما يدعي الخصم عليكم؟ وفوق كلّ هذا تتهمون الآخرين وتكتبون وتؤلفون الكتب وتدعون بأنّ بعض الفرق قد غلت وغالت ببعض الأفراد. ألا تعتقدون بأنّ المثل ينطبق عليكم كما يقول القائل «رمتني بدائها وانسلت»، أوكما قال تعالىٰ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[٥].

٣. لماذا لم يُغير عمر بن الخطاب رأيه بكلام المغيرة بن شعبة؛ لأنه صحابيّ علىٰ رأيكم وقوله حجّة؟ ولماذا لم يُغير رأيه أيضاًبكلام ابن أُمّ مكتوم عندما قرأ عليه الآية الّتي نصت علىٰ أنّ النّبيّ يموت؟ ولماذا لم يُغير ولم يبدل رأيه حتىٰ بكلام عمّ النّبيّ العباس بن عبد المطلب، ولا حتىٰ بمشاهدته هو بنفسه ـ أي الخليفة عمر ـ للنبي صلى الله عليه وآله عندما كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله، أحقاً كما تقولون إنه خاف من

---

(١) المعجم الكبير ٢: ١٢٨ ح ٢٨٨٩.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٢٦٣.

(٣) رجال الكشي ١: ٣٣٦ ح ١٩١.

(٤) التّهذيب ٣: ٣١ ح ١٠٩.

(٥) الصّف: ٣.

إستيلاء المنافقين علىٰ الإمارة؟ أو خاف من تشتت المسلمين وتفرقهم؟ أو... أو...

والسّؤال الّذي يطرح نفسه: هل يوجد بالمدينة العدد الكافيّ من المنافقين بحيث يصل الأمر بعمر بن الخطاب أنْ يخشىٰ ويخاف علىٰ المسلمين من المنافقين وهو المعروف عندكم بشجاعته؟ وكيف تقبلون مقولة عمر بأنّ النّبيّ لم يمت، وأنه ذهب إلىٰ ربه وهم ـ أي المنافقون ـ لا يؤمنون بنبوته ﷺ أصلاً؟ بالإضافة إلىٰ ذلك أنهم يرونه مسجىً وساكن الحركة أمامهم، وفيهم مَن فيهم من الحكماء والأطباء والأحبار و... و... فلماذا لاينعكس الأمر ويعتبرون مقولة عمر بن الخطاب هذه من الهذيان والخرافات؟ ثمّ إنكم تعتبرون الصّحابة وعمر من أجلائهم وكلّهم عدول والمنافق بينهم قليل مستور...؟

أمّا قولكم بأنه خاف من تشتت وتفرق المسلمين وأمر الإسلام، فهنا نسأل هل كان عمر بن الخطاب أحرص من رسول الله ﷺ علىٰ الإسلام والمسلمين بحيث يتركهم رسول الله ﷺ بدون راعٍ وأمير من بعده؟ وهل عمر بن الخطاب اعلم من رسول الله ﷺ بأن المنافقين يترقبون موت رسول الله ﷺ وتشتت المسلمين، ثمّ ليسيطروا هم علىٰ الأمر؟ وإذا كان حقاً ماتقولون فما هو الدّليل علىٰ ذلك؟ ولم تذكر كتب التّأريخ لنا بأنّ رسول الله ﷺ حذر من إستيلاء المنافقين بعد موته ﷺ بل إنّ اللّٰه سبحانه حذر من الانقلاب علىٰ الأعقاب والارتداد عن الدّين كما قال تعالىٰ: ﴿...أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ...﴾[1]. أمّا إذا قلتم بأن عمر بن الخطاب قد أصابه الذّهول والدّهشة فخرج من حال العلم إلىٰ عدمه، ومن التّوازن إلىٰ الاضطراب، لشدة الصّدمة والمصيبة من جهة، والمحبة المفرطة الّتي اختص بها

---

(١) آل عمران: ١٤٤.

رسول الله ﷺ في قلب عمر بن الخطاب. فالسؤال هو: لماذا لم يصبه هذا الذّهول أثناء سكرات موت رسول الله ﷺ وقال بكل صراحة وشجاعة وجرأة إنه ـ أي رسول الله ـ ليهجر؟ ثمّ كيف يحتمل رجوعه بعد أنْ رآه قد مات؟ ولماذا يصيبه الذّهول وهو يعلم أنّه لم يمت كما تدعون؟ وهل تجتمع المحبة الصّادقة والإيذاء في قلب عمر بن الخطاب لأخص النّاس به؟

ثمّ السّؤال الّذي يطرح نفسه أيضاً هو: هل هذه هي المرة الأُولىٰ والأخيرة الّتي يؤذي فيها عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ؟ لقد ذكر الواقديّ في مغازيه: «إن عمر ابن الخطاب رد علىٰ كلام رسول الله ﷺ غير مرة، وشك في إيمانه. قال الواقديّ: فكان ابن عباس يقول: قال لي عمر بن الخطاب في خلافته... وذكر القصة الّتي وقعت في صلح الحديبية، وقال: «ارتبت ارتياباً لم أرتبه منذ أسلمت إلّا يومئذ، ولو وجدت ذلك اليوم شيعة تخرج عنهم رغبة عن القضية لخرجت..»[1].

ورويت هذه القصة في مصادر كثيرة عندما قاضىٰ فيه رسول الله ﷺ أهل مكّة ـ في الحديبية ـ فقال عمر بن الخطاب: «جئت إليه فقلت له: يارسول الله ألست بنبي؟ فقال: بلىٰ، فقلت: ألسنا بالمؤمنين؟ قال: بلىٰ، فقلت: فعلامَ تُعطي هذه الدّنية من نفسك؟ فقال: إنّها ليست بدنية ولكنها خير لك، فقلت له: أليس قد وعدتنا أنْ ندخل مكّة؟ قال: بلىٰ قلت: فما بالنا لا ندخلها؟ قال: أوعدتك أنْ تدخلها العام؟ قلت: لا، قال: فسندخلها إن شاء الله تعالىٰ... فاعترف بشكه..»[2].

---

(١) مغازي الواقديّ ٢: ٦٠٧، ط بيروت.

(٢) صحيح مسلم في باب: من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنّة. وصحيح مسلم في باب صلح

↔

وها هو عمر بن الخطاب يجذب رسول الله ﷺ عندما أراد أنْ يُصلي علىٰ ابن أُبي المنافق، وجاء ابنه وقال: يارسول الله أعطني قميصك أكفنه فيه... فجاء ﷺ ليصلي عليه، فجذبه عمر فقال له: أليس قد نهاك ربّك أنْ تُصلي علىٰ المنافقين...؟[١]

(٤) لماذا غير عمر بن الخطاب وبدل رأيه واستقر وهدأ روعه عند دخول ـ أو بالأحرىٰ عندما رأىٰ وشاهد دخول ـ أبي بكر وسمع قوله واطمأن علىٰ مايُريد تحقيقه من الاتفاق السّابق، ولذا قال: «والله ما هو إلّا أنْ سمعت أبا بكر يتلوها ـ الآية ـ فعقرت حتىٰ وقعت علىٰ الأرض ماتحملني رجلاي، وعرفت أنّ رسول الله قد مات»[٢].

والسّؤال الّذي يطرح نفسه: ما هو الفرق بين قراءة ابن أُمّ مكتوم للآية وإخبار عمر بن الخطاب بها، وقراءة أبي بكر للآية؟ ثمّ لماذا يبقىٰ عمر بن الخطاب يرعد ويزبد عندما اخبره المغيرة، وابن أُمّ مكتوم، والعباس عمّ النّبيّ ﷺ ويهدأ عندما يرىٰ أبابكر؟ وهل حزنه وروعه ودهشته ـ كما تقولون ـ كله علىٰ فقد رسول الله ﷺ،[٣] ولكن خرج كلّ هذا من فكره ورأسه عندما رأىٰ أبابكر ـ أي بمعنىٰ آخر عاد إليه رشده ووعيه وزال عنه ذهوله المفرط ـ بمجرد أنْ رأىٰ أبا بكر؟ أم وراء

⇔ الحديبية ج١، صحيح البخاريّ ٢: ٨١، آخر كتاب الشّروط، المغازي ٢: ٦٠٥ و ٦٠٦، لتجد أشنع من هذا والبخاريّ ٤: كتاب أستتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، شرح النّهج لابن أبي الحديد في شرح النّهج ١٢: ١٠٢، مختصر تأريخ ابن عساكر ١١: ٤٥، ترجمة ضبيع بن عسل، الفصول المختارة للشيخ المفيد: ٩.

(١) البخاريّ ٤: ١٨، صحيح مسلم ٨: ١٢٠، الكامل لابن الأثير ٢: ١٩٩، كنز العمّال ١: ١٤٧ ح ٤٤٠٣.

(٢) أُنظر، ابن هشام ٤: ٣٣٤، تأريخ الطّبريّ ٢: ٤٤٢، نهاية الإرب ١٨: ٣٨٧، كنزالعمّال ٤: ٤٨ ح ١٠٥٣، صفة الصّفوة ١: ٩٩، شرح النّهج لابن أبي الحديد ١: ١٢٨، ابن كثير ٥: ٢٤٢، ابن الأثير ٢: ٢١٩.

(٣) أُنظر، السّيرة الحلبية ٣: ٣٩٢، وبهامشه ٣: ٣٩١.

ذلك شيء آخر؟ ثمّ لماذا بعد هذا الحزن الشّديد يترك رسول الله ﷺ مسجىً بين أهله في بيته ويسارع إلىٰ السّقيفة ويجادل الأنصار؟ أم أننا نعود إلىٰ كلام شرح النّهج لابن أبي الحديد المعتزليّ الّذي يفسر ذلك بقوله: «إن عمر بن الخطاب لما علم أنّ رسول الله قد مات خاف من وقوع الفتنة في الإمامة... إما من الأنصار أو من غيرهم... إلىٰ أن جاء أبو بكر»[١]. وهذا الكلام بنفسه يفيد بأنّ هنالك شيئاً ما راسخاً في ذهن الخليفة عمر بن الخطاب، وهو في كلّ هذا الوقت يعلم بأن رسول الله ﷺ قد مات، سبق وأن أخبرهم بأنه ﷺ علىٰ وشك الرّحيل. فأظهر أنه لم يمت إلىٰ أن جاء صاحبه وبدءا تحركهما علىٰ السّقيفة. ويدلل علىٰ ذلك قول الشّهرستانيّ: «قال عمر بن الخطاب: «كنت أزوّرُ في نفسي كلاماً في الطّريق، فلما وصلنا إلىٰ السّقيفة أردت أن أتكلم. فقال أبو بكر: مَه ياعمر... وذكر ماكنت أقدره في نفسي كأنه يخبر عن غيب...»[٢]، ثمّ كيف علم هو باجتماع الأنصار؟ ومَن الّذي أخبره؟ كلّ هذا وذاك يثير علامة تعجب واستفهام!؟

إذاً هنالك تدبير وتنسيق مسبق بين الأصحاب والأحباب علىٰ هذا المؤتمر، وعلىٰ الاتفاق بين عمر وأبي بكر؛ لأن عمر رأىٰ وعلم أنّ الهاشميين وبعض الصّحابة، كسلمان، وأبي ذر، وعمار، وحذيفة و... و... يريدون طبقاً لما سمعوه من رسول الله ﷺ من أحاديث وآيات قرآنية بحقّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبيعة أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فخاف عمر بن الخطاب أنْ يُبايع هؤلاء ويتبعهم النّاس لسبق نصّ الغدير وغيره... فادعىٰ أنّ النّبيّ ما مات، ليشغل

---

(١) شرح النّهج ٢: ٤٣.

(٢) الملل والنّحل: ٧، الصّواعق المحرقة: ١٠، تأريخ الطّبريّ ٣: ٢٠٥، الكامل في التّأريخ ٢: ٣٢٧، أنساب الأشراف ١: ٥٨٤.

النّاس وقتاً ما حتىٰ يأتي صاحبه من منزله بالسنح ليعملا رأيهما ويمضيا علىٰ ما أبرماه وأصحابهما في الصّحيفة من منع عليّ بن أبي طالب من إستلام زمام الولاية والخلافة بعد رسول اللهﷺ. وهذا ما سنبينه في الحديث عن السّقيفة.

ب. دفن رسول اللهﷺ

ذكر ابن سعد في طبقاته الكبرىٰ أنه: «توفي رسول الله يوم الإثنين حين زاغت الشّمس، فشغل النّاس عن دفنه»[١]. وهذا يعني أنّ النّاس شغل عن رسول الله بقية يوم الإثنين حتىٰ عصر الثّلاثاء بخطب السّقيفة وبيعة أبي بكر، وخطب عمر ابن الخطاب، وأبي بكر، والأنصار... إلىٰ أنْ تمّ التّآمر من قبل المؤتمرين وبويع أبو بكر فأقبل النّاس علىٰ جهاز رسول الله يوم الثّلاثاء[٢]، ثمّ دخل النّاس يصلون عليه[٣]، بغير إمام، يدخل عليه المسلمون زُمراً زُمراً يصلون عليه[٤]، ثمّ تولىٰ وضع رسول الله في قبره الرّهط الّذي أشرنا إليه سابقاً: وهم عمّه العباس، وعليّ، والفضل، والقثم، وأُسامة... ودخل القبر معهﷺ عليّ، والفضل، وقثم، ابنا العباس، وشقران مولاه[٥]. ولم يشهد أبو بكر، وعمر دفن رسول الله[٦]. وهذا ليس بغريب عنهما.

من هنا يتبين لنا بطلان دعوىٰ ابن خلدون وغيره بأنّ رسول الله مات ورأسه

---

(١) الطّبقات الكبرىٰ ٢: ق٢ ص: ٧٨، ط ليدن.

(٢) تأريخ الطّبريّ ٢: ٤٥٠، سيرة ابن هشام ٤: ٣٤٣، ابن كثير ٥: ٢٤٨، ابن الأثير ٢: ١٢٦، السّيرة الحلبية ٣: ٣٩٢.

(٣) السّيرة لابن هشام ٤: ٣٤٣.

(٤) المصادر السّابقة.

(٥) العقد الفريد ٣: ٦١، تأريخ الذّهبيّ ١: ٣٢١.

(٦) كنز العمّال ٣: ١٤٠.

في حجرها «عائشة»[١]. بالإضافة إلىٰ أنّها قالت ـ أي عائشة: «ما علمنا بدفن رسول الله حتىٰ سمعنا صوت المساحي من جوف اللّيل، ليلة الأربعاء»،[٢] وقيل ليلة الثّلاثاء،[٣] ولكن الصّحيح هو الأول،[٤] وسمع بنو غُنيم صريف المساحي أيضاً وهم في بيوتهم. وها هي أُمّ سلمة تقول: «والّذي أحلف به إن كان عليّ لأقرب النّاس عهداًبرسول الله ﷺ...، ثمّ قالت: فأكب عليه رسول الله ﷺ وجعل يساره ويناجيه، ثمّ قبض رسول الله ﷺ من يومه ذلك فكان عليّ أقرب النّاس عهداً به»،[٥] وعن جابر بن عبد الله الأنصاريّ قال: «إن كعب الأحبار سأل عمر ابن الخطاب: ما كان آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ فقال عمر بن الخطاب: سل عليّاً، فسأله كعب، فقال عليّ: أسندت رسول الله ﷺ إلىٰ صدري فوضع رأسه علىٰ منكبي فقال: الصّلاة، الصّلاة، قال كعب الأحبار: كذلك آخر عهد الأنبياء وبه أمروا وعليه يبعثون. قال كعب: فمن غسله يا أميرالمؤمنين؟ فقال عمر بن الخطاب: سل عليّاً فسأله فقال عليه السلام: «كنت أنا أُغسله».[٦] وقيل لابن عباس: أرأيت رسول الله ﷺ توفي ورأسه في حجر أحد؟ قال: نعم، توفي وإنه لمسند إلىٰ صدر عليّ، فقيل له: إن عروة يحدث النّاس عن عائشة أنّها قالت: توفي بين سحري ونحري، فأنكر ابن عباس ذلك، قائلاً للسائل: أتعقل والله لتوفي رسول الله ﷺ وأنه لمستند إلىٰ صدر عليّ وهو الّذي غسله.[٧] وقد روىٰ موت النّبيّ ﷺ

---

(١) تأريخ ابن خلدون ٢: ٤٦٦.

(٢) السّيرة لابن هشام ٤: ٣٤٤، تأريخ الطّبريّ ٢: ٤٥٣، ابن كثير ٥: ٢٧٠، أُسد الغابة ١: ٣٤.

(٣) الطّبقات الكبرىٰ ٢: ٧٨، تأريخ الخميس ١: ١٩١، تأريخ الذّهبيّ ١: ٣٢٧.

(٤) مسند أحمد ٦: ٦٢، بلفظ في آخر ليلة الأربعاء.

(٥) مستدرك الحاكم ٣: ١٣٨.

(٦) الطّبقات الكبرىٰ لابن سعد ٢: ٢٦٢.

(٧) الطّبقات الكبرىٰ ٢: ٢٦٣.

وهو علىٰ صدر عليّ كثير من أهل السّنة فلاحظ المصادر.[١] وأمّا عن طريق أهل البيت عليهم السلام فهو أكثر مما يحصىٰ، ولسنا بصدد مناقشة السّيدة عائشة، ومن أراد المزيد فعليه مراجعة كتاب السّيد العلاّمة مرتضىٰ العسكريّ في أحاديث عائشة أُمّ المؤمنين، وكذلك كتاب المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدّين رحمه الله.

ج. السّقيفة برواية عمر بن الخطاب:

سبق أن أشرنا إلىٰ أنّ الشّيخين تركا رسول الله مسجىً كما هو وأغلقوا الباب دونه وأسرعوا إلىٰ السّقيفة، وكانت الأنصار قد سبقتهم إليها للمذاكرة في الإمارة والخلافة، وتبعهم جماعة من المهاجرين، ولم يبقَ حول رسول الله إلّا أقاربه الّذين غسلوه وكفنوه ودفنوه... ولذا قال عمر بن الخطاب: «كان من خبرنا حين توفّىٰ الله نبيه، أَن الأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا عليّ، والزّبير، ومن معهما، فقلت لأبي بكر: إنطلق بنا إلىٰ إخواننا الأنصار. فانطلقنا حتىٰ أتيناهم، فإذا رجل مزمل فقالوا: هذا سعد بن عبادة يوعك، فلما جلسنا قليلاً، تشهد خطيبهم فأثنىٰ علىٰ الله، ثمّ قال: أمّا بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهط...فأردت أنْ أتكلم، فقال أبو بكر: علىٰ رسلك. فتكلم هو، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلّا قال في بديهته مثلها... وقد رضيت لكم أحد هذين الرّجلين فبايعوا أيهما شئتم، فأخذ بيدي، وبيد أبي عبيدة ابن الجراح... فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير... فكثر اللّغط وارتفعت الأصوات حتىٰ تخوفت من الاختلاف

---

(١) تأريخ دمشق ترجمة عليّ بن أبي طالب ٣: ١٤ ح ١٠٢٧ و ١٠٢٨، مجمع الزّوائد ٩: ٣٦ و١٢٢، شرح النّهج للمعتزلي ٢: ٥٧١، ولمحمّد عبدة ٣: ٣٨٩، الطّبقات الكبرىٰ ٢: ٢٦٢، تأريخ المدينة للسّمهوديّ ١: ٢٣، كنزالعمّال ٧: ١٧٩.

فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر. فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون، ثمّ بايعه الأنصار...»[١].

وفي رواية الطّبريّ أيضاً قريب من هذا اللّفظ: «أجتمعت الأنصار... وتركوا جنازة الرّسول يغسله أهله، فقالوا: نولي هذا الأمر بعد محمّد، سعد بن عبادة، واخرجوا سعداً إليهم وهو مريض، ثمّ إنهم ترادوا الكلام بينهم، فقالوا فإنْ أبت مهاجرة قريش فقالوا... فقالت طائفة منهم: فإنّا نقول أذاً: منا أمير ومنكم أمير. فقال سعد بن عبادة، هذا أوّل الوهن[٢]... فقام الحباب بعد أنْ خطب أبوبكر قال: يامعشر الأنصار أملكوا عليكم أمركم... فقال عمر بن الخطاب: هيهات! لا يجتمع اثنان في قرن... والله لا ترضىٰ العرب أنْ يؤمروكم ونبيها من غيركم... مَن ذا ينازعنا سلطان محمّد وإمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته إلّا مدل بباطل أو متجانف لإثمّ أو متورط في هلكة. فقام الحباب، وكرر كلامه السّابق... فقال عمر ابن الخطاب: أذاً يقتلك الله. قال: بل إياك يقتل... فأقبل النّاس يبايعون أبا بكر... فقال أناس من أصحاب سعد بن عبادة: اتقوا سعداً لاتطؤوه... فقال عمر: اقتلوه، قتله الله..، ثمّ قام علىٰ رأسه فقال: لقد هممت أنْ أطأك حتىٰ تندر عضوك، فأخذ قيس بن سعد بلحية عمر بن الخطاب فقال: والله لوحصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة... فقال أبو بكر: مهلاً ياعمر، الرّفق ها هنا أبلغ... فأعرض عنه عمر... وقال الجوهري: «إن عمر كان يومئذ محتجزاً يهرول بين يدي أبي بكر ويقول ألا إن النّاس قد بايعوا أبا بكر...»[٣] واندحر سعد

---

(١) صحيح البخاريّ ٤: ١٢٠، كتاب الحدود باب رجم الحُبلىٰ من الزّنا، الطّبقات الكبرىٰ ٢: ٢٦٣، كنزالعمّال ٤: ٥٦ و ٦٠، العقد الفريد ٣: ٦١.

(٢) تأريخ الطّبريّ ٢: ٢٠١ و ٢٥٦ حوادث سنة ١١هـ، ابن الأثير ٢: ١٢٥، تأريخ الخلفاء لابن قتيبة ١: ٥.

(٣) تأريخ اليعقوبيّ ٢: ١٠٣، الطّبريّ ٣: ٢٠٨، ابن الأثير ٢: ١٢٣، سيرة ابن هشام ٤: ٣٣٦ شرح النّهج ٢: ٣ و

ومرشحوه، وبقي عليّ وجماعته.

وقال الزّبير بن بكار في الموفقيات: «لما بُويع أبو بكر واستقر أمره، ندم قوم كثير من الأنصار علىٰ بيعته ولاَم بعضهم بعضاً، وذكروا عليّ بن أبي طالب وهتفوا باسمه...»[١] وبعد كلّ هذا نطرح بعض التّساؤلات علىٰ أصحاب الضّمائر الحية والأقلام الحرة والمنصفة ونرجوهم أنْ يحذروا من بعض الأقلام؛ لأنّها مأجورة لاتريد الحقّ، بل تريد الفتنة:

١. ألا تستنتجون من هذا أنّ هذه هي أوّل حركة سياسية تطرح نفسها بعد موت رسول الله ﷺ إنْ لم تكن قد خُطط لها من قبل؟. ألا وهي حركة الأنصار لمبايعة سعد بن عبادة، ولكن هذه الحركة قد أجهز عليها عمر بن الخطاب عندما علم باجتماعهم حين وشىٰ بأمر اجتماعهم إليه «عويم بن ساعدة»، من الأوس و«معن بن عدي»، من الخزرج... وباءت بالفشل محاولات الحباب بن المنذر؛ لأن اجتماعهم لم يكن في سبيل الحقّ ونصرة أهله، ويظهر ذلك من قول الحباب: «إنه الخوف من أنْ يلي الأمر بعدهم من قتلوا أبناءهم وآباءهم وأخوانهم...»[٢] وأنهم أهل دار هي دار الهجرة الّتي أنطلقت منها الرّسالة الإسلاميّة وأكتسحت الجزيرة العربية... وأنهم... وأنهم... بذلوا في سبيل الدّعوة الإسلاميّة دماءهم وأموالهم و... و... وبالتالي أنهم أصحاب الحقّ. ولكن كلّ هذه الحجج لم تثبت أمام المخطط التّآمري المعاكس لهذه الحركة وأمام خطبة أبي بكر الّتي وجهها، وهي الخطبة الّتي شقت الأنصار إلىٰ نصفين وزرعت فيهم الخصائص النّفسية، والقبلية،

↔ ١: ١٣٣، العقد الفريد ٤: ٢٥٨.

(١) الموفقيات: ٥٨٣، شرح النّهج ١: ١٢٢ و ٢: ٨.

(٢) شرح النّهج ٢: ٥٣، تحقيق محمّد أبو الفضل. تأريخ الطّبريّ ٣: ٢٢٠، الإمامة والسّياسة: ١٧.

والنّعرات العصبية والجاهلية الحمقاء، فقال أبوبكر: «إن هذا الأمر إنْ تطاولت إليه الخزرج لم تقصر عنه الأوس، وإنْ تطاولت إليه الأوس لم تقصر عنه الخزرج، وقد كان بين الحيين قتلىٰ وجراح لا تداوىٰ، فإنْ نعق منكم ناعق فقد جلس بين لحيي أسد، يضغمه المهاجري، ويجرحه الأنصاريّ».[١]

حقاً إنّها خطبة سياسية وفيها دقة من البلاغة؛ لأنه شبه لحيي الأسد بالقرشيّ والأنصاريّ الخزرجي. وفعلاً تلاعب بالنفوس وحطم شعار الوحدة النّفسية الّتي كانت تجمع بين فريقي الأنصار، ولذا بادر سيد الأوس «أُسيد بن حضير»، إلىٰ البيعة لأبي بكر،[٢] وتبعهم بعد ذلك الخزرج إلّا سيدهم سعد بن عبادة الّذي قال: «... وأيم الله! لو أنّ الجن أجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتىٰ أعرض علىٰ ربي»،[٣] وبعد هذا وجه أبوبكر إليهم نداء التّرغيب وأطمعهم بعد بيعته حيث قال: «... فنحن الأُمراء وأنتم الوزراء لا تفتأون بمشورة ولاتقضىٰ دونكم الأُمور».[٤]

وهكذا أتخذت هذه البيعة صبغة شخصية نأت بها عن وظيفتها الدّينية، من خلال الخطب، والمناورات السّياسية، والتّهديد والتّخويف، والّتي لم ترد فيها أي إشارة للمسؤولية الدّينية، بل ظهر جلياً العنصر القبليّ، ولذا نجد الطّرف الآخر كان منشغلاً بما فُدح به من وفاة رسول الله ﷺ حيث كانوا يقومون بواجبهم تجاه دفن رسول الله ﷺ وهكذا تقرر مصيرالخلافة بمبايعة أبي بكر في «السّقيفة»، دون أنْ يعلم أحد من هذا الطّرف، حتىٰ خرج القوم من السّقيفة إلىٰ المسجد وأتىٰ البراء

---

(١) البيان والتّبيين ٣: ٣٩٨.

(٢) تأريخ الطّبريّ ٣: ٢٠٩.

(٣) تأريخ الطّبريّ ٣: ٢١٠، الإمامة والسّياسة ١: ١٧، شرح النّهج لابن أبي الحديد ٢: ٣٩.

(٤) تأريخ الطّبريّ ٣: ٢٢٠، النّهج الحديديّ ٢: ٣٨، الإمامة والسّياسة ١: ١٤.

ابن عازب يذيع بين رواده نتيجة ما توصل إليه المجتمعون.[١] ولذا نرىٰ الإمام عليّاً عليه السلام وأصحابه يفاجأون بالنباء، كأنهم أخذوا علىٰ حين غرة وهو القائل لعمه وقد طلب منه أن يتصدىٰ فقال عليه السلام: «أويطمع ياعمّ فيها غيري؟»[٢].

٢. ألا تعتقدون أنّ هذه البيعة تمت بالجبر والإكراه، إذ لم يحضر من قريش إلّا أبو بكر وهو من بني تيم، وعمر بن الخطاب وهو من بني عدي، وأبو عبيدة بن الجراح وهو من بني الحارث وهذه البطون الثّلاثة ليست من عشيرة الرّسول الأقربين، بالإضافة إلىٰ إنّها تمت بغياب المهاجرين كلّهم سوىٰ مَن ذكرنا؟

وكذلك تمت البيعة في غياب العترة الطّاهرة والّتي هي ناصية قريش.

ووجدنا بالتالي أبابكر هو الأمير، وعمر بن الخطاب، وأبا عبيدة بن الجراح نائبيه، والمجتمعين بالمسجد هم جيشه، ولذا قال ولي العهد عمر بن الخطاب: «مالي أراكم حلقاً شتىٰ؟ قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته الأنصار»[٣]، فقام عثمان بن عفان ومَن معه من بني اُميّة فبايعوا، وقام سعد بن أبي وقاص ومَن معه من بني زهرة فبايعوا، أمّا عليّ والعباس ومَن معهم من بني هاشم، فقد انصرفوا إلىٰ رحالهم ومعهم الزّبير بن العوام.[٤] وبالتالي ليس أمام هؤلاء النّاس إلّا أنْ يُبايعوا وذلك؛ لأن عمر بن الخطاب هو الّذي أصدر أمراً بقتل سعد بن عبادة في السّقيفة كما أشرنا سابقاً،[٥] وكذلك هو ـ أي عمر بن الخطاب ـ الّذي هدد عليّ بن أبي

---

(١) شرح النّهج ١: ٢١٩.

(٢) المصدر السّابق ٢: ٤٨.

(٣) الإمامة والسّياسة ١: ١١.

(٤) المصدر السّابق.

(٥) المصدر السّابق ١: ١٠، تأريخ الطّبريّ ٣: ٢١٠، الطّبقات الكبرىٰ ٣: ٦١٦.

طالب بضرب عُنقه إنْ لم يُبايع ،[١] وكذلك هدد فاطمة بنت محمّدﷺ بحرق بيتها ،[٢] وهو ـ أي عمر بن الخطاب ـ الّذي قال لأصحابه : «عليكم بالكلب» وقصد به الزّبير بن العوام عندما خرج عليه بالسيف .[٣] وهل يحق لصحابيّ جليل أنْ يصف صحابياً جليلاً بهذا الوصف؟

إذاً هذه بيعة تمت علىٰ أساس الغلبة ، كما يقول ابن خلدون : «فأتوهم في مكانهم ـ أي أبو بكر ، وعمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة بن الجراح ـ فأعجلوهم عن شأنهم ـ أي الأنصار ـ وغلبوهم عليه جماعاً وموعظة»[٤] ، وهذا التّآمر كشف عنه الإمام عليّ بن أبي طالب عندما قال لعمر بن الخطاب : «احلب حلباً لك شطره» ،[٥] وقال أيضاً : «لشد ما تشطرا ضرعيها» ،[٦] وها هما أبو بكر ، وعمر ، يستدعيان أبا عبيدة ابن الجراح ، والمغيرة بن شعبة ، ليتدبرا معهما أمر العباس بن عبد المطلب ، فقال المغيرة : «الرّأي أنْ تلقوا العباس فتجعلوا له ولولده في هذا الأمر نصيباً فيكون له ولعقبه ، فتقطعوا به من ناحية عليّ بن أبي طالب» .[٧] وهذا هو نفس الأسلوب الّذي اتبعه أبو بكر مع الأنصار ، فأرادوا أنْ يتبعوه هُنا مع بني

---

(١) المصادر السّابقة وخاصة المصدر الأوّل ١ : ١٣.

(٢) المصدر السّابق ١ : ١٢ ، كنز العمّال ٣ : ١٤٠ ، أنساب الأشراف ١ : ٥٨٦ ، العقد الفريد ٣ : ٦٤ ، تأريخ أبي الفداء ١ : ١٥٦ ، تأريخ الطبريّ ٢ : ٤٤٣ ، الرّياض النّضرة : ١٦٧ ، تأريخ الخميس ١ : ١٨٨ ، شرح النّهج لابن أبي الحديد ٢ : ١٢٢ ، تأريخ اليعقوبيّ ٢ : ١٠٥ ، مروج الذّهب ١ : ٤١٤.

(٣) تأريخ الطّبريّ ٣ : ١٩٨.

(٤) تأريخ ابن خلدون ٢ : ٤٦٨.

(٥) شرح النّهج ٦ : ١١ ، الأنساب ١ : ٥٨٧.

(٦) شرح النّهج ١ : ١٦٢.

(٧) المصدر السّابق ٢ : ٥٢.

هاشم في تحطيم موقفهم. فكما شطر الأنصار إلىٰ شطرين كذلك أرادوا أنْ يفصلوا العباس بن عبد المطلب عن جبهة المعارضة، ولكن باسلوب آخر وهو الإغراء بالمال والسّلطة، حيث قال أبوبكر مخاطباً العباس: «... فقد جئناك ونحن نريد أنْ نجعل لك في هذا الأمر نصيباً ولمن بعدك من عقبك»،[١] لكن العباس بن عبد المطلب ردّه ولم يتزحزح عن موقفه،[٢] غير أنّ هذه المحاولة بذرت بذرتها أيضاً ونمت في بني العباس فيما بعد ولسنا بصدد بيانها.

٣. هل تعتقدون أنّ الإستيلاء علىٰ الإمارة بهذا الشّكل هو إستيلاء شرعي كما في رواية عبدوس بن مالك العطار حيث قال: «ومن غلب عليهم بالسيف حتىٰ صار خليفة وسُمّي أميرالمؤمنين فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أنْ يبيت ولا يراه إماماً، براً كان أو فاجراً»؟[٣].

وهل هذا النّوع من الإستيلاء هو نوع من الدّيمقراطية ـ إن صح التّعبير؟ فإنْ سلمتم به ـ ولا أظنكم تسلمون بذلك - فأي نوع هذا من أنواع الدّيمقراطية والّتي تُعطي حقّ تقرير المصير للناس بأنفسهم وهذا ما تبنته النّظم الرّأسمالية؟ أم هو نوع من ديكتاتورية البروليتاريا السّائدة في النّظم الاشتراكية الماركسية، والّتي اعتمدت علىٰ القوة والعنف؟ أم هو نوع من أنواع الشّورىٰ مستندين إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿...وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ...﴾[٤]. فأين هي الشّورىٰ؟ هل هي من قبل نفر قليل وقليل جداً ينهضون به، ثمّ يتسنىٰ لهم إكراه أهل الحل والعقد عليه...؟ فهذا

---

(١) المصدر السّابق ١: ٢٢٠.

(٢) المصدر السّابق: ٢٢١.

(٣) الأحكام السّلطانية: ٢٣.

(٤) الشّورىٰ: ٣٨.

لا دليل علىٰ صوابه. وبيعة أبي بكر لم تكن عن مشورة كما عرفتم، بل أنّ عمر وأبا عبيدة ونفراً معهما قاموا بها، ثمّ أجبروا أهل الحل والعقد، ولذلك صرح أبـوبكر بأنّ بيعته لم تكن عن مشورة ولا عن رؤية حيث قال: «إنّ بيعتي كانت فلته وقىٰ الله شرها، وخشيت الفتنة...»،[١] وعمر يشهد بذلك كما ذكرنا سابقاً«... إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت...»

أمّا إذا قلتم بالإجماع... فأين هو الإجماع وقد أثـبت البـخاريّ ومسـلم في صحيحيهما وغير واحد تخلف عليّ عن البيعة،[٢] أمّا غير عليّ فهم كثير تخلفوا عن البيعة لأبي بكر، كالعباس، وعتبة، وسلمان، وأبي ذر، وعمار، والمقداد، والبراء، وأُبي بن كعب، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عـبيدالله، والزّبـير، وخـزيمة، وفروة الأنصاريّ، وخالد بن سعيد بن العاص الأُمويّ، وسعد بن عبادة، والفضل ابن العباس....[٣] وحتىٰ إنّ بضعة المصطفىٰ ﷺ لها موقف سنشير إليه فيما بـعد لمـا هجرت أبابكر، وعمر بن الخطاب حتىٰ ماتت عليها السلام وذلك بعد البيعة بسـتة أشهـر. فهل بيعة هؤلاء بـعد ذلك ـ أي بـعد التّهـديد واسـتسلامهم للـقوة[٤] والخـوف والتّحريق بالنار تُعَدُّ[٥] إيماناً بعقد البيعة ومصداقاً للإجماع؟ وقد أفاض ابن حزم في

---

(١) كتاب السّقيفة لأبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ونقلها ـ الخطبة ـ شرح النّهج لابن أبـي الحـديد فـي شرح النّهج ١: ١٣٢ و٢: ١٩ و٦: ٤٧، وأنساب الأشراف ١: ٥٩٠، طـ مصر.

(٢) صحيح مسلم ٢: ٧٢، كتاب الجهاد والسّير، صحيح البخاريّ ٣: ٣٩، بـاب غـزوة خـيبر و٥: ٨٢، والإمـامة والسّياسة ١: ١١، مروج الذّهب ٢: ٣٠٢، تأريخ الطّبريّ ٣: ٢٠٨، العقد الفريد ٥: ٢٥٩، كفاية الطّالب: ٣٧٠، الكامل في التّأريخ ٢: ٣٢٧، الصّواعق المحرقة: ١٣.

(٣) أُنظر، العقد الفريد ٤: ٢٥٩، مروج الذّهب ٢: ٣٠١، أُسد الغابة ٣: ٢٢٢، الطّبريّ ٣: ٢٠٨، تأريخ اليعقوبيّ ٢: ١٠٣... إلخ.

(٤) الإمامة والسّياسة ١: ٦، الكامل في التّأريخ ٣: ٣٢٩، تأريخ الطّبريّ ٣: ٢٢٠.

(٥) اشارة إلىٰ تهديد عمر بن الخطاب للإمام عليّ وفاطمة بالإحراق كما نصّ ابن قتيبة في الإمـامة ١: ٦، العـقد

رد القول باعتبار الإجماع وقال: «..أمّا من قال: إن الإمامة لا تصح إلّا بعقد فضلاء الأُمّة في أقطار البلاد فباطل؛ لأنه تكليف بما لا يُطاق وما ليس في الوسع...»[١]

أم تقولون إن البيعة تمت وتتم بإنعقاد خمسة، كما في بيعة أبي بكر الّتي حضرها: «عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، وأُسيد بن حضير، وبشير، وسالم مولىٰ أبي حذيفة».

فنقول: ولماذا جعلها عمر بن الخطاب في ستة، بل جعلها بواحدٍ وهو تصرف عبد الرّحمن بن عوف حين انعقدت خلافة عثمان بن عفان بمبايعته له،[٢] وقد أبطله ابن حزم، وكذلك صاحب شرح المواقف حيث قالا بلفظ: «... فبطل هذا القول بيقين لا إشكال فيه»،[٣] مع العلم بأن إجماع أهل الحل والعقد ليس هو الطّريق الوحيد لتعيين الإمام أو الأمير أو الخليفة أو السّلطان عندكم أيها العلماء؟

إذاً بيعة أبي‌بكر لم تكن نتيجة إختيار حرّ وشورىٰ حقيقية؛ لإن المبايعين فيها طائفتان: طائفة بايعت بدافع العصبية، وأُخرىٰ بدافع الإيحاء والاستهواء. والمبايعون فيها خمسة «عمر...» وتمت أيضاً بدون علم الإمام عليّ وبني هاشم وغيرهم من قبائل قريش، وقاطعها الكثير من كبار الصّحابة. وكانت أيضاً مصحوبة بالضغط والإكراه، كما في رواية البراء بن عازب حيث قال: «... وإذا بأبي بكر، ومعه عمر بن الخطا، وأبو عبيدة، وجماعة من أصحاب السّقيفة وهم

↔ الفريد ٤: ٢٥٩، الطّبريّ ٣: ٢٠٢، الملل والنّحل ١: ٥٧، أنساب الأشراف ١: ٥٨٦.

(١) الفصل ٤: ١٦٧ و ١٦٨.

(٢) الفصل ٤: ١٦٩.

(٣) المصدر السّابق، وشرح المواقف ٨: ٣٥٣.

مختمرون بالأُزُر، لايمرون بأحد إلّا ضبطوه وقدموه، فمدوا يده فمسحوها علىٰ يد أبي بكر يبايعه، شاء ذلك أم أبىٰ»[١]، وها هو قول عمر بن الخطاب: «... ما هو إلّا أن رأيت أسلم، فأيقنت بالنصر»،[٢] وهذا يدل علىٰ أنّ الرّفض للبيعة قد عمّ المجتمع وخلق حالة من التّوتر وعدم الوثوق باستقامة الأمر لهم إلىٰ أنْ رأىٰ أسلم فأيقن بالنصر. وبالتالي أنّ البيعة تمت بالرأي الّذي أساسه عمر بن الخطاب؛ لأنه أبرز شخصيته في المؤتمر، ولذا يقول الدّكتور عبد الحميد متوليّ: «لم يقتصر عمر ابن الخطاب فحسب علىٰ الاجتهاد، أو استعمال الرّأي حيث لا نصّ من الكتاب أو السّنة، وإنّما ذهب مدىً أبعد من ذلك، إذ كان يعتمد علىٰ الاجتهاد أو بعبارة أُخرىٰ ـ استعمل الرّأي ليبحث عن وجهة العدالة أو المصلحة حتىٰ رغم وجود النّص من الكتاب أو السّنة. فكان لذلك لا يفسر النّص»[٣]، وسار علىٰ نهجه كثير من الصّحابة، كما ذكر ذلك الشّيخ محمّد عبدة: «كانوا ـ الصّحابة ـ إذا رأوا في شيء يحكمون به وإنْ خالف السّنة كأنهم يرون أنّ الأصل هو الأخذ بما فيه المصلحة...»[٤]، وقال الشّيخ خلاف مثله.[٥]

٤. كيف تفسرون وتؤولون أنّ الإمارة أو الخلافة تتم بمرجعية العهد من الإمام السّابق وانتم ترفضون ـ في بداية الأمر ـ أنّ رسول الله ﷺ عهد إلىٰ من بعده، ثمّ تقبلون ذلك؟ ألا تعتقدون أنّ هذا يخالف السّنة النّبوية؟ وها هو قول الماورديّ يوضح بكل جلاء المخالفة الصّريحة لقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ

---

(١) شرح النّهج لابن أبي الحديد ١: ٢١٩.

(٢) تأريخ الطّبريّ ٣: ٢١٠.

(٣) أزمة الفكر السّياسيّ الإسلاميّ: ١٢١.

(٤) المنار محمّد رشيد رضا ٤: ٣١٠.

(٥) خلاصة التّشريع الإسلاميّ لعبد الوهاب خلاف: ٤٠.

حَسَنَةٌ...﴾[١]، قال الماورديّ: «إنّ العهد من الإمام السّابق أحد الوجهين الّذين تنعقد بهما الإمامة...»،[٢] وقال: «والإمامة تنعقد من وجهين:... والثّاني بعهد الإمام من قبله...»، ووقع الاتفاق علىٰ صحته لأمرين:

(آ) إنّ أبا بكر عهد بها إلىٰ عمر بن الخطاب فأثبت المسلمون إمامته بعهده.

(ب) إنّ عمر بن الخطاب عهد بها إلىٰ أهل الشّورىٰ..».[٣]

وقال الأشعريّ أيضاً: «إذا وجبت إمامة عمر بن الخطاب وجبت إمامة أبي بكر، كما وجبت إمامة عمر؛ لأنه العاقد له الإمامة...»،[٤] وقال أيضاً: «إذا ثبتت إمامة الصّديق ثبتت إمامة الفاروق؛ لأن الصّديق نصّ عليه، وعقد له الإمامة، واختاره لها».[٥] وقال الباقلاني: «... إنّ أبا بكر عقدها لعمر بن الخطاب فتمت إمامته وسلم عهده بعقده له...».[٦] وقال عبد القاهر البغداديّ: «... وإذا صحت بذلك إمامة عمر بن الخطاب صحت إمامة من استخلف عمر وهو أبو بكر».[٧]

والسّؤال الّذي يطرح نفسه هُنا بالذات ألم تكن هذه الإمارة فردية دكتاتورية بكل معنىٰ الكلمة؛ لأنّها تجمع بيد شخص واحد، ثمّ يفوضها إلىٰ من يشاء؟ فإن قلتم: بلىٰ. قلنا أيهما أفضل ـ ولا قياس ولا مقارنة والعياذ بالله ـ في مناط تعيين الإمام أو الخليفة العمل الّذي اقدم عليه رسول الله ﷺ وبأمر رباني لا يقبل الشّك؛

---

(١) الأحزاب: ٢١.

(٢) الأحكام السّلطانية: ٧، شرح المقاصد ٥: ٢٣٣.

(٣) المصدران السّابقان.

(٤) الإبانة عن أُصول الدّيانة: ١٨٤.

(٥) المصدر السّابق: ١٨٩.

(٦) التّمهيد في الرّد: ١٧٩.

(٧) أُصول الدّين: ٢٨٤.

لأنه لا ينطق عن الهوىٰ، بل إنه وحي يوحيه إليه المشرع الحكيم، وأنه لم يوكلّ أمر إختيار الإمام إلىٰ الأُمّة؟ أم أنّ عمل أبي بكر، أو عمل عمر بن الخطاب أفضل من التّشريع الرّباني في الإستخلاف علىٰ الأُمّة؟ فإن قلتم: لا. فهذا الّذي نحن وأنتم نريده ونطلبه! وها هو عمر بن الخطاب يقول: إنّها فلتة وأبو بكر قال مثلها ـ إنّها فلتة ـ وهذا دليل علىٰ أنّ عمر بن الخطاب لم يرَ في الأسلوب الّذي اتبعه في إستخلاف أبي بكر طريقاً مشروعاً يقره الإسلام ويرضاه المسلمون.

والشّورىٰ كما مورست في التّأريخ وأدت إلىٰ تعيين عثمان بن عفان، هي أيضاً مظهر من مظاهر العهد وإنْ كانت ظاهراً غير فردية؛ لكنها في الحقيقة فردية صرفة؛ لأنّها بيد عبد الرّحمن بن عوف، وهذا ما حدث فعلاً، ولذا جاء في العقد الفريد الحوار الّذي دار بين معاوية بن أبي سفيان، والحصين بن مالك بن الخشخاش: «قال: فأنا أُخبرك، أنّه لم يشتت بين المسلمين، ولا فرق أهواءهم إلّا الشّورىٰ الّتي جعلها عمر بن الخطاب إلىٰ ستة نفر...»[1].

وأمّا طريقة العهد من الخليفة أو الأمير إلىٰ شخص خاص فهي ترتبط بالعهد أيضاً دون أنْ يستشير أحداً من المسلمين، وإنّما يُعينه بنظره فقط أجنبياً كان أم والدّاً أم ولداً، وربما يعهد إلىٰ أكثر من واحد، ولذا يقول الماورديّ: «ولو عهد الخليفة إلىٰ اثنين أو أكثر، ورتب الخلافة فيهم فقال: الخليفة بعدي فلان، فإنْ مات فالخليفة بعد موته فلان، فإنْ مات فالخليفة بعده فلان جاز، وكانت الخلافة منتقلة إلىٰ الثّلاثة علىٰ ما رتبها».[2] الله أكبر! يقبل قول الماورديّ، ويرفض ولا يقبل قول رسول الله ﷺ، بل لا يقبل قول الله، سبحان الله عما يصفون. وإن هذه

---

(١) العقد الفريد ٥: ٣٣.

(٢) الأحكام السّلطانية: ١٣.

النّظرية بل الطّريقة لا ضمان ولا اطمئنان إليها في عدم خطإِ الخليفة وانحرافه وتحيزه، ويرفض قوله ﷺ بعد أنْ يثبت لهم القرآن وتثبت لهم السّنة النّبوية المطهرة العصمة لأهل البيت عليهم السلام حتىٰ يهتدوا بهديهم إلىٰ طريق الخير والسّداد والرّشاد.

والخلاصة أنّ هذه الفذلكة لا تنسجم مع أي تعاليم شرعية أو أخلاقية وبالأخص الإسلاميّة ونهجها القويم والعام في الحرص علىٰ كرامه الأُمّة وصون مقدساتها.

٥. كيف تفسرون وتوجهون قول من يقول بأنّ الإمارة تثبت من غير بيعة، بل لكل قرشي يستولي عليها بالسيف ويجتمع عليه النّاس فهو أمير بقوة السّيف، وغلبة الشّوكة؟[١]، ولذا يقول الغزاليّ: «... فلو انتهض لهذا الأمر مَن فيه الشّروط كلّها سوىٰ شروط القضاء... قلنا الّذي نراه ونقطع به أنّه يجب خلعه... وإنْ لم يكن ذلك إلّا بتحريك قتال وجبت طاعته وحكم بإمامته...»،[٢] ومثله قول القلقشنديّ والباجوريّ[٣].

والسّؤال الّذي نطرحه: ما المقصود بالقرشيّ؟ أهو من ولد فهر بن مالك فقط دون من كان أبوه من غير بني فهر وإنْ كانت أُمّه قرشية ولا في حليف ولا في مولىٰ أم يشمل الكل؟[٤]

من خلال التّتبع التّأريخي رأينا أنّ ابن حزم من أهل السّنة، وبعض المعتزلة، وجمهور المرجئة يقولون بالأوّل، وقد صرّح به أيضاً سعد الدّين التّفتازانيّ[٥]

---

(١) الشّافعيّ حياته وعصره لمحمّد أبو زهرة: ١٢١.

(٢) الإقتصاد في الإعتقاد: ٩٧.

(٣) حاشية الباجوريّ علىٰ شرح الغزيّ ٢: ٢٥٩.

(٤) الفصل ٤: ٨٩و١٦٦.

(٥) شرح المقاصد ٥: ٢٤٤.

والقلقشنديّ[١]، والكمال بن الهمام[٢]، ونسب ابن حزم هذا الرّأي إلىٰ جميع الشّيعة وهذه النّسبة علىٰ إطلاقها غير صحيحة؛ لأنّ الإمامة المعصومة لم تأتِ القرشية فيها نتيجة لاشتراط، وإنّما هي أمر واقعي، أمّا بعد زمان الغيبة فلا دليل علىٰ اعتبار القرشية، ولسنا بصدد بيانه الآن؛ لأنّ الإمام عليّاً عليه السلام لما بلغه أنباء السّقيفة فسأل: «فماذا قالت قريش؟ قالوا: احتجت بأنها شجرة الرّسول صلى الله عليه وآله، فقال عليّ عليه السلام: احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثّمرة».[٣] ثمّ إنّ أبا بكر من بني تيم، وعمر بن الخطاب من بني عدي، فما علاقة بني هاشم بهذه البطون؟ بالإضافة إلىٰ أنّها ليست من نواصي قريش ولم تُحاصر في شِعب أبي طالب، بل كان الحصار منصباً علىٰ بني هاشم وبني المطلب ثلاث سنوات في الشِّعب، ثمّ إن الله بنصّ كتابه الكريم وشريعته الغراء قدم هاشماً وأخرهم، ورفع هاشماً ووضعهم[٤].

٦. كيف تفسرون وتعللون موقف بعض الصّحابة من بيعة أبي بكر؟ ولسنا بصدد بيان كلّ ما جاء عنهم، علىٰ الرّغم من أننا قد أشرنا سابقاً إلىٰ الممتنعين عن البيعة، ولكن نورد هنا بعض المقتطفات من مواقفهم، وهذه المقتطفات هي الّتي تنسف وتبطل كلّ النّظريات والتّمحلات والتّخرصات للدفاع عن بيعة أبي بكر، وعمر، وعثمان.

٦. موقف الإمام عليّ عليه السلام وبضعة المصطفىٰ صلى الله عليه وآله الزّهراء عليها السلام من بيعة أبي بكر:

قال عمر بن الخطاب: «..وأنه كان من خبرنا حين توفّىٰ الله نبيه أنّ عليّاً،

---

(١) مآثر الأنافة ١: ٣٧.

(٢) المسامرة: ٢٧٥.

(٣) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبدة ١: ١١٦.

(٤) الطّبقات لابن سعد ١: ٢٠٠ و ٢٠٩، الطّبريّ ٢: ١٨٠، السّيرة الحلبية ١: ٥٠.

والزّبير، ومن معهما تخلفوا عنا في بيت فاطمة».[١] وقد تواترت الأخبار بذلك، فقد روىٰ البلاذريّ «بعث أبو بكر، عمر بن الخطاب إلىٰ عليّ بن أبي طالب حين قعد عن بيعته وقال: ائتني به بأعنف العنف، فلما أتاه جرىٰ بينهما كلام، فقال عليّ: «أحلب حلباً لك شطره...»[٢]، وفي رواية ابن قتيبة في الإمامة والسّياسة: «إنّ عمر بن الخطاب جاء فناداهم وهم في دار عليّ بن أبي طالب، فأبوا أنْ يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والّذي نفس عمر بيده لتخرجُنَّ أو لأحرقنها علىٰ من فيها فقيل له: يا أبا حفص إنّ فيها فاطمة، فقال: «وإن».[٣] وفي رواية ابن شحنة: «ليحرق البيت بمن فيه».[٤] والأخبار بهذا كثير، ولسنا بصدد بيانها خوفاً من طول المقام.

وقال عمر لأبي بكر: ألا ترسل إلىٰ هذا الرّجل المتخلف فيجيء فيبايع؟ قال أبوبكر: يا قنفذ! اذهب إلىٰ عليّ وقل له: يقول لك خليفة رسول الله ﷺ تعال بايع! فرفع عليّ عليه السلام صوته وقال: سبحان الله ما أسرع ماكذبتم علىٰ رسول الله ﷺ! قال: فرجع فأخبره، ثمّ قال عمر: ألا تبعث إلىٰ هذا الرّجل...؟ فقال لقنفذ: اذهب إلىٰ عليّ فقل له: يقول لك أمير المؤمنين: تعال بايع! فذهب قنفذ، فقال: ماجاء بك؟

---

(١) مسند أحمد ١: ٥٥، الطّبريّ ٢: ٤٤٦، ابن الأثير ٢: ١٢٤، ابن كثير ٥: ٢٤٦، صفوة الصّفوة ١: ٩٧، شرح النّهج ١: ١٢٣، تأريخ السّيوطيّ: ٤٥، السّيرة لابن هشام ٤: ٣٣٨، تيسير الوصول ٢: ٤١.

(٢) أنساب الأشراف ١: ٥٨٧.

(٣) الإمامة والسّياسة ١: ١٢، أنساب الأشراف ١: ٥٨٦، الرّياض النّضرة ١: ١٦٧، السّقيفة للجوهري برواية شرح النّهج لابن أبي الحديد ٢: ١٣٢، تأريخ الخميس ١: ١٧٨.

(٤) تأريخ ابن شحنة: ١١٣، بهامش الكامل ١١: ١١٣، العقد الفريد ٤: ٢٥٩، الملل والنّحل ١: ٥٧، نقلاً عن النّظّام، وهامش الفصل لابن حزم ١: ٧٣، أعلام النّساء ٣: ٧٧ و ١٢٠، كنز العمّال ٣: ١٤٠، مروج الذّهب ٢: ١٠٠، العقاد في عبقرية عمر بن الخطاب: ١٧٣.

قال: يقول لك أمير المؤمنين: تعال فبايع! فرفع عليّ عليه السلام، صوته وقال: سبحان الله! لقد ادعىٰ ما ليس له. فجاء: فأخبره، فقام عمر: فقال: انطلقوا إلىٰ هذا الرّجل حتىٰ نجيء إليه، فمضىٰ إليه جماعة، فضربوا الباب فلما سمع عليّ عليه السلام، أصواتهم لم يتكلم... فقالت فاطمة عليها السلام: «يارسول الله ما لقينا من أبي بكر، وعمر بعدك»؟ فلما سمعوا صوتها، بكىٰ كثير ممن كان معه، ثمّ انصرفوا، ووثبت عمر في ناس معه، فأخرجوه وانطلقوا به إلىٰ أبي بكر... فقال أبوبكر: بايع، قال: فإنْ لم أفعل؟ قال: إذاً والله الّذي لا إله إلّا هو تضرب عنقك! قال عليّ عليه السلام: فأنا عبدالله وأخو رسوله، قال أبوبكر: بايع، قال: فإنْ لم أفعل، قال: إذاً والله الّذي لا إله إلّا هو تضرب عنقك، فالتفت عليّ إلىٰ القبر وقال: ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى فَلَاتُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَاتَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[1][2].

فقال عمر بن الخطاب: أمّا عبد الله فنعم، وأمّا أخو رسول الله فلا! وأبو بكر ساكت، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟[3]... فرجع يومئذ ولم يبايع.[4] وعن ابن عباس: إن الأوّل ـ أبوبكر ـ أمر خالد بن الوليد فقال: إذا انصرفت من صلاة الفجر فأضرب عنق عليّ، فصلىٰ، ثمّ ندم، فجلس في صلاته حتىٰ كادت الشّمس أنْ تطلع، ثمّ قال في صلاته: «يا خالد لا تفعل ما أمرتك به» ثلاثاً، فألتفت عليّ فإذا خالد مشتمل علىٰ السّيف في جانبه فقال: يا خالد أكنت به فاعلاً؟ فقال: أي

---

(١) الأعراف: ١٥٠.

(٢) الإمامة والسّياسة ١: ٣٠ـ٣١، منشورات الشّريف الرّضي.

(٣) شرح النّهج ٢: ٥٦ و٦٠ و٦: ١١، الفتوح لابن أعثم ١: ١٣، تأريخ اليعقوبيّ ٢: ١٢٦، أعلام النّساء ٤: ١١٤، الإمامة والسّياسة ١: ٣٠.

(٤) المغازي للواقديّ ٣: ٨٨٠، تأريخ بغداد ٦: ٣٨٧، تأريخ ابن عساكر ١: ١٣٣، المسترشد في الإمامة للطبريّ الإماميّ: ٣٨٠ تحقيق أحمد المحموديّ.

والله لولا أنه نهاني ! فقال له عليّ: كذبت لا أُمَّ لك، أنت أضيق حلقة اُست من ذلك. ثمّ قال عليه السلام: «أمّا والّذي فلق الحبة وبرأ النّسمة، لولا ما سبق به القضاء لعلمت أي الفريقين شر مكاناً وأضعف جنداً».[١] ومن روائع حكمه هنا: «لا يعاب المرء بتأخير حقه، إنّما يعاب من أخذ ماليس له»[٢].

وبعد هذا كله من الاستحكام علىٰ دفة الأُمور وإبرام البيعة أخذا بالحزم علىٰ منع كلّ فعل أو قول يوهن بيعتهم أو يخدش أو يدخل التّشويش علىٰ عامتهم، ولذا لم ير الإمام عليّ للاحتجاج عليهم أي أثر إلّا الفتنة الّتي يخشىٰ منها علىٰ بيضة الإسلام وكلمة التّوحيد. وقد قال الإمام عليّ عليه السلام في كتابه لأهل مصر مع مالك الأشتر: «فإن الله سبحانه بعث محمّداً صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين... فلما مضىٰ صلى الله عليه وآله تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يلقىٰ في روعي ولا يخطر ببالي أنّ العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته، ولا أنهم منحوه عني من بعده، فما راعني إلّا انثيال النّاس علىٰ فلان يبايعونه، فأمسكت يدي حتىٰ راجعة النّاس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلىٰ محق دين محمّد صلى الله عليه وآله فخشيت أنْ لم أنصر الإسلام وأهله أنْ أرىٰ فيه ثلماً أو هدماً، فتكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم، الّتي إنّما هي متاع أيام قلائل يزول منها ماكان، كما يزول السّراب أو كما يتقشع السّحاب، فنهض في تلك الأحداث حتىٰ زاغ الباطل وزهق...».[٣]

---

(١) بحار الأنوار ٨: ٩٢، المسترشد في إمامة أميرالمؤمنين: ٤٥٢، تحقيق أحمد المحموديّ، رجال الكشي ٢: ٦٩٥، معجم رجال الحديث للسيد الخوئيّ ٨: ١٥٣، بهجة الآمال للعلياريّ ٤: ٣٨٠، تفسير القميّ ٢: ١٥٨، الأنساب ٣: ٩٥.

(٢) شرح النّهج ٤: ٣٢٤ و ١٨: ١٦٨.

(٣) اُنظر، دستوره في الولاة والعمال وعهده لمالك الأشتر.

وقد احتج يوم الشّورىٰ باحتجاجات كثيرة لسنا بصدد بيانها، ومن أراد المزيد فعليه مراجعة المسترشد في إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام للطبريّ الإماميّ تحقيق الشّيخ أحمد المحموديّ تحت عنوان «مناشدته يوم الشّورىٰ».[١]

وكم احتج أيام خلافته متظلماً وبث شكواه علىٰ المنبر متألماً حيث قال في خطبته المعروفة بالشقشقية: «... أمّا والله لقد تقمصها فلان ـ ابن أبي قحافة ـ وإنه ليعلم أنّ محلي منها محل القطب من الرّحىٰ، ينحدر عني السّيل، ولا يرقىٰ اليّ الطّير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتئي بين أن أُصول بيد جذاء، أو أصبر علىٰ طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصّغير، ويكدح فيها مؤمن حتىٰ يلقىٰ ربه، فرأيت أنّ الصّبر علىٰ هاتا أحجىٰ، فصبرت وفي العين قذىٰ وفي الحلق شجىٰ أرىٰ تراثي نهباً...»،[٢] وقال مرة أُخرىٰ عليه السلام: «... لنا حقّ فإن أُعطيناه، وإلّا ركبنا أعجاز الإبل وإن طال السّرىٰ».[٣]

أمّا الصّديقة فاطمة الزّهراء بضعة المصطفىٰ صلى الله عليه وآله، فلها حجج بالغة، وخطبها معروفة، فقالت ذات مرة عليها السلام: «... ويحهم أنىٰ زحزحوها ـ الخلافة ـ عن رواسي الرّسالة؟ وقواعد النّبوة، ومهبط الرّوح الأمين...».[٤] وقالت عليها السلام «... لا عهد لي بقوم أسوأ محضراً منكم، تركتم رسول الله جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم

---

(١) راجع المصدر المذكور من: ٣٣٢ـ٣٨٨.

(٢) نهج البلاغة ١: ٢٥، خطبة رقم ٣، العقد الفريد، سبط ابن الجوزيّ: ١٢٤، علل الشّرايع للصدوق ١: ١٥٠، باب ١٢٢، معاني الأخبار للصدوق ٢: ٣٤٣، الإرشاد للشيخ المفيد: ٤١٣، كتاب الجمل للشيخ المفيد: ٦٢، الأمالي للطوسيّ ١: ٣٨٢، تلخيص الشّافيّ ٣: ٥٣، الاحتجاج للطبرسيّ ١: ٢٨١، النّهاية لابن الأثير ٢: ٤٩٠.

(٣) شرح النّهج ٢: ١٠٣.

(٤) بلاغة النّساء للإمام أبي الفضل أحمد بن أبي الطّاهر (ت ٢٨٠هـ): ٢٣، شرح النّهج ٤: ٧٨، أعلام النّساء لعمر رضا كحالة ٣: ١٢٠٨.

لم تستأمرونا ولم تردوا لنا حقاً».[١]

وها هو الحوار الّذي دار بينها عليها السلام وبين الخليفة الأوّل والّذي ورد عن عائشة قالت: سمعت أبي يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّا معاشرَ الأنبياء لا نُورّث، ما تركناه فهو صدقةٌ!!

وقد علق الإمام يحيىٰ بن الحسين بن القاسم في كتابه تَثْبِيتُ الإمَامَة[٢] مانصه: «ولو سألنا جميع من نقل من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله: هل روىٰ أحدٌ منكم عن أحدٍ من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله أنّه سمعَ من رسول الله صلى الله عليه وآله مثل ما قال أبو بكر؟؟

لقالوا: اللّهمّ، لا.

ثمّ جاءت ـ من بعد ذلك ـ أسانيدُ كثيرة قد جمعها الجهّال لحبّ التّكثُّر بما لا ينفع: عن عائشة، وعن ابن عمر، فنظرنا عند ذلك إلىٰ أصل هذه الأحاديث الّتي أسندوها إلىٰ عائشة عن النّبيّ صلى الله عليه وآله فإذا عائشة تقول: سمعتُ أبا بكر، وابن عمر يقول: سمعتُ أبا بكر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّا معاشر الأنبياء لا نورّث ما نركناه فهو صدقة.

وإذا هذه الأسانيد المختلفة ترجع إلىٰ أصل واحدٍ، ولم يوجد أحدٌ من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله يشهدُ بمثل شهادة أبي بكر في الميراث!

فدفع أبو بكر، فاطمة عليها السلام عن ميراثها؛ بهذا الخبر الّذي أسندَ إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهذا الخبر ينقضُ كتاب الله وحكمه في عباده!

فويلٌ لمن يُهِمُ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ينقضُ ما جاء به محكماً عن الله عزّ وجلّ.

---

(١) الإمامة والسّياسة: ١٣.

(٢) راجع كتاب تثبيت الإمامة للإمام يحيىٰ بن الحسين الهاديّ نشره العلاّمة السّيد محمّد رضا الحسينيّ الجَلاليّ: ٢٩، وراجع صحيح البخاريّ ١٢: ٧، صحيح مسلم كتاب الجهاد رقم ٥١ و٥٣ و ٥٤ و٥٦.

وقد كان في كلام فاطمة عليها السلام، لأبي بكر بيانٌ لمن خاف الله سبحانه وتعالىٰ: أفي كتاب الله أنْ ترثَ أباك ولا أرثَ أبي، لقد جئتَ شيئاً فريّاً!!؟؟

ثمّ انصرفت عنه.

ومن أعجب العجائب: أنّ جميع هذه الأُمّة أجمعت: أنّ مَن ادّعىٰ لنفسه أو دعوىٰ له فيها حقّ أنّه «خصمٌ» شهادته لا تُقبل حتّىٰ يشهد له علىٰ ذلك شاهدان عدلان لا دعوىٰ لهما في ما شهدا فيه.

وأجمعوا أيضاً: أنّ الإمام لا يحكمُ لنفسه بحقّه دون أنْ يشهدَ له به غيرُه،

ثمّ النّاس علىٰ ذلك إلىٰ يومنا هذا، لا تُقبل شهادة الرّجل لنفسه ولا يُحكم لأحدٍ علىٰ أحدٍ في دعوىٰ يدّعيها عليه إلّا بشاهدين عدلين؛ غير فاطمة عليها السلام فإنه حُكم عليها بخلاف ما حُكم به علىٰ جميع الخلق، وانتزع من يدها ما كانت تملكه وتحوزه ـ من ميراث أبيها صلى الله عليه وآله، ومالها من فدك المعروف بها ولها بلا ـ شهود! إلّا بما ادّعىٰ أبو بكر لنفسه وللمسلمين من الصّدقة عليهم بأموال رسول الله صلى الله عليه وآله.

فكان أبو بكر المدعي لنفسه ولأصحابه أموال رسول الله صلى الله عليه وآله.

فيا للعجب من قبضه ما ليس بيده، ولا شهود له، ولا بينة!؟

وطلبُه الشّهود والبينة من فاطمة عليها السلام علىٰ ما هو بيدها ولها!

وقد أجمعت الأُمّة علىٰ أنّ مَنْ كان في يده شيءٌ فهو أحقّ به حتّىٰ يُستحقَّ بالبينة العادلة، فقلبَ أبو بكر الحجة عليها في ما كان في يدها! وإنّما تجبُ عليه هو وعلىٰ أصحابه في ما ادّعاه له ولهم.

فحكم علىٰ فاطمة عليها السلام بما لم يُحكمْ به علىٰ أحدٍ من المسلمين وطلب منها البينة علىٰ ما في يدها، ومُنِعَتْ ميراثَ أبيها.

وشَهِدَ علىٰ رسول الله ﷺ أنّه لم يورّثها! والله تعالىٰ قد وَرَّثَ الولد من والدّه؛ نبيّاً كان أو غيره.

وأُنظر الحوار الّذي دار بينها عليها السلام، وبين أبي بكر، وعمر، حيث قالت لهما: «أرأيتكما إنْ حدثتكما حديثاً عن رسول الله تعرفانه وتفعلان به؟ قالا: نعم، فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي ... فقال أبوبكر: أنا عائذ بالله من سخطه وسخطك يافاطمة، ثمّ أنتحب أبوبكر يبكي حتىٰ كادت نفسه أن تزهق...[١] وقالت: «ياأبابكر، ما أسرعَ ما أغرتم علىٰ أهل بيت رسول الله، والله لا أكلم عمر حتىٰ ألقىٰ الله»[٢]. وقال اليعقوبيّ..فقالت: «والله لتخرجن أو لأكشفن شعري ولأعجن إلىٰ الله...»[٣]. وروىٰ الطّبريّ: «فهجرته ـ أبابكر ـ فاطمة، ولما توفيت دفنها زوجها، ولم يؤذن بها أبا بكر وصلّىٰ عليها...»[٤].

ب. موقف أُسامة بن زيد من أبي بكر:

ذكر الهاديّ إلىٰ الحقّ ـ يحيىٰ ابن الحسين بن القاسم الإمام الزّيديّ «٢٤٥ هـ ـ ٢٩٨ هـ»، في كتابه تثبيت الإمامة (إمامة أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب)[٥]

---

(١) المصدر السّابق: ١٤.

(٢) شرح النّهج ١: ١٣٤ و٢: ١٣٤.

(٣) تأريخ اليعقوبي ٢: ١٢٦.

(٤) تأريخ الطّبريّ ٢: ٤٤٨، البخاريّ ٣: ٣٨، كتاب المغازي، صحيح مسلم ١: ٧٢ و ٥: ١٥٣ ابن كثير ٥: ٢٨٥، ابن عبد ربه ٣: ٦٤، ابن الأثير ٢: ١٢٦، كفاية الطّالب: ٢٢٥، المسعوديّ ٢: ٤١٤، التّنبيه والأشراف: ٢٥٠، الصّواعق المحرقة ١: ١٢، الإمامة والسّياسة ١: ١٤، كلّ هذه المصادر تتحدث عن بيعة عليّ بعد وفاة الصّديقة عليها السلام بستة أشهر، ولم يصلِّ عليها أبوبكر، بل دفنت سراً، والسّنن الكبرىٰ ٦: ٣٠٠.

(٥) نشره العلاّمة محمّد رضا الحسينيّ الجَلالي تحت عنوان (سلسلة من تراث المحنة «١»: ١٩.

مانصه: «قال عمر، لأبي بكر: اكتب إلىٰ أُسامة بن يزيد يُقدم عليك، فإنّ في قدومه عليك قطعُ الشّنعة عنّا!!

فكتب إليه أبو بكر: بسم الله الرّحمن الرّحيم، من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلىٰ أُسامة بن يزيد: أمّا بعدُ، فانظر إذا أتاك كتابي هذا فأقْبل إليّ أنْتَ ومَنْ معك؛ فإنَّ المسلمين قد اجتمعوا عليّ؛ وولّوني أمرهم؛ فلا تتخلفن فتعصيني ويأتيك ما تكره، والسّلام.

فأجابه أُسامة بن زيد، وكتب إليه: بسم الله الرّحمن الرّحيم من عبد الله أُسامة ابن يزيد عامل رسول الله ﷺ علىٰ غزوة الشّام، إلىٰ أبي بكر بن أبي قُحافة، أمّا بعدُ: فقد أتاني كتابك ينقض أوّلُه آخره؛ ذكرت في أوّله: أنك خليفة رسول الله ﷺ وذكرت في آخره: أنّ النّاس قد اجتمعوا عليك وولّوك أمرهم ورضُوا بك!!!

واعلم أنّي ومَنْ معي من المهاجرين والأنصار وجميع المسلمين ما رضيناك ولا ولّيناك أمرنا، فاتّقِ الله ربّك، وإذا قرأتَ كتابي هذا فاقدم إلىٰ ديوانك الّذي بعثك فيه النّبيّ ﷺ ولا تعصه، وأنْ تدفع الحقَّ إلىٰ أهله؛ فإنّهم أحقُّ به منك.

وقد علمت ما قال رسول الله ﷺ في عليّ عليه السلام يوم الغدير! وما طال العهدُ فتنسىٰ؟!

فانظر أنْ تلحق بمركزك، ولا تتخلف فتعصي الله سبحانه وتعالىٰ ورسوله ﷺ، وتعصي مَن استخلفه رسول الله ﷺ وعليك وعلىٰ صاحبك؛ فإنّ رسول الله ﷺ استخلفني عليكم ولم يعزلني، وقد علمتَ كراهة رسول الله ﷺ لرجوعكم منّي إلىٰ المدينة، وقال ﷺ: لا يتخلفنّ أحدٌ عن جيش أُسامة إلّا كان عاصياً لله ولرسوله ﷺ.

فيالك الويلُ! يابن أبي قحافة! تعدلُ نفسك بعليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو وارث رسول الله ﷺ ووصيّه وابن عمّه وأبو ولديه؟؟

فاتّق الله . أنتَ وصاحبُك . فإنّه لكما بالمرصاد ، وأنتُما منه في غُرور!

والّذي بعث محمّداً ﷺ بالحق نبيّاً ما تركتْ أُمّةٌ وصيَّ رسولها ولا نقضوا عهده إلّا استوجبوا من الله اللّعنةَ والسّخطَ!

فلما وصل الكتاب إلىٰ أبي بكر همَّ أنْ يخلعها من عنقه ؛ فقال عمر : لا تفعل ، قميص قمصك الله تعالىٰ لا تخلعه! فتندم!

فقال له : ياعمرُ! أكفرٌ بعد إسلام؟؟؟

فألح عليه عمر ، وقال : اكتبْ إليه وإلىٰ فلان وأمرْ فلاناً وفلاناً وفلاناً ـ جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ يكتبوا إليه : أن اقدم ، ولا تفرّق جماعة المسلمين!؟

ج. موقف ابن عباس :

إنّ لابن عباس مساجلات كلامية مع عمر يكشف فيها سر السّقيفة وقد أشرنا اليها خلال مطاوي البحث ، ولكن نذكر مثالاً علىٰ ذلك :

قال ابن عباس : إني لأماشي عمر في المدينة إذ قال لي : يابن عباس ، ما أرىٰ صاحبك إلّا مظلوماً! فقلت في نفسي : والله لا يسبقني بها . فقلت له : يا أميرالمؤمنين فاردد إليه ظلامته ، فانتزع يده من يدي ومضىٰ يهمهم ساعة، ثمّ وقف ، فلحقته فقال : ياابن عباس! ما أظنهم منعهم عنه إلّا أنْ استصغره قومه! فقلت في نفسي : هذه شر من الأُولىٰ ، فقلت : والله ما استصغره الله ورسوله حين أمره أنْ يأخذ براءة من صاحبك .[1]

---

(١) مسند أحمد ١ : ٣٣١ و٣ : ٢١٢ و٤ : ١٦٤ ، سنن التّرمذيّ ٥ : ٦٣٦ ، خصائص النّسائيّ : ٢٠ تأريخ اليعقوبيّ ٢ : ٧٦ ، جامع الأُصول ٩ : ٤٧٥ ، مجمع الزّوائد ٩ : ١١٩ ، البداية والنّهاية ٧ : ٣٥٠ ، الإصابة ٤ : ٢٧٠ ، «إشارة إلىٰ سورة براءة عندما بعث النّبيّ ﷺ بها مع أبي بكر يبلغها الحاج ، ثمّ بعث خلفه عليّاً وأمره أنْ يأخذها منه ويرد ↔

وقال عمر لابن عباس أيضاً[١]: «كرهت قريش أنْ تجمع فيكم النّبوة والخلافة فتجخفوا جخفاً... فقال ابن عباس: أمّا قولك: إن قريشاً كرهت فإنّ الله تعالىٰ قال لقوم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾[٢]، وأمّا قولك: إنّا كنا نجخف، فلو جخفنا بالخلافة جخفنا بالقرابة، ولكنا قوم أخلاقنا مشتقه من أخلاق رسول الله ﷺ...، أمّا قولك: فإن قريشاً اختارت فإنّ الله تعالىٰ يقول: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ...﴾[٣]، وقد علمت يا أمير المؤمنين أنّ الله إختار من خلقه لذلك ما إختار، فلو نظرت قريش من حيثُ نظر الله لها لوفقت وأصابت...، ثمّ قال: وأميرالمؤمنين يعلم صاحب الحقّ مَن هو... فنحن أحقّ برسول الله ﷺ من سائر قريش».[٤]

د. موقف الفضل بن العباس وعتبة بن أبي لهب:

عندما بلغ بني هاشم نبأ بيعة أبي بكر في السّقيفة وهم مشغولون بتجهيز النّبيّ ﷺ خرجوا من الدّار، فقام الفضل بن العباس وقال: «يا معشر قريش إنه ما حقت لكم الخلافة بالتمويه، ونحن أهلها دونكم، وصاحبنا أولىٰ بها منكم»[٥].

وقال عتبة بن أبي لهب:

ماكنت أحسب هذا الأمر منصرفاً عن هاشم، ثمّ منها عن أبي الحسن

↔ أبابكر... فرجع وقال للنبي ﷺ أنزل فيّ شيء يارسول الله؟ قال ﷺ: «لا، ولكن أمرت أنْ لا يبلغ عنيّ إلّا أنا أو رجل مني».

(١) شرح النّهج ٦: ٤٥ و١٢: ٤٦، تجد محاورة ابن عباس وعمر. الطّبريّ ٥: ٣١، الكامل في التّاريخ ٣: ٦٣.

(٢) محمّد: ٩.

(٣) القصص: ٦٨.

(٤) تأريخ الطّبريّ ٥: ٣١، الكامل في التّأريخ ٣: ٦٣، شرح النّهج ١٢: ٥٣.

(٥) تأريخ اليعقوبيّ ٢: ١٠٣، الموفقيات: ٥٨٠، شرح النّهج ١: ٢٨٧.

إلىٰ آخر الأبيات:

فبعث إليه عليّ عليه السلام فنهاه عن ذلك وقال: أنّ سلامة الدّين أحبّ إلينا من غيره[١].

هـ موقف خالد بن سعيد الأُموي:

كان عاملاً علىٰ صنعاء من قبله صلى الله عليه وآله، فلما مات رسول الله صلى الله عليه وآله رجع هو وأخواه أبان وعمر... فقال أبو بكر: مالكم رجعتم عن عمالتكم؟... فقالوا: نحن بنو أحيحة، لا نعمل لأحدٍ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله،[٢] علماً بأنّ خالد بن سعيد بن العاص ابن أُميّة بن عبد شمس أسلم قديماً، فكان كما يقولون ثالثاً ورابعاً، وقيل: خامساً وكان إسلامه قبل إسلام أبي بكر،[٣] وتأخر خالد وأخواه أبان وعمر عن بيعة أبي بكر، وقال لبني هاشم: إنكم لطوال الشّجر طيبو الثّمر نحن تبع لكم،[٤] وقال: «يابني عبد مناف، لقد طبتم نفساً عن أمركم يليه غيركم، فأما أبو بكر فلم يحفلها عليه، وأمّا عمر فاضطغنها عليه»،[٥] وأتىٰ عليّاً وقال: «هلم أبايعك، فوالله مافي النّاس أحد أولىٰ بمقام محمّد منك».[٦]

وعندما بعث أبو بكر الجنود إلىٰ الشّام وكان أوّل من استعمل علىٰ ربع منها

---

(١) شرح النّهج ٢: ٨، وقد نسب ابن حجر في الإصابة ٢: ٢٦٣، هذه الأبيات إلىٰ الفضل، وتأريخ أبي الفداء ١: ١٦٤، والصّحيح هو الأوّل.

(٢) الاستيعاب ١: ٣٩٨، الإصابة ١: ٤٠٦، أُسد الغابة ٢: ٨٢، شرح النّهج ٦: ١٣.

(٣) المعارف لابن قتيبة: ١٢٨.

(٤) أُسد الغابة ٢: ٨٢، شرح النّهج ٢: ١٣٥، ط ١ مصر.

(٥) تأريخ الطّبريّ ٢: ٥٨٦، تهذيب ابن عساكر ٥: ٥١، أنساب الأشراف ١: ٥٨٨.

(٦) تأريخ اليعقوبيّ ٢: ١٢٦.

خالد بن سعيد ـ بعد أنْ بايع ـ فأخذ عمر يقول: «أتؤمره وقد صنع ماصنع... فلم يزل عمر، بأبي بكر حتىٰ عزله، وأمّر يزيد بن أبي سفيان».[١]

و. موقف أبي ذر الغفاري:

توفي رسول الله ﷺ، وأبو ذر غائب عن المدينة، فلما قدم وسمع بتولية أبي بكر قال: «أصبتم قناعة وتركتم قرابة، لو جعلتم هذا الأمر في أهل بيت نبيكم ما اختلف عليكم اثنان»،[٢] وقال في خلافة عثمان: «... أيتها الأُمّة المتحيرة بعد نبيها أمّا لو قدمتم من قدم الله وأخرتم ما آخر الله، وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيكم لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم... فأمّا إذا فعلتم ما فعلتم فذوقوا وبال أمركم. وسيعلم الّذين ظلموا أي منقلب ينقلبون»،[٣] وهو من الّذين تخلفوا عن بيعة أبي بكر.[٤]

ز. موقف سلمان المحمدي:

كان هوىٰ سلمان أن يبايع عليّاً بعد النّبيّ ﷺ، لذا عندما سمع ببيعة أبي بكر قال: «أصبتم الخيرة وأخطأتم المعدن»،[٥] وفي رواية أُخرىٰ قال: «أصبتم ذا السّن منكم وأخطأتم أهل بيت نبيكم لو جعلتموها فيهم ما اختلف عليكم اثنان ولأكلتموها

---

(١) تأريخ الطّبريّ ٢: ٥٨٦، تهذيب ابن عساكر ٥: ٥١، أنساب الأشراف ١: ٥٨٨، أُسد الغابة ٢: ٨٢، شرح النّهج ١: ١٣٥.

(٢) شرح النّهج ٦: ٥.

(٣) تأريخ اليعقوبيّ في ذكر ما نقم علىٰ أبي ذر ٢: ١٢٠، البحار ٨: ٤٩، والآية: ٢٢٧ من سورة الشّعراء.

(٤) الرّياض النّضرة ١: ١٦٧، تأريخ الخميس ١: ١٨٨، ابن عبد ربه ٣: ٦٤، تأريخ أبي الفداء ١: ١٥٦، ابن شحنة بهامش الكامل: ١١٢، شرح النّهج ١: ١٣٠، السّيرة الحلبية ٣: ٣٩٤.

(٥) شرح النّهج ٢: ١٣١ و٦: ١٧.

رغداً» وقال في اللّغة الفارسية: «كرداذ وناكرداذ ـ أي علمتم وماعلمتم ـ لو بايعوا عليّاً لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم».[١]

ح. موقف أبي سفيان صخر بن حرب الأُموي:

هو العدو الأوّل لرسول الله ﷺ، والعدو اللّدود لعليّ بن أبي طالب عليه السلام وللإسلام منذ بدء الدّعوة الإسلاميّة حتىٰ غُلِبَ علىٰ أمره في فتح مكّة، وتوفي في صدر خلافة عثمان، ولم يدخل الإيمان في قلبه، ولا في قلب أولاده، وعندما توفي رسول الله ﷺ وكان غائباً عن المدينة، رجع فلقي رجلاً في بعض طريقه مقبلاً من المدينة، فقال له: مات محمّد؟ قال: نعم. قال: فمن قام مقامه؟ قال: أبو بكر. قال أبو سفيان: فماذا فعل المستضعفان عليّ، والعباس؟ قال: جالسين. قال: أما والله لئن بقيت لهما لأرفعن من أعقابهما، ثمّ قال: إني أرىٰ غبرة لا يطفيها إلّا دم، ثمّ لما وصل المدينة جعل يطوف في أزقتها ويقول:

بني هاشم لاتطمعوا النّاس فيكم ولا سيما تيم بن مرة أو عدي
فما الأمر إلّا فيكم وإليكم وليس لها إلّا أبو حسن عليّ

الأبيات[٢].

وفي رواية: زاد اليعقوبيّ:

أبا حسن فأشدد بها كف حازم فإنك بالأمر الّذي يرتجىٰ ملي[٣]

وزاد الطّبريّ في تأريخه: «... أين المستضعفان! أين الأذلان! عليّ، والعباس؟

---

(١) أنساب الأشراف ١: ٥٩١.

(٢) العقد الفريد ٣: ٦٢، السّقيفة برواية شرح النّهج لابن أبي الحديد ٣: ١٢٠.

(٣) تأريخ اليعقوبيّ ٢: ١٥٠، شرح النّهج ٦: ٧.

وقال: أبا حسن ابسط يدك حتىٰ أُبايعك فأبىٰ عليّ عليه السلام وجعل يتمثل بشعر المتلمس:

إن الهوان حمار الأهل يعرفه والجر ينكره والرّسلة الأجد

الأبيات:[١]

والسّؤال الّذي يطرح نفسه لماذا يستنصر الإمام عليّ عليه السلام الغرباء من المهاجرين والأنصار ويحمل بضعة المصطفىٰ فاطمة الزّهراء عليها السلام، علىٰ حمار ويسير بها ليلاً إلىٰ بيوت الأنصار يسألهم النّصرة... ويرفض بيعة شيخي قريش؟ وأعتقد أنّ الجواب واضح لكل ذي لُبّ وهو: أنّ أبا سفيان كان يريد أنْ يشعل الفتنة وذلك من خلال قوله: «لا يطفيها إلّا دم»؛ لأن الزّعامة والقيادة الّتي كانت في زمن الجاهلية وكذلك في زمن الإسلام قد خرجت من قومه، ولم يأبه للدين الّذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله، وبقي الكفر متشرباً في نفسه... فنظرته إذن للزعامة لا للدين والحقّ، والعصبية هي عماد الحياة العربية عنده وعند أمثاله... وهو يتذكر قول عمر بن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله، يوم فتح مكّة حين قال: يارسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بلا عقد ولا عهد، فدعني فلأضرب عنقه..، ثمّ قال له العباس: مهلاً ياعمر فوالله أنْ لو كان من رجال بني عدي بن كعب ماقلت هذا، ولكنك عرفت أنه من رجال بني عبد مناف[٢] وأبو سفيان هو القائل: «... مالنا ولأبي فصيل إنّما هي بنو عبد مناف»[٣]. ورأي الأنصار في بداية الأمر لبوا نداء العصبية وحدها، وكذلك الأوس أيضاً اندفعت بداعي العصبية لبيعة أبي بكر حتىٰ

---

(١) تأريخ الطّبريّ ٣: ٤٤٩، والسّقيفة لأبي بكر الجوهري برواية شرح النّهج لابن أبي الحديد ٢: ١٣٠.

(٢) السّيرة لابن هشام ٤: ٢١.

(٣) تأريخ الطّبريّ ٢: ٤٤٩.

تدفع الإمارة والزّعامة عن الخزرج، وهذا هو عمر بنفسه يلبي داعي العصبية الجاهلية الحمقاء في حجاجه بالسقيفة فلم يشذ أبو سفيان إذاً عن هؤلاء القوم؟ غير أنّ أبا حسنٍ ترفع وعلا وسما عن هذه النّعرة الخبيثة، فهو يراها ويريدها قرآنية صرفة ونبوية صلدة، ولذا يطلب النّصرة من أصحاب الدّين، كسلمان، وعمار، والمقداد، وأبي ذر أصحاب العقيدة والمبدأ... ولذا قال لأبي سفيان: «لو وجدت أربعين ذوي عزم لناهضتهم». وقد وصف الإمام عليّ عليه السلام موقف أبي سفيان في الكتاب الّذي أرسله إلىٰ معاوية ابن أبي سفيان: «فأبوك كان اعلم بحقي منك، وإنك تعرف من حقي ماكان أبوك يعرفه تصب رشدك»،[1] ولكن عندما يئس أبو سفيان من عليّ عليه السلام وخاف الحزب الحاكم منه قال عمر بن الخطاب لأبي بكر عندما رأىٰ أبا سفيان مقبلاً إليهما: «إن هذا قد قدم وهو فاعل شراً، وقد كان النّبيّ صلى الله عليه وآله يستألفه علىٰ الإسلام فدع له ما بيده من الصّدقة، ففعل، فرضي أبو سفيان وبايعه».[2]

وروىٰ الطّبريّ بأنه تم التّفاهم بين أبي سفيان، وبين أبي بكر، وعمر بن الخطاب، علىٰ أنْ يُعين ابنه يزيد بن أبي سفيان أميراً علىٰ الجيش الغازي سوريا.[3]

وها هو معاوية أيضاًيعترف لمحمّد بن أبي بكر، بفضل عليّ بن أبي طالب وأحقيته بالخلافة فيقول: «فقد كُنا، وأبوك فينا، نعرف فضل ابن أبي طالب وحقه لازماً لنا مبروراً علينا... كان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزه حقه وخالفه علىٰ أمره،

---

(١) ابن عبد ربه ٣: ١١٢، شرح النّهج ٢: ٢٢١، وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٤٩.

(٢) ابن عبد ربه ٣: ٦٢.

(٣) تأريخ الطّبريّ ٥: ٤٤٩.

علىٰ ذلك اتفقا واتسقا، ثمّ أنهما دعواه إلىٰ بيعتهما فأبطأ عنهما...».[١]

ط. موقف فروة بن عمرو:

كان ممن تخلف عن بيعة أبي بكر، وهو الّذي جاهد بين يدي رسول الله ﷺ وقاد فرسين في سبيل الله، وكان ممن يتصدق، فقد كان يتصدق بألف وسق من نخله كلّ عام، وكان سيداً في قومه وقد شهد الجمل مع عليّ عليه السلام[٢].

ي. موقف سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصاريّ:

سبق أن أشرنا إلىٰ موقفه، ولكن نذكر هنا موقفاً آخر له في خلافة عمر بن الخطاب. فقد لقيه عمر بن الخطاب في بعض طُرق المدينة فقال له: «أيه سعد!؟ فقال له: أيه عمر!؟ فقال له عمر: أنت صاحب المقالة؟ قال سعد: نعم، أنا ذلك، وقد مضىٰ إليك هذا الأمر، كان والله صاحبك أحبّ إلينا منك، وقد أصبحت والله كارهاً لجوارك. فقال عمر بن الخطاب: من كره جوار جارٍ تحول عنه، فقال سعد: ما أنا غير مستسر بذلك، وأنا متحول إلىٰ جوار من هو خير منك... فلم يلبث إلّا قليلاً حتىٰ خرج إلىٰ الشّام في أوّل خلافة عمر بن الخطاب...».[٣] وقد أشار عمر ابن الخطاب، علىٰ أبي بكر بقتل سعد وقال: لا تدع سعداً حتىٰ يُبايع وإلّا فليقتل، لكن ابن بشير قال لعمر: «أنه قد لج وأبىٰ، وليس بمبايعكم حتىٰ يُقتل، وليس بمقتول حتىٰ يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته، فأتركوه فليس تركه بضاركم إنّما هو رجل واحد»،[٤] وبقي علىٰ هذا الحال إلىٰ خلافة عمر، وهنا جاء

---

(١) مروج الذّهب ٢: ٦٠، وقعة صفين: ١٣٥، شرح النّهج ٢: ٦٥ و ١: ٢٨٤.

(٢) الموفقيات: ٥٩٠.

(٣) الطّبقات لابن سعد ٣: ق٢: ١٤٥، تأريخ ابن عساكر ٦: ٩٠، كنزالعمّال ٣: ١٣٤، السّيرة الحلبية ٣: ٣٩٧.

(٤) تأريخ الطّبريّ ٣: ٢٢٢، تأريخ ابن الأثير ٢: ٣٣١.

نسج الأساطير بأن سعداً قتلته الجن: «بأنه جلس ـ يبول في نفق فاقتتل فمات من ساعته، ووجدوه قد أخضر جلده»،[١] الله أكبر كبيرا؟ هل حدثنا التّأريخ الإسلامي أو تأريخ الأديان عن رجل قتله الجن غير سعد بن عبادة وكذلك أخبر الجن عنه ولم يخفِ الجن جريمته؟ ولا ندري مانوع القتال الّذي دار بين سعد وبين الجن؟ ولا ندري أيضاً أهو قتال مادي بالسيوف والرّماح أم قتال روحي؟ ولا ندري أيضاً مَنْ الّذي صور لنا هذا الفلم الكاريكتيريّ؟ ومَنْ الّذي أخرجه بهذا الشّكل المسرحيّ؟

الجواب علىٰ كلّ هذه التّساؤلات والألغاز تظهر من أقوال المؤرخين والكتاب المنصفين. وعلىٰ سبيل المثال يقول البلاذريّ في أنساب الأشراف: «إن سعد بن عبادة لم يُبايع أبا بكر وخرج إلىٰ الشّام فبعث عمر بن الخطاب رجلاً وقال: أدعُهُ إلىٰ البيعة واحتل له، فإن أبىٰ فاستعن الله عليه. فقدم الرّجل الشّام فوجد سعداً في حائط بحوارين ـ قرية في حلب ـ فدعاه إلىٰ البيعة، فقال: لا أُبايع قرشياً أبداً. قال: فإني أقاتلك. قال: وإن قاتلتني، قال: أفخارج أنت مما دخلت فيه الأُمّة؟ قال: أمّا من البيعة فإني خارج، فرماه بسهم فقتله».[٢] وفي تبصرة العوام: «إنهم أرسلوا محمّد بن مسلمة الأنصاريّ فرماه بسهم. وقيل: إن خالداً كان في الشّام يومذاك، فأعانه علىٰ ذلك».[٣] وهذا يذكرنا بقول معاوية بن أبي سفيان في قتله للأخيار والأبرار والأصحاب من أمثال مالك الأشتر، حين قال ـ أي معاوية ـ إن

---

(١) طبقات ابن سعد ٣: ٦١٧، مختصر تأريخ دمشق ٩: ٢٤٦، الاستيعاب ٢: ٥٩٩، العقد الفريد ٤: ٢٥٩، شرح النّهج ١٠: ١١١ و١٧: ٢٢٣، أنساب الأشراف ١: ٥٨٩.

(٢) أنساب الأشرلف ١: ٥٨٩، العقد الفريد ٣: ٦٤، بإختلاف بسيط في بعض الألفاظ.

(٣) تبصرة العوام: ٣٢.

لله جنوداً من عسل!؟

ك. موقف الوالدّ من الولد :

لسنا بصدد بيان حياة أبي قُحافة والدّ أبي بكر، وما هو عليه من عقائد وأفكار، ولكن نأخذ الرّسالتين المتبادلتين بين الولد ووالدّه: فقد كتب أبوبكر إلىٰ أبيه مايلي: «من خليفة رسول الله ﷺ إلىٰ أبيه أبي قُحافة... أمّا بعد: فإن النّاس تراضوا بيّ، فأني اليوم خليفة الله، فلو قدمت علينا كان أحسن بك»، فلما قرأ أبو قُحافة الكتاب قال للرسول الّذي حمله: ما منعكم من عليٍّ؟ قال الرّسول، هو حدث السّن وقد أكثر القتل في قريش وغيرها، وأبوبكر هو أسن منه... قال أبو قُحافة: إن كان الأمر في ذلك بالسن، فأنا أحقّ من أبي بكر، لقد ظلموا عليّاً حقه، وقد بايع له النّبيّ وأمرنا ببيعته، ثمّ كتب إليه: «من أبي قُحافة إلىٰ أبي بكر، أمّا بعد: فقد أتاني كتابك، فوجدته كتاباً أحمق ينقض بعضه بعضاً، مرة تقول خليفة رسول الله، ومرة تقول خليفة الله، ومرة تقول تراضىٰ بيّ النّاس، وهو أمر ملتبس، فلا تدخلن في أمر يصعب عليك الخروج منه غداً ويكون عقابك منه إلىٰ النّدامة وملامة النّفس اللّوامة لدىٰ الحساب يوم القيامة؛ فإن للأُمور مداخل ومخارج، وأنت تعرف من هو أولىٰ بها منك، فراقب الله كأنك تراه، ولا تدعن صاحبها فإن تركها اليوم أخف عليك وأسلم لك»[١].

ل. موقف أُم مسطح بن اثالة (سلمىٰ أبنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف) :

وهي خالة أبي بكر الصّديق، لما سمعت ببيعة أبي بكر وتخلف عليّ عليه السلام عن بيعته واشتداد عمر وأبي بكر عليه خرجت إلىٰ قبر رسول الله ﷺ وقالت:[٢]

---

(١) شرح النّهج للخوئيّ ٣: ٣٩، نقلاً عن الاحتجاج للطبرسيّ، عليّ والحاكمون للدكتور محمّد الصّادقي: ١٠٤.

(٢) شرح النهج للخوئي ٣: ٣٩، نقلاً عن الاحتجاج للطبرسي، عليّ والحاكمون للدكتور محمّد الصادقي: ١٠٤.

قـد كـان بـعدك أنـباء وهـنبثة لو كنت شاهدها لم تكـثر الخـطب
إنّـا فـقدناك فـقد الأرض وابـلها واختل قومك فأشهدهم ولا تغب

م. موقف النّعمان بن عجلان الزّرقي الأنصاريّ:

هو أحد شعراء الأنصار، بل كان لسان حالهم استعمله الإمام عـليّ عـلىٰ البحرين، واشترك في الجمل مع عليّ في صفين ضد معاوية، وله أبيات رائعة في صفين منها:(١)

كيف التّفرق والوصي إمـامنا لا كـيف إلّا حـيرة وتخـاذلا
فذروا معاوية الغوي وتابعوا دين الوصي لتحمدوه آجـلا

وله قصيدة يخاطب فيها عمرو بن العاص في قصة السّقيفة:(٢)

فـذاك بـعون الله يـدعو إلىٰ الهـدىٰ وينهىٰ عن الفحشاء والبـغي والنّكـر
وصي النّـبيّ المـصطفىٰ وابـن عـمه وقـاتل فـرسان الضّـلالة والكـفر

س. رأي عمر بن الخطاب في أبي بكر:

سبق أن أشرنا إلىٰ أقوال عمر بن الخطاب، وغيره، في أبي بكر، لكن نختم

---

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٢٣، وشرح النّهج ١: ٤٩.

(٢) الموفقيات برواية المعتزليّ في النّهج ٦: ٣١، وقال السّيد عبد الحسين شرف الدّين (قده) في المراجعات: ٥١٣، تحقيق حسين الرّاضي أنّ ابن عبد البر أورد القصيدة، لكنه حذف هذين البيتين؛ لأنّها محل الشّاهد. ويقول السّيد العسكريّ في كتابه عبدالله بن سبأ ١: ١٦٣ وجاء بعد ابن عبد البر ابن الأثير فحذف في أُسد الغابة ٥: ٢٦، هذه القصيدة بكاملها، وذكر شعراً يفتخر بقومه، ثمّ جاء ابن حجر بعده فردد نفس كلام الأبناء الّذين سبقوه: «ابن عبد البر، وابن الأثير، وابن حزم، وابن الأعور...»بتصرف. وترجمة النّعمان في الاستيعاب ١: ٢٩٨، أُسد الغابة ٥: ٢٦، الإصابة ٣: ٥٣٢، الجمهرة: ٣٢٧، الاشتقاق: ٤٦١.

القول بكلام عمر بن الخطاب، في أبي بكر، وهو وليه وصاحبه وأخوه، وممن عقد له البيعة، ولكنه ذمه في مواقف كثيرة، منها قوله لابنه عبد الله عندما أتاه عبد الرّحمن بن أبي بكر، يسأله في أمر الحطيئة الشّاعر المعروف: عبد الرّحمن بن أبي بكر لدويبة سوء، ولهو خير من أبيه... روىٰ ذلك الهيثم بن عدي الطّائيّ[١]، عن عبد الله بن عياش الهمداني[٢]، عن سعيد بن جبير قال: «ذُكر أبو بكر، وعمر، عند عبد الله بن عمر بن الخطاب، فقال رجل من القوم: كانا شمسي هذه الأُمّة وبدريها، فقال ابن عمر: وما يُدريك؟ فقال الرّجل: أليس قد ائتلفا؟ فقال ابن عمر: بل اختلفا لو كنتم تعلمون، فأشهد أني كنت عند أبي يوماً، وقد أمرني أن أهيئ أحلاساً، وأصلح منها، إذ استأذن عبد الرّحمن بن أبي بكر فقال أبي: دويبة سوء ولهو خير من أبيه !فأوحشني منه ذلك، فقلت يا أبه: عبد الرّحمن خير من أبيه؟ فقال: ومن ليس خيراً من أبيه؟ لا أُمّ لك. وأذن لعبد الرّحمن فدخل فكلمه في أمر الحطيئة، أن يرضىٰ عنه... فألح عليه عبد الرّحمن فأبىٰ، وخرج عبد الرّحمن فأقبل علىٰ عمر، فقال: أوفي غفلة أنت إلىٰ يومك هذا عما كان من أمحج «أُحَيمق» بني تيم، وتقدمه عليَّ، وظلمه لي؟ فقلت: يا أبه لا اعلم شيئاً من ذلك...»[٣].

وفي حديث طويل عن الهيثم عن مجالد بن سعيد قال: «غدوت يوماً علىٰ

---

(١) هو أبو عبد الرّحمن المنبجي، ثمّ الكوفيّ (ت ٢٠٧ هـ) لسان الميزان ٦: ٢٠٩، الجرح والتّعديل ٩: ٨٥، سير أعلام النّبلاء ١٠: ١٠٣.

(٢) هو أبو الجراح الكوفيّ حدث عن عامر الشّعبي، تأريخ بغداد ١٠: ١٤، تأريخ الذّهبيّ ٩: ٤٦٥، تلخيص الشّافيّ ٣: ١٦٠.

(٣) تلخيص الشّافيّ ٣: ١٦٠، وفي الشّافيّ ٢: ١٢٦، راجع قصة الحطيئة في فوات الوفيات لمحمد شاكر الكتبي ١: ٢٧٦، ومن أراد المزيد فيلاحظ المسترشد في إمامة أميرالمؤمنين للطبريّ الإماميّ تحقيق المحموديّ: ٢٤٢ و ٢٤٥.

الشّعبي وأنا أريد أن أسأله عن شيء بلغني أنّ ابن مسعود... إذ أقبل رجل من الأزد فجلس إلينا فأخذنا في أبي بكر، وعمر، فضحك الشّعبي وقال: لقد كان في صدر عمر بن الخطاب خبّ علىٰ أبي بكر...»[1].

وروىٰ شريك بن عبدالله بن أبي شريك النّخعي، عن محمّد بن عمرو بن مرة، عن عبدالله بن أبي سلمة، عن أبي موسىٰ الأشعريّ، قال: «حججت مع عمر، فلما نزلنا وعظم النّاس خرجت من رحلي وأنا أريد عمر ونحن بمكّة، فلقيت المغيرة فقال: أين تُريد؟ فأعلمته أني أريد عمر... فمضينا جميعاً فدخلنا عليه، فذكرنا أبابكر فقال عمر: كان والله أعق وأظلم، وكان والله أحسد قريش كلّها، والهفتاه علىٰ ضليل بني تيم بن مرة! والله لقد تقدمني ظالماً وخرج إليّ منها آثماً... ولكني قدمت وأخرت وصعدت، وصوبت ونقضت وأبرمت... فقال له المغيرة فما منعك منها وقد عرضها عليك يوم السّقيفة؟ فقال له عمر: ثكلتك أُمّك يامغيرة... إن الرّجل ماكرني فماكرته، فألفاني أحذر من قطاة، إنه لما رأىٰ شغف النّاس به... وقد علمت أني لو قبلت ماعرض عليَّ...وأخباها عليَّ ضغناً في قلبه... والله عاتبني مرة علىٰ شيء كان بلغه عني، وذلك أنه لما قدم عليه الأشعث بن قيس أسيراً فمنّ عليه وزوجه أُمّ فروة بنت أبي قُحافة، قلت للأشعث وهو بين يديه: أبعد إسلامك ارتددت كافراً؟... فنقل الزّبرقان الكلام إلىٰ أبي بكر فذكر ذلك...، ثمّ قال: إنك لتشوق إليها يابن الخطاب؟ فقلت: ومايمنعني من التّشوق إلىٰ ماكنت أحقّ به ممن غلبني عليه؟ أمّا والله لتكفن أو لأقولن كلمة بالغة بيّ وبك مابلغت، فإنْ شئت استدمت ما فيه عفواً. قال: بل أستديمه وهي صائرة إليك بعد أيام، فما

---

(١) المصدر السّابق. وفيه أنّ معنىٰ الخبّ أو الضّب: الحقد الخفي والغيظ والعداوة، الخدّاع الّذي يفسد النّاس بالخداع ويمكر ويحتال في الأمر «تلخيص الشّافيّ ٣: ٢٩» بتصرف.

ظننت أنْ تأتي عليه جمعة بعد ذلك حتىٰ يردها إليَّ، فوالله ما ذكر ليّ منها حرفاً بعد ذلك...»[١].

والسّؤال الّذي يطرح نفسه أفبعد هذا كله، تحتجون بالإجماع بعد أنْ اعترفتم بعدم وجود النّص علىٰ أبي بكر؟ وكيف ينعقد الإجماع ولم يُبايع هؤلاء الّذين ذكرناهم، وحتىٰ صاحبه عمر بن الخطاب لم يبايعه من داخل نفسه وقلبه، بل بايعه خوفاً من مكره كما صرح به هو، وكان يترقبها كما اعترف هو أيضاً، بل كان هنالك اتفاق مبرم بينهم علىٰ تداولها.

أمّا إذا أردتم ثبوت الإجماع علىٰ الثّلاثة ـ أبي بكر، وعمر، وعثمان ـ فهذا باطل بالأدلة السّابقة لغياب أهل الحل والعقد، وحتىٰ في داخل السّقيفة خرج سعد بن عبادة علىٰ الإجماع. أمّا قولكم بأنه ـ أبابكر ـ لم يُنازع فهو باطل أيضاً؛ لأن النّزاع كان حاصلاً داخل السّقيفة وخارجها، فقد نازعه الإمام عليّ عليه السلام لكن نزاعه ليس بالسيف ولو شاء لفعل، ولكنه فضل مصلحة الإسلام علىٰ حقه الشّرعي، وهذه خطبة الشّقشقية تدل علىٰ ذلك، وقد نازَعته أيضاً بضعة المصطفىٰ لكن الأوّل ردّ شهادتها وردّ شهادة الحسن والحسين عليهما السلام.. فأي إجماع هذا الّذي وصفه ابن عباس بأنه الرّزية كلّ الرّزية؟ وقال الإمام عليّ عليه السلام لأبي بكر: «أفسدت علينا أُمورنا ولم تستشر ولم ترع لنا حقاً»[٢]، وقد إعترف أبو بكر بعد هذا الكلام مباشرة فقال: «بلىٰ، ولكني خشيت الفتنة»[٣].

---

(١) الشّافيّ ٤: ١٢٩، تلخيص الشّافيّ للشيخ الطّوسيّ ٣: ١٦٢؛ شرح النّهج لابن أبي الحديد ٢: ٣٠، المسترشد في الإمامة: ٢٤٧.

(٢) مروج الذّهب ١: ٤١٤، الإمامة والسّياسة ١: ١٢ و١٤.

(٣) المصدران السّابقان.

وبهذا وذاك ننهي الكلام عن بيعة أبي بكر بأنها باطلة من كـلّ الوجـوه، ولم يتوفر فيها أي شرط من الشّروط الّتي ذكروها من خلال طُرق تعيين الإمـير أو الخليفة إلّا الطّريق الخاص، ألا وهو الغصب والإكراه وقوة السّيف والسّياف وهو ما وقع فعلاً.

بيعة عمر بن الخطاب

عندما استتب الأمر لأبي بكر بعد أنْ انصرف الإمام عليّ عليه السلام مكرهاً كما أوضحنا ذلك سابقاً، وانصرف المسلمون إلىٰ جهاد أعدائهم خارج الحدود الإسلاميّة، وأخذ المتنبئون ينتشرون في أنحاء الجزيرة العربية، ونجمت الفتنة في كلّ مكان وهددت كيان الأُمّة الإسلاميّة وأخذ العرب ينقضّون علىٰ المسلمين ويخرجون من ربقه الإسلام قبيلة إثر قبيلة، نتيجة الفلتة الّتي وقىٰ شرها كما قال عمر بن الخطاب؛ لأنّها تمت بدون النّص وبدون استشارة أهل الحل والعقد و... و... و... وبعدما تبين الفشل الذّريع الّذي انتهجوه في تنصيب أبي بكر؛ لأنه لم يصمد أمام التّحديات، وأصبحت المدينة تغلي، كالمرجل عندما بلغهم تناحر الأصحاب علىٰ الإمارة وامتناع بني هاشم عن البيعة وسعد بن عبادة و... و... و... وامتناعهم عن دفع الزّكاة بعد وفاته صلى الله عليه وآله، ومرد ذلك إلىٰ عدم الخضوع لأبي بكر، والامتناع عن بيعته لا الامتناع عن أداء الزّكاة وعدم قبولهم الصّلاة كما وصفوهم، ولذا حاربهم أبو بكر وسلط عليهم السّيف بحجة انهم مرتدون، وسموا جميع حروبه حتىٰ للمتنبئين والمشركين الّذين كانوا خارج المدينة «بحروب الرّدة»، علماً بأن الرّدة كانت في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله كما حدث لعبدالله بن سعد بن أبي سرح الّذي أسلم وهاجر إلىٰ المدينة...، ثمّ ارتد مشركاً وصار إلىٰ قريش

بمكّة... وقد أهدر رسول الله ﷺ دمه وأمر بقتله ولو وجد متعلقاً بأستار الكعبة... ولكنه فرّ إلىٰ عثمان أخيه من الرّضاعة فغيبه عنده مدة، ثمّ ولاه في زمن خلافته مصر.[١] وارتد في زمنه ﷺ عبيد الله بن جحش زوج أُمّ حبيبة بعد أنْ أسلم معها وهاجر إلىٰ الحبشة فتنصر ومات علىٰ النّصرانية.[٢] وارتد كذلك عبد الله بن خطل الّذي قُتل وهو متعلق بأستار الكعبة[٣].

أمّا ارتداد مالك بن نويرة بن جمرة بن شداد التّميميّ اليربوعيّ، كما يدعون فهو ليس بارتداد بالمعنىٰ اللّغوي ـ أرجعه، صرفه عنه ـ ولا هو بالمعنىٰ الاصطلاحي: الإرجاع عن الدّين وصرف المسلمين عن الإسلام. حتىٰ يستحق القتل طبقاً للنصّ الشّرعي هذا أولاً.

وثانياً: لقد أفتىٰ الفقهاء سُنّة وشيعة بأنّ المرتد يمهل ثلاثة أيام للمناقشة فيما إذا التّبس عليه من أمر الدّين وطروء الشّبهات.[٤] وقال الإمام مالك: ثلاثة أيام بلياليها من يوم الثّبوت لا من يوم الكفر بلا جوع ولاعطش، بل يُطعم ويسقىٰ ولا يعاقب خلال هذه المدة.[٥] وقال الإمام الشّافعيّ بوجوب الاستتابة؛ لأنه كان محترماً بالإسلام[٦]. وقال الإمام أحمد بن حنبل بوجوب البلوغ والعقل وكان الكفر بقوله وعمله لا بالأحتمال من تسع وتسعين وجهاً ويحتمل الإيمان من وجه

---

(١) الاستيعاب ٢: ٣٦٧ برقم: ٤٧١١، الإصابة ٢: ٣٠٩.

(٢) الإصابة ١: ١١.

(٣) المصدر السّابق.

(٤) أنظر كتاب المبسوط للسرخسي ١٠: ٩٨.

(٥) الشّرح الكبير للدّرديريّ ٤: ٢٧٠.

(٦) حاشية البجيرمي علىٰ شرح المنهج باب الرّدة.

واحد.[١] وقال عمر لابي بكر: علامَ تُقاتل النّاس وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أُقاتل النّاس حتىٰ يشهدوا أنْ لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله...[٢]؟

والسّؤال الّذي يطرح نفسه علىٰ المنصفين والعلماء الخيرين أصحاب الكلام والفقه والدّين والتّحقيق والنّظر والدّراية، أهذه الأساليب الّتي ذكروها أُتبعت مع مالك بن نويرة علىٰ فرض أنه ارتد؟ أم أنّ عدم مبايعته لأبي بكر هي الّتي أدت إلىٰ قتله؟ أم أنّ الحقد الدّفين عليه في قلب خالد بن الوليد هو الّذي أدىٰ إلىٰ قتله؟ أم أنّ الطّمع في زوجته لجمالها ورجاحة عقلها هو الّذي دفع خالد بن الوليد إلىٰ قتله؟ أم حقاً أنّه لم يدفع الصّدقات إلىٰ أبي بكر؛ لأنه استعمل عليها من قبل النّبيّ ﷺ، ولذا لم يدفعها إلّا لصاحبها الشّرعي من بعده ﷺ؟ ثمّ لماذا يداهمهم ليلاً؟ ويروعهم تحت جنح اللّيل، وأخذ القوم سلاحهم تهيُّؤاً للقتال فقال الرّاوي: فقلنا لهم: نحن مسلمون، قالوا: فما بال السّلاح معكم؟ قلنا: فإن كنتم كما تقولون فضعوا السّلاح. قال الرّاوي: فوضعوها ـ أي أسلحتهم ـ ثمّ صلينا وصلوا معنا[٣].

أفبعد هذا كله من الحوار الّذي يدلل علىٰ أنهم من المسلمين وأنهم يؤدون الصّلاة بإمامة قائدهم يبدأ الغدر الجاهليّ ويقطعون عليهم صلاتهم ويربطونهم ويأخذونهم أُسارىٰ لخالد بن الوليد سيف الله المسلول ـ كما تقولون ـ علىٰ خبر بلغه أنّ مالكاً قد ارتد؟

ثمّ يقول مالك بن نويرة لخالد بن الوليد: أنا علىٰ الإسلام ماغيرت ومابدلت، وشهد له بذلك أبو قتادة أخو بني سلمة الأنصاريّ الّذي شهد أُحد مع رسول

---

(١) كشف القناع علىٰ متن الأقناع ٤: ١٠٠، حاشية رد المحتار علىٰ الدّر المختار لابن عابدين: ٢٨٣.

(٢) البداية والنّهاية ٦: ٣٤٣، الأحكام السّلطانية للماورديّ، طبعة مصر الأُولىٰ: ١٧٤.

(٣) صحيح مسلم ٢: ٣ (بتصرف).

الله ﷺ وكان يقال له فارس رسول الله ﷺ.[١] وشهد له أيضاً عبد الله بن عمر بن الخطاب، لكن سيف الله قدمه وأمر ضرار بن الأزور الأسديّ ـ الّذي بعثه خالد بن الوليد سابقاً في سرية أغارت علىٰ حيّ بني أسد وأخذ امرأة جميلة منهم فوطئها، ثمّ ندم، لكن خالد بن الوليد سيف الله طيبها له فلم يقبل وأمره أنْ يكتب إلىٰ عمر ابن الخطاب فيه كتاباً، فكتب عمر بن الخطاب أرضخه بالحجارة لكنه مات قبل وصول الكتاب، وقيل: إنه شرب الخمر مع أبي جندب[٢] ـ أنْ يضرب عنقه فضربه، ثمّ قبض خالد بن الوليد علىٰ امرأته ـ زوج مالك بن نويرة ـ أُمّ تميم فتزوجها،[٣] وزاد اليعقوبيّ «... فلما رآها أعجبته فقال: والله مانلت مافي مثابتك حتىٰ أقتلك»[٤].

وفي تأريخ أبي الفداء: «إنّ أبا قتادة، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، كلما خالداً في أمر مالك لكنه كره كلامهما... وقال مالك لخالد: ابعثنا إلىٰ أبي بكر فيكون هو الّذي يحكم فينا، لكن خالد بن الوليد أبىٰ وقال: لا أقالني الله إنْ أقلتك... فالتفت مالك إلىٰ زوجته وقال لخالد بن الوليد: هذه الّتي قتلتني... فقال خالد بن الوليد: بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام فقال مالك: أنا علىٰ الإسلام...»[٥].

وفي الإصابة: «... قال مالك لامرأته: قتلتِني ـ يعني سأُقتل من أجلك» وزاد «... أمر خالد بن الوليد برأسه فنصب أثفيه الحجر يوضع علىٰ النّار ـ فنضج ما

---

(١) ترجمته في الإصابة ٤: ١٥٧، الاستيعاب ٤: ١٦١، جمهرة أنساب العرب: ٣٦٠.

(٢) ترجمته في الإصابة ٢: ٢٠٠، الاستيعاب ٢: ٢٠٣.

(٣) القصة في كنز العمّال ٣: ١٣٢.

(٤) تأريخ اليعقوبيّ ٢: ١١٠.

(٥) تأريخ أبي الفداء: ١٥٨، وفيات الأعيان ٥: ٦٦، تأريخ ابن شحنة: ١١٤، من هامش الكامل: ١١، فوات الوفيات ٢: ٦٢٧.

فيها قبل أن يخلص النّار إلىٰ شئون رأسه»[١]؛ لأنه كان رحمه الله كثير الشّعر في رأسه. وفي تأريخ اليعقوبيّ: «أنّ خالداً تزوج أُمّ تميم بنت المنهال ـ زوج مالك ـ في تلك اللّيلة»[٢].

وهنا يأتي التّأويل والتّخطئة من قبل أبي بكر فيترك كلّ النّصوص الشّرعية من القرآن والسّنة المطهرة ويأخذ بقول خالد بن الوليد بأنه تأول وأصاب وأخطأ، وعندما طَلب منه عمر بن الخطاب رجمه قال أبوبكر: ما كنت أغمد سيفاً سله الله عليهم.[٣] الله أكبر كبيرا! كيف يحل قتل رجل يتشهد الشّهادتين؟ والفقهاء لا يجوزون تكفير أهل القبلة فكيف بسفك الدّماء الّتي شدد الشّارع الحكيم عليها كثيراً؟ وكيف ولِمَ تُنصب رؤوسهم علىٰ القدور بعد القتل؟ وكيف ينزو علىٰ امرأة وهي لم تمض بعدُ عدتها؟ وكيف تُعطل حدود الله؟ وكيف... وكيف...؟

ونحن لسنا بصدد البحث الفقهي، بل غايتنا الوصول إلىٰ أنّ الطّريقة الّتي اختير بها أبو بكر للإمارة والخلافة غير صحيحة، وعندما أحسوا بذلك عدلوا إلىٰ ولاية العهد؟ ولكن أي عهد هذا؟ أهو عهد من الله أم من رسول الله ﷺ؟ فإذا كان العهد من الله فقد أوضحت وصرحت النّصوص القرآنية والنّبوية والّتي دلت دلالة قطعية علىٰ أهل البيت عليهم السلام من خلال نزول الآيات الكريمة بحقهم مثل: ﴿...إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٤] وآية المباهلة و... و... إلخ.

---

(١) الإصابة ٣: ٣٣٧، تأريخ الطّبريّ ٢: ٥٠٣، ابن كثير ٦: ٣٢٢، تأريخ أبي الفداء: ١٥٨، شرح النّهج لابن أبي الحديد ١٧٦، ترجمته في فوات الوفيات ٢: ٦٢٧.

(٢) تأريخ اليعقوبيّ ٢: ١١٠.

(٣) المصادر السّابقة والإصابة ٣: ٣٤٠، الاستيعاب ٣: ٤٨٨، كنز العمّال ٣: ١٢٣ ح ٢٢٨.

(٤) الأحزاب: ٣٣.

وأمّا إذا كان العهد من قبل الرّسول الأكرمﷺ فقد أوضحنا ذلك من خلال حديث الثّقلين والغدير والمنزلة و... و... إلخ.

أمّا الإجماع المدعىٰ من قبل المدعي فقد أبطلنا ذلك أيضاًببحثنا السّابق من خلال عدم دخول الإمام عليّعليه السلام في الإجماع ورفضه لبيعة أبي بكر، وكذلك سعد ابن عبادة و... و... و... إلخ، إلىٰ غير ذلك من الأدلة. فبعد هذا وذاك لا يبقىٰ غير عهد أبي بكر لعمر بن الخطاب بالخلافة من بعده، ولذا دخل أُسلوب الحكم في الإسلام في دور ثانٍ، وهذا ما أثار لغطاً واحتجاجاً آخر بين النّاس عامة وبني هاشم خاصة، فهذا طلحة وغيره يقولون لأبي بكر حين علموا بالأمر ـ العهد ـ «وليت علينا فظاً غليظاً»،[1] واقتنع أصحاب السّقيفة بأنّ هذا هو الحل الأمثل، ولذا عهد أبو بكر لعمر بن الخطاب وهو علىٰ فراش الموت، ثمّ تبعه عمر بن الخطاب وهو أيضاً علىٰ فراش الموت لعثمان بن عفان وهذا ما سنبينه الآن، ولكن نورد بعض المقتطفات من أقوال فقهاء أهل السُّنة عن ولاية العهد لتصحيح ما سار عليه أهل السّقيفة بعد ذلك.

قال الماورديّ: «... والإمامة تنعقد من وجهين: أحدهما بإختيار أهل العقد والحل، والثّاني بعهد الإمام من قبله... وأمّا إنعقاد الإمامة بعهد من قبله، فهو مما أنعقد الإجماع علىٰ جوازه ووقع الإتفاق علىٰ صحته لأمرين، عمل المسلمون بهما ولم يتناكروهما: أحدهما: إنّ أبا بكر، عهد إلىٰ عمر بن الخطاب، فأثبت المسلمون إمامته بعهده. والثّاني: إنّ عمر عهد بها إلىٰ أهل الشّورىٰ فقبلت الجماعة دخولهم فيها، وهم أعيان العصر، اعتقاداً لصحة العهد بها، وخرج باقي الصّحابة

---

(١) الطّبقات لابن سعد ٣: ١٩٩، الإمامة والسّياسة ١: ٢٥، الطّبريّ ٤: ٤٢٨، شرح النّهج ١: ١٦٤، الكامل لابن الأثير ٢: ٤٢٥.

منها...»[١]

وقال الأشعريّ في الاستدلال علىٰ صحة خلافة أبي بكر: «... وإذا وجبت إمامة عمر، وجبت إمامة أبي بكر كما وجبت إمامة عمر؛ لأنه العاقد له الإمامة...».[٢] وقال في موضع آخر: «... وإذا ثبتت إمامة الصّديق ثبتت إمامة الفاروق؛ لأن الصّديق نصّ عليه، وعقد له الإمامة، واختاره لها»[٣].

وقال الباقلانيّ: «... ويوضح ذلك أيضاً أنّ أبا بكر عقدها لعمر فتمت إمامته وسلم عهده بعقده له»[٤].

وقال عبد القاهر البغداديّ: «... وإذا صحت بذلك إمامة عمر صحت إمامة من استخلف عمر وهو أبو بكر»[٥]. وقال في موضع آخر: «... واختلفوا أيضاً في الوصية بالإمامة إلىٰ واحد بعينه يصلح لها، فقال أصحابنا مع قوم من المعتزلة والمرجئة والخوارج: إن الوصية صحيحة جائزة غير واجبة، وإذا أوصىٰ بها الإمام إلىٰ من يصلح لها وجب علىٰ الأُمّة إنفاذ وصيته، كما أوصىٰ بها أبو بكر إلىٰ عمر وأجمعت الصّحابة علىٰ متابعته فيها»[٦].

وقال التّفتازانيّ: «... الثّاني إستخلاف الإمام وعهده وجعله الأمر شورىٰ بمنزلة الإستخلاف، إلّا أنّ المستخلف غير متعين، فيتشاورون ويتفقون علىٰ

---

(١) الأحكام السّلطانية: ٧، شرح المقاصد ٥: ٢٣٣.

(٢) الإبانة عن أُصول الدّيانة: ١٨٧.

(٣) المصدر السّابق: ١٨٩.

(٤) التّمهيد في الرّد: ١٧٩.

(٥) أُصول الدّين: ٢٨٤.

(٦) المصدر السّابق: ٢٨٥، المواقف للأيجي: ٣٩٩.

أحدهم...»[١]

وقال ابن حزم الظّاهريّ: «... فوجدنا عقد الإمامة يصح بوجوه: أوّلها وأفضلها وأصحها: أنْ يعهد الإمام الميت إلىٰ إنسان يختاره إماماً بعد موته، وسواء فعل ذلك في صحته ومرضه أو عند موته، إذ لا نصّ في ذلك ولا إجماع علىٰ المنع من أحد هذه الوجوه... وقال: وهذا هو الوجه الّذي نختاره ونكره غيره، لما في هذا الوجه من إتصال الإمامة، وانتظام أمر الإسلام وأهله، ورفع مايتخوف من الإختلاف والشّغب... وإنْ مات الإمام ولم يعهد إلىٰ أحد، أنْ يُبادر رجل مستحق للإمامة فيدعو إلىٰ نفسه ولا منازع له... وأنْ يصيّر الإمام عند وفاته إختيار خليفة للمسلمين إلىٰ رجل ثقة أو إلىٰ أكثر من واحد كما فعل عمر عند موته... وإنْ مات الإمام ولم يعهد إلىٰ إنسان بعينه فوثب رجل يصلح للإمامة فبايعه واحد فأكثر، ثمّ قام آخر ينازعه ولو بطرفة عين بعده، فالحقّ حقّ الأوّل سواء أكان الثّاني أفضل منه أو مثله أو دونه»[٢].

أمّا الغزاليّ قد ذكر طُرقاً أُخرىٰ لتعيين الإمام: «كالتولية من قبل سلطة أُخرىٰ لها الحقّ في تولية هذا الشّخص... فإذا لم تولّه السّلطة لا يكون إماماً. والّذي يملك حقّ التّولية اثنان: النّبيّ وإمام العصر، وذلك أنْ يُعين الإمام لولاية العهد واحداً من أولاده أو من سائر قريش... وكذلك التّفويض من قبل أهل الحل والعقد... ويتعين الإمام ولو لم يبايعه أحد...»[٣].

ويرىٰ التّفتازانيّ أنّه لاتنعقد الإمامة إلّا ببيعة أهل الحل والعقد،

---

(١) شرح المقاصد ٥: ٢٣٣.

(٢) الفصل ٤: ١٦٩.

(٣) الإقتصاد في الإعتقاد: ٩٧.

والاستخلاف، والقهر والاستيلاء...[١].

وعند دراسة آراء هؤلاء نراهم جميعاً يؤكدون أنّ الأُمّة هي الّتي تُعين الإمام. وكلّ هؤلاء ينحرفون عن هذا المبدإ أيضاً نحو الفردية، ولذا نجد بعضهم لا يشترط أجتماع أهل الحل والعقد في جميع الأُمّة، وإنّما يكتفون بمن وجد في بلد الإمام، بل يكتفون ببعضهم، كالخمسة والثّلاثة، والأربعة والاثنان، بل حتىٰ الواحد،[٢] ولذا نراهم يصححون خلافة بني أُميّة وبني العباس فضلاً عن خلافة الأوّل والثّاني والثّالث؛ لأن بني العباس وبني أُميّة كانوا يعهدون إلىٰ أولادهم دون أن يراجعوا أهل الحل والعقد مطلقاً بدون قيد أو شرط... إلخ[٣].

والسّؤال الّذي يطرح نفسه.

١. كيف تثبتون لنا بأنّ النّبيّ ﷺ لم يترك نصاً يوحي بشيء عن مسألة نظام الحكم كما يدعي الباقلانيّ في التّمهيد والبغداديّ في كتابة أُصول الدّين...؟ ولم يترك لنا نصاً يُبين فيه الشّخص القائم من بعده؟ ولم يترك لنا نصاً يُبين فيه طريق تعيين الإمام من بعده؟

وهل أهمل النّبيّ ﷺ ذلك إهمالاً تاماً وكأن الأمر خارج عن نطاق مهمته ﷺ؟ أو كأنه ﷺ ليست له صلاحية التّدخل في شؤون الأُمّة؟ بل تركهم للحديث المروي: «أنتم اعلم بشؤون دنياكم» الّذي أشار إليه معاوية مع الحصين بن مالك[٤].

---

(١) شرح المقاصد ٥: ٢٣٣، ومغني المحتاج ٤: ١٣٠.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنّحل ٤: ١٦٩، الإقتصاد في الإعتقاد: ٩٧، مغني المحتاج ٤: ١٣١.

(٣) المسامرة في شرح المسايرة: ٢٨١، المواقف وشرحها للأيجي ٨: ٣٥٢، حاشية الباجوري ٢: ٢٥٩.

(٤) العقد الفريد ٥: ٣٣، صحيح مسلم بشرح النّوويّ ١٥: ١١٧، سنن ابن ماجة بشرح السّنديّ ٢: ٩١، مسند

٢. كيف يكون للأُمّة كيان بلا نظام ولا مسؤوليات وتبعات وموازين تنظم المجتمع حسب طبقاته من الفرد والأُسرة والجماعة. وكيف تُنظم حقوق وواجبات الفرد والمجتمع؟ وهل تقبلون بأنّ المجتمع يبقىٰ تحت الفوضىٰ والأنانية البغيضة؟ وأنتم تعلمون بأنّ الفوضىٰ إذا تفشت في المجتمع مزقت كيانه وآل أمره إلىٰ الزّوال؟ وهل نسيتم أو أغفلتم الرّعاية الّتي أولاها رسول اللهﷺ للوظيفة الاجتماعية عندما قالﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الّذي علىٰ النّاس راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والرّجل راعٍ علىٰ أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية علىٰ بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنه، والعبد راعٍ علىٰ مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»،[١] وهو القائل أيضاً: «ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحة لم يجد رائحة الجنّة»،[٢] وهو القائل أيضا: «الإمام الجائر خير من الفتنة، وكلٌ لا خير فيه، وفي بعض الشّر خيار»،[٣] فالفتنة شر، والإمام الجائر شر، ولكن شر الإمام الجائر أهون من الفتنة؛ لأنّها تمزق الكيان الإسلامي، بل الأُمّة المسلمة وغير المسلمة... إلخ.

٣. وكيف تفسرون قولهﷺ: «إذا خرج ثلاثة في سفر فيلؤمروا عليهم أحدهم»؟[٤] وقالﷺ: «لايحل لمسلم أنْ يبيت ليلة وليس في عنقه بيعة لأحد»[٥].

⇔ أحمد ٦: ١٢٣.

(١) البخاريّ ٩: ٧٧ـ٨٠، صحيح مسلم ٦: ٧ و١٢: ٢١٣، ط إحياء التّراث العربيّ.

(٢) البحرالزّخّار لابن المرتضىٰ ٥: ١٢٦.

(٣) نيل الأوطار للشوكانيّ ٨: ٢٥٦.

(٤) المصدر السّابق.

(٥) صحيح مسلم ٦: ٢٠.

وقال أيضاً: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»[١].

وهل من المعقول بعد هذا كله أنْ يترك رسول الله ﷺ أُمّته تموت ميتة جاهلية دون ارتباط بتعهد من الفرد والجماعة؛ لأن البيعة كما ذكرنا هي ارتباط بين طرفين؟

وهل من السّذاجة أنْ يُصدق الإنسان بأنّ رسول الله ﷺ يترك أُمّته هكذا ويأتي غيره، كالماورديّ، والتّفتازانيّ، وابن حزم، أو الأوّل، والثّاني والثّالث، أو عائشة تنبه علىٰ أنّ الأُمّة إذا تُركت بدون إمام يؤدي ذلك إلىٰ الفوضىٰ والاضطراب؟ تعالىٰ الله ورسوله عن ذلك علواً كبيراً.

٤. لم نر لهذا التّخبط أي وجه، فتارة تفوضون أمر الإمارة إلىٰ الأُمّة، ثمّ تقولون بالبيعة من قبل أهل الحل والعقد، ثمّ تقولون يكفي منهم الخمسة، ثمّ تقولون بالواحد، وهكذا، ثمّ تقولون بالإجماع ولم ينازع في ذلك أحد.

وسبق أنْ أشرنا بأنّ الإجماع غير منعقد علىٰ أبي بكر لا قبل البيعة ولا بعد البيعة؛ لأن الأخير ينافي مازعمتموه من الإجماع الأوّل علىٰ بيعته، خاصة إنْ اتفق زمن الإجماعين، وإلّا بطل الإجماع علىٰ أحقية أحد الثّلاثة، سواء تقدم أم تأخر؛ لأن الإجماع علىٰ تعيين واحد هوالّذي يجب اتباعه... أمّا عدم المنازعة فقد أثبتناها سابقاً بأنّ الإمام عليّاً عليه السلام، وفاطمة الزّهراء و... و... قد نازعوه ولم يبايعوه.

٥. أمّا قول البغداديّ: «... واختلفوا في الوصية بالإمامة...، ثمّ يُثبت وصية أبي بكر لعمر. فيا عجباً. ألا تعتبر نسبة عدم الوصية إلىٰ النّبيّ ﷺ من الذّنوب الكبيرة والخطيئة الّتي لاتغتفر؛ لأنه ﷺ هو الّذي ندب إليها كما ندب إليها الكتاب

---

(١) المصدر السّابق.

الكريم، حيث قال تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ﴾[١]، وقال ﷺ: «ماحقّ امرئ مسلم له شيء يُريد أنْ يُوصي فيه يبيت ليلتين إلّا ووصيته مكتوبة عنده»،[٢] والنّبيّ ﷺ كان لأُمّته بمثابة الأب الشّفيق علىٰ أولاده الصّغار فكيف يترك الوصية؟

وأخيراً اقتنع أهل السُّنة بأنّ تولية العهد من قبل أبي بكر، لعمر وهو علىٰ فراش الموت، وكذلك عهد عمر، لعثمان هو الحل الأمثل لهذه المعضلة بعد أنْ أنكروا النّص من قبله ﷺ وسلموا بأنّ رسول الله ﷺ قد ترك الأُمّة بلا راعٍ، وأراد أبو بكر، وعمر أن يتداركا ذلك مع أنّ هذا غير وارد البتة. وها هو أبوبكر يوصي لعمر أثناء مرضه، بل هو في حال الإغماء وذهابه في غيبوبة قبل أنْ يُملي علىٰ عثمان كلمة عمر، بل الّذي كتبها عثمان، وأبو بكر مغمىً عليه.

روىٰ الطّبريّ: «دعا أبو بكر، عثمان خالياً فقال له: «اكتب بسم الله الرّحمن الرّحيم: هذا ماعهد به أبو بكر بن أبي قُحافة إلىٰ المسلمين، أمّا بعد:، ثمّ أُغمي عليه، فذهب عنه فكتب عثمان. أمّابعد: فإني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيراً، ثمّ أفاق أبو بكر، فقال: اقرأ عليَّ، فقرأ عليه. فكبر أبوبكر وقال: أراك خفت أنْ يختلف النّاس إنْ افتلتت نفسي في غشيتي. قال: نعم، قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله. وأقرها أبو بكر من هذا الموضع»[٣].

ويروي ابن الجوزيّ قائلاً: «كتب عثمان عهد الخليفة بعد أبي بكر، وأمره أنْ لا يسمع أحد، وترك اسم الرّجل فأُغمي عليه إغماءة، فأخذ عثمان العهد فكتب فيه

---

(١) البقرة: ١٨٠.

(٢) صحيح مسلم كتاب الوصايا.

(٣) تأريخ الطّبريّ ٤: ٥٢.

اسم عمر. قال: فأفاق أبو بكر فقال: أرني العهد، فإذا فيه اسم عمر، قال: ومن كتب هذا؟ فقال عثمان: أنا، فقال أبوبكر: رحمك الله وجزاك خيراً، فوالله لو كتبت نفسك لكنت أهلاً لذلك»[١]. وفي رواية: «أنّ أبابكر أخذ رأي عثمان، وعبد الرّحمن بن عوف في عمر بن الخطاب وكان رأيه من رأيهما أنّ عمر خير من يصلح لهذا الأمر» وفي رواية: «إن أبابكر بعد أنْ استقر علىٰ عمر أعلن للناس أنْ يسمعوا له ويطيعوا». وروىٰ الطّبريّ أيضاً عن قيس قال: «رأيت عمر بن الخطاب وهو يجلس والنّاس معه وبيده جريدة وهو يقول: «أيها النّاس اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله ﷺ، قال قيس ومعه مولىٰ لأبي بكر يقال له شديد، معه الصّحيفة الّتي فيها إستخلاف عمر بن الخطاب»[٢].

وجاء في تأريخ ابن خلدون: «... ولما إحتضر أبوبكر عهد إلىٰ عمر بن الخطاب بالأمر من بعده، بعد أنْ شاور عليّاً، وطلحة، وعثمان، وعبد الرّحمن بن عوف وغيرهم، وأخبرهم بما يُريد فيه، فأثنوا عليه رأيه، فأشرف علىٰ النّاس وقال: إني قد إستخلفت عمر لو آل لكم نصحاً فاسمعوا له وأطيعوا، ودعا عثمان فأمره فكتب»[٣].

وجاء في شرح المقاصد: «... فتشاور الصّحابة وجعل الخلافة لعمر، وقال لعثمان: اكتب... وعرضت الصّحيفة علىٰ جملة الصّحابة... فانعقدت له الإمامة بنصّ الإمام الحقّ وإجماع أهل الحل والعقد...»[٤].

---

(١) سيرة عمر بن الخطاب: ٣٧.

(٢) مجمع الزّوائد ٥: ١٨٤، الطّبريّ ٤: ٥٢.

(٣) تأريخ ابن خلدون ٢: ٤٩٤.

(٤) شرح المقاصد ٥: ٢٨٧.

والسّؤال الّذي يطرح نفسه مع أنه مرفوض من ناحية المقايسة؛ لأن رسول الله ﷺ نبي وإمام معصوم ومرسل من قبل الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[1]، كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿...وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا...﴾[2] و... و... بينما أبو بكر، وعمر هما من الأتباع، معرضون للخطإ والنّسيان والغفلة والجهل، وقد ثبت ذلك فعلاً، ولسنا بصدد بيان ذلك... والسّؤال هو كيف يمنع عمر رسول الله ﷺ من كتابة وصيته حتىٰ إنه قال ـ أي عمر ـ إنه ﷺ ليهجر، ثمّ يسمح لأبي بكر بكتابة وصيته مع أنّ المرض اشتد به أكثر من اشتداده برسول الله ﷺ، بالإضافة إلىٰ ذلك أنّ الّذي كتب وصية أبي بكر هو عثمان وحده، وهو وحده الّذي ثبت اسم عمر أيضاً. وهذا ما أطبقت عليه المصادر التّأريخية وتلك حقيقة لاينكرها إلّا مكابر جاهل، حتىٰ وصل الأمر بقول أبي بكر، لعثمان بأنك لو كتبت نفسك ـ يعني عثمان ـ لكنت أهلاً لذلك...، ثمّ يجزيه عن الإسلام وأهله خيراً. ولماذا لم يقف هذا الموقف عمر بن الخطاب مع رسول الله ﷺ، بل وقف موقف العنود، وتلفظ بأقبح الألفاظ مع التّهديد والتّخويف والإرهاب للآخرين، حتىٰ وصف نساء النّبيّ ﷺ بمواصفات لايمكن لأيّ متأدب أنْ يقولها بحضرته ﷺ، بينما نراه يقف موقف المتأدب مع رفيقه، ويستخدم معه أحسن الألفاظ وأعذبها، ثمّ يحث النّاس علىٰ طاعته وقبول ماعهد به إليه، وهو الّذي اعتبر خلافة صاحبه سابقاً فلتة، وهو الّذي وصفه أيضاً بأنه اسوأ من دويبة سوء كما أوضحنا ذلك سابقاً. فهل من المعقول أنْ تكون وفاة رسول الله ﷺ صاخبة بالضجيج والانفعال؟ وهوالرّجل الوحيد المسؤول في الدّولة والمعصوم من الخطأ

---

(١) النّجم: ٢ ـ ٤.

(٢) الحشر: ٧.

والزّلل والمرسل بالرحمة والتّشريع، وهو الّذي أنقذ أُمّته من الضّلالة والكفر إلىٰ الهدىٰ والنّور، هكذا يُفعل به حتىٰ وصل الأمر به ﷺ بأنْ قال لهم: قوموا عني، وقال... إنهن ـ أي النّساء ـ خير منكم.. و... وهذا الفعل لا يُرتكب حتىٰ مع الرّجل العادي فكيف برسول الإنسانية. بينما تكون وفاة أبي بكر وفاة هادئة ويُرَوَّح عنه بالكلمات اللّطيفة الرّقيقة، فلماذا لم يستخدم عمر بن الخطاب الأسلوب السّابق، ولم يقل: حسبنا كتاب الله؟ فهل أبوبكر أفضل من رسول الله وأبصر منه ﷺ حتىٰ يسمح له بكتابة وصيته وعهده درءاً للخلاف من بعده؟ مالكم، كيف تحكمون؟

٢. كيف تثبتون لنا بأن أبابكر شاور عليّاً، وعثمان، وعبد الرّحمن بن عوف في إستخلاف عمر بن الخطاب؟ والتّأريخ يثبت لنا عكس ذلك، بل وصلت المشادات الكلامية إلىٰ أوجها برفض هذا الرّجل ـ عمر بن الخطاب ـ حتىٰ قال طلحة: «وليت علينا فظاً غليظاً»،[١] وقال طلحة أيضاً بصيغة الاستنكار مخاطباً أبابكر: «أعمر خير النّاس؟»، فاشتد غضبه ـ أبوبكر ـ وقال: «إي والله، هو خيرهم وأنت شرهم، أمّا والله لو وليتك لجعلت أنفك في قفاك، ولرفعت نفسك فوق قدرها حتىٰ يكون الله هو الّذي يضعها! أمّا والله لئن عشت فواق ناقة، وبلغني أنك غمضته فيها، أو ذكرته بسوء، لألحقنك بمحمضات قنة، فقام طلحة وخرج»[٢]. ألا يُفهم من هذا أنّها لم تكن إستشارة، بل هي إخبار بولاية عمر؟ والّذي لم يقبل بها يكون مصيره النّفي إنْ لم نقل القتل؟ هذا قبل إحتضار أبي بكر.

---

(١) تأريخ الطّبريّ ٤: ٤٢٨، ابن الأثير ٢: ٤٥٢، الإمامة والسّياسة ١: ٢٥، الطّبقات لابن سعد ٣: ١٩٩، شرح النّهج ١: ١٦٤.

(٢) تأريخ الطّبريّ ٣: ٤٣٣، شرح النّهج ١: ١٦٥، المصنف لابن أبي شيبة ٧: ٤٨٥.

ثمّ ألا يُفهم بأن أبابكر اتخذ قراره قبل المشورة المدعاة؟ فأين الثّناء والمدح لعمر من قبل هؤلاء؟ ألا يدل علىٰ أنّ الصّحابة كان كلّ واحد منهم يضمر السّوء لصاحبه، ثمّ يظهر علىٰ فلتات لسانه؟ فأين عدالتّهم إذاً كما تدعون؟

٣. كيف تفسرون موقف عبد الرّحمن بن عوف في حواره مع أبي بكر عندما قال أبو بكر: أخبرني عن عمر، قال: إنه أفضل من رأيك إلّا أنّ فيه غلظة، فقال أبو بكر: ذاك؛ لأنه يراني رقيقاً، ولو قد أفضىٰ الأمر إليه لترك كثيراً مما هو عليه، وقد رمقته إذا أنا غضبت علىٰ رجل أراني الرّضا عنه، وإذا لنت له أراني الشّدة عليه، ثمّ دعا عثمان بن عفان فقال: أخبرني عن عمر فقال: سريرته خير من علانيته، وليس فينا مثله، فقال لهما: لا تذكروا مما قلت لكما شيئاً، ولو تركت عمر لما عدوتك ياعثمان، والخيرة لك ألا تلي من أُمورهم شيئاً...»[١]. ألا يُفهم من قول عبد الرّحمن هذا بأنه ثناء مبطن فيه موجدة علىٰ عمر؛ لأنه قال: «إنه أفضل من رأيك» وأين العفوية في هذا كما يدعي ابن خلدون[٢]، وإن عبد الرّحمن يعلم علم اليقين بأن الأمر معد أصلاً ليكون عمر هو الأمير بعد أبي بكر، فعبد الرّحمن مع صهره أوّل من بايعا أبابكر[٣].

أمّا ثناء عثمان لعمر فهو معروف، وسنقف معه إن شاء الله فيما بعد. وكان عثمان يعرف بالرديف، وهو موضع سر أبي بكر، وكذلك موضع سر عمر بن الخطاب، وإذا أراد النّاس شيئاً من عمر، رموه بعثمان، أو بعبد الرّحمن.[٤]

---

(١) المصادر السّابقة.

(٢) تأريخ ابن خلدون ٢: ٤٩٥.

(٣) الإمامة والسّياسة ١: ١١.

(٤) المصدر السّابق ١: ٢٣، نظام الحكم للقاسميّ: ٤١٩.

ثمّ نسأل هل حقاً كان أبو بكر رقيقاً، كما يمدح نفسه؟ وأين كانت وذهبت عنه هذه الرّقة والرّحمة من قلبه في الهجوم علىٰ بيت فاطمة الزّهراء عليها السلام وبضعة المصطفىٰ صلى الله عليه وآله؟[١] وهو الّذي اعترف في آخر حياته وتأسّىٰ حيث قال: «وددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة».

وأين هذه الرّقة من حرقه للفجاءة المُزني بالنّار وكان يقول: أنا مسلم؟ كما ثبت في صحيح البخاريّ،[٢] والكامل لابن الأثير وغيره،[٣] وشرح التّجريد،[٤] وهو القائل أيضاً: (... وددت أنّي لم أكن حرقت الفجاءة السّلمي...)

وأين ذهبت الرّقة والعطف والحنان في قطع يد السّارق وهو خلاف الشّرع،[٥] اللّهمّ إلّا أنّه كان يقصد رقته علىٰ خالد بن الوليد، مع مالك بن نويرة[٦]، وكذلك رقته عندما أمره صلى الله عليه وآله بقتل المارق حين قال له صلى الله عليه وآله: «اذهب إليه فاقتله» ولم يقتله، وقال: كرهت أن أقتله وهو يُصلي، وأنت نهيت عن قتل المصلين... وقال عمر مثل قول صاحبه عندما أمر بقتل المارق[٧].

٤. إنه لم يشتهر عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، أنه أشار علىٰ أبي بكر، وكذلك العكس، في أمر عمر بن الخطاب، ولم تذكر المصادر التّأريخية المعتبرة منها ماعدا ابن خلدون وأمثاله من الشّواذ، أنّ عليّاً، أستشاره أبو بكر، وكيف ينسىٰ الإمام

---

(١) تقدمت أستخراجاته.

(٢) صحيح البخاريّ ٦: ١١٣، بشرح ابن حجر.

(٣) الكامل لابن الأثير ٢: ٢٣٧، تأريخ الطّبريّ ٣: ٢٣٤ و٤: ٥٢، تأريخ ابن كثير ٦: ٣١٩.

(٤) شرح التجريد للقوشجيّ: ٣٧٩.

(٥) الصواعق المحرقة: ٣٣، شرح المواقف ٨: ٣٥٧.

(٦) التّجريد وشرحه: ٢٩٦، سبق أن أشرنا إلىٰ الحادثة فراجع مصادرها.

(٧) مسند أحمد ٣: ١٥، الإصابة ١: ٤٨٤، العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسيّ ٢: ٤٠٣.

تلك المواقف الرّهيبة الّتي وقفها عمر، من بضعة المصطفىٰ ﷺ، والمواقف الّتي وقفها من رسول الله ﷺ حين قال: إنه ليهجر... و...؟ وهذا هو النّظّام المعتزليّ المتوفّىٰ عام «٢٣١ هـ» يقول: «عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتىٰ ألقت الجنين من بطنها»[١] وجاء في فرائد السّمطين لإبراهيم بن محمّد الجوينيّ الشّافعيّ «... وكسر جنبها، وأسقطت جنينها، وهي تنادي: وامحمّداه...»[٢].

ثمّ كيف تُطلب المشورة من صاحب الحقّ حتىٰ يُعطي الحقّ لغيره. وهو الّذي بقي يُطالب بحقه طيلة فترة الاغتصاب للخلافة من وفاة رسول الله ﷺ إلىٰ انتهاء خلافة عثمان، وبقي بعد ذلك خلال خلافته يظهر تألمه مراراً وتكراراً مُبدياً رأيه فيهم كما قال: «لقد تقمصها...»، وقال: «..حتىٰ مضىٰ الأوّل لسبيله فأدلىٰ بها إلىٰ ابن الخطاب بعده»، وقال: «فيا عجباً!بينا هو يستقيلها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشد ماتشطر ضرعيها، فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها، ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها... فصبرت علىٰ طول المدة، وشدة المحنة»،[٣] حاشاك أنْ تقرن نفسك يابن أبي طالب مع هؤلاء في المشاورة، وحاشاه أنْ يكون مشيراً لمن قد غلبوه بالقوة علىٰ أمر كان له من الله ورسوله... وحاشاه أنْ يُنازع ويخاصم القوم طيلة هذه الفترة، ثمّ يعترف بأنه ليس علىٰ حقّ حتىٰ يقبل بعمر بن الخطاب و... و... و...

إذاً كيف يعلم هذا الرّجل العادي والإمام عليّ بن أبي طالب لا يعلم بالأمر

---

(١) الملل والنّحل ١: ٥٧، وترجمة النّظّام تجدها في تأريخ بغداد ٦: ٩٧ وتوجد تحت يدي مخطوطة تحت عنوان «النعيم المقيم في عترة النبأ العظيم»، لعبد الواحد الشافعيّ، كتبها سنة ٦٥٤ هـ، يذكر فيها هذا الحدث.

(٢) فرائد السّمطين ٢: ٣٦.

(٣) شرح النّهج ١: ١٦٢.

حتىٰ يشاور ويقبل بعمر بن الخطاب؟ ألم يخبره رسول الله ﷺ: «أنّ الأُمّة ستغدر بك من بعدي»؟[١] وفي رواية أُخرىٰ أنّه قال لعليٍّ: «إن أُمتي ستغدر بك بعدي ويتبع ذلك برها وفاجرها»[٢]. وهو القائل عليه السلام: «اللّهمّ إني أستعديك علىٰ قريش... وأجمعوا علىٰ منازعتي، أمراً كنت أولىٰ النّاس به منهم فسلبونيه...».[٣]

٥. ألا يُفهم من كلام أبي بكر، لعثمان: «لو تركت عمر لما عدوتك يا عثمان... وقوله: «ألاّ تلي من أُمورهم شيئاً»، أنه إشارة إلىٰ الإتفاق والعقد والعهد المبرم بينهم ـ أي أبو بكر وعمر وعثمان ـ سابقاً علىٰ أنّ تولية الأمر يكون بالتتابع حسب الوثيقة والمؤتمر الّذي عُقد قبل السّقيفة وفي السّقيفة أيضاً؟ وهذا الكلام إشارة إلىٰ عثمان بأنْ لايستعجل، فالخلافة تأتيك من دون جهد ونصب فلا تلي الأُمور الصّغيرة، بل اصبر حتىٰ تأتيك الإمارة والخلافة، وخير دليل علىٰ ذلك بأنّ عثمان هو الّذي كتب اسم عمر في وصية أبي بكر؛ لأنه يعلم بأنّ الأمر حسب الإتفاق بعد أبي بكر عمر، ثمّ يأتي دوره، ولذا لم يعترض. ثمّ أنّ الأوّل جزاه عن الإسلام وأهله خيراً مع العلم أنّ سر أبي بكر، وعمر، كما ذكرنا هو عند عثمان. وها هي السّيدة عائشة تقول: «إن رسول الله لو إستخلف لاستخلف أبابكر ومن بعده عمر ومن بعده أباعبيدة»،[٤] وعندما تحقق موت أبي عبيدة أقتنع أبوبكر، ونائبه عمر، أنّ الخليفة لابد أنْ يكون عثمان وبدأوا يعدون العدة لذلك، وهذا ماتحقق فعلاً.

---

(١) التّأريخ الكبير لمحمّد بن إسماعيل البخاريّ ٢: ١٧٤، تذكرة الحفاظ للذهبيّ ٢: ٩٩٥، ميزان الإعتدال ١: ٢٧١، البيهقيّ في الدّلائل ٦: ٤٤٠، تأريخ بغداد ١١: ٢١٦، مجمع الزّوائد ٩: ١٣٧، كنزالعمّال ١١: ٢٩٧ و ٦١٧، البداية والنّهاية ٦: ٢٤٤.

(٢) البحار ٢٨: ٥٠، عن الشّيخ الصّدوق في عيون الأخبار ٢: ٦١، وفي أمالي الشّيخ المفيد: ٢١٢.

(٣) نهج البلاغة شرح محمّد عبدة ٢: ٢٢٧، ذيل خطبة ١٦٧.

(٤) الطّبقات لابن سعد ٢: ٣٢٥.

وبالتالي خرجت بيعة عمر عن كلّ ما ألفوه ودافعوا عنه من إجماع ونصّ وولاية عهد و... و... و... إلخ، بل إنّها إتفاق مسبق بين الأطراف الثّلاثة لتداول الخلافة، وكلّ هذه الطُرق غير شرعية كما أوضحنا ذلك سابقاً.

بيعة عثمان بن عفان

ويُطعن عمر بيد ـ أبي لؤلؤة ـ وهنا يمر الحكم في الإسلام علىٰ يدي عمر بدور ثالث لايمت إلىٰ الدّورين السّابقين بأية صلة ألا وهو «دور الشّورىٰ» ويظهر أنّ عمر بن الخطاب قد خطط وفكر لهذا الشّكل من الحكم قبل أنْ يُطعن بخنجر أبي لؤلؤة، وذلك أنّ النّبيّ ﷺ لم يسبق له أنْ ذكر الشّورىٰ والمشورة لتعيين الأَمير أو الحاكم أو الخليفة من بعده، بل إنه ﷺ ذكر النّص فقط لتعيين الخليفة وهو الإمام عليّ بن أبي طالب في مواضع عدة أشرنا إليها سابقاً. وهذا لا يعني أنّ النّبيّ لم يذكر الشّورىٰ والمشورة في مواطن أُخرىٰ، وذلك حسب الموضوع والحادثة، كما في الحروب والسّفر و... و... وسنناقش ذلك فيما بعد. وبما أنّ موضوعنا البيعة فسنختصر المقام علىٰ موضوع الشّورىٰ في التّعيين للأمير أو الخليفة.

وبما أنّ بيعة أبي بكر تمت بغتةً وفلتة وغلطة، كما قال عمر، وصرح بذلك أبو بكر نفسه في أوائل خلافته حين خطب بالناس معتذراً إليهم، فقال: «إنّ بيعتي كانت فلتة، وقىٰ الله شرها، وخشيت الفتنة...»،[1] وإنّ عمر أيضاً قد بويع بتعيين من أبي بكر لا بالشورىٰ والمشورة، أذاً عمر هو الّذي فكر بهذا الشّكل قبل الطّعن، ويؤيد ذلك ما رواه البلاذريّ عن ابن سعد في طبقاته: «إنّ عمر بن الخطاب خطب

---

(١) نهج البلاغة شرح محمّد عبدة ٢: ٢٢٧، ذيل خطبة ١٦٧.

النّاس يوم الجمعة فذكر النّبيّ ﷺ وأبابكر، ثمّ قال: إني رأيت كأن ديكاً نقرني ولا أراه إلّا حضور أجلي، وإنّ قوماً يأمرونني أنْ استخلف وأنّ الله لم يكن ليضيع دينه وخلافته والّذي بعث به نبيه، فإنْ عجل بي الأمر فالخلافة شورىٰ بين هؤلاء السّتة الّذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وقد علمت أنّه سيطعن في هذا الأمر أقوام أنا ضربتهم بيدي علىٰ الإسلام فإنْ فعلوا فأولئك أعداء الله»[١].

وروىٰ البلاذريّ أيضاً عن الواقديّ أنّ عمر قال: «إنّ رجالاً يقولون إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة... وإنّ بيعة عمر كانت من غير مشورة، والأمر بعدي شورىٰ، فإذا أجتمع رأي أربعة فليتبع الاثنان الأربعة، فإذا اجتمع رأي ثلاثة وثلاثة فاتبعوا رأي عبد الرّحمن بن عوف فاسمعوا وأطيعوا وإنْ صفق عبد الرّحمن بإحدىٰ يديه علىٰ الأُخرىٰ فأتبعوه».[٢] وروىٰ المتقي في الكنز: «إنّ عمر قال: إنْ ضرب عبد الرّحمن بن عوف إحدىٰ يديه علىٰ الأُخرىٰ فبايعوه».[٣] وروىٰ أيضاً أنّه قال: «بايعوا لمن بايع عبد الرّحمن بن عوف، فمن أبىٰ فاضربوا عنقه».[٤] وروىٰ عن هشام بن سعد أنّ عمر قال: «إنْ اجتمع رأي ثلاثة وثلاثة فاتبعوا صنف عبد الرّحمن بن عوف واسمعوا وأطيعوا».[٥] وروي أنّه قال: «ليتبع الأقل الأكثر فمن خالفكم فاضربوا عنقه».[٦] وقال ابن عبد ربه: «لما طُعن عمر قيل له: لو إستخلفت، فقال: لو كان أبو عبيدة بن الجراح حياً لاستخلفته... ولو كان سالم

---

(١) أنساب الأشراف ٥: ١٥، الطّبقات الكبرىٰ ٣: ق١: ٢٤٣، شرح النّهج ١: ١٨٥.

(٢) المصادر السّابقة.

(٣) كنز العمّال ٣: ١٦٠.

(٤) كنز العمّال ٣: ١٦٠.

(٥) كنز العمّال ٣: ١٦٠.

(٦) أنساب الأشراف ٥: ١٨.

مولىٰ أبي حذيفة حياً لاستخلفته...».[١] وقال أيضاً عندما قالوا له: «يا أميرالمؤمنين لو عهدت، فقال: لقد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أنْ أولي رجلاً أمركم أرجو أنْ يحملكم علىٰ الحقّ ـ وأشار إلىٰ عليّ ـ ثمّ رأيت أنْ لا أتحملها حياً وميتاً...».[٢] وروىٰ البلاذريّ: قال عمر بن الخطاب: «... إن ولّوها الأجلح سلك بهم الطّريق، قال ابن عمر: فما يمنعك منه يا أميرالمؤمنين؟ قال: أتحملها حيّاً وميتاً؟».[٣] وقال صاحب الرّياض النّضرة: قال عمر بن الخطاب: «لله درهم إنْ ولوها الأُصيلع كيف يحملهم علىٰ الحقّ وإنْ كان السّيف علىٰ عنقه. قال محمّد بن كعب: فقلت: أتعلم ذلك منه ولا توليه؟ فقال: إنْ تركتهم فقد تركهم من هو خير مني».[٤]

وروىٰ صاحب الطّبقات المحاورة الّتي دارت بين عمر، وسعيد بن العاص، عندما طُلب منه أنْ يستزيده في الأرض ليوسع داره، فوعده بعد صلاة الغداة وذهب معه حينئذ إلىٰ داره، قال سعيد: فزادني وخط ليِّ برجليه، فقلت: زدني فإنه نبتت ليِّ نابته من أولاد وأهل. فقال... إنه سيلي الأمر من بعدي من يصل رحمك ويقضي حاجتك... حتىٰ استخلف عثمان... فوصلني وأحسن وقضىٰ حاجتي وأشركني في أمانته.[٥] وفي رواية أحمد: «لو أدركني أحد الرّجلين، ثمّ جعلت الأمر إليه لوثقت به، سالم مولىٰ أبي حذيفة، وأبو عبيدة بن الجراح».[٦]

---

(١) العقد الفريد ٣: ٧٣ و٤: ٢٧٢، ط آخر.

(٢) المصدر السّابق.

(٣) أنساب الأشراف ٥: ١٦، الطّبقات الكبرىٰ ٣: ق١: ٢٤٧، منتخب الكنز ٤: ٤٢٩.

(٤) أنساب الأشراف ٥: ١٦، الطّبقات الكبرىٰ ٣: ق١: ٢٤٧، منتخب الكنز ٤: ٤٢٩.

(٥) الطّبقات الكبرىٰ ٥: ٢٠، ط أوربا.

(٦) الفتح الرّباني ٢٣: ٩١.

وقال في رواية: «لا أجمع لبني هاشم بين النّبوة والخلافة».[١] وروىٰ عن ابن ميمون «أنّ عمر جعل الشّورىٰ إلىٰ ستة وقال: عبد الله بن عمر معكم وليس معه شيء».[٢] وروىٰ البلاذريّ عن أبي مخنف، أنّ عمر بن الخطاب أمر صهيباً مولىٰ عبد الله بن جدعان حين طُعن أنْ يجمع إليه وجوه المهاجرين والأنصار، فلما دخلوا عليه قال: إني جعلت أمركم شورىٰ إلىٰ ستة نفر من المهاجرين...، ثمّ قال لأبي طلحة زيد بن سهل الخزرجي: اختر خمسين رجلاً من الأنصار يكونوا معك فإذا توفيت فاستحث هؤلاء النّفر... حتىٰ يختاروا لأنفسهم وللأُمّة أحدهم ولا يتأخروا عن أمرهم فوق ثلاث، وأمر صهيباً أنْ يُصلي بالناس... وكان طلحة بن عبيد الله غائباً في ماله بالسراة ـ الجبل الّذي فيه طرف الطّرائف ـ فقال عمر: إنْ قدم طلحة في الثّلاثة... وإلّا فلا تنظروه بعدها وأبرموا الأمر وأصرموه وبايعوا من تتفقون عليه فمن خالف عليكم فاضربوا عنقه... فلم يرد ـ طلحة ـ المدينة إلّا بعد وفاة عمر والبيعة لعثمان فجلس في بيته وقال: أعلىٰ مثلي يفتات! فأتاه عثمان... فبايعه...».[٣]

وفي رواية: قال طلحة، لعثمان: «فإن شئت بايعتك في مجلسك وإن شئت ففي المسجد فبايعه، فقال عبدالله بن سعد بن أبي سرح: مازلت خائفاً؛ لأن ينتقض هذا الأمر حتىٰ كان من طلحة ماكان فوصلته رحم، ولم يزل عثمان مكرماً لطلحة حتىٰ حصر فكان أشد النّاس عليه».[٤]

---

(١) العقد الفريد ٣: ٧٧، شرح النّهج ١: ١٨٩، تأريخ الطّبريّ ٥: ٣٠ و٣١.

(٢) أنساب الأشراف ٥: ١٧.

(٣) المصدر السّابق ٥: ١٨٧العقد الفريد ٣: ٧٣، الطّبريّ ٥: ٣٥.

(٤) المصدر السّابق ٥: ٢٠.

وفي رواية: «أمر عمر أصحاب الشّورىٰ أن يتشاوروا في أمرهم ثلاثاً فإن أجتمع اثنان علىٰ رجل واثنان علىٰ رجل رجعوا في الشّورىٰ، فإن اجتمع أربعة علىٰ واحد وأباه واحد كانوا مع الأربعة وإن كانوا ثلاثة وثلاثة كانوا مع الثّلاثة الّذين فيهم ابن عوف إذ كان الثّقة في دينه ورأيه المأمون للأختيار علىٰ المسلمين».[١]

وفي رواية قال عمر: «ادعوا ليّ عليّاً، وعثمان، وطلحة، والزّبير، وعبد الرّحمن ابن عوف، وسعد بن أبي وقاص، فلم يكلم أحداً منهم غير عليٍّ وعثمان، فقال: يا عليّ لعل هؤلاء سيعرفون لك قرابتك من النّبيّ ﷺ وصهرك وما أنالك من الفقه والعلم، فإنْ وليت هذا الأمر فاتق الله فيه، ثمّ دعا عثمان وقال: يا عثمان، لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله وسنك فإن وليت هذا الأمر فاتق الله ولاتحمل آل أبي معيط علىٰ رقاب النّاس... وليخل هؤلاء النّفر في بيت، فإذا اجتمعوا علىٰ رجل منهم، فمن خالفهم فاضربوا رأسه. فلما خرجوا من عند عمر قال: إن وَلّوها الأجلح سلك بهم الطّريق».[٢]

وفي رواية قال: «ذكر عمر من يستخلف فقيل: أين أنت عن عثمان؟ قال: لو فعلت لحمل بني أبي معيط علىٰ رقاب النّاس. قيل: الزّبير؟ قال، مؤمن الرّضىٰ، كافر الغضب. قيل: طلحة؟ قال: أنفه في السّماء وأُسته في الماء. قيل سعد؟ قال: صاحب مقنب ـ جماعة من الخيل تجتمع للغارة ـ قرية له كثير. قيل: عبد الرّحمن؟ قال: بحسبه أنْ يجري علىٰ أهل بيته».[٣] وفي رواية ابن قتيبة: «... فقالوا: قل فينا

---

(١) العقد الفريد ٣: ٧٤.

(٢) أنساب الأشراف ٥: ١٦، العقد الفريد ٤: ٢٧٤، الطّبقات ٣ ق ١: ٢٤٧، منتخب الكنز ٤: ٤٢٩.

(٣) أنساب الأشراف ٥: ١٧.

يا أمير المؤمنين مقالة نستدل فيها برأيك ونقتدي به، فقال: والله مايمنعني أنْ استخلفك ياسعد إلّا شدتك وغلظتك مع أنك رجل حرب، ومايمنعني منك يا عبد الرّحمن إلّا أنك فرعون هذه الأُمّة، ومايمنعني منك يازبير إلّا أنك مؤمن الرّضا كافر الغضب، ومايمنعني من طلحة إلّا نخوته وكبره لو وليها وضع خاتمه في اصبع امرأته، ومايمنعني منك ياعثمان إلّا عصبتك وحبك قومك، ومايمنعني منك ياعليّ إلّا حرصك عليها، وإنك أحرىٰ القوم إنْ وليتها أنْ تقيم علىٰ الحقّ المبين والصّراط المستقيم».[١] وفي الاستيعاب: «... قال عمر، لابن عباس: ويحك يا ابن عباس ما أدري ما أصنع بأُمّة محمّد، قلت: وليٍّ وأنت قادر علىٰ أنْ تضع ذلك مكان الثّقة، قال: إني أراك تقول إنّ صاحبك أولىٰ النّاس بها ـ يعني عليّاً ـ قلت: أجل والله إني لأقول ذلك في سابقته وعلمه وقرابته وصهره. قال: إنه كما ذكرت ولكنه كثير الدّعابة، قلت: فعثمان، قال: فوالله لوفعلت لحمل بني أبي معيط علىٰ رقاب النّاس... فقلت: طلحة بن عبيدالله؟ قال: الأكيسع هو أزهىٰ من ذلك... قلت: الزّبير؟ قال: إذاً يلاطم النّاس في الصّاع والمُد، قلت: سعد؟ قال: ليس بصاحب، ذاك صاحب مقنب يقاتل به... قلت: عبد الرّحمن؟ قال: نعم الرّجل ذكرت ولكنه ضعيف عن ذلك...».[٢] وفي الكنز: «... وصف عليّاً بالدعابة والزّبير بأنه وعقة لقس يلاطم علىٰ الصّاع بالبقيع، وفي رواية قال: غير أنه شحيح غلق... إلىٰ أنْ قال الوليد بن عقبة قد علمنا الخليفة من بعدك فقعد ـ عمر ـ فقال: مَن؟ قال: عثمان...».[٣] وفي الكنز أيضاً قال: «... أفلا أحدثكم عنكم فحدثنا... فقال

---

(١) الإمامة والسّياسة ١: ٢٨.

(٢) ترجمة عمر بن الخطاب.

(٣) كنز العمّال ٣: ١٥٨، كتاب الخلافة.

للزبير: إنك كافر الغضب مؤمن الرّضا يوماً تكون شيطاناً ويوماً تكون إنساناً، أفرأيت يوم تكون شيطاناً من يكون الخليفة يومئذ... وقال لطلحة: مات رسول الله ﷺ وإنه عليك لعاتب...».[١]

وروي أنّ عمر بن الخطاب لما نظر إليهم ـ أصحاب الشّورىٰ ـ قال: «قد جاءني كلّ واحد منهم يهزّ عقيرته يرجو أنْ يكون خليفة... فأمّا أنت ياطلحة أفلست القائل: إن قُبض النّبيّ لننكحنّ أزواجه من بعده، فما جعل الله محمّداً أحقّ ببنات أعمامنا فأنزل الله فيك: ﴿...وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا...﴾[٢]، وأمّا أنت يازبير فوالله مالان قلبك يوماً ولا ليلة ومازلت جلفاً جافياً مؤمن الرّضا كافر الغضب، يوماً شيطان ويوماً رحمان، شحيح. وأمّا أنت ياعثمان لروثة خير منك، ولئن وليتها... ولئن فعلتها لتقتلنّ، ثلاث مرات. وأمّا أنت يا عبد الرّحمن فإنك رجل عاجز تحب قومك جميعاً... وأمّا أنت ياسعد فصاحب عصبية وفتنة... وأنت ياعليّ فوالله لو وزن إيمانك بإيمان أهل الأرض لرجحهم... فقام عليّ مولياً يخرج فقال عمر: والله إني لأعلم مكان الرّجل...».[٣]

وروي عن أبي مخنف: «إن عليّاً خاف أنْ يجتمع أمر عبد الرّحمن، وعثمان، وسعد، فأتىٰ سعداً ومعه الحسن والحسين فقال له: يا أبا إسحاق إني لا أسألك أنْ تدع حقّ ابن عمك بحقي أو تؤثرني عليه فتبايعني وتدعه، ولكن إنْ دعاك إلىٰ أنْ

---

(١) كنز العمّال ٣: ١٥٩ و٦: ٣٥٩، كتاب الفضائل، شرح النّهج ٣: ١٧ و١: ٦٢.

(٢) الأحزاب: ٥٣، راجع تفسير الخازن ٣: ٥٠٩، شرح شرح النّهج لابن أبي الحديد ١: ٦٢.

(٣) الكامل لابن الأثير ٣: ٣٥، الإمامة والسّياسة ١: ٢٤، شرح شرح النّهج لابن أبي الحديد ٣: ١٧٠ و١٢: ٢٦٠.

تكون له ولعثمان ثالثاً فأنكر ذلك... فقال سعد: لك ما سألت... وأتىٰ سعد، عبد الرّحمن فقال له عبد الرّحمن: هلمّ فلنجتمع فقال سعد: إنْ كنت تدعوني والأمر لك وقد فارقك عثمان علىٰ مبايعتك كنت معك، وإنْ كنت تُريد الأمر لعثمان، فعليّ أحقّ بالأمر وأحبّ اليَّ من عثمان...»[١]

وروي أيضاً: «أنّ عليّاً شكا إلىٰ عمّه العباس ماسمع من قول عمر: كونوا مع الّذين فيهم عبد الرّحمن بن عوف، وقال: والله لقد ذهب الأمر منا، فقال العباس: وكيف، قلت ذلك يابن أخي؟ فقال: إن سعداً لا يخالف ابن عمه عبد الرّحمن، وعبد الرّحمن نظير عثمان وصهره فأحدهما لايخالف صاحبه لا محاله، وإنْ كان الزّبير وطلحة معي فلن أنتفع بذلك إذ كان ابن عوف في الثّلاثة الآخرين...»[٢]

وروي أيضاً قال: «لما دفُن عمر بن الخطاب أمسك أصحاب الشّورىٰ وأبو طلحة[٣] يؤمّهم فلم يُحْدِثوا شيئاً، فلما أصبحوا جعل أبو طلحة يحوّشهم للمناظرة في دار المال... فلما تناجىٰ القوم... وأنّ كلّ واحد منهم يدفع صاحبه عنها، قال لهم: ياهؤلاء أنا أُخرج نفسي وسعداً من الأمر علىٰ أنْ أختار يامعشر الأربعة أحدكم... فأجابوا إلّا عليّاً فإنه قال: أنظر... وأتاهم أبو طلحة فأخبره عبد الرّحمن بما عرض وبإجابة القوم إيّاه إلّا عليّاً، فأقبل أبو طلحة علىٰ عليّ، فقال: يا

---

(١) أنساب الأشراف ٥: ٢٠، مكتبة المثنىٰ ببغداد.

(٢) أنساب الأشراف ٥: ٢٠، مكتبة المثنىٰ ببغداد، العقد الفريد ٣: ٧٤.

(٣) أبو طلحة: هو زيد بن سهيل الأنصاريّ النّجاريّ، من الخزرج، آخىٰ رسول الله ﷺ بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح، توفّىٰ بالمدينة سنة إحدىٰ وثلاثين، وهو ابن سبعين سنة. وصلّىٰ عليه عثمان بن عفان. راجع ترجمته في أُسد الغابة ٢: ٢٨٩ تحت رقم «١٨٤٣»، و٦: ١٨١ تحت رقم «٦٠٢٩»، سيرة ابن هشام ١: ٤٥٧، واعتقد أنّ المقصود بأبي طلحة هنا: هو الزّبير ابن العوام؛ لأنه من أصحاب الشّورىٰ، وهُنا الأمر متعلق بالشورىٰ.

أبا الحسن إنّ أبا محمّد ثقة لك وللمسلمين فما بالك تخالف وقد عدل الأمر عن نفسه... فأحلف عليٌّ عبد الرّحمن أنْ لايميل إلىٰ هوىٰ وأنْ يؤثر الحقّ... وأنْ يجتهد للأُمّة وأنْ لا يُحابي ذا قرابة فحلف له، فقال: اخْتَرْ مسدّداً... ثمّ إنّ عبد الرّحمن أحلف رجلاً رجلاً منهم بالإيمان المغلظة. أنهم لا يخالفونه إنْ بايع منهم رجلاً... ثمّ أخذ بيد عليٍّ فقال له: «عليك عهد الله وميثاقه إنْ بايعتك أنْ لا تحمل بني عبد المطلب علىٰ رقاب النّاس، ولتسيرن بسيرة رسول الله ﷺ لا تحول عنها ولا تقصر في شيء منها، فقال عليّ: لا أحمل عهد الله وميثاقه علىٰ ما لا أدركه ولا يدركه أحد، من ذا يطيق سيرة رسول الله ﷺ ولكني أسير من سيرته بما يبلغه الاجتهاد مني، وبما يمكنني وبقدر علمي .. فأرسل عبد الرّحمن يده، ثمّ أحلف عثمان... علىٰ أن يسير بسيرة رسول الله ﷺ وأبي بكر، وعمر ولا يخالف شيئاًمن ذلك فحلف له. فقال عليّ: قد أعطاك أبو عبدالله الرّضا فشأنك فبايعه، ثمّ أنّ عبد الرّحمن عاد إلىٰ عليٍّ فأخذ بيده وعرض عليه أنْ يحلف... أنْ لا يخالف سيرة رسول الله، وأبي بكر، وعمر، فقال عليٌّ: عليَّ الاجتهاد، وعثمان يقول: نعم عليَّ عهد الله وميثاقه وأشد ما أخذ علىٰ أنبيائه أنْ لا أُخالف سيرة رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر... فبايعه عبد الرّحمن وصافحه وبايعه أصحاب الشّورىٰ، وكان عليٌّ قائماً فقعد فقال عبد الرّحمن: بايع وإلّا ضربت عنقك... فيقال: إن عليّاً خرج مغضباً فلحقه أصحاب الشّورىٰ، فقالوا: بايع وإلّا جاهدناك...».[1]

وبعد كلّ هذا نطرح التّساؤلات التّالية علىٰ أصحاب الفكر والأقلام النّزيهة والعلماء الرّبانيين الحقيقيين الّذين يخشون الله حقّ خشيته ويجيبون علىٰ هذه التّساؤلات بعيداً عن المذهبية والطّائفية والعنصرية:

---

(١) أنساب الأشراف ٥: ٢١، مكتبة المثنىٰ ببغداد.

١. ألا يظهر من هذا كله أنّ الرّجل ـ أي عمر بن الخطاب ـ قد جعل أمر التّرشيح بيد رجل واحد وهو عبد الرّحمن بن عوف، وعبد الرّحمن هذا يعرف بأن الإمام عليّ عليه السلام يرفض الالتزام بسيرة الشّيخين، ولذا اشترط الالتزام حتىٰ يبعد عنها عليّاً وذلك لما بينهما من الاختلاف من حيثُ السّيرة حتىٰ في الإستخلاف ولما بين سيرتهما وبين سيرة الرّسول صلى الله عليه وآله، طلب عبد الرّحمن في حقيقته تعجيزي لا يمكن أن يَقبل به إلّا اللّعوب الّذي لا يرعىٰ عهداً ولا يلتزم بتعهد وذلك مستحيل علىٰ مثل عليٍّ عليه السلام، لذا قبلها عثمان ولم يلتزم بها ابداً وهو يعلم أنه لن يلتزم، وكيف يلتزم بثلاثة أنماط من السّيرة متباينة، مختلفة، وليس فيها جامع. وهو الّذي رفض منذ اليوم الأوّل خلافة أبي بكر وقال: «لقد تقمصها فلان...» وهو يعلم بأمر الهجوم علىٰ بيته بأمر أبي بكر وقائد الحملة الهجومية لإحراق البيت علىٰ فاطمة الزّهراء ومَن فيه، ألا وهو عمر بن الخطاب هو صاحب الكلمة و«إن»، ويعلم بأنّ أبابكر قد خالف في قتال من يسميهم بالمرتدين وقد خالف في إحراق الفجاءة و... و... وكذلك يعلم بجهل أبي بكر في كثير من الأُمور من ميراث الجدة الّذي رواه مالك ابن أنس،[١] وأبو داود،[٢] وابن ماجة،[٣] وأحمد بن حنبل،[٤]... واعتراف كبار العلماء في العقائد والكلام حتىٰ أنه أخذ باراء الفاسق المغيرة بن شعبة... حتىٰ أنه لم يعرف معنىٰ الكلالة و... و...

أمّا مخالفات عمر فهي كثيرة وقد أشرنا إلىٰ بعضٍ منها من إنكاره لموت

---

(١) الموطأ ١: ٣٣٥.

(٢) السّنن ٢: ١٧.

(٣) السّنن ٣: ١٦٣.

(٤) المسند ٤: ٢٢٤.

النّبيّ ﷺ وتصرفه في بيت المال بغير حقّ ومنعه متعة الحج و... و... والإمام عليّ عليه السلام يعلم أنّ أبابكر وعمر اختلفا في سيرة كلّ منهما؛ لأن أبابكر نصّ على خلافة عمر، وعمر جعلها شورىٰ، وأبوبكر رأىٰ أنْ يقاتل الّذين امتنعوا عن دفع الزّكاة وعمر له رأي غير هذا... وكتب أبوبكر لنفر من المؤلفة قلوبهم بحقوقهم وعمر مزق كتابه... إلخ، فكيف يسير علىٰ هاتين السّيرتين المخالفتين لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وهو الّذي كان يقف مع النّصوص والظّواهر ولا يتعداها إلىٰ الأقيسة ويطبق أُمور الدّنيا علىٰ الدّين، ولذا قال عليه السلام لعبد الرّحمن بن عوف: أرجو أنْ أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي، بينما نرىٰ عثمان قال: أنا يا أبا محمّد أُبايعك علىٰ ذلك[1] فإذا سار بسيرة احدهما فقد خالف الأُخرىٰ فيكون قد نكث عهده، وإنْ سار بسيرة رسول الله ﷺ فقد خالف سيرة الشّيخين وقد يكون قد نكث عهده. إن الأمر معد أصلاً ليكون عثمان هو الخليفة ولذا قال عليّ، لعمّه العباس «والله مابي رغبة في السّلطان وحبّ الدّنيا ولكن لإظهار العدل والقيام بالكتاب والسّنة».[2] وقال عليّ لعبد الرّحمن عندما صفق علىٰ يد عثمان: «والله ما فعلتها إلّا لإنك رجوت منه ما رجا صاحبكما دق الله بينكما عطر منشم».[3] قيل: ففسد بعد ذلك ما بين عثمان وعبد الرّحمن فلم يُكلم أحدهما صاحبه حتىٰ مات عبد الرّحمن.

٢. ماهي الميزة والخصيصة والمنقبة الّتي تميز بها عبد الرّحمن بن عوف حتىٰ يُجعل هو الحَكم بين طرفي الإختلاف إذا وقع حتىٰ وإن صفق بإحدىٰ يديه علىٰ الأُخرىٰ كما ذكرنا سابقاً من المصادر التّأريخية. ألكون عبد الرّحمن بن عوف زوج

---

(١) فتح الباري ١٣: ١٩٨.

(٢) شرح النّهج ٩: ٥١.

(٣) دلائل الصّدق م٣: ١٢٣.

أُمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وأُمّها أروىٰ بنت كريز، وأروىٰ أُمّ عثمان فلذلك هو صهره كما يقولون؟[١] أم لكونه من أنصار وحزب أبي بكر في يوم السّقيفة مع عمر وأبي عبيدة والمغيرة بن شعبة وسالم مولىٰ حذيفة.؟[٢] أم لكونه قال يوم السّقيفة: «يامعشر الأنصار إنكم وإن كنتم علىٰ فضل فليس فيكم مثل أبي بكر وعمر..»[٣] أم لكونه من الرّجال الّذين دخلوا بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ مع عمر بن الخطاب، وخالد، وثابت بن قيس، وزياد بن لبيد، ومحمّد بن مسلمة، وزيد بن ثابت، وسلمة بن سالم، وسلمة بن أسلم، وأُسيد بن حضير؟[٤]

أم لكونه نصح عمر بأنْ لا يقول مقولته في منىٰ عندما قال له: «يا أميرالمؤمنين لا تفعل فإنْ الموسم يجمع رعاع النّاس وغوغاءهم... فأمهل حتىٰ تقدم المدينة فإنها دار السُّنة فتخلص بأهل الفقه وأشراف النّاس فتقول ماقلت بالمدينة متمكّناً فيعي أهل الفقه مقالتك ويضعوها علىٰ مواضعها... فقبل عمر منه ذلك...»؟[٥] أم أنه أحقّ بالنظر لمصلحة الأُمّة من أميرالمؤمنين الّذي فيه قال عزّ من قائل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾[٦] أم أنّ عمر علم بأنّ عبد الرّحمن لا يختلف مع ختنه عثمان وابن عمّه سعد كما صرح به أميرالمؤمنين عليّ وقال له: حبوته حبو دهر ليس هذا أوّل يوم تظاهرتم فيه علينا فصبرٌ جميل والله المستعان علىٰ

---

(١) أنساب الأشراف ٥: ١٩.

(٢) الاستيعاب ٢: ٣٨٥، الإصابة ٢: ٤٠٨، أُسد الغابة ٣: ٣١٣.

(٣) تأريخ اليعقوبيّ ٢: ١٠٣.

(٤) تأريخ الطّبريّ ٢: ٤٤٣، شرح النّهج لابن أبي الحديد ٢: ١٣٠، الاستيعاب ٢: ٨٣، الإصابة ٢: ٦١، هذه المصادر علىٰ سبيل المثال لا الحصر.

(٥) السّيرة لابن هشام ٤: ٣٣٦.

(٦) المائدة: ٥٥.

ماتصفون...؟ أم لكونه صاحب ثروة قدروها بألف بعير وثلاثة آلاف شاة ومئة فرس كما ترك ذهباً قُطع بالفؤوس حتىٰ مجلت أيدي الرّجال منه؟[١]

(٣) لماذا أدخل ـ جعل الحَكم ـ عبد الله بن عمر أيضاً كما في بعض الأخبار وهو القائل كما روي في تأريخ المدينة عن إبراهيم قال: قال عمر بن الخطاب «يأمروني أنْ أُبايع لرجل لم يُحسن أنْ يُطلق إمرأته»؟[٢] وفي طبقات ابن سعد قال عمر: «مَن أستخلف؟ فقيل له: فأين أنت من عبدالله بن عمر؟ فقال: قاتلك الله والله ما أردت الله بهذا، أستخلف رجلاً ليس يحسن أنْ يُطلق إمرأته»؟[٣] وفي تأريخ السّيوطيّ: «أنّ رجلاً قال لعمر: ألا تستخلف عبدالله بن عمر؟ فقال: قاتلك الله! والله ماأردت الله بهذا، أستخلف رجلاً لم يحسن أنْ يُطلق إمرأته».[٤] أم لكون عمر يعلم بأنّ ابنه معلوم الإنحراف عن عليّ بن أبي طالب ولذا لم يُبايعه لما كانت البيعة له بعد عثمان وبايع بعده معاوية ويزيد بن معاوية...، بل قيل إنه انتظر علىٰ باب الحجاج ثلاثة أيام ليبايعه والحجاج مشغول عنه، حتىٰ دخل عليه في اليوم الثّالث وهو يقول: مَنْ مات وليس في عُنقه بيعة مات ميتة جاهلية. وكان الحجاج منشغلاً بالأكلّ فمد رجله إليه وبايعه...

إذاً عبدالله بن عمر يحمل نفس السّبب الّذي كان يحمله عمر، تجاه عليّ بن أبي طالب، وهو السّر الّذي دعاه في آخر حياته أنْ يُبايع يزيد بن معاوية يزيد الخمور والفجور والكفر والإلحاد مقابل مئة ألف درهم قدمها إليه معاوية أيام حياته وبعد

---

(١) الطّبقات الكبرىٰ ٣: ١٣٦.

(٢) تأريخ المدينة ٣: ٩٢٣.

(٣) تأريخ المدينة ٣: ٣٤٣.

(٤) تأريخ السّيوطيّ: ١٣٥.

قتل يزيد لقرة عين الرّسول ﷺ والبتول فاطمة الزّهراء وعليّ أمير المؤمنين.

والحسين هو سيد شباب أهل الجنّة، فهل من المعقول أنْ يقف ابن عمر هذا الموقف ليدافع عن يزيد الفاسق، حيث روىٰ البخاريّ عن نافع قال: لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه ومواليه وفي رواية سليمان وولده، وقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة» وزاد الزّهريّ: «وإنّا قد بايعنا هذا الرّجل علىٰ بيعة الله ورسوله، وإني لا اعلم غدراً أعظم من أنْ تُبايع رجلاً علىٰ بيعة الله ورسوله، ثمّ تنصب له القتال، وإني لا اعلم أحداً منكم خلع ولا بايع في هذا الأمر إلّا كانت الفيصل بيني وبينه».[١]

وقال في وقعة الحرة الّتي أباح فيها يزيد المدينة المنورة ثلاثة أيام، ثمّ يأتي ابن عمر ويوجه جرائم يزيد حينما قال مخاطباً عبد الله بن مطيع: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: من خلع يداً من طاعةٍ لقي الله يوم القيامة لا حجّة له، ومَن مات وليس في عنقه بيعة...»[٢]

٤. ماهي الميزة الّتي ميزت أبا عبيدة بن الجراح ـ عامر بن عبدالله؟

ألكون ـ أبي عبيدة ـ من الّذين كانوا في السّقيفة في حزب أبي بكر وهو القائل لعليّ عليه السلام: «ياأبا الحسن! إنّك حدث السّنّ وهؤلاء مشيخة قريش قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأُمور، ولا أرىٰ أبابكر إلّا أقوىٰ علىٰ هذا الأمر منك وأشدَّ احتمالاً له واضطلاعاً به، فسلِّم له هذا الأمر وارض به فإنك إنْ تعِشْ ويَطُلُ عمرك فأنت لهذا الأمر لخليق وعليه حقيق في فضلك وقرابتك وسابقتك وجهادك...»؟[٣]

---

(١) صحيح البخاريّ ١: ١٦٦، سنن البيهقيّ ٨: ١٥٩، مسند أحمد ٢: ٩٦.

(٢) صحيح مسلم ٦: ٢٢.

(٣) شرح النّهج لابن أبي الحديد ٢: ١٣٤ و٦: ٢٨٦.

أم لكونه من الّذين اختمروا بالأُزُر، لايمرون بأحد إلّا ضبطوه... وقدموه، فمدوا يده فمسحوها علىٰ يد أبي بكر يبايعه شاء ذلك أم أبىٰ»؟[١] ولهذا وغيره أصبح عمر يردد هذه المقولة: «لو كان أبو عبيدة بن الجراح حياً لاستخلفته ولو كان سالم مولىٰ أبي حذيفة حياً لاستخلفته»، وكأنه رد الجميل الّذي صدر منهما أيام السّقيفة وغيرها، وهو يعلم بأنهما قد ماتا فلا بأس بأنْ يبعد الشّبهة والاشكالية الّتي طرأت في أذهان النّاس، وكأن الأمر حقيقة هو شورىٰ وهو... وهو...،وقد تناسىٰ كلّ الآيات والأحاديث الّتي جاءت بحق الإمام عليّ عليه السلام حتىٰ قوله: «بخ بخ لك يا ابن أبي طالب! من مثلك يباهي الله به ملائكة سبع سماوات؟» أو «أصبحت مولاي ومولىٰ كلّ مؤمن ومؤمنة...»[٢].

وهذا الحرف «لو» للتمني وهو حرف إمتناع لوجود أيضاً فلو كان حقاً أبو عبيدة أو سالم من الأحياء لم يولِّ عمر أحداً منهما وذلك؛ لأنه اختراق لبنود السّقيفة الّتي نصت علىٰ التّتابع - أبو بكر، ثمّ عمر، ثمّ عثمان - وإنّما ذكرهما من باب أنّ الرّسول صلى الله عليه وآله قد آخىٰ بينهما في المؤآخاة الأُولىٰ عندما كان في مكّة، فقد آخىٰ بين أصحابه من قريش ومواليهم، فآخىٰ بين عمّه حمزة ومولاه زيد بن حارثة، وبين عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وبلال مولىٰ أبي بكر، وبين أبي عبيدة بن الجراح، وسالم مولىٰ أبي حذيفة. وهذه الموالاة هي الّتي حطمت الاعتبار والتّمايز الطّبقيّ القبليّ الاقتصاديّ.[٣] وكان أبو عبيدة بن الجراح المسؤول المركزي عن المخصصات المالية.

---

(١) شرح النّهج للمعتزلي ١: ٢١٩.

(٢) شرح النّهج للمعتزليّ ١: ٢١٩.

(٣) الرّوض الأُنف ٢: ٢٥٢.

ولذا نقل صاحب كنز العمّال، وابن سعد في طبقاته: «... قال عمر، لأبي بكر بعد أنْ بُويع بالخلافة: إنطلق يفرض لك أبو عبيدة... فانطلقا إلىٰ أبي عبيدة فقال: أَفرض لك قوت رجل من المهاجرين...»،[١] وفي الطّبقات الكبرىٰ: «قال: لما استُخلِفَ أبو بكر جعلوا له ألفين. قال: زيدوني؛ لأن ليّ عيالاً وقد شغلتموني عن التّجارة فزاده خمسمئة».[٢]

ودليلنا علىٰ أنّ عمر قال ذلك للفذلكة أنّه قال أيضاً: «لو أدركت معاذ بن جبل لاستخلفته ووليته»،[٣] ومعاذ هذا ليس من طبقة البدريين، بل من الأنصار،[٤] فإذا كانت تولية الأنصار جائزة فلماذا لم تكن جائزة يوم السّقيفة؟ علماً بأن سعداً طالب بالخلافة وهو أحد النُّقباء ليلة العقبة الّذين إختارهم جبرائيل عليه السلام، وسعد ليس كمعاذ؛ لأنه سيد الخزرج بلا منازع.[٥] وأُنظر إلىٰ الفذلكة الأُخرىٰ الّتي قالها عمر: «لو أدركت خالد بن الوليد لوليته»،[٦] وخالد بن الوليد هذا من الطّبقة العاشرة من طبقات الصّحابة كما تدعون، وهو الّذي انقض علىٰ الرّماة يوم أُحد... وهو الّذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللّهمّ إني أبرء إليك مما صنع خالد».[٧]

---

(١) كنزالعمّال ٥: ٦٠٣، الطّبقات الكبرىٰ ٣: ١٨٤ و ١٨٥.

(٢) المصدران السّابقان.

(٣) الإمامة والسّياسة ١: ٢٣.

(٤) الطّبقات الكبرىٰ ٣: ٥٨٣.

(٥) المصدر السّابق، الإمامة والسّياسة ١: ٥ و٨.

(٦) الإمامة والسّياسة ١: ٢٤.

(٧) السّيرةالنّبوية لابن كثير ٣: ٥٩٢، تأريخ الإسلام للذهبيّ ٣: ٥٦٨، الكامل في التّأريخ لابن الاثير ٢: ٢٥٦، الطّبقات الكبرىٰ ٢: ١٤٨ تأريخ الطّبريّ ٣: ٦٧، السّيرة لابن هشام ٤: ٧٣، المغازي للواقدي ٣: ٨٨١.

ومن هذا وذاك لا نندهش إذا رأينا معاوية الطّليق ابن الطّليق يعتلي سدة الخلافة والحُكم والإمارة، وكذلك مروان بن الحكم الّذي كان محظوراً عليه وعلىٰ أبيه أنْ يدخلا المدينة في زمن رسول الله ﷺ، وزمن أبي بكر، وزمن عمر أيضاً، إلىٰ أنْ آلت الخلافة إلىٰ عثمان فأدخله معززاً مكرماً، ثمّ طلب الخلافة وطالب فعلاً بالإمارة، ولكن عثمان اتخذه وزيراً له حتىٰ قال الإمام عليّ عليه السلام: «إنّا والله إذاً لنكسرن رماحنا ولنقطعن سيوفنا ولا يكون في هذا الأمر خير لمن بعدنا»[١].

وبعد كلّ هذا فإن أبا عبيدة بن الجراح ليس من قريش حتىٰ عمر طبق حديث رسول الله ﷺ: «الأئمّة من قريش»؟ فإذا كان هذا المقياس فلماذا لا يطبقه علىٰ غيره من القرشيين، كعلي بن أبي طالب عليه السلام، والعباس بن عبد المطلب و..و..؟ علماً بأنّ العباس قد تنازل عن حقه ـ إن صح التّعبير ـ لأنه بالأساس لا حقّ له، وهو الّذي دعا الإمام عليّ عليه السلام إلىٰ البيعة قائلاً: «يا ابن أخي! هلم إليَّ أنْ أُبايعك فلا يختلف عليك اثنان».[٢]

ثمّ لماذا اختلفتم في القرشية فتارة تقولون: أنْ يكون قرشياً من الصّميم للاحتراز عن القرشيّ بالولاء؟ كما ذهب ابن حزم في الفصل: «... لا تجوز إلّا في قريش خاصة مَنْ كان أبوه من ولد فهر بن مالك وإنّها لا تجوز فيمن كان أبوه من غير بني فهر... ولا حليف ولا في مولىٰ».[٣] علماً بأنّ القرشية في عليٍّ عليه السلام لم تكن نتيجة لاشتراط وإنّما هي أمر واقع، ولا دليل علىٰ اعتبار القرشية، ثمّ لماذا يقول

---

(١) الإمامة والسّياسة لابن قتيبة ١: ٢٩، العقد الفريد ٢: ٢٧٢، نقله مختصراً عن ابن أبي شيبة عن طريق الأعمش.

(٢) أُصول الدّين لعبد القاهر البغداديّ: ٢٨٤.

(٣) الفصل ٤: ٨٩، ١٦٦.

التّفتازانيّ : «... فإنْ لم يوجد في قريش من يستجمع الصّفات المعتبرة ولِّيّ كناني فإن لم يوجد فرجل من العجم»؟[١] ومنهم من قال : «... أنه يولّىٰ جرهميّ»،[٢] وقال بعضهم :« كونه قرشياً هاشمياً علوياً فاطمياً ... كما هو عند الزّيدية[٣]، وذهبت الرّاوندية إلىٰ أن يكون هاشمياً عباسياً[٤]... وقال بعضهم بعد أنْ أراد التّخلص من الحرج الّذي وقع فيه عمر بن الخطاب بنفي اشتراط القرشية واستدل بقول عمر : «لو كان سالم مولىٰ حذيفة حياً لوليته»، قال : مولىٰ القوم منهم وعصبية الولاء حاصلة لسالم في قريش. وهذا بالحقيقة هروب من الواقع ؛ لأن عمر استعظم عليه أمر الخلافة ورأىٰ شروطها كأنها مفقودة في ظنه ؛ لأنه يُريد أنْ يُبعدها عن صاحبها الأصلي المنصوص عليه في الكتاب والسّنة فعدل إلىٰ سالم لتوفر الشّروط فيه عند عمر حتىٰ في النّسب المفيد للعصبية، ولم يبق إلّا صراحة النّسب فرآه غير محتاج إليه ...».[٥]

ولا نرىٰ لهذا التّخبط العشوائي أية قيمة ؛ لأن كلّ هذه الدّعاوىٰ باطلة وغريبة، فكأن قريش سلالة ممتازة عن سائر النّاس، وليس هذا من الإسلام في شيء، والعصبية هذة كلّها تمركزت في الأُمويين دون سائر قريش، ثمّ العباسيين دون قريش، وعرّض الأُمويون والعباسيون قريش بكل فصائلها للظلم. فلماذا يحصر هؤلاء القرشية في الهاشميين؟ كما قال الإمام عليّ عليه السلام: «... احتجوا بالشجرة

---

(١) شرح المقاصد ٥: ٢٣٣.

(٢) مآثر الإنافة ١: ٣٨.

(٣) الملل والنّحل ١: ١٥٤، الأزهار في فقه الائمة الأطهار: ١٥٩، البحر الزّخّار ٥: ٣٧٩.

(٤) أُصول الدّين للبغداديّ: ٢٨٤.

(٥) مقدمة ابن خلدون ١: ٣٤٥، الفصل ٤: ٨٩.

وأضاعوا الثّمرة»، والحديث الوارد: «الأئمّة من قريش»، في نطاق الأخبار المتواترة بشأن الاثني عشر، ولذا لم تعتبر القرشية شرطاً في الحاكم... مع العلم أنّ سالماً ليس من الأنصار ولايعرف له نسب في العرب، وهذا نسف للقاعدة الشّرعية القائلة: «بأن الأئمّة من قريش»، ونسف للحجّة الّتي تولىٰ بها أبوبكر نفسه الخلافة كما تدعون.[١] والقضية ليست قضية شرف أُسروي، ومكانة من قريش البطاح أو قريش الظّواهر، لكن القضية قضية دين، وقضية علم الغيب مَن هو الأصلح؟

(٥) ألا تعتقدون بأنّ تولية عثمان للخلافة كان قد بُتّ فيها في حياة عمر بن الخطاب، وتعيين السّتّة في الشّورىٰ كان من أجل تمرير هذا الأمر بصورة مرضية لدىٰ الجميع كما يتصورون، وذلك عندما أنبأ عمر سعيد بن العاص أنّه سيلي بعده ذو رحم، ألا وهو عثمان وطلب منه أنْ يخبّيء الأمر عنده، وهذا ماكشف عنه عثمان نفسه عندما خطب في أوّل خطبة له حيث قال: أيها النّاس إنّ أوّل مركب صعب، وإنّ بعد اليوم أياماً، وإنْ أعش تأتكم الخطبة علىٰ وجهها فما كُنا خطباء... فأرتج عليه... فقال: إنّ أبا بكر وعمر كان يعدان لهذا المقام مقالاً وسيأتي الله به...»،[٢] وهو أوّل يوم عفا به أثناء خطبته عن عبيد الله بن عمر من جريمته لقتل الهرمزان وكان من المسلمين، وقال: لا وارث له إلّا المسلمون عامة وأنا إمامكم وقد عفوت أفتعفون؟ قالوا: نعم، فقال عليّ عليه السلام: أقد الفاسق فإنه أتىٰ عظيماً، قتل مسلماً بلا ذنب، وقال لعبيد الله: «يافاسق لئن ظفرت بك يوماً لأقتلنك بالهرمزان».[٣]

---

(١) تقدمت استخراجاتها.

(٢) البداية والنّهاية ٧:١٦٦،العقد الفريد ٢: ٤١٠، البيان والتّبيين ٢: ٢٥٠، تحقيق محمّد هارون، تأريخ الخلفاء تحت عنوان «أوليات عثمان»، وابن كثير ٧: ٢١٤، الطبقات الكبرىٰ في ترجمة عثمان ٣:٦٢، أنساب الأشراف ٥: ٢٤ و ٢٥.

(٣) المصادر السّابقة.

ولا ندري هل هذا رد الجميل من قبل عثمان لأبيه؟ أو لسبب أخر لا نعرفه؟ وعمر هذا هو الّذي حرض سعيد بن العاص علىٰ قتل الإمام عليّ عليه السلام عندما قال له: «مالي أراك مُعرضاً كأنك ترىٰ أني قتلت أباك؟ ما أنا قتلته ولكنه قتله عليّ بن أبي طالب»، وكان قد قتله ببدر، فأراد بذلك عمر إثارة الضّغائن علىٰ الإمام عليه السلام.

ويكشف لنا هذا التّصور، بل التّصديق بأنّ الخلافة قد بُتّ بها مسبقاً ما استفاض من الرّوايات من مناشده الإمام عليّ عليه السلام لأصحاب الشّورىٰ وتعديده فضائله وخصائصه الّتي بان بها منهم ومن غيرهم، فقد روىٰ شرح النّهج لابن أبي الحديد، قال الإمام عليّ عليه السلام: «إنّ لنا حقاً إنْ نُعطه نأخذه، وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل، وأن طال السّرىٰ...»، ثمّ قال لهم: «أنشدكم الله، أفيكم أحد آخىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله بينه وبين نفسه حيث آخىٰ بين المسلمين وبعض، غيري؟» فقالوا: لا... فقال... فقالوا... قال: «فأيُنا أقرب إلىٰ رسول الله نسباً؟» قالوا: أنت. فقطع عليه عبد الرّحمن بن عوف كلامه وقال: ياعليّ: قد أبىٰ النّاس إلّا علىٰ عثمان، فلا تجعلن علىٰ نفسك سبيلاً. ثمّ قال: ياأبا طلحة، ما الّذي أمرك به عمر؟ ـ وهنا بيت القصيد ـ قال: أنْ أقتل من شق عصا الجماعة. فقال عبد الرّحمن لعليّ بايع إذاً... وإلّا كنتَ مُتبعاً غير سبيل المؤمنين وأنفذنا فيك ما أمرنا به. فقال: «لقد علمتم أني أحقّ بها من غيري، ووالله لأسلمنّ...».[1] كان عليه السلام يعلم بأنّ الخلافة زويت عنه، وإنّما اشترك معهم في الشّورىٰ كي لايقال: هو الّذي زهد في الخلافة ولم يطلبها. وقال عمر أكثر من مرة إنّ قريشاً أجمعت أنْ لا تولي أي هاشميّ.[2]

٦. سبق وأن أشرنا إلىٰ أنّ الشّورىٰ الّتي ابتدعها عمر بن الخطاب وخرج بها

---

(١) شرح النّهج لابن أبي الحديد ٦: ١٦٧.

(٢) ابن الأثير ٣: ٢٤ وشرح النّهج ٣: ١٠٧ و ١٠٥ و ١١٤، الإمامه والسّياسة ١: ٢٦، نظام الحكم للقاسميّ: ٢٢٢.

عن النّص والاختيار وحصرها في ستة، وذم كلّ واحد منهم، ثُمّ أهله للخلافة، وبعدها جعل الأمر إلىٰ أربعة، ثُمّ إلىٰ واحد وصفه بالضعف والقصور تارة، وفرعون هذه الأُمّة تارة ثانية، ويجعل خاتمه في اصبع إمرأته تارة ثالثة و...و...

والسّؤال هو لماذا لم ينص علىٰ واحد بعينه؟ ولماذا لا يترك الأُمّة هي الّتي تختار كما يدعي المدعي؟ وللأُمّة حقّ الاختيار والبيعة؟ ألم يكن هذا بدعة من عمر بن الخطاب، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة صاحبها في النّار؟ ومَنْ سنّ سُنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة!

وحتىٰ لو سلمنا كما تقولون بأنّ الإمامة تنعقد بواحد لو بايع أحدٌ أحداً فما وجه تعيين السّتة؟ ولماذا يهددهم بالقتل؟ أفيستحقون القتل لجرم ارتكبوه أم مجرد المخالفة؟ أم هنالك شي ء آخر لانعلمه نحن، ولكن يعلمه هو وحده؟ مع العلم أنّ البيعة عند أكثر الفقهاء والعلماء لا تكون بالإكراه إلّا عند من شذّ؟ ولماذا قلتم بأنّ الوصية بعد الموت لاتكون نافذة، وهو مجرد تهديد وليس وصية، وهذا باطل وتحكم بدون دليل؛ لأن الخروج علىٰ الإمام وشق عصا الطّاعة هو من أوّل يوم يوجب قتله، وقوله بعد ثلاثة أيام هو تخصيص بدون مخصص كما يقول الأُصوليون لاسيما أنّه لا إمامة له بعد الموت.

ثمّ نعيد الكرة مرة أُخرىٰ لِمَ لا يأمر بقتل الجميع، بل يخصص الطّرف الّذي ليس فيه عبد الرّحمن أو عدم الرّضوخ إلىٰ رأي ابنه عبدالله الّذي لا يُحسن طلاق زوجته حسب تعبير عمر بن الخطاب؟ ألم يكن هذا كله من أجل قتل الإمام عليّ عليه السلام، ولكن بصورة مبطنة وماكرة؛ لأنه عليه السلام إنْ لم يَدخل في الشّورىٰ فينال عمر مقصوده وهو عزله عليه السلام عن الخلافة ويلقي اللّوم علية ظاهراً إلىٰ مدىٰ الزّمن وتأخذ الأقلام المأجورة والأحاديث الكاذبة مجراها من ابن حزم، وابن تيمية، وابن كثير،

وابن الجوزيّ، الأبناء الأربعة، و... وابن...؟وإن يَدخل فيها ـ الشّورىٰ ـ فيُقرن بتلك النّظائر الّتي ذمها وفضحها عمر بنفسه؟ ولذا قال عليه السلام: «فيا لله والشّورىٰ» لكنه عليه السلام آثر الدّخول حتىٰ يُفشل ويُسقط مخطط الخمسة وتكون سقيفة ثانية يتناوبون عليها بالتتابع. وأراد أنْ يكشفهم ويذكرهم بحقه حتىٰ لايبقىٰ لهم عذر في المخالفة، وأراد أنْ يُبطل لهم خلافة الأوّل والثّاني بدءً بحديث «من كنت مولاه فعلي مولاه اللّهمّ وال من والاه وعادِ من عاداه...» ولذا رفض عرض عبد الرّحمن في السّير بسيرة أبي بكر وعمر، وهذا دَفعٌ من عبد الرّحمن للأمير عليه السلام عن الخلافة إلىٰ عثمان بتلك الحيلة المصطنعة. ودخوله عليه السلام في الشّورىٰ لا يعني أنه عليه السلام غير منصوص عليه كما قيل، وليس تصحيحاً لعمل أبي بكر وعمر أيضاً وليس تصحيحاً للشورىٰ كما يدعي المبطل. وإنّ عمر عندما وصف الإمام عليه السلام بأنه يسلك بهم الطّريق المستقيم... كان كلامه هو بحد ذاته تحذيراً لهم ـ للخمسة ـ وتنبيهاً علىٰ لزوم معارضته بكل صورة من الصّور؛ لأنه إنْ وصلت إليه حال بينهم وبين شهواتهم ورغباتهم؛ لأنهم عبيد الدّنيا كما وصفهم عمر، فهذا فيه نخوة وكبر، وذاك يضع خاتمه في اصبع امرأته، وذلك شيطان وكافر، ورجل حرب، وذاك يلاطم النّاس في الصّاع والمُد... ومع كلّ هذا الطّعن لايصلح احد منهم للإمامة...

ومبدأ التّعيين للواحد كان جنوحاً عظيماً نحوالفردية، وتركيز السّلطة بيده؛ لأنه غير معصوم، وحتىٰ لو سلمنا لأهل الحل والعقد كيف يتسنىٰ لهم إختيار الأصلح للإمامة؟ وماالّذي يؤمننا ألا ينحرف هؤلاء كما انحرف الخمسة عن الجادة فساروا وفق أهوائهم في تعيين عثمان؟ ثمّ لماذا لم يجعل عبد الرّحمن بن عوف من نفسه إماماً؟ والنّتيجة الكل حَاد عن الطّريق واتبع نظرية الفرد الواحد، فنرىٰ أبابكر قد عين عمر، وعمر قد عين عثمان، كلٌ بطريقته الخاصة.

٧. تقولون إنّ أمر الشّورىٰ هي أوّل الدّلائل علىٰ تقوىٰ ابن الخطاب وخوفه من الله؛ لأنه احتاط للأمر وجعلها إلىٰ ستة كلّهم من قريش ولم يتحملها حياً وميتاً. والسّؤال الّذي يطرح نفسه: أتعترفون بأنّ هؤلاء جميعاً قد اكتملت فيهم شرائط الإمامة؟ أم أكتملت لبعضهم دون بعض؟ فإذاكان الجواب بالأوّل. فلماذا يُعيب كلّ واحد منهم؟ وهل يُعقل أنّ الّذي نزل فيه قرآن يكون جامعاً للشرائط كما في طلحة عندما قال إنْ قُبض النّبيّ لننكحن أزواجه من بعده... ونزلت الآية: ﴿...وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ ٱللَّهِ...﴾[1]؟ وهل يُعقل أنّ الشّخص الّذي يعتريه الشّيطان بين يوم وآخر يكون جامعاً للشرائط كما في الزّبير؟ ومن يضمن صلاح الأُمّة في ذلك اليوم الّذي هو فيه شيطان كما قال عمر نفسه للزبير؟... اللّهمّ إلّا أنْ يكون مثل صاحبيه أبي بكر وعمر عندما قال كلّ واحد منهما: «إنّ ليّ شيطاناً يعتريني» وبالتالي تكون إمارة الشّياطين لا إمارة الآدميين، وولايته وإمارته علىٰ الشّياطين، فلا سلطان ولا ولاية له علىٰ الآدميين، فلماذا يطلب منهم البيعة؟ بل لابد له من أنْ يطلب البيعة من الشّياطين... وكيف يوليه إمارة المسلمين وهو الّذي منعه من الغزو خوفاً من إفساده؟ كما روىٰ الحاكم ذلك: «جاء الزّبير إلىٰ عمر يستأذنه في الغزو، فقال عمر: إجلس في بيتك... فردد ذلك عليه فقال عمر: إجلس... حتىٰ قال له في الثّالثة: إقعد في بيتك، فوالله لأجد بطرف المدينة منك ومن أصحابك أنْ تخرجوا فتفسدوا علىٰ أصحاب محمّد».[2] وهل يُعقل أنْ يكون إمامنا موصوفاً بالروثة الّتي خرجت من البعير أو الحيوان هي أحسن وأفضل منه، فإذاكان الإمام روثة فما حال المأمومين؟

---

(١) الأحزاب: ٥٣.

(٢) المستدرك ٣: ١٢٠، كتاب معرفة الصّحابة.

ولسنا بصدد بيان مناقب هؤلاء، بل أوردنا ذلك علىٰ سبيل المثال. أمّا إذا كان الجواب أنه قد اكتملت شرائط الإمامة في بعضهم دون بعضهم الآخر، فلماذا يدخل عمر هؤلاء الّذين لم تكتمل فيهم الشّرائط؟ ومن حقّ الأُمّة كلّها أنْ تدخل في الشّورىٰ وذلك؛ لأن الاقران كلّهم لهم أطماع بالزعامة العامة... وهو الّذي خاف أنْ يطلق الصّحابة في الأمصار، ونهاهم عن مخالطة النّاس؛ لأنه رأىٰ فيهم أُسّ الفساد، ثمّ رشحهم وجعل بعضهم ينافس الآخر، وهو الّذي قال: لا يصلح هذا الأمر ـ الإمارة ـ للطلقاء ولا لأبناء الطّلقاء،[١] ثمّ جعلها في ستة متساوين مرشحين للخلافة...[٢]

ثمّ إنّ عمر يعترف بأنّ هؤلاء أهل الشّورىٰ مات النّبيّ ﷺ وهو عنهم راضٍ. والسّؤال الّذي يطرح نفسه أيضاً كيف تحقق لعمر بأنّ رسول الله ﷺ مات وهو عنهم راضٍ؟ أو يشمل رضاه ﷺ كلّ واحد منهم أم يشملهم بالجملة؟ فإذا كان الجواب بالأوّل. فكيف يرضىٰ رسول الله ﷺ عنه هو نفسه عندما قال عنه: «إنه ليهجر» و... و...؟ وكيف يرضىٰ عن طلحة الّذي نزلت فيه آية... و... و... إلخ؟

أفما كان من الأجدر به أنْ يجعل عماراً هو الميزان بعد وفاة رسول الله ﷺ؛ لأن البخاريّ روى: «إنّ عماراً أجاره الله من الشّيطان علىٰ لسان نبيه ﷺ»[٣]. وقال فيه ﷺ: «ابن سمية ماعرض عليه أمران قط إلّا إختار الأرشد منهما»،[٤] وقال فيه أيضاً: «من عادىٰ عماراً عاداه الله ومن أبغض عماراً أبغضه الله»،[٥] وقال ﷺ فيه

---

(١) كنز العمّال ٥: ٧٣٥.

(٢) فتح الباري ١٣: ١٩٧.

(٣) صحيح البخاري ٢: ٣٠٥ «مناقب عمار».

(٤) صحيح البخاريّ ٢: ٣٠٥ «مناقب عمار».

(٥) مجمع الزّوائد ٩: ٢٩٣، الفتح الرّبانيّ ٢٢: ٣٢٩.

أيضاً: «إذا اختلف النّاس كان ابن سمية مع الحقّ»،[١] إلىٰ غير ذلك من الأحاديث الّتي وردت بحقّ عمار بن ياسر. ثُمّ نقول: لماذا أبعده؟ ألكون عمار يعلم أسماء المنافقين الاثني عشر الّذين أرادوا قتل النّبيّ ﷺ عند عودته من تبوك...؟ أم لكونه علىٰ الفطرة لا يدعها حتىٰ يموت؟ كما قال رسول الله ﷺ،[٢] أم أنّ الحسد الّذي أهلك الجسد هو الّذي نفره من عمار لقربه من عليّ؟ فوالله لعليّ أفضل من عمار أبعد مابين التّراب والسّحاب وإنّ عماراً لمن الأحباب. وهو يعلم أنهم إنْ لزموا عماراً كانوا مع عليّ كما جاء علىٰ لسان حذيفة.[٣]

أفما كان من الأجدر به أنْ يجعل من أبي ذر الميزانَ في الشّورىٰ بدل عبد الرّحمن؟ وقد قال فيه رسول الله ﷺ: «ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء عن رجل أصدق من أبي ذر»،[٤] وفي رواية: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفىٰ من أبي ذر، شبيه عيسىٰ بن مريم. فقال عمر كالحاسد له: يارسول الله ﷺ أنعرف ذلك له؟ قال: «نعم فأعرفوه»[٥]، ولذا قال أبو جعفر في مشكل الأثر: «والمراد بالحديث التّأكيد والمبالغة في صدقه، وتأملنا هذا الحديث لنقف علىٰ المعنىٰ الّذي أُريد به، ما هو؟ فكان ذلك عندنا والله اعلم أنّه كان رضي الله عنه في أعلىٰ مراتب الصّدق.[٦].

وبعد هذا فأي إجماع، وأي شورىٰ، وأي إختيار، لمن يجلس والسّيف علىٰ

---

(١) كنز العمّال ١١: ٧٢١.

(٢) مجمع الزّوائد ٩: ٢٩٥.

(٣) المصدر السّابق ٧: ٢٤٣.

(٤) الفتح الرّبانيّ ٢٢: ٢٧٠، كشف الخفاء ٢: ٢٣١، الجامع ٥: ٦٧٩، كنز العمّال ٤: ٢٢٨ و١١: ٦٦٧.

(٥) رواه التّرمذيّ وحسنه في الجامع ٥: ٦٧٠.

(٦) مشكل الأثر ١: ٢٢٤.

رأسه ويهدد بالقتل؟ ثمّ كيف يقتل من ورد فيهم أحاديث وأحاديث كما يدعي المدعي بأنهم من أهل الجنّة؟ وماهو رأي المسلمين بمن فيهم الصّحابة الكبار والتّابعون من أمثال عمار بن ياسر، وأبي ذر، ومحمّد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة،[١] وهو ممن أدرك رسول الله ﷺ؟[٢]. وحذيفة بن اليمان هو القائل عندما بلغه مقتل عثمان: أخرجوني وادعوا «الصّلاة جامعة» فوضع علىٰ المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه وصلّىٰ علىٰ محمّد وآل محمّد، ثمّ قال: أيها النّاس إنّ النّاس قد بايعوا عليّاً فعليكم بتقوىٰ الله وانصروا عليّاً ووازروه، فوالله إنه لعلىٰ الحقّ آخراً وأوّلاً وأنّه لخير من مضىٰ بعد نبيكم، ومن بقي إلىٰ يوم القيامة، ثمّ أطبق يمينه علىٰ يساره، ثمّ قال: اللّهمّ اشهد، إني قد بايعت عليّاً، وقال: الحمد لله الّذي أبقاني إلىٰ هذا اليوم[٣].

ومن الصّحابة والتّابعين عبد الرّحمن بن عديس البلويّ وكان ممن بايع النّبيّ ﷺ تحت الشّجرة[٤].

ومنهم أيضاً محمّد بن أبي بكر الّذي ولد في حجّة الوداع بطريق مكّة[٥].

ومنهم صعصعة بن صوحان العبديّ الّذي أسلم علىٰ عهد رسول الله ﷺ[٦].

ومنهم مالك الأشتر الّذي أدرك الرّسول ﷺ وهو من ثقات التّابعين[٧].

---

(١) هو ابن خال معاوية وكان مغرماً بحبّ الإمام عليّ عليه السلام، وقد سجنه معاوية بعد إستشهاد الإمام إلىٰ أنْ مات في السّجن. راجع معجم رجال الحديث للسيد الخوئيّ الطّبعة الجديدة ١٥: ٢٤٨.

(٢) تأريخ الطّبريّ حوادث سنة ٣٠ و٣٦، الإصابة ٣: ق ١: ٣٥٣، الاستيعاب ٣: ٣٢١.

(٣) مروج الذّهب ٢: ٣٩٤، ط ٢، المكتبة التّجارية، تحقيق محمّد محي الدّين عبد الحميد.

(٤) أُسد الغابة ٣: ٣٠٩، الأصابة ٤: ق١: ٤٠٣، الطّبريّ حوادث ٣٠ و ٣٦هـ.

(٥) المصدر السّابق، الإصابة ٣: ق٢: ٤٥١، الاستيعاب ٣: ٣٢٨.

(٦) المصادر السّابقة.

(٧) جمهرة ابن حزم: ٤١١، الطّبريّ ٦: ٥٤٠، ابن الأثير ٣: ١٤١، ابن كثير ٧: ٣١٢، مروج الذّهب ٦: ٢٠٩.

ومنهم أبوالدّرداء الّذي أسلم يوم بدر والّذي مات سنة ٣٢ هـ[١].

ومنهم عبادة بن الصّامت الأنصاريّ الّذي توفي بالرملة سنة ٣٤ هـ وقيل إنه عاش إلىٰ سنة ٤٥ هـ كما في الجمهرة[٢].

وغير هؤلاء كثير ـ لو سمعوا عمر يقول اقتلوا أهل الشّورىٰ ـ والّذي رويتم فيهم الأحاديث بأنهم من أهل الجنّة كما تدعون؟ وها هُم الأُمراء والأجناد كانوا مع عمر بن الخطاب عند مناسك الحج وقد قدموا معه إلىٰ المدينة من أمثال معاوية ابن أبي سفيان، وعمير بن سعد أمير حمص، والمغيرة أمير الكوفة وأبي موسىٰ أمير البصرة، وعمرو بن العاص أمير مصر، فهذه الشّلة كانت موجودة يوم الشّورىٰ، [٣] ولكن نقول حسبنا الله ونعم الوكيل من هذا التّخبط الّذي وقع فيه عمر بن الخطاب حتىٰ جرأ أبا سفيان علىٰ أن يقول: «يابني أُميّة تلقفوها تلقف الكرة فوالّذي يحلف به أبو سفيان مازلت أرجوها لكم ولتصيرن إلىٰ صبيانكم وراثة» وقال أيضاً لمعاوية بوصيته له أنْ يطيع عمر بن الخطاب: «... فلا تخالفهم فإنك تجري إلىٰ أمد فنافس فإنْ بلغته أورثته عقبك... ثمّ ها هو يقف علىٰ قبر حمزة سيد شهداء أُحد ويقول: «ياأبا عمارة إنّ الأمر الّذي اجتدلنا عليه أمس صار في يد غلماننا اليوم يتلعبون به»،[٤] ولذا نجد رسول الله ﷺ يقول محذراً: «إن أشد قومنا لنا بغضاً بنو أُميّة، وبنو المغيرة، وبنو مخزوم»،[٥] وروي أنّ النّبيّ ﷺ رأىٰ بني

---

(١) الإصابة ٣: ق١: ٤٦، جمهرة ابن حزم: ٣٦٢.

(٢) الإصابة ٤: ق١: ٢٨، الطّبقات ٣: ق٢: ٩٤، مسند أحمد ٥: ٣٢٦، الجمهرة: ٣٥٤.

(٣) الطّبري ٥: ٣٦.

(٤) أقوال أبي سفيان هذه في مروج الذّهب ٢: ٢٩٤، البداية والنّهاية ٨: ٨١٨، الإمتاع والمؤانسة ٢: ٧٥، شرح النّهج للمعتزليّ ٤: ٥١.

(٥) كنز العمّال ١١: ١٦٩.

أُميّة علىٰ منبره فساءه ذلك،[١] وقالﷺ: «ويل لبني أُميّة» ثلاث مرات[٢].

والشّورىٰ هذه هي الّتي أطمعت طلحة والزّبير بالخلافة وغرتهما بأنفسهما حتىٰ حاربا عليّاً أميرالمؤمنين بالبصرة وسنقف مع هذه الشّبهة فيما بعد إن شاء الله تعالىٰ.

(٨) أمّا استدلالكم علىٰ الشّورىٰ بالآيات الواردة في قوله تعالىٰ: ﴿...وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ...﴾[٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿...وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ...﴾[٤]، وأنّ رسول اللهﷺ كان يستشير أصحابه في الأُمور المهمة والصّعبة، كما استشارهم في غزوة بدر وأُحد والخندق... إلخ.

وهنا نسألكم: أتدل الآية الأُولىٰ علىٰ الوجوب أم علىٰ الاستحباب؟ فإنْ قلتم علىٰ الوجوب فهذا لم يقل به أحد، بل إنّ الآية الواردة في سورة الأحزاب تكون معارضة لها: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[٥]. أمّا إذا قلتم بالاستحباب فقد ثبت المطلوب وهو أنّ الآية واردة بخصوص التّشاور الّذي لم يرد فيه أمر من الله ورسوله. وهذا بعيد عما ورد بشأن الإمامة بأنها من الله ورسوله ومقطوع بها بالنصّ ولا علاقة لها بالبيعة حتىٰ تمارس الأُمّة صلاحيتها عن طريق الشّورىٰ، بل إنّ الشّورىٰ هنا تحكم علىٰ النّص وتنقل حقّ الحكم من الله ورسوله

---

(١) الجامع ٥: ٤٤٤، برواية التّرمذيّ.

(٢) كنز العمّال ١١: ١٦٥.

(٣) الشّورىٰ: ٣٨.

(٤) آل عمران: ١٥٩.

(٥) الأحزاب: ٣٦.

إلىٰ الأُمّة، وهذا خلاف الوجدان.

والكلام هنا في حضور المعصوم لا في عصر الغيبة. والولاية ثابتة من قبل الله ورسوله قبل البيعة والشّورىٰ، وإنّ البيعة لا علاقة لها بالولاية، وإنما البيعة مجرد عقد يجب تنفيذه، وإنّ أحد طرفي العقد لا بد وأنْ يكون ولياً قبل هذا العقد. فهي تؤكد الولاية، والعاصي لأوامر الوليّ بعد ذلك مذنب ذنبين: الأوّل: لأنه عصىٰ الوليّ، والثّاني: لأنه نكث العهد»[١].

أمّا استدلالكم بالآية الثّانية: ﴿...وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ...﴾ فهي قد وردت ضمن آيات تبدأ من ـ الآية ١٣٩ إلىٰ الآية ١٦٦ من سورة آل عمران كلّها، تتحدث عن غزوات الرّسول ﷺ، وبعضها لسان الخطاب فيها للمسلمين الغُزاة خاصة يعظهم ويرشدهم ويعدهم بالنصر، وكيف نصرهم في مواطن عدة... وبعضها لسان الخطاب إلىٰ الرّسول ﷺ خاصة ومنها قوله تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَانفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٢]، فالآيات هنا تبين المشورة باللين والرّفق والرّحمة، ولم تأمره ﷺ بأنْ يعمل برأيهم، وذلك بدليل قوله تعالىٰ: ﴿...فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ...﴾[٣]، يعني إذا عزمت علىٰ أمر ما فاعمل برأيك لا برأيهم، علىٰ الرّغم من أنّ المشاورة مطلوبة، ولا تدل هذه الآيات علىٰ البيعة أو الانتخاب بالشورىٰ أو ترك الأُمّة بيدها في حضور المعصوم؛ لأنه ﷺ أولىٰ بهم من أنفسهم كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ...﴾[٤]، فإذا كانت

---

(١) المرجعية والقيادة لآية الله السّيد كاظم الحسينيّ الحائريّ: ٦٠.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

(٣) آل عمران: ١٥٩.

(٤) الأحزاب: ٦.

له الولاية علىٰ النّفوس فما قيمة الولاية علىٰ الأُمور الأُخرىٰ، وخاصة الغزوات، بل إنّ الولاية هنا واضحة كما يقول الأُصوليون.

أمّا استدلالكم بأنه ﷺ كان يستشير أصحابه، فهذا لا بأس به من باب مجرد الاستشارة والاستضاءة بالافكار، ولو بهدف تعويد الأُمّة علىٰ ذلك، أو بهدف اشتراكهم في المسؤولية، وتحسيسهم بتحمُّل العبء،[١] وأنّ مشاورة الرّسول ﷺ لأصحابه كانت في الغزوات فقط، كما صرح بذلك أبو هريرة الدّوسيّ قال: «لم أر أحداً أكثر مشورة من رسول الله ﷺ، وكانت مشاورته أصحابه في الحرب فقط».[٢] وها هي غزوة بدر شاهد علىٰ ذلك، فعندما أتاه خبر قافلة قريش التّجارية الرّاجعة من الشّام بقيادة أبي سفيان خرج هو ﷺ وأصحابه للتعرض لها، لكن أبا سفيان إنحرف في مسيره عن الطّريق واستنجد بقريش مكّة فخرجت مستعدة للقتال في ألف فارس ولم يكن مع رسول الله غير (٣١٣) شخصاً، وبما أنّ العدد والعدة غير متكافئة بين الطّرفين فما علىٰ رسول الله ﷺ إلّا أنْ يقف بين أمرين لا ثالث لهما، إما أنْ يتراجع ـ ينسحب ـ بأمن وأمان إلىٰ المدينة، وإما أنْ يُقاتل بهؤلاء الّذين معه فهنا استشار أصحابه وأخبرهم بما عند قريش من التّأهب للقتال. فقام أبو بكر وتكلم ولكن رسول الله ﷺ أعرض عنه، ثمّ تكلم عمر بن الخطاب فأعرض عنه، ثمّ تكلم المقداد....[٣] علىٰ الرّغم من أنّ بعض المصادر التّأريخية لم تذكر لنا ماتكلم به أبي بكر، وعمر، والمقداد، لكن الواقديّ ذكر قول عمر بن الخطاب، والمقداد. فقد قال: قال عمر بن الخطاب: «يارسول الله إنّها والله

---

(١) ولاية الأمر لآية الله السّيد الحائريّ: ١٦٦، مع هامش رقم (٢) للفائدة.

(٢) كتاب المغازيّ للواقديّ ٢: ٥٨٠، تحقيق الدّكتور «مارسدن جونس».

(٣) صحيح مسلم كتاب الجهاد غزوة بدر ٣: ١٤٠٣.

قريش وعزّها، والله ماذلّت منذ عزّت، والله ماآمنت منذ كفرت، والله لاتسلّم عزّها أبداً، ولتقاتلنك، فاتّهب لذلك أهبته وأعد لذلك عدّته»،[١] ومثل هذا في إمتاع الأسماع للمقريزي[٢].

والسّؤال الّذي يطرح نفسه أتصلح هذه الكلمات من قبل عمر أنْ تكون نصيحة من ناصح أمين، أم هي تخويف وتهديد، وإخبار الثّلة المؤمنة بأنهم لا يقدرون ولايستطيعون قتال قريش، وزرع الرُّعب والخوف والهزيمة واليأس في نفوس هؤلاء، قبل الدّخول في المعركة، مع العلم إنّها مشحونة بالقسم بالله؟ فلماذا لا يعرض عنه رسول الله؟ﷺ وقطعاً إنّ أبابكر قال مثل مقولة عمر إنْ لم تكن أشد وأكثر يأساً وخوفاً واضطراباً من جهة، وتمجيداً بقريش وخُيلائها من جهة أُخرىٰ، ولذا لم يذكر ابن هشام في سيرته ماقاله أبو بكر وعمر، ولم يذكر إعراض الرّسولﷺ عنهما، بل اكتفىٰ بلفظ: «فقام أبو بكر فقال وأحسن، ثمّ قام عمر فقال وأحسن...».[٣] أهذه هي الأمانة التّأريخية؟ أهذه هي الأُمّة الّتي تُريد أنْ تُعطيها حقّ البيعة وإختيار إمامها والّتي لا تستطيع أنْ تنقل لنا واقعة تأريخية بسيطة بأمانة وصدق؟ فكيف تضمن سلامة انحرافها في الشّورىٰ أو البيعة لأمر عظيم وخطير جداً يقوم مقام النّبوة...؟ وهذا لايعني انعدام الضّمائر الحية، وأصحاب الأقلام الشّريفة والأمينة، والرّجال الأبطال الّذين خلدهم التّأريخ، وأصحاب المواقف الّذين بذلوا مهجهم وفارقوا أزواجهم و... ومن أجل عقيدتهم، كأمثال المقداد الّذي قام وقال: «يا رسول الله، إمض لأمر الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما

---

(١) مغازي الواقديّ ١: ٤٨، ط أكسفورد.

(٢) إمتاع الأسماع: ٧٤.

(٣) السّيرة لابن هشام ٢: ٢٥٣.

قالت بنو إسرائيل لنبيها: ﴿...فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾،[١] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون؛ والّذي بعثك بالحقّ لو سرت بنا إلىٰ برك الغماد لسرنا معك،[٢] فقال له رسول اللهﷺ خيراً ودعا له بخير. وأعتقد أنّ عمر لم يسمع بهذه الآية كما لم يسمع أُختها يوم وفاة الرّسولﷺ فكأن به داء النّسيان للآيات فقط. وهذا مما يدل علىٰ قوة ذاكرته وشجاعته، ثمّ قال رسول اللهﷺ «أشيروا عليّ أيها النّاس» وكأنهﷺ يريد الأنصار الّذين خرجوا معه، ففهم سعد بن معاذ ذلك فقال: «أنا أُجيب عن الأنصار، كأنك يارسول الله تُريدنا! فقال «أجل» فقال سعد: «إنك عسىٰ أنْ تكون خرجت عن أمر قد أوحي إليك في غيره وإنّا قد آمنا بك وصدقناك... فامض يانبي الله، فوالّذي بعثك بالحقّ لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك، مابقي منا رجل... إنّا لصبرٌ عند الحرب، صدق عند اللّقاء، لعل الله يريك منا ماتقر به عينك». وفي رواية أُخرىٰ عن محمود بن لبيد قال: قال سعد: مثل الأُولىٰ مع إختلاف يسير في اللّفظ.. فقال له النّبيّﷺ خيراً وقال: «أويقضي الله خيراً من ذلك ياسعد»! فلما فرغ سعد من المشورة قال رسول اللهﷺ: «سيروا علىٰ بركة الله؛ فإن الله قد وعدني إحدىٰ الطّائفتين، والله لكأني أنظر إلىٰ مصارع القوم».[٣]

والسّؤال هو: أهذه الاستشارة من قبلهﷺ، لأصحابه لأجل الاستفادة من رأيهم أم هي نوع من الملاينة؟ فإذا كان الجواب بالأوّل فهو منفي بإختلاف آرائهم

---

(١) المائدة: ٢٤.

(٢) برك الغماد مكان يبعد عن مكّة مسافة سير خمس ليال من وراء السّاحل وهو علىٰ بعد سير ثماني ليال من مكّة إلىٰ اليمن. معجم البلدان ومراصد الأطلاع.

(٣) مغازى الواقديّ: ٤٨، إمتاع الأسماع للمقريزى: ٧٤.

وانقسامهم إلىٰ فئتين. وإذا كان الجواب بالثاني ـ وهو الصّحيح ـ من أجل الملاينة وإخبارهم بتغيير الأمر من الاستيلاء علىٰ الأموال التّجارية إلىٰ القتال وخوض المعركة، فلا تبقىٰ لكم حجّة، بأنّ الشّورىٰ والمشورة تؤثر في القرار الّذي يتخذه المعصوم.

ومثل هذه المشورة ـ مشورتُهﷺ في غزوة أُحد كما رواها الواقديّ،[1] والمقريزي،[2] قالا: إنّ رسول اللهﷺ، صعد علىٰ المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمّ قال: «أيها النّاس، إني رأيت في منامي رؤيا: رأيت كأني في درع حصينة، ورأيت كأن سيفي ذا الفقار انقصم من عند ظبته، ورأيت بقراً تذبح، ورأيت كأني مردف كبشاً»، فقال النّاس: يارسولﷺ فما أولّتها؟ قال: «أمّا الدّرع الحصينة فالمدينة، فامكثوا فيها، وأمّا انقصام سيفي من عند ظبته فمصيبة في نفسي. وأمّا البقر المذّبح فقتلىٰ في أصحابي، وأمّا أنّي مردف كبشاً فكبش الكتيبة نقتله إن شاء الله... وهنا أيضاً عندما قال: «أشيروا عليّ»، انقسم أصحابه إلىٰ فئتين، فئة تُريد الخروج وأُخرىٰ تُريد البقاء... وبالتاليﷺ، قطع الأمر ولبس لامّة حربه و... وقال: قد دعوتكم إلىٰ هذا الحديث فأبيتم، ولا ينبغي لنبيّ إذا لبس لامّته أنْ يضعها حتىٰ يحكم الله بينه وبين أعدائه، أُنظروا ما أمرتكم به فاتبعوه، امضوا علىٰ اسم الله فلكم النّصر ماصبرتم» ولعل الحكمة هنا في استجابتهﷺ، لإلحاح بعضهم أيضاً بعدما أنقسموا إلىٰ فئتين آثر الخروج حتىٰ لا يؤثر ذلك في أنفسهم تأثيراً سلبياً وسيئاً ويولد فيهم الضّعف والخوف والاستكانة والذّل والهوان، بدل الشّجاعة والإقدام. وإنّ رؤياهﷺ كانت صادقة ولا تقبل الشّك.

---

(١) المغازي: ٢٠٨.

(٢) إمتاع الأسماع: ١١٣.

ومثل ذلك أيضاً ماحدث في غزوة الخندق وشاورهم رسول الله ﷺ، فأشار عليه ﷺ سلمان بحفر الخندق، وحوصروا بضع عشرة ليلة حتىٰ اشتد الكرب و... وحتىٰ استطاع رسول الله ﷺ أنْ يوقع الخلاف بين القبائل المحاربة، ولذلك قال رافعاً صوته: «ارجعوا بيننا السّيف»، وانتشر الخبر وبلغ قريشاً فوقع بينهم الشّك والتّرديد والخلاف بين بني قُريظة، وقريش مما أدىٰ إلىٰ انكسارهم... فليس الغاية من المشورة هي أنْ يتعلم رسول الله ﷺ ـ وهو المعلم الأوّل ـ من أصحابه الرّأي السّديد ويعمل به، بل كما ذكرنا يُريد أنْ يُعلم أصحابه أُسلوب المشورة وعدم التّفرد بالرأي من قبل أحدهم أو بعضهم... وهذا ما حدث فعلاً فانظر التّجاذب والتّراد والخصومة الّتي دارت بين أبي بكر، وعمر، أثناء ورود ركب من بني تميم علىٰ رسول الله ﷺ يسألونه أنْ يؤمر عليهم رجلاً منهم، فقال ـ أبوبكر فيما أخرجه البخاريّ[1] في تفسير سورة الحجرات: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[2]، يارسول الله أمّر عليهم القعقاع بن معبد، متقدماً بقوله هذا ومبادراً برأيه، فقال عمر بن الخطاب علىٰ الفور من قول صاحبه: بل أمّر، عليهم الأقرع بن حابس أخا بني مجاشع يارسول الله. فقال أبو بكر: ما أردت إلّا خلافي..وتماريا جدالاً وخصومة وارتفعت اصواتهما في ذلك، فأنزل الله هذه الآيات. وحاشا لله ورسوله أنْ يترك الأُمّة إلىٰ هؤلاء وأمثالهم يتشاجرون علىٰ إمرة ركب صغير، وقد أثار في كلّ منهما النّخوة الجاهلية والعصبية الحمقاء والقومية العمياء، فكيف بهم علىٰ الإمامة الكبرىٰ ورئاسة وقيادة الأُمّة؟ وهذا

---

(١) صحيح البخاريّ ٣: ١٢٧، تفسير القرطبيّ ١٦: ٣٠٠.

(٢) الحجرات: ٢.

مافعلوه يوم السّقيفة، ويوم عهد أبي بكر إلىٰ عمر بن الخطاب، في الشّورىٰ و... و... وهٰذا وذاك لا أثر للبيعة أو المشورة في حُكم المعصوم، بل إنّها ـ المشورة ـ كما ذكرنا للملاينة ولتربية النّفس ولكيد الاعداء كما في غزوه الخندق ... إذاً: «فاشتراط العصمة والنّص في الإمام ردع مستمر عن فكرة خالقية البيعة للولاية؛ لأنّها لو تحققت ـ الإمامة ـ بالبيعة لما اشترط في الرّوايات العصمة والنّص؛ لأن المتبايعين قد يبايعون غير المعصوم؛ لأنهم لايشخصون المعصوم من غيره» كما يقول السّيد الحائريّ،[١] فكذلك الشّورىٰ لا أثر لها علىٰ الولاية والخلافة في حضور المعصوم المنصوص عليه؛ لأنّها معرضة للخطإ والانحراف والتّحيز، بينما العصمة هي صمام الأمان من الخطإ والانحراف والمعصية، فعن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام قال: «الإمام منا لا يكون إلّا معصوماً، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها فلذلك لا يكون إلّا منصوصاً».[٢] وها هو الإمام عليّ عليه السلام يقول: «والله لو أُعطيت الأقاليم السّبعة بما تحت أفلاكها علىٰ أنْ أُعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة مافعلته».[٣] وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «عشر خصال من صفات الإمام: العصمة، والنّصوص و... و...»[٤] وقال عليّ عليه السلام: «إنّما الطّاعة لله ولرسوله ولولاة الأمر، وإنّما أمر بطاعة أُولي الأمر؛ لأنهم معصومون مطهرون لا يأمرون بمعصيته»[٥].

وليس هدفنا استقصاء كلّ الرّوايات، بل هدفنا هو الإشارة إليها، بل هنا نثبت أنّ الولاية هي من جانب الله علىٰ عباده لرسوله والأوصياء المعصومين عليهم السلام

---

(١) المرجعية والقيادة: ٦٢.

(٢) بحار الأنوار ٢٥: ١٩٤، ط٣، دار إحياء التّراث العربيّ ـ بيروت.

(٣) نهج البلاغه خطبة: ٢٢٤، ضبط الدّكتور صبحي الصّالح: ٢٤٧.

(٤) بحار الأنوار ٢٥: ١٤٠.

(٥) المصدر السّابق ٢٥: ٢٠٠.

من بعده؛ لأنهم سلاطين الأنام، وهم الملوك والولاة والحكام وبيدهم أزمة الحكم والأُمور وساير النّاس رعاياهم والمولىٰ عليهم، أمّا غير الرّسول أو الأئمّة فلا شك في أنّ الأصل عدم ثبوت ولاية أحد علىٰ أحد إلّا من ولاّه الله سبحانه وتعالىٰ ورسوله، أو أحد من أوصيائه علىٰ أحد في أمره وحينئذ يكون هو ولياً علىٰ من ولاّه فيما ولاّه فيه.

أسباب الثّورة علىٰ عثمان بن عفان:

لسنا بصدد بيان ودراسة أسباب الثّورة علىٰ عثمان بن عفان، بل نُشير إلىٰ ما يتعلق بموضوعنا وهو كيف تمت البيعة، ثمّ كيف انقض أصحابها علىٰ صاحبهم الّذي بايعوه؟

قُتل عثمان بن عفان بعد أنْ اشتد الطّعن عليه بسبب مخالفاته الّتي لا تُحصىٰ، ولكن نذكر طرفاً منها للتعرف علىٰ مخلفات الفلتة في بيعة أبي بكر، وعمر، كما اعترفا هما بذلك، وكذلك علىٰ عقابيل الشّورىٰ... وكيفية وصول الطّلقاء وأبنائهم إلىٰ الحكم... والباب الّذي فتحه عثمان لبني أُميّة... ثمّ كيف أنقضوا عليه وبتروه بعد أنْ تبرءوا منه؛ لأن المنافق لا يؤمن شره...

ودولة عثمان ظهر فيها النّفاق وبلغ أوج عظمته إنْ كانت له عظمة ـ إنْ صح التّعبير ـ لأن العظمة لله وحده سبحانه وتعالىٰ. وها هو حديث حذيفة بن اليمان عن الرّسول صلى الله عليه وآله قال: «لا يغرنك ماترىٰ، فإن هؤلاء يوشكون أنْ ينفرجوا عن دينهم كما تنفرج المرأة عن قبلها»،[1] وقال حذيفة: «إنّ المنافقين اليوم شر منهم علىٰ عهد النّبيّ صلى الله عليه وآله كانوا يومئذ يسرون واليوم يجهرون».[2] وقال أيضاً: «إنّ الرّجل كان

(١) كنز العمّال ١١: ٢١٦.

(٢) صحيح البخاريّ ٤: ٢٣٠.

يتكلم بالكلمة علىٰ عهد رسول اللهﷺ فيصير منافقاً، وإني لأسمعها من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات..وفي رواية عشر مرات».[١] ونقل حذيفة عن رسول اللهﷺ في حديث: «... لا تدرون لعلكم أن تبتلوا... فقال حذيفة: فابتلينا حتىٰ جعل الرّجل لا يُصلي إلّا سراً».[٢] وفي رواية أنس عندما دخل عليه الزّهريّ ووجده يبكي فقال:« ما يُبكيك؟ قال: لا أعرف شيئاً مما أدركت إلّا هذه الصّلاة وهذه الصّلاة قد ضُيعت».[٣] ومن هنا منع الصّحابة من كتابة حديث رسول اللهﷺ قد روي عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنّه قال: «كنت أكتب كلّ شيء أسمعه من رسول الله فنهتني قريش وقالوا: تكتب كلّ شيء تسمعه من رسول اللهﷺ ورسول اللهﷺ بشر يتكلم في الغضب والرّضا! فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول اللهﷺ فأومأ بأصبعه إلىٰ فيه وقال: «اُكتب فوالّذي نفسي بيده ما خرج منه إلّا الحقّ».[٤]

هذا ما صرحت به قريش؛ لأنهم خافوا من ذكر معايبهم ومناقصهم الّتي علىٰ لسانهﷺ، وكذلك الآيات النّازلة بحقهم وسبب نزولها، هذا من جانب، ومن جانب آخر ذكرهﷺ المناقب والفضائل لغيرهم والإشادة بهم، وهم أهل البيت والصّحابة الخلص، والتّنصيص علىٰ ولاية الأئمّة الاثني عشر... وهذا ما أدىٰ بعمر بن الخطاب أنْ يمنع كتابة الوصية وقال أنه ليهجر. وعندما آلت الإمارة إليهم منعوا تدوين الحديث وأحرقوا كلّ ماكتبه الصّحابة، وبقي المنع إلىٰ زمن عمر بن

---

(١) صحيح البخاريّ ٤: ٢٣٠.

(٢) صحيح مسلم ٢: ١٧٩، الفتح الرّبانيّ ٢٤: ٤٠، صحيح البخاريّ ٢: ١٨٠.

(٣) البخاريّ ١: ١٣.

(٤) لسان الميزان: ٢٤١.

عبد العزيز الأُموي. وقد كتب معاوية إلىٰ ولاته: «أَن برئت الذّمة ممن روىٰ شيئاً من فضائل أبي تراب وأهل بيته... وكان أشدّ البلاء حينئذ علىٰ أهل الكوفة.[١] وجعل معاوية مقابل كلّ منقبة لأمير المؤمنين عليه السلام مناقب في عثمان والصّحابة والخلفاء الاوّلين، فظهرت أحاديث موضوعة وبهتان كبير انتشر حتىٰ بين القضاة والفقهاء والولاة ولذا قال أبو عرفة المعروف بنفطويه ـ إبراهيم بن محمّد ـ صاحب المصنفات: «إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصّحابة افتعلت في أيام بني أُميّة تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أُنوف بني هاشم».[٢]

منع كتابة الحديث ليس من دراستنا هذه، ولكن ذكرناها استطراداً؛ لأن عثمان هو أيضاً منع كتابة الحديث، وأوّل خُطوة بدأ بها قوله: «لا يحل لأحد يروي حديثاً لم يسمع به في عهد أبي بكر ولا في عهد عمر بن الخطاب»[٣].

إذاً هو لا يختلف عن صاحبيه، بل زاد عليهم وأتسعت الطّبقة الارستقراطية العثمانية وزادت قائمة النّبلاء. ومن هنا ظهرت الحركات المضادة الّتي تئن تحت العباءة الأُموية، ولذا نرىٰ عثمان يقف ويقول: «أيها النّاس إنّ أبابكر، وعمر كانا يتأولان هذا المال ظلف أنفسهما وذوي أرحامهما، وإني تأولت فيه صلة رحمي».[٤] ويقول: «... لو أنّ بيدي مفاتيح الجنّة لاعطيتها بني أُميّة حتىٰ يدخلوا».[٥] وترك عثمان نفسه يوم قَتله، ثلاثين ألف ألف درهم. خمسمئة ألف

---

(١) شرح النّهج ٣: ١٥، خطبة (٥٧) ط ١ مصر.

(٢) المصدر السّابق ٣: ١٦، فجر الإسلام لأحمد أمين: ٢١٣.

(٣) الطّبقات الكبرىٰ ٢: ٣٣٦، كنز العمّال ١٠: ٢٩٥.

(٤) الطّبقات الكبرىٰ ٣: ٦٤، كنز العمّال ٥: ٦٢٧.

(٥) الفتح الرّبانيّ ٢٢: ٣٣٢.

درهم، وخمسون ومئة ألف دينار وترك ألف بعير.[١] وترك الزّبير ذهباً قُطع بالفؤوس كما ذكرنا سابقاً، وكان لطلحة بالعراق فقط أربعمئة ألف. وترك ألفي ألف درهم. مئتي ألف درهم ومئتي ألف دينار، أمّا من العقار فقد ترك ثلاثين ألف ألف ومئة بهار، في كلّ بهار ثلاثة قناطير ذهب، والبهار جلد ثور.[٢]

كما إنّ عثمان سار علىٰ سيرة عمر بن الخطاب في إختيار الأُمراء، فقد عين أبا زبيد النّصراني وإياس بن جيح ـ من أصحاب مسليمة الكذاب ـ وطلحة بن خويلد ـ الّذي ادعىٰ النّبوة ـ فسار عثمان علىٰ منهج صاحبه فعين الوليد بن عقبة حتىٰ ظهر منه شرب الخمر وهو الّذي نزلت فيه: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا...﴾[٣] ونزلت فيه: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّايَسْتَوُ نَ﴾.[٤] فالمؤمن عليّ بن أبي طالب والفاسق هو الوليد بن عقبة، وهذا ماعليه المفسرون.[٥] وكان يُصلي حال إمارته وهو سكران حتىٰ تكلم فيها والتّفت إلىٰ من خلفه وقال: أزيدكم في الصّلاة؟ فقالوا: لا قد قضينا صلاتنا[٦]... واستعمل سعد بن العاص علىٰ الكوفة وظهر منه أشياء منكرة حتىٰ قال: «إنّما السّواد بُستان لقريش تأخذ منه ماشاءت وتترك منه ماشاءت»[٧] حتىٰ إنه لم يعزله باختيارة بعد أنْ أُبلغَ بأفعاله، بل رده أميراً علىٰ الكوفة وأمره بالتضييق علىٰ أهلها، فلما جاء ليدخل

---

(١) الطّبقات الكبرىٰ ٣: ٧٦.

(٢) المصدر السّابق ٣: ٢٢٢.

(٣) الحجرات: ٦.

(٤) السّجدة: ١٨.

(٥) الدّر المنثور ٥: ١٧٧.

(٦) الجرح والتّعديل ٩: ١٢، معجم رجال الحديث ١٩: ١٩٧، تهذيب الكمال ٣١: ١٦.

(٧) تأريخ الطّبريّ ٥: ٨٨، ابن الأثير في الكامل ٣: ٦٧.

الكوفة خرج أهلها عليه بالسلاح فتلقوه فردوه وكتبوا إلىٰ عثمان: «لاحاجة لنا في سعيدك ولا وليدك»[١]... وجعل عبدالله بن أبي السّرح أخا عثمان من الرّضاعة والياً علىٰ مصر بعد أنْ عزل عمرو بن العاص عنها ـ وعبدالله كان كاتباً للوحي كما يدعون، ثمّ ارتد مشركاً وأمر النّبيّ ﷺ بقتله ولو وجد متعلقاً بأستار الكعبة لكن عبدالله اختفىٰ عند عثمان إلىٰ أن جاء دوره وأمره أنْ يغزو بلاد أفريقيا فإنْ فتحها فله خمس الخمس من الغنيمة، فسار إليها في عشرة آلاف فافتتحها، وقتل خلقاً كثيراً من أهلها ـ[٢] و... و... وأرسل عثمان إلىٰ بطانة السّوء من أمثال معاوية، وعبدالله ابن أبي سرح، وسعيد بن العاص، وعمرو بن العاص، وعبدالله بن عمر، فجمعهم ليشاورهم فلما اجتمعوا عنده قال لهم: «أنّ لكل امرئ وزراء ونصحاء، وإنكم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي، وقد صنع النّاس ماقد رأيتم، وطلبوا إليَّ أنْ أعزل عُمالي، وأنْ أرجع عن جميع مايكرهون إلىٰ مايحبون، فاجتهدوا رأيكم وأشيروا عليَّ»،[٣] وهذه إشارة صريحة وواضحة بأنّ السّاحة فيها اكثر من تيار يعمل ضده كما قال في العقد الفريد: «ومما نقم النّاس علىٰ عثمان أنّه آوىٰ طريد رسول الله ﷺ الحكم بن أبي العاص... وسيّر أباذر إلىٰ الرّبذة... وسيّر عامر بن عبد قيس، من البصرة إلىٰ الشّام، وطلب منه عبدالله بن خالد بن أُسيد صلة فأعطاه أربعمئة ألف... وتصدق رسول الله بمهزون موضع سوق بالمدينة علىٰ المسلمين فأقطعها الحارث بن الحكم أخا مروان...وأقطع مروان فدك وهي صدقة لرسول الله، وافتتح أفريقيا وأخذ خمسها فوهبه لمروان».[٤] وقال ابن هشام في السّيرة الحلبية:

---

(١) الطّبريّ ٥: ٩٤، الكامل في التّأريخ ٣: ٧٣، الاستيعاب ٢: ٦٢١.

(٢) البداية والنّهاية ٧: ١٥٢، ابن الأثير ٣: ٤٣، الطّبريّ ٥: ٤٩.

(٣) مروج الذّهب ٢: ٣٧٢، تأريخ الطّبريّ ٥: ٩٤.

(٤) العقد الفريد ٣: ٧٧.

«وسبب هذه الفتنة أنهم نقموا عليه أُموراً منها عزله لأكابر الصّحابة ممن ولاه رسول الله ﷺ، ومنهم من أوصىٰ عمر بأنْ يبقىٰ علىٰ ولايته وهو أبوموسىٰ فعزله عثمان وولىٰ ابن خالد عبدالله بن عامر محله، وعزل عمرو بن العاص عن مصر وولاها ابن أبي سرح، وعزل المغيرة عن الكوفة، وعزل ابن مسعود عنها وأشخصه إلىٰ المدينة، وعزل سعد بن أبي وقاص عن الكوفة وولىٰ أخاه لأُمّه الوليد بن عقبة الّذي سماه الله تعالىٰ فاسقاً... ومنها أنّه أدخل عمّه الحكم وكان يقال له طريد رسول الله ﷺ ولعينه... وأنه حبس عطاء عبدالله بن مسعود وهجره وحبس عطاء أُبي بن كعب، ونفىٰ أباذر إلىٰ الرّبذة، وأشخص عبادة بن الصّامت من الشّام لما شكاه معاوية... وضرب عمار بن ياسر، وكعب بن عبيدة، ضربه عشرين سوطاً ونفاه إلىٰ بعض الجبال، وقال لابن عوف إنك منافق... وأنه أحرق الصّحف الّتي فيها القرآن، وأنه أتم الصّلاة بمنىٰ...، وأنه ترك قتل عبيد الله وقد قتل الهرمزان...».[1] وعثمان هو الّذي عطل الحدود وجاء وجوه أهل الكوفة عليّاً فشكوا إليه ماصنع بهم عثمان بعد أنْ زبرهم وضرب الشّهود أسواطاً، ثمّ ذهبوا إلىٰ عائشة فأخبروها بما جرىٰ عليهم فنادت وقالت: إنّ عثمان أبطل الحدود وتوعد الشّهود. وقد أخرج صاحب الأغاني قول عثمان: «... أما يجد مُرّاق أهل العراق وفساقهم ملجأً إلّا بيت عائشة؟ فسمعت عائشة فرفعت نعل رسول الله وقالت: تركتَ سنة رسول الله صاحب هذا النّعل، فتسامع النّاس فجاءوا حتىٰ

---

(١) السّيرة النّبوية ٢: ٨٢، ط ٢ مصر، شرح النّهج ١: ٦٦ و ٢٣٣، مستدرك الحاكم ٣: ٣٣٧ و ٣٤٥، ابن الأثير ٣: ٦٥ و ٧٣، الطّبريّ ٥: ٨٠ و ٩٤، مسندأحمد ٥: ١٥٥ و ١٦٦، ٦: ٤٥٧، كنز العمّال ٦: ١٧٠، العقد الفريد ٣: ٩١، كنز العمال ٦: ٢٩، المارف لابن قتيبة: ٨٤، ابن كثير ٧: ٤٥٢، تأريخ أبي الفداء ١: ١٦٨، الإصابة ٣: ٦١٩، سنن البيهقيّ ٨: ٦١، الطّبقات لابن سعد ٥: ٨، أنساب الأشراف ٥: ٢٨، مرآة الجنان ١: ٨٥، كلّ هذه المصادر وغيرها نقلت لنا هذه المساوئ العثمانية بشكل مفصل. فمن أراد المزيد فليراجع.

ملأوا المسجد فمن قائل: أحسنت، ومن قائل: ماللنساء ولهذا؟ حتىٰ تحاصبوا وتضاربوا بالنعال... وقد واجهه جندب وما أدراك ما جندب، وزيد بن صوحان فقد قال فيه رسول اللهﷺ: «من سره أنْ ينظر إلىٰ رجل سبقه بعض أعضائه إلىٰ الجنّة فلينظر إلىٰ زيد بن صوحان»،[١] وقال فيهماﷺ: «جندب وما جندب، وزيد الخير وما زيد الخير، أمّا أحدهما فيضرب ضربة يفرق بين الحقّ والباطل، وأمّا الآخر فيسبقه عضو من أعضائه إلىٰ الجنّة، ثمّ يتبعه سائر جسده»[٢] فجندب واجه الوليد بشربه للخمر وقاد المعارضة ضده،[٣] وزيد هو القائل لعثمان: «ملت فمالت أُمتك اعتدل تعتدل أُمتك».[٤] وقد سيرهما عثمان مع ـ كميل بن زياد، وجندب بن زهير، وعمرو بن الحمق، وعروة بن الجعد، وصعصعة بن صوحان، ومالك بن عامر الأشتر ـ إلىٰ الشّام، وكلّ واحد من هؤلاء قال فيه رسول اللهﷺ قولاً جميلاً فانظر الإصابة في ترجمة حياة هؤلاء الأبطال.[٥] أمّا بطانة السّوء العثمانية فكانت تُبدي آراء متناقضة عندما طلب منهم عثمان المشورة، فقال معاوية: إنْ تأمر أُمراء أجنادك فيكفيك كلّ رجل منهم ما قبله وأكفيك أنا أهل الشّام.[٦] وانظر قول عبدالله بن عامر، وسعيد بن العاص، وعمرو بن العاص في الطّبريّ، والمروج للمسعوديّ.[٧] وتجري الأحداث يوماً بعد يوم ضد عثمان عندما كشر عن نواياه

---

(١) كنز العمّال ١١: ٦٨٥، البداية ٦: ٢١٤.

(٢) كنز العمّال ١١: ٦٦٩.

(٣) تأريخ الطّبرى ٢: ١٧.

(٤) الطّبقات الكبرىٰ ٦: ١٢٤.

(٥) الإصابة ٥: ٣٢٥ و١: ٢١٥٩ و٤: ٢٩٤ و٢٣٦ و٣: ٢٥٩، تأريخ الطّبريّ ٥: ٩٠.

(٦) مروج الذّهب ٢: ٣٧٢، الطّبريّ ٥: ٩٤.

(٧) المصادر السّابقة.

السّيئة وأظهرها في خطبته حين قال: «فقد والله عبتم عليَّ بما أقررتم لابن الخطاب بمثله، ولكنه وطئكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه...» وهذا إعتراف صريح وخطير من قبل أميركم، أميرالمؤمنين ـ ذي النّطاقين، والنّورين ـ كما تسمونه بوصف صاحبكم ـ الفاروق ـ لو صدر هذا القول من عمار، أو سلمان، أو أبي ذر لقلتم ما قلتم، ولأولتم ما أولتم... ولكنه صدر من عثمان ولم يرو من مصادر أهل الشّيعة أو ممن اتهمتموه بالتشيع أو بالزيغ، بل نقله الطّبريّ في تأريخه،[١] وصاحب البداية والنّهاية.[٢] ويستمر عثمان في خطبته...« ولقد أعددت لكم أقرانكم، وأفضلت عليكم فضولاً، وكشرت لكم عن نابي...»، ولذا عندما طلب منه أهل مصر تغيير عبدالله بن أبي سرح قال لهم عثمان: اختاروا رجلاً نوليه علىٰ مصر فوقع اختيارهم علىٰ محمّد بن أبي بكر... إلّا أنّ عثمان أرسل شخصاً آخر ومعه أمر إلىٰ عبدالله بن أبي سرح يطلب منه أنْ يقتل محمّد بن أبي بكر و... و... ويقره علىٰ عمله، لكن شاءت الأقدار أنْ تفضح الخؤون الغادر ويُلقىٰ القبض علىٰ هذا الشّخص الّذي أرسله عثمان وبيده الكتاب المختوم بخاتم ذي النّورين، إلّا أنّه تبين إنه من صنع مروان بن الحكم، فرجعوا وأخبروا عثمان وطالبوه بتسليم مروان لهم، لكنّ ذا النّطاقين أبىٰ ذلك.[٣]

وسار علىٰ نهج صاحبيه بدءاً بالسقيفة والهجوم علىٰ بيت فاطمة، وقتل الفجاءة، و... و... وتعطليه حد المغيرة بن شعبة، وتلونه في الأحكام، وتحريمه متعة الحج، ومخترعات التّراويح... ولذا عندما طُلب من عثمان أنّ يستقيل من

---

(١) تأريخ الطبريّ ٥: ٩٧.

(٢) البداية والنّهاية ٧: ١٦٩.

(٣) الإمامة والسّياسة ١: ٣٤ـ٣٨، الكامل لابن الاثير ٣: مقتل عثمان.

منصب الخلافة قال: «لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله عزّ وجلّ...»،[١] وقال أيضاً: «... أمّا أنْ أتبرأ من خلافة الله، فالقتل أحبُّ اليَّ من ذلك».[٢] الله أكبر! أفبعد كلّ هذا وتسمونه بخليفة المؤمنين، وشهيداً، وزاهداً، وسخياً، وقارئاً للقرآن، وأنّه ختم القرآن في اللّيلة الّتي قُتل فيها، بل إنهم زادوا في صبيحتها في الرّكعتين، وهذا مما لايتسع له الوقت حتىٰ من صلاة اللّيل إلىٰ طلوع الشّمس، وفي الأستيعاب عن نائلة زوجته أنّه كان قليل الحفظ، قليل العلم، قليل الرّواية. أمّا قول ابن حجر إنه كان يتلو الآية الكريمة «فسيكفيكهم الله»[٣]، ووقعت قطرة من دمه علىٰ هذه الآية! فلو صح ذلك لكان بشارة لقاتله؛ لأنه هو الّذي كفاه الله أياه بقتله... ولو كان حافظاً للقرآن، كيف يستهزىء به كما جاء في صحيح مسلم: «امرأة دخلت علىٰ زوجها فولدت لستة أشهر فذكر ذلك لعثمان فأمر بها أنْ تُرجم فدخل عليه عليٌّ فقال إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَـٰلُهُ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا﴾[٤] وقال: ﴿وَفِصَـٰلُهُ فِى عَامَيْنِ﴾[٥] قال: فوالله ماكان عند عثمان إلّا أنْ بعث إليها فرجمت...

وقد وقع نظير ذلك لعليّ عليه السلام مع عمر، لكن عمر لم يصنع مثل ما صنع عثمان.[٦] ولو كان حافظاً للقرآن كيف يقول في قوله تعالىٰ: ﴿إِنْ هَـٰذَانِ لَسَـٰحِرَٰنِ﴾[٧] إنّ في المصحف لحناً ستقيمه العرب بألسنتهم، فقيل له ألا تُغيره؟ فقال دعوه لايحلل

---

(١) تأريخ الطّبريّ ٤: ٣٧١ و٣٧٢ و٣٧٥، الكامل لابن الأثير ٣: ١٦٩، ط بيروت، شرح النّهج ٢: ١٥٠.

(٢) تأريخ الطّبريّ ٤: ٣٧٧ ابن الأثير ٣: ١٧٠، شرح النّهج ٢: ١٥٠.

(٣) البقرة: ١٣٧.

(٤) الأحقاف: ١٥.

(٥) لقمان: ١٤.

(٦) كنز العمّال ٣: ٩٦.

(٧) طه: ٦٣.

حراماً ولايحرم حلالاً...[١] وأُنظر المصادر الّتي ذكرت أنّه ـ عثمان ـ صلّىٰ بمنىٰ بالتمام وخالف القرآن والسّنة، واجتهاده كما تدعون فهو في مقابل النّص ولا اجتهاد في معرض النّص. فقد ذكر ابن عمر في الكنز: «صلاة المسافر ركعتان من ترك السّنة فقد كفر»،[٢] وفي مسند أحمد: «... ومن ثمّ أنكر الصّحابة علىٰ عثمان إتمامه بمنىٰ وشق عليهم...»[٣]، وفي البخاريّ: «... صلّىٰ بنا عثمان بمنىٰ أربع ركعات فقيل ذلك لعبدالله بن مسعود فاسترجع»[٤]، وفي الطّبريّ: «... أنّه صلّىٰ بالناس بمنىٰ في ولايته ركعتين حتىٰ إذا كانت السّنة السّادسة أتمها فعاب ذلك غير واحد من أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وآله[٥] ولذلك أقتدت السّيدة عائشة به فصلت في السّفر أربعاً بشكل مطلق كما روىٰ البخاريّ عن الزّهريّ عن عروة عن عائشة إنّها قالت الصّلاة أوّل ما فرضت ركعتان، فأقرت صلاة السّفر، وأتمت صلاة الحضر، قال الزّهريّ فقلت لعروة مابال عائشة تتم، قال تأولت ماتأول عثمان...[٦].

ومن هذا وغيره من الأسباب هي الّتي جعلت الثّوار يقتحمون باب المجاهد ويردونه قتيلاً بعد أنْ استنجد بمعاوية حليفه وصاحب بطانته، ولكنه تباطأ عنه كما يذكر الطّبريّ،[٧] وأمّا السّيدة عائشة فإنها أوّل من كفرته وقالت: «اقتلوا نعثلاً فقد

---

(١) أُنظر، تفسير الثّعلبيّ للآية.

(٢) كنز العمّال ٤: ١١٦.

(٣) مسند أحمد ٢: ٥٩ و ٥: ١٦٥ قريب منه.

(٤) صحيح البخاريّ: باب الصّلاة بمنىٰ من أبواب القصر.

(٥) تأريخ الطّبريّ ٥: ٥٦، الكامل لابن الأثير قريب منه ٣: ٥٠.

(٦) صحيح البخاريّ ٢: ٣٦.

(٧) تأريخ الطّبريّ ٥: ١١٥.

كفر»،[١] أمّا طلحة بن عبيد الله فكان يوم قُتل عثمان مقنعاً بثوب أستتر به عن أعين النّاس، وكان يرمي دار عثمان بالسهام كما ذكر شرح النّهج لابن أبي الحديد،[٢] ولطلحة قصة مشهورة مع عثمان عندما أشرف من الخوخة علىٰ الثّوار، فلاحظها في الفتح الرّبانيّ،[٣] والطّبريّ[٤]. وأمّا عمرو بن العاص المستشار السّياسي السّابق له فقد ناداه يوم القتل من ناحية المسجد: اتق الله ياعثمان فإنك قد ركبت نهابيراً وركبناها معك فتب إلىٰ الله نتب. فناداه عثمان: وإنك هناك ياابن النّابغة قملت جُبتك منذ تركتك من العمل... فناداه النّاس... ياعثمان تُبّ إلىٰ الله وأظهر التّوبة يكف النّاس عنك[٥].

وأمّا مروان بن الحكم فقد كانت مهمته تصعيد الموقف وهو العُنف من قبل الثّوار ضد المجاهد عثمان بكتابته الكتُب المزورة والمختومة بختم ذي النّورين في قتل محمّد بن أبي بكر وأصحابه من أهل مصر، حتىٰ نائلة زوج عثمان حذرته من مروان وقالت لعثمان: «إنك إنْ أطعت مروان قتلك».[٦] ومروان هو القائل للناس: «شاهت الوجوه إلّا مَن أُريد..»[٧]

ثمّ إنّ هذه البطانة بعد قتل عثمان أسرعت وهرولت بمتاجرة دم عثمان وقميصه وأصابع نائلة زوجه، وأخذوا يتباكون أمام معاوية علىٰ دم المظلوم الشّهيد البطل

---

(١) تأريخ الفتوح لابن أعثم: ١٥٥، النّهاية لابن الأثير ٥: ٨٠، شرح النّهج ٤: ٧٧.

(٢) شرح النّهج لابن أبي الحديد ٢:٤٠٤.

(٣) الفتح الربانيّ ٢٣: ١١٢.

(٤) تأريخ الطّبريّ ٥: ١٢٢.

(٥) تأريخ الطّبريّ ٥: ١٠٨، ١١١.

(٦) البداية والنّهاية ٧: ١٧٣، الطّبريّ ٥: ١١٢.

(٧) المصدران السّابقان.

المغوار، حتىٰ قال قائلهم الّذي اشترك بقتله: «... ما لا أرىٰ كفارته إلّا أنْ يُسفك دمي في طلبه».[١] ماشاء الله سبحانه وتعالىٰ عما يفعلون.

أمّا الثّوار الّذين وقفوا ضد عثمان وكان احتجاجهم احتجاج سلمي فهم كثير من أمثال عمار بن ياسر، وزيد بن صوحان، وعبد الرّحمن بن عديس، وجبلة بن عمر السّاعدي، وأعين بن ضبيعة، وجهجاءة الغفاري، ومحمّد بن أبي بكر، ومحمّد ابن حذيفة، كلّ هؤلاء من الصّحابة، وأبناء الصّحابة والتّابعين. ولكن يأتي أحد الأبناء وهو ابن خلدون المؤمن والمؤتمن علىٰ التّأريخ الإسلامي، ويصف هؤلاء بالسفهاء والغوغائيين، أو من أصحاب عبدالله بن سبأ![٢] ثمّ قال: «...، ثمّ دخل عليه السّفهاء فضربه أحدهم».[٣] وهدف هذا المؤرخ كما يدعون، بل هو المدلس، أنْ يخرج الثّورة علىٰ عثمان من شرعيتها وإنّها كانت مؤامرة مدبرة. اللّهمّ إلّا إذا كان يقصد بالسفهاء هم بطانة عثمان، وكذلك السّيدة عائشة الّتي قالت اقتلوا نعثلاً فقد كفر، وهذا مما لا يطيقه عقل ابن خلدون وأمثاله، وبالتالي فإنّ الصّحابة كلّهم تبرأوا من عثمان حتىٰ أنهم تركوه بعد قتله ثلاثة أيام لم يدفنوه، فضلاً عن ذلك إنهم أسلموه ولم يدافعوا عنه، بل أعانوا عليه؛ لأنه استباح قتلهم، وإنهم استباحوا قتله بعد أنْ شهدوا بجوره وفسقه، وقد أشار الطّبريّ في تأريخه عن أبي بشير العابديّ قال: «نُبذ عثمان ثلاثة أيام لا يُدفن...»،[٤] وقال: «... ولم يشهد جنازته إلّا مروان وثلاثة من مواليه وابنته الخامسة...» وقال: لبث عثمان بعدما قُتل ليلتين

---

(١) المستدرك للحاكم ٣: ١١٨ و٣٧٢.

(٢) تأريخ ابن خلدون ٢: ٥٦١، ومابعدها.

(٣) المصدر السّابق ٢: ٥٧٤.

(٤) تأريخ الطّبريّ ٥: ١٤٣.

لا يستطيعون دفنه... فقالوا: لا والله لا يُدفن في مقابر المسلمين أبداً فدفنوه في حش كوكب...»،[١] وفي الاستيعاب: «... إنه لما قُتل عثمان أُلقي علىٰ المزبلة ثلاثة أيام...».[٢] وبعد هذا وذاك نطرح سؤالاً علىٰ منحرفي الفكر والعقل الّذي دخل في نفوسهم الهوس الدّيني، وطمع المال والسّيادة، أو غير ذلك من الشّهوات والنّزعات. أإنّ الأُمّة بواسطة أهل الحل والعقد، والبيعة من قبلهم علىٰ إختلاف صيغ هذا الاختيار هي الّتي تحدد أمر كلّ نازلة وتحدد وتعين الخليفة الشّرعي؟ أم إنّ الانحياز مع الشّعور العربيّ والقبليّ والحزبيّ ـ إنْ صح التّعبير ـ هو الّذي يُحدد أمر كلّ نازلة؟ أوَ إنّ الواقع التّأريخي يشهد علىٰ صدق ما نقول، أم إنّ المجتمع لا ينفك في تكوينه الاجتماعي، والنّفسي، والسّياسي، والأخلاقي، عن طبيعة من يشغل مركز القيادة؟ وها هو معاوية عزم علىٰ قتل الموالي من الفُرس وغيرهم فقال: «إني رأيت هذه الحمراء قد كثرت، وأراها قد قطعت علىٰ السّلف، وكأني أنظر إلىٰ وثبة منهم علىٰ العرب والسّلطان، فقد رأيت أنْ أقتل شطراً، وأدع شطراً، لإقامة السّوق، وعمارة الطّريق...».[٣] فهل هذه الذّهنية هي الّتي تُحدد وتُعين القائد ـ الإمام الخليفة الشّرعي؟ ألم تكن هذه الحالة هي الّتي سادت المجتمع الإسلامي بعد النّبيّ صلى الله عليه وآله؛ لأنه ـ أي المجتمع ـ أخذ يسير علىٰ نُظم لم يهضمها تماماً، ولذا بدأ ينحرف بعد رسول الإنسانية محمّد صلى الله عليه وآله ورجع إلىٰ حياة ما في نفسه من قبلية جامحة، وعقلية جاهلية مقيته، ولو أجزنا ذلك جدلاً، ألم يعد هذا نقصاً في الإسلام وقد حكم علىٰ رسالته وأُمّته بالموت...؟ وماهي الثّمرات الّتي جناها ـ الإسلام ـ وجنتها الأُمّة من

---

(١) تأريخ الطّبريّ ٥: ١٤٤.

(٢) الاستيعاب: ترجمة عثمان بن عفان.

(٣) العقد الفريد ٢: ٢٦٠، ضحىٰ الإسلام ١: ١٨، التّمدن الإسلامي ٤: ٦٠ و٦٤ و٩١، مابعدها.

خلال المسيرة التّأريخية بعد وفاة المصطفىٰ ﷺ من بيعة السّقيفة لأبي بكر، وولاية العهد الّذي عهده الأوّل لعمر بن الخطاب، والشّورىٰ الّتي أبتدعها الثّاني وجعلها بيد رجل واحد ليمرر خلافة الثّالث عثمان، غير إراقة الدّماء، وهتك الأعراض وهدر الأموال؟ والأكثر من ذلك إبعاد العترة الطّاهرة وعزلها عن المنصب الرّباني حتىٰ اقتنعت السّلطة، بأنّه لا يجوز لبني هاشم أنْ يجمعوا بين النّبوة والإمامة ـ الخلافة، وآمنت السّلطة أيضاً أنّ قريشاً قد اهتدت عندما أخذت بهذا المبدإ[1] ألم يكن هذا فشلاً واضحاً لأطروحة البيعة الّتي لا تعتمد علىٰ النّص الإلٰهي؟ وكذلك فشلاً لأطروحة الاجتهاد والرّأي في قيادة الأُمّة دون النّص الرّباني؟ ألم تكن هذه الأُطروحة هي الّتي أوصلت الطّلقاء وأبناء الطّلقاء إلىٰ سدة الحكم والخلافة. والتّساؤلات كثيرة حول هذه الأُطروحة نتركها لأصحاب الاختصاص.

أهذه هي عقابيل البيعة أم حرية الاختيار؟ أم الصّورة المثالية لما ينبغي أنْ تكون عليه الدّولة في الإسلام والّتي نجد فيها ألواناً من الظّلم لا حد له؟[2] وقد نجد من الحُكام من لايعرف من العدل والإنصاف شيئاً لاسيما في معاملة خصومه كما فعل فلان وفلان و... و... ولذا قال عليّ عليه السلام لأبي بكر: «لقد أفسدت علينا أمرنا لم تستشر ولم ترع لنا حقاً...!».[3] و... و... وهذا هشام بن عبد الملك وصل به الأمر أنه لم يلبس ثوباً قط وعاد إليه... حتىٰ أنّ ملابسه لا يحملها إلّا سبعمئة بعير من أجلد مايكون من الإبل، وأعظم مايحمل عليها من الجمال، وكان مع ذلك يتقللها! ولقد أحصىٰ أحد الفقهاء والمقربين من هشام ـ في خزائنه ـ بعد موته اثني

---

(١) الكامل في التّأريخ لابن الأثير ٣: ٢٤.

(٢) ضحىٰ الإسلام لأحمد أمين ٢: ٤٣.

(٣) مروج الذّهب ٢: ٣٠٧.

عشر ألف قميص. وقيل لم يكن في ملوك بني مروان أعطر ولا ألبس من هشام، خرج حاجاً فحمل ثياب ظهره ستمئة جمل![١] وبماذا يجيب الجاحظ عندما امتدح عهد البيعة فقال: «أبوبكر وعمر... كانوا علىٰ التّوحيد الصّحيح والإخلاص المحض، مع الإلفة واجتماع الكلمة علىٰ الكتاب والسُّنة. وليس هناك عمل قبيح، ولا بدعة فاشية، ولا نزع يد من طاعة ولا حسد ولا غل ولا تأول...»،[٢] وها هو عثمان قد خطب خطبة طويلة، غير أنّ هذه الخطبة إنّما هي عبارة عن نصائح تتعلق بالدين لا بالسياسة؛ لأنه لا يُريد أنْ يُلزم نفسه بسياسة خاصة يطمئن إليها المسلمون... كما يقول الدّكتور حسن إبراهيم، وكان هذا أوّل خروج عن المثال.[٣] وفي خلافته عينّ عثمان أقرباءه منهم عمّه الحكم بن العاص ـ وهو الّذي طرده الرّسول من المدينه ـ ومنهم الوليد بن عقبة أخو عثمان لأُمّه الّذي عينّه والياً علىٰ الكوفة، وكان يشرب حتىٰ صلاة الفجر، فيصلي بالناس أربعاً! وقد ذكرنا قصتهما من قبل، وهما ممن أخبر النّبيّ أنهما من أهل النّار، وعبدالله ابن أبي سرح علىٰ مصر، ومعاوية علىٰ الشّام، وعبدالله بن عامر علىٰ البصرة... إلخ.[٤] وهذا هو الخروج الثّاني في عهده.

لم يكن عثمان يتحمل حتىٰ النّقد البسيط، فحين سخر أبوذر الغفاري عندما تساءل عثمان: أترون بأساً أنْ نأخذ مالاً من بيت المسلمين فننفقه فيما يقوينا من أمرنا ونعطيكموه؟ قال له عثمان: «ما أكثر إذاك ليّ! غيب وجهك عني فقد آذيتنا»،

---

(١) المصدر السّابق ٢: ٣٠٨، تجديد التّأريخ لعمر فروخ: ١٤٢، دار البحث بيروت عام ١٩٨٠.

(٢) رسائل الجاحظ: ٢٣٩، (رسالة في النّابتة)، دار مكتبة الهلال بيروت ١٩٨٧، ورسائل الجاحظ تحقيق عبد السّلام هارون: ١٣٩، مكتبة الخانچي بالقاهرة.

(٣) تأريخ الإسلام ١: ٢١٠.

(٤) البداية والنّهاية ٧: ١٧٣.

فخرج أبو ذر إلىٰ الشّام، فكتب معاوية إلىٰ عثمان أنّ أبا ذر تجتمع إليه الجموع، ولا آمن أنْ يُفسدهم عليك. فكتب إليه عثمان ليحمله علىٰ بعير عليه قتب يابس ويرسله إلىٰ المدينة، وقد تسلخت بواطن أفخاذه!».[١] وقد قيل له: «اتقِ الله ياعثمان، فإنك قد ركبت أُموراً، وركبناها معك، فتب إلىٰ الله نتب معك...»[٢]. فكان ذلك ثالث خروج له.

لم يعتنِ عثمان هو نفسه ببيت المال حتىٰ سكن في دار جعل أبوابها من السّاج، واقتنىٰ أموالاً وجناناً وعيوناً بالمدينة... ويوم قُتل كان عنده من المال خمسون ومئة ألف دينار، وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بوادي القُرىٰ وحُنين وغيرهما مئة ألف دينار، وخلف خيلاً كثيراً وإبلاً...[٣] فكان ذلك رابع خروج له.

لم يكن عثمان يقبل الشّكوىٰ من عماله، وكثيراًما تدخل الإمام عليّ بن أبي طالب يطلب التّحقيق منه فيما يشكو منه النّاس، ومن ذلك أنهم ضربوا والّيه علىٰ الكوفة وهو سكران، وانتزعوا خاتمه، وأتوا عثمان للشكوىٰ لكنه زجرهم... وأشتكىٰ المصريون مما صنع ابن أبي سرح بهم، «فخرج من أهل مصر سبعمئة رجل، فنزلوا بالمسجد وشكوا إلىٰ الصّحابة في مواقيت الصّلاة فقام طلحة بن عبيد الله فكلم عثمان بكلام شديد...»،[٤] فكان ذلك خامس خروج له.

وعندها لم يبق أحد في المدينة إلّا حَنق علىٰ عثمان كما يقول السّيوطيّ،[٥]

---

(١) مروج الذّهب ٢: ٣٤٤.

المصدر السّابق ٢: ٣٤٩.

(٣) عبقرية عليّ لعباس محمود العقاد: ٥٧، مكتبة نهضة مصر الفجالة.

(٤) المصدر السّابق: ٣٤١ـ٣٤٦.

(٥) تأريخ الخلفاء: ١٥٧، أُنظر الحوارالّذي دار بينه وبين عليّ بن أبي طالب لتعيينه أقاربه، البداية والنّهاية ٧: ١٧٥.

وهكذا غيرت عقابيل السّقيفة، والعهد، والشّورىٰ، حال الدّولة الإسلاميّة وقد أثار هذا التّغيير روح المعارضة لسياسة الحكومة والاستيلاء علىٰ الخلافة، وبعث ذلك علىٰ التّمرد في المدينة وجميع الأمصار.[١] وهكذا تحول الحكم من الخلافة إلىٰ الملك، ومن هنا كان العقّاد علىٰ حقّ عندما قال: «كان الموقف بين الخلافة والملك ملتبساً متشابكاً في عهد عثمان، كان نصفه ملكاً ونصفه خلافة. أو كان نصفه إمارة دنيوية... وهكذا تقابل الضّدان اللّذان لا يتفقان، وبلغ الخلاف مداه...».[٢] وكذلك كان العقاد علىٰ الحقّ عندما ذهب إلىٰ التّصور التّالي بين عليّ عليه السلام ومعاوية علىٰ أنّه صراع بين الخلافة، والنّظام الملكي، أو بين الخلافة الدّينية، والدّولة الدّنيوية يقول:

«لم تكن المسألة خلافاً بين عليّ ومعاوية علىٰ شيء واحد ينحسم فيه النّزاع بانتصار هذا أو ذاك.. ولكنها كانت خلافاً بين نظامين متقابلين متنافسين: أحدهما يتمرد ولا يستقر، والآخر يقبل الحكومة كما استجدت ويميل فيها إلىٰ البقاء والاستقرار... أو هي كما كانت صراعاً بين الخلافة الدّينية كما تمثلت في عليّ بن أبي طالب، والدّولة كما تمثلت في معاوية بن أبي سفيان..»،[٣] ولقد حسمت البيعة الموقف تماماً فقضت علىٰ الخلافة وأخذت النّزعة الاستبدادية في الإقبال، بل الإيغال وتشبه خُلفاء بني أُميّة بالملوك وأُبهتهم و... و... وهكذا، تمّ وحدث الانفصال التّام بين الواقع والمثال، بعد إستيلاء الحكم الأُموي علىٰ الخلافة، فهذا معاوية يقول صراحة ودون مواربة، فهو عندما قدم إلىٰ المدينة عام الجماعة تلقاه

---

(١) تأريخ الإسلام الدكتور حسن إبراهيم ١: ٢٩٣.

(٢) عبقرية عليّ: ٥٦.

(٣) عبقرية عليّ: ٥٥.

رجال قريش فقالوا: «الحمد لله الّذي أعز نصرك، وأعلىٰ كعبك»، لكنه لم يرد عليهم حتىٰ صعد المنبر فقال: «أمّا بعد فإني والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم، ولا مسرة بولايتي، ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة»،[1] فهو ينفي منذ البداية إنه تولىٰ الحكم برضا النّاس، بل ويستخف بهذا الرّضا حتىٰ أنّه اعترف بأنّه أراد أنْ يسير علىٰ طريق أبي بكر وعمر لكن نفسه أبت ذلك: «ولقد رضت لكم نفسي علىٰ عمل أبي قحافة، وأردتها علىٰ عمل عمر فنفرت من ذلك نفاراً شديداً».[2] ثُم تطورت نظرية بني أُميّة في الحكم وأخذوا يوجهون استيلاءهم علىٰ السّلطة بكثرة الأحاديث النّبوية الّتي تدعم حكمهم وإضفاء القُدسية والقداسة عليهم، مثل: «اللّهمّ علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب»، و «اللّهمّ اجعل معاوية هادياً مهدياً واهدِ به»، و «لا تذهب الأيام واللّيالي حتىٰ يملك معاوية»، و «إن ملكت فأحسِن»... إلخ.[3] ثُم أصبحت الخلافة حقاً من حقوقهم وأنهم ورثوها عن عثمان ابن عفان؛ لأنه نالها بالشورىٰ، ثُم خرجت الخلافة منهم وانتقلت إلىٰ غيرهم فقاتلوا عليها حتىٰ أستردوها، ولذلك عبر الشّعراء عن هذه الفكرة فقال الفرزدق لعبد الملك بن مروان:

تراث عثمان كانوا الأولياء له ... سربال ملك عليهم غير مسلوب

ويقول للوليد:

كانت لعثمان لم يظلم خلافتها ... فانتهك النّاس منها أعظم الحرم!

وغير ذلك كثير مما قاله الأخطل لبشر بن مروان، وما قاله الفرزدق أيضاً

---

(١) العقد الفريد ٤: ١٧٠، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ط ٣.

(٢) المصدر السّابق.

(٣) المصدر السّابق.

لهشام بن عبد الملك... إلخ.[١] ثُم إنهم أشاعوا في أهل الشّام، أنهم استحقوا الخلافة لقرابتهم من رسول الله ﷺ: «فقد كان الشّيوخ من أهل الشّام يقسمون لأبي العباس السّفاح أنهم ماعلموا لرسول الله قرابة، ولا أهل بيت يرثونه غير بني أُميّة، حتىٰ وليتم الخلافة...[٢] وقد عبر الشّاعر عن ذلك بقوله:[٣]

أيها النّاس اسمعوا أخبركم عجباً زاد علىٰ كلّ عجب
عجباً من عبد شمس أنهم فتحوا للناس أبواب الكذب
ورثوا أحمد فيما زعموا دون عباس بن عبد المطلب

ثمّ دعموا ملكهم الاستبدادي بقولهم: إنّ الله اختارهم للخلافة وآتاهم الملك، وأنهم يحكمون بإرادته، ويتصرفون بمشيئته... فقد كان معاوية في نظر أنصاره «خليفة الله علىٰ الأرض»، و «الأمين والمأمون»، وكان ابنه يزيد إمام المسلمين. وعبد الملك بن مروان «أمين الله» و «إمام الإسلام».[٤] وبعد هذا أشاعوا مذهب الجبر، فالسلطة يتم تحديدها من الله، وليس للناس فيها رأي ولا مشورة، والخليفة هو «خليفة الله»، «ابتداءً من عبد الملك بن مروان»، وأنّ علىٰ النّاس الاستسلام والطّاعة.[٥] وكان زياد ابن أبيه الّذي عينه معاوية والياً علىٰ البصرة أوّل من بشر بهذا المذهب،[٦] وله خطبة في ذلك يرويها صاحب العقد الفريد

---

(١) «الأمويون والخلافة» الدكتور حسين عطوان: ١٣ و ١٥، دار الجبل.

(٢) مروج الذّهب ٣: ٤٣.

(٣) المصدر السّابق.

(٤) الأمويون والخلافة: ١٩ـ ٢٢١، دار الجبل.

(٥) الدّيمقراطية في فلسفة الحكم العربيّ الدكتور عبد العزيز الدّوريّ في كتاب «الدّيمقراطية وحقوق الإنسان في الوطن العربيّ»: ١٩٥، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت.

(٦) الجذور التّأريخية لأزمة الحرية والدّيمقراطية في وجداننا المعاصر الدكتور حسن حنفيّ: ١٨٣.

فلاحظها.[١]

وقد تبارىٰ الشّعراء في دعم هذه النّظرية الثّالثة وشرحها، وهي نظرية التّفويض الإلهي لبني أُميّة، ومن ذلك قول الأخطل لعبد الملك بن مروان:

وقد جعل الله الخلافة فيكم بأبيض، لا عاري الخوان ولا جدب
ولكن رآه الله موضع حقّ علىٰ رغم أعداء وصدادة[٢] كذب

وقوله لبشر بن مروان:

أعطاكم الله ما أنتم أحقّ به إذا الملوك علىٰ أمثاله اقترعوا

وقول جرير لعبد الملك مؤكداً أنّ الله حباه الخلافة؛ لأنه أحقّ بها وأجدر:

الله طوقك الخلافة والهدىٰ والله ليس لما قضىٰ تبديل

وهناك عشرات من الشّعراء الّذين أعلنوا صراحةً أنّ الأمر في مسألة الخلافة وتعيين الحاكم يقدره الله، وليس للأُمّة فيه رأي ولا للناس مشورة.[٣] وقد وصل الأمر بالمنصور أنْ يقول بصراحه ووضوح: «أنا سلطان الله في أرضه...»، ولذا قال ابن هاني الأُندلسي بدون أي[٤] حرج للخليفة الفاطمي المعز لدين الله:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار
وكأنما أنت النّبيّ محمّد وكأنما أنصارك الأنصار

وبهذا وذاك وطد معاوية ملكه، وقضىٰ علىٰ معارضيه، ولم يتورع عن

---

(١) العقد الفريد م٤: ١١٩ـ ٢٠١.

(٢) الصّدادة: المعارضون.

(٣) مروج الذّهب ٣: ٧٦، البداية والنّهاية ٩: ٧٥.

(٤) الأمويون والخلافة: ٣٠ـ ٤٧.

استخدام كلّ وسيلة في سبيل غايته من قتل وتشريد، وغدر وخيانه، ورشوة وترغيب، و... و... حتىٰ دسّ السُّمَ إلىٰ الإمام الحسن بن علىٰ بن أبي طالب... وقد سمّ مالك الأشتر وقتله، وقتل حجر بن عدى الكنديّ، وقتل عبد الرّحمن بن خالد...[١] ثُم بعد ذلك جعل الخلافة مَلكية وراثية في أُسرته دون أنْ يكترث برأي الآخرين، وأرسىٰ قواعد سلطته بالسيف وحده! وكان عُماله مثله. وقد اتضح ذلك عندما أرسل إليهم في أخذ البيعة ليزيد ولياً للعهد قام يزيد بن المقنع فلخص الموقف الأُموي من الخلافة بعبارة وجيزه ولكنها بليغه قال: «أميرالمؤمنين هذا»، وأشار إلىٰ معاويه.. «فان هلك فهذا»، وأشار إلىٰ يزيد... «فمن أبىٰ فهذا»، وأشار إلىٰ سيفه!... فقال له معاويه: «إجلس فانك سيد الخطباء».[٢] ثُم أصبحت البيعة مجرد إجراء شكلي عندما قال له قائل إنى أُبايع وأنا كاره البيعة، قال له معاوية: «بايع يارجل، فإنّ الله يقول: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٣]، ولا توجد نقطة سوداء في التّأريخ البشرى أدل من واقعة كربلاء، ثُم واقعة الحرّة و... و... فإنّا لله وإنّا إليه راجعون[٤]. وكان مسلم ابن عقبة ياخذ البيعة من النّاس ليزيد علىٰ أنهم عبيد ليزيد حتىٰ سماها نتنة، ثمّ قال من بايع علىٰ كتاب الله وسنة رسوله ضُرب عنقه بالسيف،[٥] وضرب الكعبة بالمنجنيق من الجبال فهدمت،[٦] ولا نريد أنْ نتتبع مثالب يزيد البطولية، بل

---

(١) التّأريخ الإسلامي محمود شاكر ٤: ٢٢، المكتبة الإسلاميّة بيروت.

(٢) العقد الفريد ٥: ١١٩، دار الكتب العلمية بيروت.

(٣) النّساء: ١٩.

(٤) تأريخ الخلفاء: ٢٠٩.

(٥) مروج الذّهب ٣: ٧٩.

(٦) المصدر السّابق.

لخصها المسعوديّ بعبارته المشهورة: «ليزيد أخبار عجيبة، ومثالب كثيرة، من شرب الخمر، وقتل ابن بنت الرّسول، ولعن الوصيّ، وهدم البيت وإحراقه، وسفك الدّماء، والفُسق والفجور، وغير ذلك مما قد ورد فيه الوعيد باليأس من غفرانه»[١]. ولا نُريد أنْ نُطنب في سيرة عبد الملك بن مروان المؤسس الثّاني للدوله الأُموية، بل إنه عندما علم أنّه بويع بالخلافه والمصحف في حجره أطبقه وقال: هذا آخر عهدنا بك!... ثمّ عرض سياسته بوضوح فقال: «أمّا بعد، فلست بالخليفة المستضعف ـ يعني عثمان، ولا بالخليفة المُداهن ـ يعني معاوية ـ ولا بالخليفة المأفون ـ يعني يزيد ـ ألا أني لا أداوي أدواء هذه الأُمّه إلّا بالسيف حتىٰ تستقيم ليّ قناتكم... ألا أنّ الجامعة... ولا يأمرني أحد بتقوىٰ الله بعد مقامي هذا إلّا ضَربتُ عُنقه...».[٢] وقد وصف المسعوديّ إلغاء كامل آدمية الإنسان عند عبد الملك بن مروان وعماله بقوله: «كان لعبد الملك إقدام علىٰ الدّماء، وكان عُماله علىٰ مثل مذهبه، كالحجاج بالعراق، والمهلب بخراسان، وهشام بن إسماعيل بالمدينه وغيرهم. وكان الحجاج من أظلمهم وأسفكهم للدماء...».[٣] حتىٰ وصل الأمر بالوليد بأنه منع النّاس من مناقشته ومخالفته، وحرم الكلام معه في ذلك، ومنعهم من مناداته باسمه، وخوفهم وقتلهم علىٰ ذلك... وقام خطيباً علىٰ المنبر فقال: «إنكم كنتم تكلمون من كان قبلي من الخلفاء بكلام الاكفاء... وتقولون: يامعاوية، ويايزيد... وأني أُعاهد الله: لا يُكلمني أحد بمثل ذلك إلّا أتلفتُ نفسه!

---

(١) مروج الذّهب ٣: ٨٠ و٨١.

(٢) العقد الفريد ٤: ١٧٨، تأريخ الخلفاء: ٢١٨ و٢١٩، الوثائق السّياسية والإدارية للعصر الأُمويّ الدكتور محمّد ماهر حماديّ: ٥٥، للطلاع علىٰ المزيد من المثالب الأُموية.

(٣) مروج الذّهب ٣: ٩٩، ١٧٠، تأريخ السّيوطيّ: ٢٢٠.

فلعمري إنّ إستخفاف الرّعيه براعيها سيدعوها إلىٰ الاستخفاف بطاعته والاستهانه بمعصيته... وقد كان يستفسر في عجب: أيمكن للخليفه أنْ يُحاسب؟ فجاءه أخوه يزيد بن عبد الملك بأربعين شيخاً فشهدوا له: ما علىٰ الخليفه حساب ولا عذاب...[١] هذا هو حال البيعة وعقابيلها والّتي لا علاقة لها بأي قانون قائم علىٰ الشّريعة الإسلاميّة، بل هي سلطه استبدادية إنْ صح التّعبير، ولا هي تشبه عقد الوكالة كما في سائر العقود والّتي تقام علىٰ الإيجاب والقبول، ثمّ ينعزل الوكيل بعزل موكله، كما إنّها تنتهي وكالته بموته، ولا يقيم غيره مقامه إلّا برضاه. فإذا كانت البيعة تشبه عقد الوكالة فلا يقيم غيره مقامه إلّا برضا الأُمّة وموافقتها...[٢]، ولكن حالها حال قول القائل من قبلُ: «السّيف أصدق أنباء من الكتب»، وقد عقد البيعة هارون الرّشيد لطفل صغير، لابنه الأمين وهو في الخامسة من عمره استهانة بالأُمّة.[٣] أمّا سليمان بن عبد الملك فقد دعا بقرطاس فكتب فيه العهد ودفعه إلىٰ أحد رجاله وقال: «أُخرج إلىٰ النّاس فيبايعوا علىٰ ما فيه مختوماً. فخرج فقال إنّ أميرالمؤمنين يأمركم أنْ تُبايعوا لمن في هذا الكتاب، قالوا: ومَن فيه؟ قال: هو مختوم لا تخبرون بمن فيه حتىٰ يموت! قالوا: لا نُبايع، فرجع إليه وأخبره. فقال: إنطلق إلىٰ صاحب الشّرطة والحرس، فاجمع النّاس ومرهم بالبيعة، فمن أبىٰ أُضرب عنقه، فبايعوه!!!»[٤].

ونحن نسأل المنصفين الّذين يؤمنون ويدافعون عن البيعة ويصححون بيعة من

---

(١) المصدران السّابقان، الأُمويون والخلافة: ١٤٥، البداية والنّهاية ٩: ٧١ و١٦٦، تأريخ الخلفاء: ٢٢٣، ٢٤٦.

(٢) نظام الحكم في الإسلام الدكتور محمّد يوسف موسىٰ: ١١٨.

(٣) في التّأريخ العباسيّ والفاطميّ: ٨٧، دار النّهضه العربية بيروت.

(٤) تأريخ الخلفاء: ٢٢٦ و٢٢٧.

سبق هل تقبلون هذه الاستهانة بعقول النّاس، وأنتم من ضمن النّاس؟ أيمكن أنْ يقال إنه كانت هنالك بيعة، أو عهد، أو شورىٰ، أو إختيار، أو إنتخاب، أو موافقة أو رضا. أو... أو...

حقاً إنّها بيعة بالنسبه لكم إذا قبلتم بذلك، ولكن ليس من الإنصاف وأنتم أصحاب الكفاءة العلمية، وحملة الشّهادات العالمية، وأصحاب التّنوير العقليّ والتّقدم التّكنولوجي والذّري، والغزو الفضائيّ، أنْ تكونوا بهذه السّذاجة والحماقة تبايعون علىٰ ظرفٍ مختوم لا تعلمون أي شي فيه حتىٰ ولو كان فيه استعبادكم أو قتلكم أو بيعكم أو شرائكم أو... أو... أو كما قال الوليد: «أيها النّاس! عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة، فإنّ الشّيطان مع الفرد، أيها النّاس! من أبدىٰ ذات نفسه ضربنا الّذي فيه عيناه. ومن سكت مات بدائه! وكان جباراً عنيدا».[1] لم يكن هنالك شيء اسمه البيعة، فها هو خالد القسري وقف في صلاة العيد عندما كان والياً علىٰ الكوفة عام ١٢٠ هـ فقال: «أيها النّاس! اذهبوا وضحوا بضحاياكم، تقبل الله منا ومنكم، أمّا أنا فإني مضحٍ اليوم بالجعد بن درهم، فإنه يقول ما كلّم الله موسىٰ تكليما، ولا اتخذ خليلا! تعالىٰ الله عما يقول علواً كبيرا».[2] ثُم سكت ونزل واستل سكيناً وذبحه أسفل المنبر! وأياً كان موقفنا من الجعد، فلا أظن أحداً منكم يوافق علىٰ أنْ يكون فكره يتحمل أنْ يُبايع مثل هؤلاء؟ وهذا السّفاح العباسيّ صاحب المآثر والمواقف المشهودة حين قال: «فأنا السّفاح المبيح والثّائر المبير».[3]

---

(١) البداية والنّهاية ٩: ٧٥، وقول الجعد بن درهم للحجاج بن يوسف الثّقفي في البداية والنّهاية ٩: ٣٦٤، مروج الذّهب ٣: ١٦٨.

(٢) المصدران السّابقان.

(٣) البداية والنّهاية ١٠: ٤٢، تأريخ الخلفاء: ٢٥٧.

هذه هي البيعة الجبروتية الطّاغوتية، الفرعونية الاستسلامية، القهرية الاستبدادية، السّيفية الفردية، العهدية الشّورية، الظّرفية المختومة للصغار والكبار، ويستجيب الخليفة أو الأمير أو الوالي أو الإمام أو... أو... لرغبات الموالي والإماء والصّعاليك كما هو الحال علىٰ سبيل المثال لا الحصر عندما يستجيب السّفاح لصعلوك من الصّعاليك هو سديف بن ميمون في قتل سليمان بن هشام بن عبد الملك لبيتين من الشّعر وكان يجلس بقربه سليمان بن هشام:

لا يغرنك ماترىٰ من رجال إنّ تحت الضّلوع داء دويا

فضع السّيف وارفع السّوط حتىٰ لا ترىٰ فوق ظهرها أُمويا

فقال سليمان: «قتلتني يا شيخ»، وأخذ السّفاح سليمان وذبحه و... وقتل خصومه حتىٰ أمر بإخراج جثث بني أُميه من قبورهم وجلدهم وحرق جثثهم ونثر رمادها في الرّيح.[1] وهكذا يسلط الله أصحاب البيعة بعضهم علىٰ بعض، ويسلط الجيل الثّاني علىٰ الجيل الأوّل نتيجة المخالفات الشّرعية والإعراض عن النّصوص من قبل المشرع الحكيم في محكم آياته، وقول رسوله الكريم الّذي لا ينطق عن الهوىٰ إنْ هو إلّا وحي يوحىٰ، كما ورد في الأثر: «الظّالم سيفي أنتقم به وأنتقم منه». أُنظروا إلىٰ عقابيل البيعة وأجيبونا يرحمكم الله عن السّجود الّذي سجدته أُمّ المؤمنين السّيدة عائشة لقتل الإمام عليّ بن أبي طالب، وكذلك سجود معاوية في قتل الإمام عليّ وأبنه الحسن، وعلىٰ الرّغم من عدم وجود المقايسة بين استشهاد الإمام عليّ واستشهد الإمام الحسن عليه السلام وبين قتل مروان و... و... وسجود أبي العباس عندما وضع بين يديه رأس مروان، ولكنه أطال السّجود

---

(١) تأريخ الخلفاء: ٢٥٧، الكامل في التّأريخ ٣: ٥٠١ و٥٠٢، دار إحياء التّراث بيروت.

فسُئل عن ذلك فقال: «الحمد لله الّذي لم يبق ثأري قبلك وقبل رهطك، الحمد لله الّذي أظفرني بك وأظهرني عليك».[١] مع العلم أنّ الإمام عليّ أو الإمام الحسن عليه السلام لم تكن لديهم ثارات مع السّيدة عائشة ومعاوية وأنّما كان الصّراع كما أوضحنا سابقاً بين الحقّ والباطل. وقد وصل الأمر بأنهم جعلوا جامع دمشق اسطبلاً لدواب وجِمال عبدالله بن عليّ الوالي العباسيّ، وهو الّذي نبش قبر معاوية فلم يجد فيه إلّا خيطاً أسوداً، ونبش قبر عبد الملك فوجد جمجمة... وأخرج جثة هشام وضربها بالسوط وهو ميت وصلبه أياماً، ثمّ أحرقه، ودق رماده، ثمّ ذره في الرّيح و... وحتىٰ النّساء لم تنجُ من بطشهم و... و... وقتل في يوم واحد اثنين وسبعين ألفاً عند نهرٍ بالرمله وبسط عليهم الأنطاع ومّد عليهم سماطاً فأكلّ وهم يختلجون عنه،..حتىٰ إذا مافرغ من طعامه قال: ما أكلت أكلة أطيب من هذه الأكلة! ثمّ حفر بئراً وألقاهم فيه،[٢] وهكذا كلما مات صاحب بيعة ولِد في أثره من هو أعتىٰ منه حتىٰ لا تنقطع سلسلة الطّواغيت بالبيعة من اليوم الأوّل إلىٰ المنصور الّذي قتل في خلافته أبا مسلم الخراساني صاحب دعوته وممهد مملكته و... و... وقتل الأخوين محمّد وإبراهيم ابني عبدالله بن الحسن وجماعه كثيرة من آل البيت وهو القائل: «..إنّما أنا سلطان الله في أرضه»، وهو الّذي اشتهر بالغدر بمن آمنه، فقد غدر بابن هبيرة، وبعمّه عبدالله، وبأبي مسلم، بعد أنْ أعطاهم الأمان.[٣] وقد حدد المنصور في إحدىٰ خطبه سياسته بوضوح لا لبس فيها حيث قال بعد أنْ أخذ

---

(١) مروج الذّهب ٣: ٢٧١.

(٢) المصدر السّابق، التّأريخ العباسيّ والفاطميّ الدكتور أحمد مختار العباديّ :٤٣، دار النّهضة العربية بيروت، تأريخ الخلفاء :٢٥٩.

(٣) العقد الفريد ٤: ١٨٦، تأريخ الخلفاء: ٢٦٤، الكامل في التّأريخ ٣: ٥٦٦، تأريخ الإسلام لحسن إبراهيم ٢: ٣٥.

بقائم سيفه: «أيها النّاس! إنّ بكم داءً هذا دواؤه، وأنا زعيم لكم بشفائه، فليَعتبر عبد قبل أنْ يُعتبر به».[١] وهو الّذي عذب أبا حنيفة وحبسه وجلده ودس إليه السُّم لرفضه ولاية القضاء، بل إنه كأسلافه يأخذ بالشبهة والظّن وما يجري في نية الفرد، حتىٰ يصل الأمر إلىٰ حد الاعدام، وهكذا اشتهر المنصور بقتل الكثيرين ظلماً وعدواناً وخاصة من أهل البيت[٢]، ثمّ قال في إحدىٰ خطبه «... إنّ من نازعنا هذا القميص أوطأناه مافي هذا الغمد... ومن نكث بيعتنا فقد أباح دمه لنا».[٣] وقد كتب في وصيته لابنه المهديّ: «أني تركت لك النّاس ثلاثة أصناف: فقيراً لا يرجو إلّا غناك، وخائفاً لا يرجو إلّا أمنك، ومسجوناً لا يرجو الفرج إلّا منك!...»[٤]

وعندما أفضت الخلافة بواسطة البيعة المقيتة، وولاية العهد السّقيمة، إنْ لم نقل الخبيثة، أخذت نزوات الرّشيد الّتي غاب عنها القانون الشّرعي والاخلاقي تطفو علىٰ السّطح، فقد وقعت في نفسه جارية من جواري المهديّ فراودها عن نفسها فقالت لا أصلح لك، أنّ أباك قد طاف بي، لكنه شغف بها، فأرسل إلىٰ أبي يوسف قاضيه الشّهير والملقب بـ«فقيه الأرض وقاضيها»، فسأله الرّشيد: أعندك في هذا شيء؟ وجاءه الجواب: «إهتك حرمة أبيك، واقضِ شهوته، وصيره في رقبتي»[٥]. وكأن قاضي القضاة صاحب دكان أو بقالية عندما يسأله الرّشيد أعندك شيء؟ ومع الأسف الشّديد فعلاً أصبح قاضي القضاة صاحب بقالية، ولكن

---

(١) تأريخ الإسلام الدكتور حسن إبراهيم ٢: ٣٥.

(٢) العقد الفريد ٤: ١٨٦.

(٣) فى التّأريخ العباسيّ الدكتور أحمد مختار العباديّ: ٦٧.

(٤) تأريخ الخلفاء: ٢٢٢.

(٥) تأريخ الخلفاء: ٢٩١.

مائدتها من المواد المحرمة الّتي لا يجوز التّكسب بها؟ وفعلاً أفتىٰ القاضي الشّهير بفتواه لإرضاء شهوات الحاكم والخليفة، وصاحب البيعة، وولاية العهد والإختيار، من قبل أهل الحل والعقد، وأهل الشّورىٰ و... و... ثُم لم يكتف بهذه الرّشيد، بل أنّه ذات مرّة سأل قاضي القضاه: أني اشتريت جارية، وأُريد أنْ أطأها الآن قبل الاستبراء، فهل عندك حيلة؟ قال: نعم! تهبها لبعض ولدك، ثُم... الله أكبر! هذا فقيه الأرض وقاضيها فلا تمنعه الدّراهم والدّنانير من أي فتوىٰ، ولا بد للرشيد أنْ يُعجل بها له قبل الصّبح فقالوا له أنّ الخازن في بيته والأبواب مغلقه. فقال أبو يوسف: «فقد كانت الأبواب مغلقة حين دعاني ففُتحت!!»[1]

ثمّ أصبحت الهوّة كبيرة بين الشّريعة وأحكامها، وبين الواقع المأساوي الّذي أدت وانتهت إليه البيعة، بل حتىٰ البيعة لم يذكرها الخلفاء، بل إنّها ظلت في بطون الكتب يتشبث بها المتشدقون والمتنطعون لإقناع أنفسهم بأنّ الخلافة للأوّل والثّاني والثّالث كانت صحيحة و... و... وهكذا كان حكم بني أُميه ابتداءً من معاوية وابنه يزيد إلىٰ عبد الملك بن مروان... وهكذا حُكم بني العباس ابتداءً من السّفاح إلىٰ المنصور...، بل التّأريخ كله. وما البيعة إلّا مسألة شكلية صورية، ولا يمكن لأيّ عاقل أنْ يقول: أنّ البيعة كانت تعني ولاية الخليفة برضا النّاس أو اختيارهم أو محبتهم، بل نجد أغلب النّاس، بل أكثرهم يعبرون عن كراهيتهم للحكام كما قال الأعرابي للمنصور عندما قال المنصور: «أحمد الله يا أعرابي الّذي رفع عنكم الطّاعون بولايتنا أهل البيت»، قال: «إنّ الله لا يجمع علينا حشفاً وسوء كيل: ولا يتكم والطّاعون!»[2].

---

(١) المصدر السّابق: ٢٩٢.

(٢) تأريخ الخلفاء: ٢٦٥.

بيعة النّاس ـ أي الأُمّة ـ للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

ليس مصب حديثنا هُنا عن مسألة النّص وعما إذا كان النّبيّ صلى الله عليه وآله قد نصّ علىٰ أحد من بعده أم لا؟ وذلك؛ لأن أمر الخلافة أصبح مفروغاً منه عند المسلمين القريبين من النّبيّ صلى الله عليه وآله والبعيدين عنه في المدينة وغيرها من الأمصار الإسلاميّة، فقد أكثر رسول الله صلى الله عليه وآله من تصريحاته حول عهد الخلافة والإمامة من بعده للإمام عليّ بن أبي طالب، كما كثرت تصريحاته أيضاً بأن هذا المنصب في الإسلام مفروض من قبل الوحي، ولم يثبت لعليٍّ بإختياره هو صلى الله عليه وآله، وإنّما ثبت له بأمر من الله تعالىٰ، حتىٰ تكون للخلافة صبغة إلهيه فقط لا علاقة لها بأحد من النّاس سواء أكان من أهل الحل والعقد أم من غيرهم. ولذا جاء في السّيرة الحلبية وغيرها: بعد أنْ جهر رسول الله صلى الله عليه وآله بنصّ الغدير في عليٍّ بن أبي طالب وبلغ ذلك النّعمان الفهريّ اتجه رأساً وهو مغضب إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله حتىٰ وصل الأبطح ونزل عن ناقته وأناخها، ثمّ أتىٰ النّبيّ صلى الله عليه وآله وهو في ملأمن أصحابه وقال: «يامحمّد! أمرتنا من الله أنْ نشهد لا إله إلّا الله وأنك رسوله ففعلناه، وأمرتنا أنْ نُصلي خمساً فقبلناه، وأمرتنا أنْ نصوم ـ شهر رمضان ـ فقبلناه، وأمرتنا أنْ نحج البيت فقبلناه، ثُم لم ترض بهذا حتىٰ رفعت بضبعي ابن عمك وفضلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه وهذا شيء منك أم من الله؟ فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله ـ وهنا بيت القصيد ـ« والّذي لا إله إلّا هو

إنه من الله»[١]، وكان عامة المهاجرين، وجل الأنصار، لا يشكون أنّ علياً هو صاحب الأمر بعد رسول الله[٢]، وهذا ما سنقف عنده في الفصل القادم إن شاء الله تعالىٰ. لكن مصب حديثنا هنا حول البيعة، وهل هي الّتي تُثبت الحقّ الشّرعي للإمارة أو أنّها مجرد وسيلة وتسهيل مهمة الأمير ببسط سيطرته علىٰ المجتمع في تطبيق الأحكام الشّرعية، وأمّا الأمير وهو أمير وخليفة شرعي بالنصّ سواء بايعته الأُمّة أم لم تُبايعه، ولذا أبطلنا إمارةالثّلاثة الأوائل؛ لأنهم استهجنوا النّص وذلك لإعجابهم بأبي بكر لكبر سنه، واتفاقه المسبق مع عمر بن الخطاب علىٰ رفض النّص، وكذلك لإعجابهم بعهده لعمر بن الخطاب من بعده، ولقطع الفتنة كما يدعون، ولإعجابهم بالشورىٰ من قبل عمر بن الخطاب وجعلها بيد عبد الرّحمن ابن عوف وذلك حفظاً لوحدة المسلمين، وإن كان خرقاً حتىٰ لقاعدة الشّورىٰ الّتي يؤمنون بها ويعتبرونه ـ أي تصرف أبي بكر ـ سياسة فائقة، ثمّ لا يستغربون ولا حتىٰ يتوقفون مع أبسط الأعراف السّياسية، بأنّ نبي الرّحمة والإنسانية والمعلم الأوّل والمنقذ لهم من الضّلال والكفر بأنهﷺ توفي ولم يعهد إلىٰ أحدٍ يقوم بأمور المسلمين، بل تركهم ـ والعياذ بالله ـ في التّيه الّذي أصاب بني إسرائيل وهذا مما لا يقبله العقل...

العودة إلىٰ الذّات

قُتل عثمان بن عفان وعاد إلىٰ المسلمين أمرهم، وانحلوا من كلّ بيعة سابقة توثقهم، فتهافتوا علىٰ ابن أبي طالب يطلبون يده للبيعة. وقد عرفنا سابقاً بأنه إمام

---

(١) السّيرة الحلبية ٣: ٢٧٥، نور الأبصار: ٧٨.

(٢) شرح النّهج ٦: ٢١.

منذ اليوم الأوّل لوفاة الرّسول ﷺ؛ لأنه منصوص عليه من قبل الباري عزّ وجلّ، وأنّ بيعة النّاس له هي تطبيق لقوله ﷺ: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»، ولم ينطبق هذا الحديث إلّا علىٰ أهل بيت العصمة والعترة الطّاهرة كما قال رسول الله ﷺ للحسين: «ابني هذا إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمّة تسعة تاسعهم قائمهم».[1] وقال ﷺ: «إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتىٰ يمضي فيه اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش».[2]

قال الطّبريّ في بيعة الإمام عليّ: «فأتاه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: إنّ هذا الرّجل ـ عثمان ـ قد قُتل ولا بدّ للناس من إمام ولا نجد اليوم أحقّ بهذا الأمر منك، لا أقدم سابقة، ولا أقرب من رسول الله ﷺ فقال: لا تفعلوا فإني أكون وزيراً خير من أنْ أكون أميراً. فقالوا: لا، والله مانحن بفاعلين حتىٰ نبايعك. قال ففي المسجد، فإنّ بيعتي لا تكون خفياً: ولا تكون إلّا عن رضىٰ المسلمين...» وروي بسند آخر: «اجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزّبير فأتوا عليّاً فقالوا: يا أبا الحسن، هلمّ نبايعك. فقال: لا حاجة لي في أمركم. أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت به، فاختاروا. فقالوا والله مانختار غيرك. قال: فاختلفوا إليه بعدما قتل عثمان... مراراً، ثمّ أتوه في آخر ذلك، فقالوا له: إنه لايصلح النّاس إلّا بإمرة وقد طال الأمر. فقال لهم: إنكم قد اختلفتم إليّ وأتيتم وإنيّ قائل لكم قولاً إنْ قبلتموه قبلت أمركم وإلّا فلا حاجة لي فيه. قالوا: ماقلت قبلناه إن شاء الله. فجاء فصعد المنبر فأجتمع النّاس إليه فقال: إنيّ قد كنت كارهاً لأمركم فأبيتم إلّا أنْ أكون

---

(١) مقتل الحسين للخوارزميّ ١: ١٤٥، ذخائر العقبىٰ: ١٣٦، ينابيع المودة: ٤٤٢، البيان في أخبار آخر الزّمان للحافظ الكنجيّ: ٩٠، صحيح مسلم ٦: ٣ و٤.

(٢) المصادر السّابقة.

عليكم. ألا وإنه ليس ليٍّ أمر دونكم، ألا إنّ مفاتيح مالكم معي. ألا وإنه ليس ليٍّ أنْ آخذ منه درهماً دونكم، رضيتم؟ قالوا: نعم. قال: اللّهمّ اشهد عليهم. ثمّ بايعهم علىٰ ذلك». (١)

وروىٰ البلاذريّ في بيعته عليه السلام قال: «وخرج عليٌّ فأتىٰ منزله، وجاء النّاس كلّهم يهرعون إلىٰ عليٍّ، أصحاب النّبيّ وغيرهم، وهم يقولون: «إنّ أمير المؤمنين عليّ»، حتىٰ دخلوا داره، فقالوا له: نبايعك، فَمُدَّ يدك فإنه لابدَّ من أمير. فقال عليّ: ليس ذلك إليكم إنّما ذلك إلىٰ أهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة. فلم يبق أحد من أهل بدر إلّا أتىٰ عليّاً، قالوا: مانرىٰ أحداً أحقّ بهذا الأمر منك...»

فلما رأىٰ عليّ ذلك صعد المنبر. وكان أوّل من صعد إليه فبايعه طلحة بيده، وكانت إصبع طلحة شلاّء، فتطيّر منها عليٌّ وقال: «ما أخلقه أنْ ينكث...»(٢) وفي رواية الطّبريّ: «... إنَّ حبيب بن ذؤيب نظر طلحة حين بايع فقال: أوّل من بدأ بالبيعة يد شلاء لايتم هذا الأمر...»(٣). والتّساؤلات الّتي تطرح نفسها.

١. لماذا هؤلاء الّذين جاءوا للإمام عليّ عليه السلام قالوا له... لابد للناس من إمام؟ ألم يكن هذا إعتراف منهم بأنّ الأُمّة لاتخلو في أي زمن من الأزمان وفي أي يوم من الأيام، من إمام يحكمهم... طبقاً لما أورده الكلينيّ بسنده عن الحسين ابن أبي العلاء عن الإمام الصّادق عليه السلام: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: تكون الأرض ليس فيها إمام؟ قال: لا، قلت: يكون إمامان؟ قال: لا، إلّا وأحدهما صامت».(٤) وقد أورد

---

(١) تأريخ الطّبريّ ٥: ١٥٢ و١٥٣، كنزالعمّال ٣: ١٦١ ح ٢٤٧١، الفتوح لابن أعثم: ١٦٠.

(٢) أنساب الأشراف ٥: ٧٠، الحاكم في المستدرك ٣: ١١٤.

(٣) تأريخ الطّبريّ ٥: ١٥٣، الإمامة والسّياسة ١: ٤٥.

(٤) الكافيّ ١: ١٨٧، باب الأرض لا تخلو من حجّة.

الكشي بسند صحيح عن الحسن بن بشار قال: «استأذنت أنا والحسين ابن قياما علىٰ الرّضاعليه السلام في «صوبا» فأذن لنا. قال: افرغوا من حاجتكم، فقال له الحسين: «تخلو الأرض من أنْ يكون فيها إمام؟ فقال: لا؛ قال: فيكون فيها اثنان؟ قال: لا، إلّا وواحد صامت لايتكلم» قال: «ابن قياما قد علمت أنك لست بإمام؟ قال: ومن أين علمت؟ قال: إنه ليس لك ولد، وإنّما هي في العقب. قال: فقال له: والله لاتمضي الأيام واللّيالي حتىٰ يولد ليّ ذكر من صلبي يقوم مقامي، يحيي الحقّ «ويمحو» ويمحق الباطل».[1]

وهنا لابد من مداخلة سريعة لرد من توهم بأنّ الشّيعة يجيزون تعدد الإمام المعصوم إذا كان الثّاني صامتاً، كقول عبد القاهر البغداديّ حين قال: «... وقالت الرّافضة: لا يجوز أنْ يكون في الوقت الواحد إمامان ناطقان، ويصح أنْ يكون في الوقت الواحد إمامان أحدهما ناطق والآخر صامت...».[2]

هذا التّوهم باطل؛ لأن المراد بالإمام الصّامت هو الّذي سيكون إماماً بعد وفاة «النّاطق»، الّذي هو الإمام الفعلي... وليس مذهب الإماميّة كمذهب الكرامية[3] الّتي ذهبت إلىٰ مشروعية وجود إمامين في وقت واحد ومكان واحد... واحتجوا بقول الأنصار يوم السّقيفة عندما قالوا للمهاجرين: «منا أمير ومنكم أمير»، وليس مذهب الإماميّة كمذهب الزّيدية ـ الجارودية ـ القول بجواز تعدد الأئمّة....[4]

---

(١) إختيار معرفة الرّجال: ٢٥٣، ط مشهد، الإرشاد للشيخ المفيد: ٣١٨، ط٣ الأعلمي ـ بيروت ـ الأُصول من الكافيّ ١: ٣٢٠.

(٢) أُصول الدّين: ٢٧٤.

(٣) الفصل ٤: ٨٨و٢٠٦.

(٤) المواقف: ٤٠٠٧، شرح المواقف ٨: ٣٥٣.

٢. السّؤال الآخر الّذي نطرحه هو: هل كانوا يعتقدون بإمامة أبي بكر وإمامة عليّ بن أبي طالب المنصوص عليه من قبل الباري عزّ وجلّ والمصطفىٰ ﷺ بنفس الوقت، أم إنهم لا يعتقدون بذلك؟ فإذا كان الجواب بالأوّل فهو باطل لما أوضحناه سابقاً؛ ولأن أبا بكر لم يكن منصوصاً عليه، بالإضافة إلىٰ أنّه غير معصوم، كما اعترفتم بذلك، بل إنكم لا توجبون العصمة في الإمام، كما قال الباقلانيّ في التّمهيد: «وأمّا ما يدل علىٰ أنّه ـ الإمام ـ لا يجب أنْ يكون معصوماً، عالماً بالغيب، ولا بجميع الدّين... فليس يحتاج مع ذلك إلىٰ أنْ يكون معصوماً... ويدل علىٰ هذا إعتراف الخلفاء الرّاشدين ـ أي أبوبكر وعمر وعثمان ـ بأنهم غير معصومين... مع إعترافهم بنفي العصمة عنهم».[١] وقال عضد الدّين الأيجي في الرّد علىٰ من اشترط العصمة في الإمام: «... أنْ يكون معصوماً، شرطها الإماميّة، الإسماعيلية، ويبطلها أنّ أبابكر لا تجب عصمته إتفاقاً..»[٢]، وقريب من هذا كلام التّفتازانيّ[٣]. وغيرهم كثير. وهذا بحمد الله إعتراف صريح بأنّ أبابكر لم يكن معصوماً، فإذا لم يكن كذلك لا تصح خلافته؛ لأنه لم يكن منصوصاً عليه، ونحن نُريد خليفة يختلف عن بقية النّاس علىٰ أقل تقدير أنّه لا يُخطىء الخطأ الّذي يوقعه في إراقة الدّماء، ويكون متميزاً عن غيره في معرفة الأحكام الشّرعية هذا أولاً.

وثانياً: إنهم إعترفوا بأنّ النّص منتفٍ في حقّ أبي بكر كما ذكر التّفتازانيّ والأيجي وغيرهما «... إنّ الطّريق إمّا النّص، وإما الإختيار، والنّص منتفٍ في حقّ أبي بكر مع كونه إماماً بالإجماع، وكذا في حقّ عليٍّ علىٰ التّحقيق...».[٤] والحمد لله

---

(١) التّمهيد: ١٨٤.

(٢) المواقف: ٣٩٩، شرح المواقف ٨: ٣٤٦.

(٣) شرح المقاصد ٥: ٢٣٧و٢٥١.

(٤) المصادر السّابقة وهامش رقم ٦و٧.

أيضاً هذا إعتراف ثانٍ بأنّ أبابكر لم يكن منصوصاً عليه فتبطل بذلك أقوالهم الّتي تدعي بأفضليته لتقديمه في الصّلاة وقد أثبتنا بطلان صلاة أبي بكر أثناء مرض رسول الله ﷺ، وعدم صحة الأُكذوبة... وكذلك أبطلنا الإجماع؛ لأنه غير متحقق بأدلة كثيرة سبق وأنْ أشرنا إليها. وبحمد الله أيضاً إعترفوا بأنّ الإجماع قد تحقق علىٰ الإمام عليّ بن أبي طالب علىٰ الرّغم من أنّ هذا الإجماع لا يُقدم ولا يُؤخر في أحقية الإمام عليّ؛ لأن النّص مقدم علىٰ الإجماع، وإنّما هذا الإجماع يفيده في تطبيقه وتمكينه، من إقامة الحدود علىٰ النّاس لا غير. وإنّما هو إمام سواء بويع أم لم يُبايع... وبحمد الله إعترفوا أيضاً ضمناً بأنّ رسول الله ﷺ لم يترك الأُمّة بدون إمام كما يدعي بعض بأنه ﷺ تركها بدون إمام... وهنا يقولون: «لابد من إمام...» ألم يكن هذا تهافت بين ماقالوه بعد وفاته ﷺ، وبين ماقالوه هنا؟... فكيف بالمشرع الحكيم يترك الأمر هُملاً بعد وفاته وهو العالم بما سيقع بعده بين الأصحاب من إفتراق وإختلاف... وهو القائل: «لا يحل لمسلم أنّ يبيت ليلة وليس في عُنقه بيعة لأحد».[1] وقال ﷺ: «من مات وليس في عُنقه بيعة مات ميتة جاهلية».[2] حاشاه أنْ يترك أُمّته أنْ تموت ميتة جاهلية بعده، وكم في هذا الحديث من مغزىٰ بعيد وعميق... أم أنهم هذه المدة ـ مابين وفاته ﷺ إلىٰ يوم وفاة عثمان ـ لم تكن في ذمتهم بيعة لأحد؟ أم أنّ بيعتهم كانت بالقهر والإجبار، كما أثبتنا سابقاً؟ ثُم إنّ مسألة العصمة في الإمام لم تشترطها الإماميّة فقط، بل ذهبت إلىٰ ذلك الهذيلية من المعتزلة فقد قالوا: «ولاتخلوا الأرض من جماعة هم أولياء الله، معصومون لا يكذبون ولا يرتكبون الكبائر فهم الحجة لا التّواتر، إذ يجوز أنْ يكذب جماعة ممن

---

(١) صحيح مسلم ٦: ٢٠.

(٢) المصدر السّابق.

لا يحصون عدداً إذا لم يكونوا أولياء الله، ولم يكن فيهم واحد معصوم...».[١] وذهبت النّظامية أيضاًإلىٰ ذلك حيث قالوا: «إنّ الإجماع ليس بحجّة في الشّرع، وكذلك القياس في الأحكام الشّرعية لايجوز أنْ يكون حجّة، وإنّما الحجّة في قول المعصوم».[٢] وأمّا الرّازيّ فقد قال بالعصمة، ولكن لم يشترطها في الأمير، بل إنه اشترطها في أهل الإجماع حيث قال في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿...أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ...﴾[٣]. أي أنّ العلماء إذا اجتمعوا علىٰ شيء واتفقت أقوالهم فيه كان ذلك دليلاً علىٰ عصمتهم وعلىٰ عدم تطرق الخطأ والزّيغ إلىٰ ماذهبوا إليه..

٣. لماذا قال عليّ بن أبي طالب لهم لا تفعلوا، فإني أكون وزيراً خير من أنْ أكون أميراً؟ ألم يكن في قوله هذا مغزىٰ أبعد مما يتصوره المتصور في أوّل وهلة أي أنّ الإمام لم يرد هذا المنصب...؟ والجواب:

(آ) إنّ المنصب ليس هو لباس يستطيع أنْ يلبسه تارة وينزعه تارة أُخرىٰ. وقد دللنا علىٰ ذلك بأنه إختيار إلهي ـ منصب إلهي ـ كما قال رسول اللهﷺ في قصة الحارث الفهريّ حيث قالﷺ: «والّذي لا إله إلّا هو إنّه من الله». وعليّ بن أبي طالب يعلم بأنه منصوص عليه من قبل الباري عزّ وجلّ، لا كما قال عثمان بن عفان: «لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله عزّ وجلّ..».[٤] وهو إدعاء باطل. ولا كما قال أيضاً: «أمّا أنْ أتبرأ من خلافة الله، فالقتل أحبّ اليَّ من ذلك...»[٥]، بل إنّ

---

(١) الملل والنّحل ١: ٥٣.

(٢) المصدر السّابق ١: ٥٧.

(٣) النّساء: ٥٩.

(٤) تقدمت استخراجاته.

(٥) تقدمت استخراجاته.

عليّاً عليه السلام هو القائل لعمّه العباس بن عبد المطلب: «والله مابي رغبة في السّلطان وحبّ الدّنيا، ولكن لإظهار العدل والقيام بالكتاب والسّنة».[١] فهو في هذا القول يأخذ الإمارة علىٰ أنّها واجب ديني، وليس مصلحة شخصية. إذن لماذا لم يقبل...؟ وحسب تصورنا البسيط ـ والله العالم ـ أراد الإمام عليّ بن أبي طالب أنْ يُذكرهم بهذا الواجب الدّيني، والّذي ضيعوه خلال هذه الفترة الزّمنية، ولم يقفوا معه لتخاذلهم وتباطئهم عن نصرته، ويدل علىٰ ذلك قوله في خطبته المعروفه بـ «الشّقشقية» حيث قال: «... فطفقت أرتئي بين أنْ أصول بيد جذاء أو أصبر علىٰ طخية عمياء...» وقوله عليه السلام: «إنّ مما عهد إليَّ النّبيّ أنّ الأُمّة ستغدر بيِّ بعده».[٢] وكم قال: «اللّهمّ إني أستعديك علىٰ قريش ومن أعانهم، فإنهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا علىٰ منازلتي أمراً هو ليٍّ، ثمّ قالوا: ألا إنّ في الحقّ أنْ تأخذه وفي الحقّ أنْ تتركه».[٣] وقد قال له قائل: «إنك علىٰ هذا الأمر يابن أبي طالب لحريص فقال: بل أنتم والله لأحرص وإنّما طلبت حقاً ليٍّ وأنتم تحولون بيني وبينه».[٤] وقال عليه السلام: «فنظرت فإذا ليس ليٍّ مُعين إلّا أهل بيتي فضننت بهم عن الموت، وأغضيت علىٰ القذىٰ، وشربت علىٰ الشّجىٰ، وصبرت علىٰ أخذ الكظم، وعلىٰ أمر من طعم العلقم».[٥] وكم قال عليه السلام... وكم... وكم.

(ب) إنه عليه السلام يعلم بأن سيرته من العدل الخالص، وإقامة حدود الله في أرضه، والمساواة بين النّاس، وتطبيق الشّريعة الإلهية بدقة طبقاً لقوله تعالىٰ: ﴿...وَإِذَا

---

(١) شرح النّهج ٩: ٥١.

(٢) المستدرك علىٰ الصّحيحين ٣: ١٤٠و١٤٢.

(٣) شرح النّهج ٢: ٣٠٠ خطبة: ١٦٧، الإمامة والسّياسة ١: ١٤٤، ط مصر.

(٤) المصدران السّابقان.

(٥) شرح النّهج ١: ٦٨ ط مصر خطبة رقم: ٢٦.

حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ...﴾[١]، وقوله تعالىٰ: ﴿...إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾،[٢] و... و... كثير من الآيات القرآنية والنّصوص النّبوية الشّريفة كقوله ﷺ: «لافضل لعربي علىٰ أعجمي إلّا بالتقوى...»،[٣] وقال ﷺ: «النّاس سواسية كأسنان المُشط»،[٤] وقال ﷺ: «والله لو أنّ فاطمة بنت محمّد سرقت لقطعت يدها»،[٥] وهو الّذي قال فيه عمر بن الخطاب: «والله إني لأعلم مكان الرّجل، لو وليتموه أمركم حملكم علىٰ المحجة البيضاء...»،[٦] وقول عمر فيه: «إن ولّوها الأجلح سلك بهم الطّريق المستقيم...»[٧] و... و... و... وغير ذلك كثير. ألم يكن هذا شعور منه ﷺ بأن سيرته النّقية الواضحة لايتحملها النّاس ولاتنسجم مع الوضع الّذي آل إليه أمر المسلمين من إمارة أبي بكر وعمر ومن وضع مأساوي في عهد عثمان الّذي دمّر النّظام الإسلامي، وأدىٰ إلىٰ التّفسخ والانحلال والاضطهاد السّياسي والاجتماعي و... و... وافتراس جميع الحقوق المدنية للمسلم من قبل هؤلاء الأمراء المتغلبين، وزجهم للأُمّة في حروب داخلية مزقتها شرّ ممزق؟ فما كان منه ﷺ منذ السّقيفة وإلىٰ مابعد مقتل عثمان يرفض إغراء عمّه العباس له بالبيعة وإغراء أبي سفيان وإغراءات كثيرة في عهد أبي بكر وعمر، وكلّها من أجل حفظ الإسلام ووحدة الأُمّة حتىٰ حمل السّلاح بنفسه وتولىٰ حراسة المدينة لما هاجمها

---

(١) النّساء: ٥٨.

(٢) الحجرات: ١٣.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب ٢: ٢٩٨، ط بيروت.

(٤) المصدر السّابق.

(٥) جواهر الآثار والأخبار ٥: ٤٩٦.

(٦) تقدمت استخراجاته.

(٧) تقدمت استخراجاته.

المرتدون، وقال: «... فلما مضىٰ ﷺ تنازع المسلمون الأمر بعده... فأمسكت يدي حتىٰ رأيت راجعة النّاس قد رجعت عن الإسلام... فخشيت إنْ لم أنصر الإسلام وأهله أنْ أرىٰ فيه ثلماً، أو هدماً، تكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم...»،[1] و... و... وغير ذلك كثير.

أمّا في عهد عثمان فكما شرحنا سابقاً من بطانته المتكونة من عبدالله بن عامر، وسعيد بن العاص، وعمرو بن العاص، ومروان بن الحكم، وطلحة بن عبيدالله، ومعاوية بن أبي سفيان، والّذي انتهىٰ إليه الأمر، فمن أجل ذلك قرر الإمام عليّ عليه السلام أنْ يعزل معاوية؛ لأن في موافقته ومسالمته وإبقائه والياً فضلاً عن الإمرة، ضرراً كبيراً، وفتقاً واسعاً علىٰ الإسلام، لايمكن بعد ذلك رتقه، ولم يجد بُداً من حربه ومنابذته»،[2] ولذلك كتب إليه كتابه المعروف والواضح والّذي لم يقصد به أنّ بيعة معاوية هي الّتي تحقق وتثبت خلافته، بل من باب إلزامه ـ معاوية ـ بما ألزم به نفسه عندما بايع أبابكر وعمر وعثمان وهو بالشام، ويتبين ذلك من خلال قوله عليه السلام له: «إنّ بيعتي بالمدينة لزمتك يامعاوية وأنت بالشام كما التّزمت ببيعة عثمان بالمدينة وأنت بالشام، وكذلك لزمت بيعتي نظراءك خارج المدينة، كما لزمتهم بيعة عمر في المدينة وهم في أماكن أُخرىٰ» هذا أولاً.

وثانياً: إنّ الظّروف والأحوال الّتي مّر بها الإمام عليّ عليه السلام قد إختلفت تماماً عما كان عليه سابقاً في عهد أبي بكر وعمر؛ لأنه عليه السلام سابقاًلم يكن معه إلّا أهل بيته من العترة الطّاهرة كما صرح به، أمّا الآن فهو يرىٰ من يعينه من المهاجرين والأنصار الّذين جاءوا وألحوا عليه بالبيعة، والوقوف معه ضد كلّ باغٍ ومعتد، وهم يعرفون

---

(١) تأريخ الطّبريّ ٣: ٢٤٤، شرح النّهج ٤: ١٦٥.

(٢) أصل الشّيعة وأُصولها: ١٠٨ و١٠٩.

بطانة عثمان، وخاصة معاوية وفئته الباغية، ورغم كلّ ذلك فإنه عليه السلام لم يبادر إلىٰ حربه إلّا بعد أنْ أرسل إليه الرُّسل والكتب وإتمام الحجة عليه، ولذا قال في كتابه:

بسم الله الرّحمن الرّحيم

«أمّا بعد: فإنّ بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام؛ لأنه بايعني القوم الّذين بايعوا أبابكر وعمر وعثمان علىٰ مابويعوا عليه، فلم يكن للشّاهد أنْ يختار، ولا للغائب أنْ يردّ، وإنّما الشّورىٰ للمهاجرين والأنصار فإذا اجتمعوا علىٰ رجل فسموه إماماً كان ذلك «لله»[1] رضىٰ، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردوه إلىٰ ماخرج منه، فإنْ أبىٰ قاتلوه علىٰ اتّباعه غير سبيل المؤمنين، وولاّه الله ما تولّىٰ ويصليه جهنم وساءت مصيرا. وأنْ طلحة والزّبير بايعاني، ثمّ نقضا بيعتي، وكان نقضهما كردّهما، فجاهدتهما علىٰ ذلك حتىٰ جاء الحقّ وظهر أمر الله وهم كارهون، فادخل فيما دخل فيه المسلمون، فإنّ أحبّ الأُمور اليَّ فيك العافية، إلّا أنْ تتعرض للبلاء. فإن تعرضت له قاتلتك واستعنت بالله عليك. وقد أكثرت في قتلة عثمان، فادخل فيما دخل فيه المسلمون، ثُم حاكم القوم اليَّ أحملك وإياهم علىٰ كتاب الله، فأمّا تلك الّتي تريدها فخدعة الصّبيّ عن اللّبن. ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنّي أبرأ قريش من دم عثمان. واعلم أنّك من الطّلقاء الّذين لا تحل لهم الخلافة، ولا تعرض فيهم الشّورىٰ، وقد أرسلت إليك وإلىٰ من قبلك

---

(١) هكذا لفظ الجلالة وردت منصصة بين معقوفتين في النّهج، ط الاستقامة بالقاهرة. وهذا مما يدل علىٰ أنّها لم تكن موجودة في بعض النّسخ، ولذا يختلف المعنىٰ في حالة وجودها وعدم وجودها ففي الأولىٰ ما أجمع عليه المهاجرون والأنصار بما فيهم أهل البيت ـ أي العترة الطّاهرة ـ كان حتماً لله رضىٰ. وفي الثّانية: كان لهم رضىٰ إذا كان الإختيار منهم ولم تؤخذ بالجبر والإكراه وحدّ السّيف.

جرير بن عبدالله، وهو من أهل الإيمان والهجرة، فبايع ولا قوة إلّا بالله».[١]

وقد جاء هذا المعنىٰ في خطبة أُخرىٰ لهعليه السلام: «أيها النّاس! إنّ أحقّ النّاس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه، فإنْ شغب شاغب استعتب، فإنْ أبىٰ قوتل، ولعمري لئن كانت الإمامة لاتنعقد حتىٰ يحضرها عامة النّاس، فما إلىٰ ذلك سبيل، ولكن أهلها يحكمون علىٰ من غاب عنها، ثمّ ليس للشاهد أنْ يرجع ولا للغائب أنْ يختار، ألا وإني أقاتل رجلين، رجلاً ادعىٰ ماليس له، وآخر منع الّذي عليه».[٢]

وهذا لا يعني أنّ الإمام عليّاًعليه السلام أقر مبدأ العمل بنظرية عمل الصّحابة، لأننا سبق وأن فندنا هذه النّظرية؛ لأن عمل بعضهم يخالف بعضهم الآخر... ولا يعني أيضاً أنه أقر مبدأ الشّورىٰ الّذي انتهىٰ إلىٰ السّلطة الفردية وعقابيلها بيد عبد الرّحمن... ولا يعني هذا أنهعليه السلام أقر صحة إمارة أبي بكر وعمر وعثمان من خلال بيعة بعض المهاجرين والأنصار؛ لأنّها أُخذت بالقهر والسّيف، وبالعهد والفردية ولم يدخل فيها المعصومعليه السلام من العترة الطّاهرة، بل أرادعليه السلام أنْ يُذكر معاوية بأنه لو كانت الإمامة تنعقد ببيعة المهاجرين والأنصار كما تدعون فقد بايعوني كلّهم طوعاً وإختياراً، ولم يتحقق الإجماع من قبل المهاجرين والأنصار علىٰ واحد من هؤلاء الثّلاثة مثل ماتحقق في بيعتهعليه السلام..

(٤) لماذا أصر الإمام عليّعليه السلام أنّ تكون بيعته علنية وفي المسجد وبرضىٰ المسلمين؟

---

(١) كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٢٩، ط القاهرة، شرح نهج البلاغة ضبط الدكتور صبحي الصّالح: ٣٦٦، شرح النّهج لابن أبي الحديد الكتاب السّادس باب كتب الإمام عليّ.

(٢) نهج البلاغة ضبط الدكتور صبحي الصّالح: ٢٤٧، خطبة: ١٧٣.

والجواب: ألا يُفهم من إصراره هذا بأنّ بيعة الخلفاء الثّلاثة لم تكن علنيه، بل تمت بالتآمر والسّرية، ولاتكون بيعة بهذا الشّكل، بل هي أشبه بما يسمىٰ بالانقلاب التّآمري، أو حسب الإتفاق الّذي تم بالسقيفة كما أوضحنا ذلك. أوَلا يُفهم منه أنّ البيعة لاتكون بالقهر والإجبار والسّيف، كما يدعي بعض، كالقلقشنديّ الّذي أعتبر، الإستيلاء بالقوة الطّريق الثّالث من الطُرق الّتي تنعقد فيها الإمامة حتىٰ ولو من غير عهد من الخليفة المتقدم، ولابيعة من أهل الحل والعقد، بل وإنْ لم يكن القائم بالسيف جامعاً لشرائط الخلافة بأنْ كان فاسقاً أو جاهلاً... فوجهان لأصحابنا الشّافعية، أصحهما: إنعقاد إمامتة أيضاً...، وقال الباجوريّ «... إستيلاء شخص ذي شوكة، متغلب، علىٰ الإمامة، ولو غير أهل لها: كصبي، وامرأة، وفاسق، وجاهل، فتنعقد إمامته...».[١] وقال ابن حزم: «... فإن مات الإمام... فوثب رجل يصلح للإمامة فبايعه واحد... فالحقّ حقه...»[٢] وقال الغزاليّ: «... فإذا نهض بالإمامة ـ شخص ـ ودعا إلىٰ نفسه، وكان له من القوة... بشوكته وكفايته، أنعقدت إمامته ووجبت طاعته».[٣] وقال التّفتازانيّ: «... والثّالث ـ القهر والإستيلاء... من غير بيعة وإستخلاف، وقهر النّاس لشوكته إنعقدت له الخلافة... وكذا إذا كان فاسقاً أو جاهلاً علىٰ الأظهر، إلّا أنه يعصي بما فعل».[٤] وقال أحمد الدّهلويّ: «... أو إستيلاء رجل... وتسلطه عليهم، كسائر الخلفاء بعد خلافة النّبوة»[٥] وقال الشّربينيّ: «... والطّريق الثّالث

---

(١) حاشية الباجوري علىٰ شرح الغزيّ ٢: ٢٥٩.

(٢) الفصل ٤: ١٦٩.

(٣) الإقتصاد في الإعتقاد: ٩٧.

(٤) شرح المقاصد ٢: ٢٧٢ و٥: ٢٣٣.

(٥) حجّة الله البالغة للدهلويّ: ٧٣٩.

بإستيلاء شخص متغلب علىٰ الإمامة... بقهر وغلبة بعد موت الإمام... أمّا الإستيلاء علىٰ الحيّ، فإن كان الحيّ متغلباً إنعقدت إمامة المتغلب عليه، وكذلك فاسق وجاهل... وإنْ كان عاصياً بذلك»[١]، بل زاد التّفتازانيّ والنّسفيّ علىٰ ذلك حتىٰ قالا: «ولا ينعزل الإمام بالفسق... والجور...».[٢] وورد في صحيح مسلم: «... يحرم الخروج علىٰ الإمام الجائر إجماعاً...»،[٣] وورد أيضاً: «... وأنّ الخروج علىٰ الأئمّة ـ أئمّة الجور ـ وقتالهم حرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين».[٤] وغير هؤلاء كثير ممن قال بذلك.[٥]

وهذا اللّون من الإستيلاء بالقوة علىٰ الخلافة هو من أبشع ألوان الاستبداد فأراد الإمام عليّ عليه السلام أنْ يُبينه لهؤلاء الّذين جاءوا إليه يطلبون البيعة له... بأنّ خلافة الثّلاثة هكذا تمت، وأنا لا أُريد مثل هذه البيعة الّتي تكون خلف السّتار ومن ورائها السّيف. ورغم كلّ هذا فقد بايع طلحة والزّبير طائعين غير مكرهين ولكنهما نقضا البيعة،[٦] وها هو سعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن عامر، وصهيب، وزيد بن ثابت، ومحمّد بن مسلمة، ومسلمة بن وقش، وأُسامة بن زيد لم يبايعوه[٧]، ولكن الإمام عليّ عليه السلام تركهم بدون بيعة ولم يجبرهم ولم يسلط السّيف

---

(١) مغني المحتاج ٤: ١٣٢.

(٢) شرح المقاصد ٥: ٢٥٧، شرح العقائد النّسفية: ١٨٠.

(٣) حاشية الباجوري علىٰ شرح الغزيّ ٢: ٢٥٩.

(٤) مغني المحتاج ٤: ١٣٠.

(٥) الأشباه والنّظائر: ٢٠٥، قول زين بن نجيم، مجمع الأنهر وملتقىٰ الأبحر ٢: ٦٩٩، المسامرة: ٢٧٨، مآثر الإنافة ١: ٧١.

(٦) البداية والنّهاية ٧: ٢٢٧، فتح الباريّ ١٣: ٥٤.

(٧) تأريخ الطّبريّ ٥: ١٥٥.

والسّيّاف عليهم، وكان عليه السلام بإمكانه ذلك، وهوالّذي رفض طلب عمار بن ياسر عندما قال له: «يا أميرالمؤمنين قد بايعك النّاس كافة إلّا هؤلاء النّفر فلو دعوتهم إلىٰ البيعة كي لا يتخلفوا في ذلك عن المهاجرين والأنصار»، فقال عليه السلام: «ياعمار لا حاجة لنا في مَن لا يرغب فينا». وقال لمالك الأشتر مثل هذا القول: «يامالك إني لأعرف بالناس منك دع هؤلاء يعملون برأيهم»[1]. الله أكبر كبيرا !فهل توجد أكثر من هذه الحرية والدّيمقراطية ـ إنْ صح التّعبير ـ في أعلىٰ وأرقىٰ الحضارات والبلدان في العالم القديم والمعاصر؟ ولكن، ولكن، ويالليتهم تركوه عليه السلام يوم السّقيفة، بل وصل بمعاوية الطّليق أنْ يُعيره فيها، فرد عليه السلام علىٰ معاوية بأنّ هذه منقبة له وليست منقصة كما يتصورها هو؛ لأنه ليس من ذلك المعدن الخبيث الّذي تلبس به ابن آكلة الأكباد، ولذا قال له: «... وزعمت أنّي لكل الخلفاء حسدت، وعلىٰ كلّهم بغيت، فإنْ يكن ذلك كذلك فليست الجناية عليك فيكون العذر إليك. وتلك شكاة ظاهر عنك عارها... وقلت: إني كنت أقاد كما يُقاد الجمل المخشوش حتىٰ أُبايع... ولعمرالله لقد أردتَ أنْ تذم فمدحت، وأنْ تفضح فافتضحت، وما علىٰ المسلم من غضاضة في أنْ يكون مظلوماً مالم يكن شاكاً في دينه، ولا مرتاباً بيقينه! وهذه حجتي إلىٰ غيرك قصدها، ولكني أطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها».[2]

ويالليتهم تركوه ولم يكشفوا، ولم يهاجموا، ولم يحرقوا بيته علىٰ ما فيه من بضعة المصطفىٰ فاطمة الزّهراء عليها السلام، وسيديّ شباب أهل الجنّة الحسن والحسين، حتىٰ أنّ الزّهراء هجرتهما ولم تكلمهما، بل بقيت واجدة عليهما حتىٰ اُستشهدت عليها السلام[3].

---

(١) شرح النّهج لابن أبي الحديد ١: ٧٤٦.

(٢) نهج البلاغة ضبط الدكتور صبحي الصّالح: ٣٨٧.

(٣) صحيح البخاريّ كتاب الخمس وغزوة خيبر، وغير ذلك كثير، سبق إستخراجه من فيض القدير ـ شرح

ثمّ بعد هذا يأتي شرح النّهج لابن أبي الحديد ويدافع عن الّذين لم يبايعوا عليّاً من السّبعة الّذين ذكرناهم بدءاً بسعد بن أبي وقاص، وانتهاءاً بأُسامة بن زيد... ويقول: إنّ هؤلاء لم يتخلفوا عن البيعة وإنّما تخلفوا عن الحرب...[1] ويقول اليعقوبيّ: «إنّ مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، والوليد بن عقبة، حضروا عند عليّ. فقال الوليد وكان لسان القوم: ياهذا إنك قد وترتنا جميعاً. أمّا أنا فقد قتلت أبي صبراً يوم بدر، وأمّا سعيد فقد قتلت أباه يوم بدر وكان أبوه ثور قريش، وأمّا مروان فقد شتمت أباه وعبت علىٰ عثمان حين ضمه إليه، وإنّا نُبايعك علىٰ أنْ تضع عنا ما أصابنا، وتعفي لنا عما في أيدينا، وتقتل قتلة صاحبنا. فغضب عليّ وقال: أمّا ماذكرت من وتري أياكم فالحقّ وتركم، وأمّا وضعي عنكم عما في أيديكم مما كان لله وللمسلمين فالعدل يسعكم، وأمّا قتلي قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لزمني قتالهم غداً. ولكن لكم أنْ أحملكم علىٰ كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فمن ضاق عليه الحقّ فالباطل عليه أضيق. وإنْ شئتم فالحقوا بملاحقكم».[2] أُنظر عزيزي القارىء إلىٰ هذا المنطق المتعجرف الّذي يُطالب الإمام بثارات يوم بدر، فهل تعتقد بأنّ مثل هذا الّذي يُطالب بهذه المطالب قد دخل الإسلام والإيمان في قلبه أم لكونه ـ كما قلنا سابقاً ـ في دائرة المنافقين؟ وإذا كان يُطالب الإمام اليوم ـ يوم البيعة ـ فلماذا لا يطالب بدم أبيه يوم كان رسول الله ﷺ علىٰ رأس السّلطة ويقضي له بالقضاء العادل الّذي لا تشوبه شائبه؟ و... و... وإذا لم يكن يستطيع في زمن رسول الله ﷺ فلماذا لا يُطالب بدم أبيه بعد أنْ تربع الأوّل والثّاني والثّالث علىٰ سدة

↔ الجامع الصّغير ٤: ٤٢١، المستدرك ٣: ١٥٤، مسند أحمد ٤: ٣٢٢.

(١) شرح النّهج ١: ٧٤٦.

(٢) تأريخ اليعقوبيّ ٢: ١٢٥.

الحُكم حتىٰ يقتصوا له من الإمام عليّ عليه السلام، وهو يعرف موقف هؤلاء الثّلاثة من عليّ عليه السلام؟ بل يحق لكل أولياء القتلىٰ من المشركين في بدر وأُحد والخندق... و... أنْ يرفعوا أمرهم إلىٰ أصحاب السّلطة للاقتصاص من عليّ عليه السلام ومن غيره؛ لأنه عليه السلام لم يقتل كلّ من قتل في هذه الحروب والغزوات علىٰ الرّغم من أنّ له عليه السلام النّصيب الأكبر في قتلىٰ المشركين والمنافقين و... و... ولكن سبحان الله قد تحققت مطالبهم في يوم كربلاء كما قالوا للإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء نطلب أباك بثارات يوم بدر وحنين... وفعلاً تحققت مطالبهم بقتله هو عليه السلام في داخل محرابه واستشهاده عليه السلام علىٰ أيديهم، وكذلك بسمهم للإمام الحسن عليه السلام واستشهاد كلّ العترة الطّاهرة حتىٰ قال قائلهم يوم عاشوراء لاتبقوا لأهل هذا البيت من باقية، لا من الكبار ولا من الصّغار حتىٰ الطّفل الرّضيع. وها هو شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: «إنّ بني أُميّة ليسوا بأعظم جُرماً من بني إسرائيل، فمعاوية حين أمر بسمّ الحسن فهو من باب قتال بعضهم بعضاً»[1]، ثمّ يقول: «ويزيد ليس بأعظم جرماً من بني إسرائيل، كان بنو إسرائيل يقتلون الأنبياء، وقتل الحسين ليس بأعظم من قتل الأنبياء».[2] و... و... إلخ.

ثمّ يُريد هؤلاء السّبعة من الإمام عليّ عليه السلام أنْ يبقىٰ ما في أيديهم من أموال المسلمين كما كانت في عهد عثمان الّذي قلب الموازين في بيت المال. فقد ذكر ابن عساكر أنّ عمرو بن العاص كان يلقح كروم بستان له بالطائف بألف ألف خشبة كلّ خشبة بدرهم، وكانت له دور كثيرة بمصر ودمشق وحرون والجابية. وكان لسعد بن أبي وقاص دار بناها بالعقيق، ورفع سمكها وأوسع فضاءها وجعل علىٰ

---

(١) منهاج السّنة ٢: ٢٢٥.

(٢) المصدر السّابق ٢: ٢٤٧.

أعلاها شرفات.[١] و... و... وروىٰ الطّبريّ أنّ طلحة والزّبير سألا عليّاًعليه السلام أنْ يؤمرهما علىٰ الكوفة والبصرة. وكان لهما أتباع فيهما، فقال عليّعليه السلام: «تكونان عندي فأتجمل بكما فإني وحش لفراقكما».[٢] وروىٰ ابن قتيبة، أنهما قالا: ولكنا بايعناك علىٰ أنّا شريكان في الأمر. فقال عليّ لا، ولكنكما شريكان في القوة والاستقامة والعون علىٰ العجز والأود[٣].

وقال طلحة بعد أنْ بايع النّاس عليّاً: «مالنا من هذا الأمر إلّا كلحسة أنف الكلب».[٤]

فإذا كان هذا حال الّذي بايع، فلماذا لايكون منطق الوليد وأصحابه الّذين لم يبايعوا أسوأ تصوراً من هذا في الأطماع الدّنيوية. وقد روي عن ابن عباس أنّ الإمام عليّاًعليه السلام خطب في اليوم الثّاني من بيعة النّاس له فقال: «ألا إنّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان وكلّ مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال... ولو وجدته قد تزوج به النّساء...».[٥] وروي أيضاً عنهعليه السلام أنه: «أمر بكل سلاح وجد في دار عثمان مما تقوىٰ به علىٰ المسلمين فقبض، وأمر بقبض كلّ ماكان في داره من إبل الصّدقة فقُبضت... وأمر أنْ ترتجع الأموال الّتي أجاز عثمان حيث أُصيب أو أُصيب أصحابها... فلما بلغ عمرو بن العاص ذلك وكان بأيلة من أرض الشّام كتب إلىٰ معاوية: « ما كنت صانعاً فاصنع، إذ قشرك ابن أبي طالب من كلّ مال

---

(١) تقدمت إستخراجاته.

(٢) تأريخ الطّبريّ ٥: ١٥٣.

(٣) الإمامة والسّياسة ١: ٥١.

(٤) تأريخ الطّبريّ ٥: ١٥٣.

(٥) شرح النّهج لابن أبي الحديد ١: ٢٢٠.

تملكه كما تقشر عن العصا لحاها...».[١] هذا عبدالله بن زمعة وهو من شيعته طلب منه مالاً فقال له الإمام عليّ عليه السلام: «إنّ هذا المال ليس ليّ ولا لك وإنّما هو فيء المسلمين»[٢]، فكيف يروق هذا المنطق الإلهي لأبناء الطّلقاء.

ثمّ أُنظر إلىٰ جواب الإمام عليّ عليه السلام لهم ـ أي السّبعة ـ وقارن بين المنطق الإسلامي والمنطق الجاهلي، ولذا قال الطّبريّ: «وهرب سعيد والوليد إلىٰ مكّة وتبعهم مروان»،[٣] وهرب قوم إلىٰ الشّام.[٤] مع العلم أنه اشترط عليهم في بداية بيعة النّاس له أنْ تكون مفاتيح بيت المال معه، واشترط أيضاً أنْ لا يأخذ منه درهماً ورضوا بذلك، وبهذا بيّن لهم أمرهم مسبقاً، وهذا من باب الحجّة، وهي من أسمىٰ معاني الحرية. ورغم ذلك تمت البيعة دون إكراه، وقالوا له مدّ يدك فإنه لا بد من أمير، وقال لهم: ليس ذلك لكم... وفعله هذا عكس فعل من سبقه حيث تأزّروا بالأُزُر، وأخذوا يهرولون وسيوفهم بأيديهم، وصاحبهم معهم ويأخذون يد كلّ من يلاقونه في الطّريق ويضعون يده في يد صاحبهم وإلّا علا السّيف هامته. فهل تبقىٰ حجّة لأهل البيعة والشّورىٰ، وأهل الحل والعقد، والعهد والإستيلاء بالقهر بعد هذا كله؟ وأين مكان البيعة من هذه العقابيل أيها القائلون بها؟ وهل عمر بن الخطاب وغيره من أهل السّقيفة وأهل الشّورىٰ أعطوا لأبي بكر أو لعمر ابن الخطاب ولعثمان ثمرة قلوبهم بعد أنْ أعطوا صفقة أيديهم طبقاً للحديث المروي عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النّبيّ صلى الله عليه وآله: «... ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة

---

(١) المصدر السّابق.

(٢) المصدر السّابق ٤: ٧٢.

(٣) تأريخ الطّبريّ ٥: ١٥٦، البداية والنّهاية ٧: ٢٢٧.

(٤) المصدران السّابقان ٥: ١٥٤ و٧: ٢٢٧.

يده، وثمرة قلبه... فليطعه إنْ استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنقه»؟ أم أنّ البيعة كما قال طلحة والزّبير أحدهما للآخر في بيعتهما للإمام بايعته أيدينا ولم تبايعه قلوبنا... فقيل للإمام عليّ عليه السلام ذلك فقال: «من نكث فإنّما ينكث علىٰ نفسه، ومن أوفىٰ بما عاهد الله عليه فسيؤتيه أجراً عظيماً».[١] وقول عليّ عليه السلام هذا يحمل علىٰ بيعة المعصوم المنصوص عليه، أمّا بيعة الخلفاء الثّلاثة كما أثبتنا سابقاً فليس بمنصوص عليها، فلذا كانت كما وصفها طلحة والزّبير بأنّ عمر أعطىٰ يده لأبي بكر ولم يعط ثمرة قلبه، ولذا قال إنّها فلتة. وكلّ أصحاب بيعة السّقيفة والعهد والشّورىٰ هكذا؛ لأنّها بيعة سياسية لاعلاقة لها في مجال التّشريع، بل تخالف الشّرع وتتعدىٰ حدود الله كما في رواية أبي عبيدة: «سيلي أُموركم من بعدي رجال يعرفونكم ماتنكرون، وينكرون عليكم ماتعرفون فلا طاعة لمن عصىٰ».[٢]

(٥) ألا يُفهم من كلامه السّابق عليه السلام أنّه مُقبل علىٰ أحداث خطيرة وكبيرة كما أخبره بها المصطفىٰ صلى الله عليه وآله قبل وفاته فأراد أنْ يعلم هؤلاء بأنّ بيعتهم له هي ليست كالبيعات السّابقه مجرد صفقة علىٰ اليد أو صفقة بيع تجاري، بل هي ميثاق. «والبيعة جاءت كفرع للولاية، فبعد أنْ كان المعصوم عليه السلام ولياً وكانت طاعته واجبة بايعه النّاس، فالبيعة لم توجب الولاية، بل العكس صحيح...».[٣] ولايجوز نقض هذا الميثاق بعد توفر الشّروط كما أوضحنا ذلك سابقاً في البيعة لغةً واصطلاحاً وشروط البيعة والمبايع والمبايع له... إلّا أنْ يأمر بمعصية، وحاشاه أنْ تصدر منه معصية؛ لأنه مع الحقّ والحقّ معه كما قال المصطفىٰ صلى الله عليه وآله: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع

---

(١) رواه ابن أبي شيبه في كنز العمّال ١١: ٢٣٥، والآية: ١٠ من سورة الفتح.

(٢) المصدر السّابق.

(٣) المرجعية والقيادة لآية الله السّيد كاظم الحائريّ: ٦٠.

عليّ يدور معه حيثما دار».[١] وقالﷺ: «أقضىٰ أُمتي عليّ»، وقال عمر بن الخطاب: «أقضانا عليّ»، وقال ابن مسعود: «أقضىٰ أهل المدينة عليّ بن أبي طالب».[٢]

إذاً هذه البيعة ليس كالبيعات السّابقة، فإذا حدث شيء وهو يعلم أنه سيحدث فالذي ينقض البيعة فقد ينكث علىٰ نفسه وقالعليه السلام: «لأنّها بيعة واحدة لايثنّىٰ فيها النّظر ولايستأنف فيها الخيار، الخارج منها طاعن والمرّويّ فيها مداهن»،[٣]

وقالعليه السلام: «..وأمّا حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة والنّصيحة في المشهد والمغيب...»[٤] وقال الإمام موسىٰ الكاظمعليه السلام: «... ثلاث موبقات: نكث الصّفقة، وترك السّنة، وفراق الجماعة»[٥]، وغير هذا كثير وهو يعلم كما أخبره المصطفىٰﷺ بقتال النّاكثين والمارقين والقاسطين... وهم أصحاب الجمل وأهل صفين والخوارج. قال ابن حجر العسقلانيّ عن عليّ بن ربيعة: سمعت عليّاً يقول علىٰ منبركم هذا: «عهد اليَّ النّبيّﷺ أنْ أُقاتل النّاكثين والقاسطين والمارقين»،[٦] وقال أيضاً عن عمار ابن ياسر: «أُمِرتُ بقتال النّاكثين والقاسطين والمارقين»،[٧] وقال الخوارزميّ في المناقب عن أبي سعيد التّميميّ عن عليّعليه السلام قال: «عهد اليَّ

---

(١) دلائل الصّدق ٢: ٣٠٣، ط إحياء التّراث بيروت.

(٢) هذه الأقوال في كتاب أخبار القضاة ١: ٨٨.

(٣) نهج البلاغة ضبط الدكتور صبحي الصّالح: ٣٦٧.

(٤) نهج البلاغة: ٧٩.

(٥) بحار الأنوار ٢: ٢٦٦.

(٦) المطالب العالية ٤: ٢٩٧ ح ٤٤٦٢.

(٧) المصدر السّابق ٤: ٢٩٧ ح ٤٤٦٣.

رسول الله ﷺ أنْ أُقاتل النّاكثين والقاسطين والمارقين» فقيل له: يا أمير المؤمنين مَنْ النّاكثون؟ قال «النّاكثون: أهل الجمل، المارقون الخوارج، القاسطون: أهل الشّام»[١]، وعن أبي أيوب الأنصاريّ في خلافة عمر بن الخطاب قال: «أمر رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب بقتال النّاكثين والقاسطين والمارقين».[٢] وغير ذلك كثير من الرّوايات الّتي تؤكد أنه ﷺ يُقاتل هؤلاء ولذا أمتنع في بداية الأمر من أنْ يُلبي طلب هؤلاء الّذين أرادوا أنْ يُبايعوه؛ لأنه يعلم بأن خلافته ستمر بأيام صعبة وفتن مظلمة، ويعلم أنّ بعضهم سينقض البيعة ويقاتله حسداً وبغضاً وكرهاً له، كما في نفس السّيدة عائشة وغيرها، وبعضهم لايعرف مكانته ﷺ من رسول الله ﷺ، فكيف يعمل مع هؤلاء؟ ورغم كلّ ذلك بيّن لهم الطّريق الشّائك، وأنّه أجابهم لما يريدون هم في البيعة لا مايريده هو، وفي هذا الحال من مثله لن يتراجع عما عهد إليه من النّبيّ ﷺ ولم يلتفت إلىٰ قول القائل منهم، ثمّ يخبرهم، إما أنْ يقبلوه بهذا الواقع أو أنْ يتركوه ويبحثوا عن غيره، كما فعلوا في السّابق، ولذا قال لهم: «دعوني وألتمسوا غيري، فإنكم ستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لاتقدم له القلوب ولاتثبت عليه العقول. وإنّ الآفاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت، واعلموا أنّي إنْ أجبتكم ركبت بكم ما اعلم ولم أصغ إلىٰ قول القائل وعتب العاتب، وإنْ تركتموني فأنا كأحدكم ولعليّ أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم وأنا لكم وزير خير لكم

---

(١) مناقب الخوارزميّ: ١١٠، ط النّجف الأشرف.

(٢) الحاكم في المستدرك ٣: ١٣٩، تأريخ ابن عساكر ترجمة الإمام عليّ ٣: ١٦٨ ح ١٢٠٥، المناقب للخوارزمي: ١٢٥، ميزان الإعتدال ١: ١٢٧، كنز العمّال ٦: ٨٢، الرّوض الأزهر: ٣٨٩ ط حيدر آباد، شرح المقاصد ٢: ٢١٧، تأريخ بغداد ٨: ٣٤٠، أرجح المطالب: ٦٠٢، فرائد السّمطين ١: ١٥٠، كفاية الطّالب: ١٦٩، ينابيع المودة: ١٢٨، شرح النّهج ٣: ٢٤٥، ط مصر تحقيق محمّد أبو الفضل.

مني أمير».[١] وقد قال فيه ﷺ: «إنّ الأُمّة ستغدر بك بعدي»،[٢] وقال فيه ﷺ: «إن فيكم من يُقاتل علىٰ التّأويل كما قاتلت علىٰ التّنزيل» قالوا: يارسول الله من هو؟ قال: «خاصف النّعل...».[٣]

ولسنا بصدد بيان كلّ ما جاء عنه ﷺ من الرّوايات الواردة بحقه عليه السلام من مناشدته في يوم السّقيفة إلىٰ مناشدته يوم الشّورىٰ، وكيف يُقاتل علىٰ التّأويل كما قاتل رسول الله ﷺ علىٰ التّنزيل، وكيف تغدر به الأُمّة بعد رسول الله ﷺ، وإنّما نحن بصدد كيفية توضيح الإمام عليّ عليه السلام للّذين جاءوا يبايعونه فأخبرهم بحالهم الماضي والحاضر والمستقبل. ومن المضحك المبكي هو خروج السّيدة عائشة باكية تقول قُتل عثمان رحمه الله، فقال لها عمار[٤]، وقيل عبيد ابن أُمّ كلاب[٥] بالأمس تحرضين عليه النّاس، واليوم تبكينه... وقول عمرو بن العاص وهو يومئذ في فلسطين عندما طلع عليه راكب من الحجاز فقال له: ماوراءك؟ قال: تركت عثمان محصوراً، فقال عمرو: قد يضرط العير والمكواة في النّار، ثمّ لبث أياماً، فطلع عليه راكب آخر فقال له عمرو: ماالخبر؟ قال: قُتل عثمان. قال: فما فعل النّاس؟ فقال: بايعوا عليّاً. قال: فما فعل عليّ في قتلة عثمان؟ قال: دخل عليه الوليد ابن عقبة فسأله عن

---

(١) تأريخ الطّبريّ ٥: ١٥٦، شرح النّهج لابن أبي الحديد ٢: ٥٩٧.

(٢) كنزالعمّال ٦: ١٥٧، الحاكم في المستدرك ٣: ١٤٧، ابن حجر في الأربعين حديثاً: ٧٤ ح ٣٠ و ٣١ باب ٩، منتخب الكنز بهامش مسند أحمد ٥: ٤٣٥، فضائل الخمسة ٣: ٥٢، ط بيروت، شرح النّهج ٦: ٥٤، ط مصر تحقيق محمّد أبو الفضل، تأريخ بغداد ١١: ٢١٦، البداية والنّهاية ٦: ٢١٨.

(٣) المصنف لابن أبي شيبة ١٢: ٦٤ ح ١٢١٣١، أُسد الغابة ٣: ٦٠٢ ح ٦١١١، دلائل النّبوة للبيهقي ٦: ٤٣٥، مسند أحمد ٣: ٨٢.

(٤) الإمامة والسّياسة ١: ٦٦.

(٥) الفتوح ٢: ٢٤٨، الطّبري ٥: ١٦٥، ابن الأثير ٣: ١٠٢.

قتلة عثمان. فقال: ما أمرت ولا نهيت، ولا سرني ولا ساءني. قال: فما فعل بقتلة عثمان! فقال: آوىٰ ولم يرض... فقال عمرو بن العاص: خلط والله أبو الحسن، ثمّ كتب عمرو بن العاص إلىٰ سعد بن أبي وقاص يسأله عن قتل عثمان ومن قتله ومن تولىٰ كبره؟ فكتب إليه سعد: إنك سألتني من قتل عثمان؟ وإني أخبرك أنّه قُتل بسيف سلته عائشه، وصقله طلحة، وسمه ابن أبي طالب، وسكت الزّبير وأشار بيده، وأمسكنا نحن، ولو شئنا لدفعنا عنه، ولكن عثمان غيّر وتغير، وأحسن وأساء، فإن كنا أحسنا فقد أحسنا، وإن كنا أسأنا فنستغفر الله، وأخبرك أنّ الزّبير مغلوب بغلبة أهله وبطلبه بذنبه، وطلحة لو يجد أنْ يشق بطنه من حبّ الإمارة لشقه...».[١] وقد خرج النّعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مضمخ بدمه[٢]، فورد به علىٰ معاوية فوضعه معاوية علىٰ المنبر ليراه النّاس... وأمر معاوية قراراً بأنّه لا يقرب الرّجال النّساء حتىٰ يأخذوا بثار عثمان[٣] وذكر ابن كثير: أنّ النّاس تباكوا حول القميص سنة واعتزلوا النّساء في هذا العام،[٤] وذكر ابن أعثم[٥] أنّ سعداً جاء إلىٰ عليّ عليه السلام وقال: «والله يا أميرالمؤمنين لاريب ليّ في أنك أحقّ النّاس بالخلافة وأنك أمين علىٰ الدّين والدّنيا غير أنّه سينازعك علىٰ هذا الأمر أُناس، فلو رغبت في بيعتي لك أعطني سيفاً له لسان يقول لي: خذ هذا ودع هذا. فقال عليّ عليه السلام أترىٰ أحداً خالف القرآن في القول والعمل؟ لقد بايعني المهاجرون والأنصار علىٰ أنْ أعمل فيهم بكتاب الله وسنّة نبيه فإنْ رغبت بايعت وإلّا جلست في دارك فإني

---

(١) الإمامة والسّياسة ١: ٦٦ و٦٧.

(٢) مروج الذّهب ٢: ٣٧٩.

(٣) المصدر السّابق.

(٤) المصدر السّابق.

(٥) البداية والنّهاية ٧: ٢٢٨.

لست مكرهك عليه...».[١]

(٦) أفبعد كلّ هذا وذاك يجوز الخروج علىٰ هذا الإمام الّذي يُعطي الفرصة ويفسح المجال لكل من يريد أنْ لا يُبايعه؟ أمّا الّذين جوزوا إلقاح الفتنة وشق عصا الطّاعة والخروج علىٰ إمام الزّمان وإيقاعه في محل الهلكة وتعريضه للقتل لأجل الطّلب بدم عثمان، مع العلم إنّ الّذين قتلوا عثمان هم ليسوا بالبصرة، بل إنهم في مصر أو الكوفة كما يدعون؟ ثمّ لماذا لم يقدموا من باشر بقتله إلىٰ العدالة؟ فإنْ لم يعطهم الإمام حقهم جاز لهم الخروج وإلّا فلا. أمّا إذا كانوا يريدون من قتل عثمان بالأعم من المباشر فهم أظهر من أعان علىٰ قتل عثمان لا سيما السّيدة عائشة وطلحة و... و... وها هو مروان قد تربص بطلحة وقتله يوم الجمل... بشهادة ابن عبد البر، واليعقوبيّ، وابن عساكر، وابن عبد ربه، وابن الأثير، وابن حجر، قالوا: «فلما اشتبكت الحرب قال مروان: لا أطلب بثاري بعد اليوم، ثمّ رماه بسهم فأصاب ركبته فما رقئ الدّم حتىٰ مات...».[٢] وهذا غلام جهينة قال لمحمّد بن طلحة، وكان محمّد رجلاً عابداً: أخبرني عن قتلة عثمان، فقال: نعم، دم عثمان ثلاثة أثلاث ثلث علىٰ صاحبة الهودج ـ يعني عائشة ـ وثلث علىٰ صاحب الجمل الأحمر ـ يعني طلحة ـ وثلث علىٰ عليّ بن أبي طالب، فضحك الغلام وقال: لا أراني علىٰ ضلال ولحق بعليّ وقال:

سألت ابن طلحة عن هالك بجوف المدينة لم يقبر

---

(١) الفتوح لابن أعثم: ١٦٣.

(٢) الاستيعاب: ٢٠٧، تأريخ اليعقوبيّ ٢: ١٥٨، التّهذيب لابن عساكر ٧: ٨٤، أُسد الغابة ٣: ٦٠، سير النّبلاء للذهبي ١: ٨٢، ابن حجر في الإصابة ٢: ٢٢٢، العقد الفريد ٤: ٣٢١، شرح النّهج ٢: ٤٣١، الطّبريّ ٥: ٢٠٤، الطّبقات الكبرىٰ ٣: ٢٢٣، المستدرك ٣: ٣٧١.

فـقال: ثـلاثة رهـط هـم أماتوا ابـن عـفان واسـتعبر
فثلث علىٰ تـلك في خـدرها وثـلث عـلىٰ راكب الأحمـر
وثلث عـلىٰ ابـن أبي طـالب ونحـن بـدوية قـرقر
فقلت صـدقت عـلىٰ الأوّلين وأخطأت في الثّالث الأزهـر

ثمّ إنّ طلحة والزّبير بايعا الإمام عليّاً عليه السلام طوعاً لاكرهاً كما ذكرنا أفلا يدل خروجهما بعد ذلك علىٰ أنّه طمعاً للدنيا والرّياسة والعداوة لا للطلب بدم عثمان؟ ألم يقل لهم الإمام عليّ عليه السلام عندما طلبوا البيعة: «... لا تفعلوا فإني أكون وزيراً خيراً من أنْ أكون أميراً»، وقال الحاكم في المستدرك: أصح الرّوايات أنه عليه السلام أمتنع عن البيعة إلىٰ أنْ دفن عثمان، ثمّ بويع علىٰ منبر رسول الله صلى الله عليه وآله ظاهراً وكان أوّل من بايعه طلحة فقال: «هذه بيعة تنكث»[1]، ألا يدل علىٰ أنهما يريدان الإمرة عندما كتب معاوية للزبير؟ حيث ذكر شرح النّهج لابن أبي الحديد قال: «كتب معاوية إلىٰ الزّبير: لعبدالله الزّبير أميرالمؤمنين سلام عليك، أمّا بعد فإني قد بايعت لك أهل الشّام فأجابوا واستوسقوا فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقك إليهما ابن أبي طالب فإنه لا شيء بعد هذين المصرين، وقد بايعت لطلحة بن عبيدالله بعدك، فأظهرا الطّلب بدم عثمان وادعوا النّاس إلىٰ ذلك وليكن منكما الجد والتّشمير».[2] فلما وصل الكتاب سرّبه واعلم به طلحة وأجمعا عند ذلك علىٰ خلاف عليّ عليه السلام.

والسّؤال الّذي يطرح نفسه ألم تكن السّيدة عائشة من أشد النّاس علىٰ عثمان حتىٰ إنّها أخرجت ثوباً من ثياب رسول الله صلى الله عليه وآله فنصبته في منزلها وكانت تقول

---

(١) مستدرك الحاكم ٣: ١١٤.

(٢) شرح النّهج ١: ٧٧.

للداخلين عليها: «هذا ثوب رسول الله لم يبل وعثمان قد أبلىٰ سنته؟»، حتىٰ قالوا أنّ أوّل من سمىٰ عثمان نعثلاً هي السّيدة عائشة... وكانت تقول: «اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً»[١]، ثمّ هي لم تشك في أنّ طلحة هو صاحب الأمر، وقالت بُعداً لنعثل وسحقاً إيه ذا الإصبع إيه أبا شبل إيه يا ابن عمّ، لكأني أنظر إلىٰ إصبعه وهو يبايع له، حثوا الإبل ودعدعوها... حتىٰ جاءها خبر البيعة لعليّ قالت لوددت أنّ السّماء انطبقت علىٰ الأرض،[٢] فماذا جرىٰ وحدث حتىٰ تغير رأي السّيدة عائشة؟ وما هو سبب هذا الاضطراب فتارةً تقول: اقتلوا نعثلاً، وتارةً تقول: ردّوني، ردّوني، وتارةً تقول: قُتل والله عثمان مظلوماً، والله لأطلبن بدمه! فقال لها ابن أُمّ كلاب: ولِمَ؟ فوالله إنّ أوّل من أمال حرفه لأنت، فلقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلاً فقد كفر، قالت: إنهم أستتابوه، ثمّ قتلوه، وقد قلت وقالوا، وقوليّ الأخير خير من قولي الأوّل، فقال لها ابن أُمّ كلاب:

فمنكِ البداء ومنكِ الغير ومنكِ الرّياح ومنكِ المطر

و أنتِ أمرت بقتل الإمام وقلتِ لنا أنّة قد كفر

وقد وصل بها الأمر بأنها كانت تقول: يامعشر قريش إنّ عثمان قد قتل، قتله عليّ بن أبي طالب، والله لأنملة ـ أو قالت لليلة ـ من عثمان خير من عليّ الدّهر كلّه،[٣] وفي رواية أُخرىٰ إنّها قالت: تعسوا، تعسوا، لا يردون الأمر في تيم أبداً.[٤]

٧. ألم يحذرها الرّسول الأكرمﷺ من الخروج، كما ورد عن أُمّ سلمة أنّها

---

(١) المصدر السّابق ٢: ٧٧.

(٢) المصدر السّابق، تأريخ الطّبريّ ١: ١٦٣ـ١٦٦، الكامل لابن الأثير ٣: ١٠٣.

(٣) أنساب الأشراف ٥: ٩١.

(٤) المصدر السّابق.

قالت: «ذكر النّبيّ خروج بعض أُمهات المؤمنين فضحكت عائشة فقال: « اُنظري يا حميراء أنْ لا تكوني أنت»،[١] وروىٰ الطّبريّ وابن الأثير قصة نباح كلاب الحوأب علىٰ السّيدة عائشة وإنّها لما عرفت الموضع صرخت بأعلىٰ صوتها وقالت: أنا والله صاحبة كلاب الحوأب فأناخت وأناخوا يوماً وليلة، فجاءها ابن الزّبير فقال النّجا النّجا، قد أدرككم عليّ بن أبي طالب فارتحلوا... وقال الطّبريّ وابن الأثير مالفظه: «وأقبل جارية بن قدامة فقال يا أُمّ المؤمنين لقتل عثمان بن عفان أهون من خروجك من بيتك علىٰ هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح، إنه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سترك وأبحت حرمتك، إنه من رأىٰ قتالك فإنه يرىٰ قتلك إنْ كنت أتيتينا طائعة فارجعي إلىٰ منزلك وإنْ كنت أتيتينا مستكرهة فاستعيني بالناس»، وقال الطّبريّ والحاكم في المستدرك: « ... سمعت الحسن يقول: جاء الزّبير وطلحة إلىٰ البصرة فقال لهم النّاس ماجاء بكم؟ قالوا: نطلب بدم عثمان، فقال الحسن: ياسبحان الله! فما كان للقوم عقول فيقولون والله ماقتل عثمان غيركم»[٢].

ولسنا بصدد بيان معركة الجمل وإنّما فقط نرىٰ سبب إقدام هؤلاء علىٰ حرب عليّ عليه السلام ونقض بيعتهم الّتي لاتُقدم ولاتؤخر في الميزان الشّرعي علىٰ النّص الإلهي ولكن نسأل أهل الخبرة وعلماء الإسلام أإنّ نقضهم للبيعة والمطالبة بدم عثمان حقّ شرعي أم أنّه تشهي؟ أم أنّه طلبٌ للإمارة والمال والجاه حتىٰ ماتوا علىٰ الخلاف وعدم التّوبة؟ أم أنهم أظهروا الطّلب بدم عثمان بعدما أراقوا دمه، ثمّ جعلوه وسيلة لأغراضهم الرّديئة والدّنيئة؟ ولو كانت البيعة منذ اليوم الأوّل لوفاة عثمان لطلحة أو

---

(١) كنز العمّال ٣: ١٢٠ و١١: ٣٣٤، الفتح الرّبانيّ ٢٣: ٣٤، صحيح البخاريّ ٤: ٣٣ و٨٤، جامع التّرمذيّ ٤: ٤٨٨.

(٢) المستدرك ٣: ١١٨.

الزّبير فهل كانت السّيدة عائشة تخرج مطالبة بدم عثمان؟ وطلحة والزّبير أو غيرهما من السّبعة لو نالوا وحصلوا علىٰ مايريدون من الدّنيا وحطامها من أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام أكانا ينكثان البيعة ويتجشمان هذه المهالك؟ ولا أدري هل حبّ الدّنيا الّذي هو رأس كلّ خطيئة كما قال الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله والتّعصب الّذي هو داء لا دواء له هو الّذي جعل طلحة والزّبير والسّيدة أُمّ المؤمنين عائشة والّتي رجعت إلىٰ المدينة وصدرها يغلي علىٰ عليّ عليه السلام كالمرجل وبقيت منطوية علىٰ غيظها عليه مدة خلافته القصيرة حتىٰ إذا جاء نعيه عليه السلام واستشهاده في محرابه هو الّذي جعلها تسجد شكراً لله وتظهر السّرور كما ذكر صاحب المقاتل[1]؟

أمّا معاوية بن أبي سفيان فلسنا بصدد دراسة حياته وأُسرته وإنّما بصدد بيان حاله قبل وبعد البيعة للإمام عليّ عليه السلام وكيفية تمرده علىٰ الإمام المفترض الطّاعة، ونكتفي بذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وآله عن عمار بن ياسر وكيف تقتله الفئة الباغية.

لما بويع عليّ عليه السلام ندم معاوية علىٰ مافرط في حقّ عثمان، ورأىٰ أنّ الخلافة زويت عنه فكتب إلىٰ طلحة والزّبير يمنيهما الخلافة كما ذكرنا ذلك سابقاً ويدفعهما إلىٰ قتال عليّ عليه السلام حتىٰ قُتلا بالبصرة[2] ولذا طلب معاوية من عليّ أنْ يجعل له الشّام ومصر جباية، لكن الإمام عليّ عليه السلام رفض ذلك وقال لجرير إنّ معاوية أراد ألا يكون ليّ في عُنقه بيعة وأنْ يختار من أمره ما أحبّ.[3] وروىٰ ابن كثير أنّ الوليد بن عقبة كتب إلىٰ معاوية يؤنبه ويلومه علىٰ ماكتب إلىٰ عليّ وسؤاله منه ولاية الشّام ومصر وقال: معاوية أنّ الشّام شامك فاعتصم... ولذا أخذ معاوية البيعة له من

---

(١) مقاتل الطّالبين: ٤٣.

(٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٥٢، شرح النّهج ٢: ٥٨٠.

(٣) المصدران السّابقان.

أهل الشّام مطالباً بدم عثمان، وجهز جيشاً لقتال عليّ فالتقىٰ بجيش عليّ في صفين سنة ست وثلاثين.[١] وطالت الحرب بينها مئة وعشرة أيام وبلغت الوقائع بينهما تسعين واقعة.[٢] وأخذ معاوية يرسل الغارات تلو الغارات علىٰ أطراف عليّ ويهلك الحرث والنّسل من قبل النّعمان بن بشير الأنصاريّ الخزرجيّ، وسفيان بن عوف، وعبدالله بن مسعدة، والضّحاك بن قيس، وبسر بن أرطأة، وغيرهم كثير. وكان مع عليّ عليه السلام الرّاوية والحجة بذاتها والّذي يدعو النّاس إلىٰ الجنّة وهم يدعونه إلىٰ النّار ألا وهو عمار بن ياسر الحجة الدّامغة علىٰ البغاة حيث قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: «ستقتلك الفئة الباغية وأنت علىٰ الحقّ، فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني».[٣] وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «ياعمار إنْ رأيت عليّاً قد سلك وادياً، وسلك النّاس وادياً غيره. فاسلك مع عليّ ودع النّاس. إنه لن يدلك علىٰ ردىء ولن يخرجك من الهدىٰ»[٤] فإنّ عماراً طريقه واضح وهو علىٰ الفطرة أيضاً، وأجاره الله من الشّيطان علىٰ لسان نبيه ومن عاداه فقد عادىٰ الله ومن أبغضه فقد أبغضه الله، وكان حذيفة يقول: «آمركم أنْ تلزموا عماراً...»[٥] وحديث عائشة «... فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله: يقول فيه: «لا يُخير بين أمرين إلّا أختار أرشدهما»[٦]. أبعد هذه الحجة الدّامغة توجد حجّة أُخرىٰ لتبرير قتال معاوية الإمام عليّاً عليه السلام الّذي كان في صفه عمار بن ياسر؟ ألم تكن الفئة الّتي قاتلها عمار هي الفئة الباغية الّتي

---

(١) البداية والنّهاية ٨: ١٢٩.

(٢) وقعة صفين: ٥٣٧، وشرح النّهج ٣: ٤٢٤.

(٣) كنزالعمّال ١١: ١٣٥.

(٤) كنزالعمّال ١١: ٦١٤.

(٥) مجمع الزّوائد ٧: ٢٤٣، و٩: ٢٩٥، الفتح الرّبانى ٢٢: ٣٣٠، المستدرك ٣: ٣٨٨، صحيح التّرمذى ٥: ٦٦٨.

(٦) مسند أحمد ٦: ١١٣، ط مصر.

يقودها معاوية؟ وها هو ابن عمر يقول: «ما آسي علىٰ شيء إلّا أني لم أقاتل الفئة الباغية».[١] وهل يصدق عاقل بعد هذا اعتذار معاوية بأنّ الّذي قتل عماراً من جاء به، فقال له ابن عباس فقد قتل رسول الله ﷺ حمزة؛ لأنه جاء به إلىٰ الكفار، فأية فائدة من صحبة معاوية ـ كما تدعون ـ لرسول الله ﷺ وهو من أكبر المنافقين لحربه؟ واستدامة بغضه لسيد المسلمين وأخي النّبيّ الأمين، وكان من المؤلفه قلوبهم؟

فمعاوية هو الّذي قتل عمار بن ياسر كما لا شك أنّه قُتل في صفين، ولا شك أنّ معاوية هو قائد الفئة الباغية، ولانزاع في هذا... ثمّ أين المصادر الموثقة الّتي تدعي بأنّ معاوية كاتب الوحي، بل من الثّابت أنّ الرّسول استكتبه علىٰ الصّدقات، بل قال شرح النّهج لابن أبي الحديد: «أنّ حنظلة بن الرّبيع التّيمي ومعاوية بن أبي سفيان كانا يكتبان له ـ لرسول الله ﷺ ـ إلىٰ الملوك وإلىٰ رؤساء القبائل ويكتبان حوائجه بين يديه...».[٢] ويستلزم من حديث: «عمار تقتله الفئة الباغية»، أنّ معاوية وأصحابه دعاة للنّار لاشتمال الحديث علىٰ ذلك وهو مستفيض الرّواية من البخاريّ في باب الجهاد بلفظ: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية عمار يدعوهم إلىٰ الله ويدعونه إلىٰ النّار»،[٣] ورواه أيضاً في كتاب الصّلاة بلفظ: «ويح عمار يدعوهم إلىٰ الجنّة ويدعونه إلىٰ النّار».[٤] هذا السّيوطيّ يذكر في اللّئالي المصنوعة حديثاً عن رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم معاوية علىٰ منبري فاقتلوه».[٥] وحديث: «لعن الله الرّاكب والقائد والسّائق».[٦] وهكذا اكتملت دائرة السّوء والبغي علىٰ ابن أبي

---

(١) سير أعلام النّبلاء ٣: ٢٣١، وفي لفظ آخر: «ما آسى علىٰ شيء فاتني إلّا أني لم أُقاتل مع علىٰ الفئة الباغية».

(٢) شرح النّهج م١: ١١٢.

(٣) باب مسح الغبار عن النّاس في السّبيل، الفتح الرّباني ٢٢: ٣٣١.

(٤) باب التّعاون في بناء المساجد، مجمع الزّوائد ٩: ١٣٤.

(٥) الحاكم في المستدرك ٣: ٤٥٩ و٤٦١، مسند أحمد ٣: ٨٩.

(٦) المصدران السّابقان، الإصابة ٤: ٥.

طالب، وجرت الويلات علىٰ الأُمّة، واتخذ بنو أُمّية عباد الله خولاً بعد أنْ اتخذوا دين الله دخلاً، ومال الله دولاً... حتىٰ وصل الأمر أنهم طلبوا البيعة ليزيد علىٰ أنّ يكون النّاس عبيداً له[١]، ورجعت البيعة علىٰ ماكانت عليه في عهد أبي بكر بالإكراه علىٰ أنهم عبيد ليزيد إنْ شاء باع وإنْ شاء أعتق، وإذا بايع أحدهم علىٰ كتاب الله وعلىٰ سنة رسول الله ﷺ، يؤمر بقتله ويضرب عنقه صبراً، وهتك مسرف ـ كما فعل ابن عقبة...».[٢] وروي أنّ عبد الله بن حنظلة ـ غسيل الملائكة ـ قال: «والله ما خرجنا علىٰ يزيد حتىٰ خفنا أنْ نرمىٰ بالحجارة من السّماء، إنه رجل ينكح أُمّهات الأولاد، والبنات، والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصّلاة».[٣] والنّتيجة أنّ معاوية لم يأت من قبل أهل الحل والعقد أو الشّورىٰ أو العهد، وإنّما جاء بالسيف، فهو نفسه القائل لابنة عثمان بن عفان: «يابنت أخي إنّ النّاس أعطونا سلطاننا فأظهرنا لهم حلماً تحته غضب، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد، فبعناهم هذا بهذا، وباعونا هذا بهذا... ومع كلّ إنسان منهم شيعة، وهو يرىٰ مكان شيعته فإنْ نكثناهم نكثوا بنا، ثمّ لا ندري أتكون لنا الدّائرة أم علينا»[٤].

ونختم حديثنا برواية الصّحابيّ واثلة عندما دخل علىٰ معاوية، فقال له معاوية ألست من قتلة عثمان؟ قال: لا، ولكني ممن حضره فلم ينصره. فقال: ومامنعك من نصره؟ قال: لم تنصره المهاجرون والأنصار. فقال معاوية: أما لقد كان حقه واجب عليهم أنْ ينصروه. قال: فمامنعك يا أميرالمؤمنين من نصره

---

(١) فتح الباري ١٣: ٧٠، مروج الذّهب ٣: ٨٥، كتاب المحن ١: ١٥٥، تأريخ الطّبريّ ٧: ١٣.

(٢) رسائل ابن حزم ٢: ١٤٠.

(٣) تأريخ الخلفاء ١: ١٩٥.

(٤) البداية والنّهاية ٨: ١٣٣.

ومعك أهل الشّام؟ فقال: أمّا طلبي بدمه نصرة له؟ فضحك أبو الطّفيل، ثمّ قال: أنت وعثمان كما قال الشّاعر:[1]

لا ألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي مازودتني زاداً

البيعة الكبرىٰ للإمام عليّ عليه السلام يوم الغدير:

كان من المفروض أنْ يكون هذا البحث ـ بيعة الأُمّة لعليّ عليه السلام في الغدير ـ هو في صدر البحوث السّابقة، أي قبل بيعة أبي بكر وعمر وعثمان، وبعد بيعة الأُمّة من المهاجرين والأنصار للرسول صلى الله عليه وآله، ولكن سيراً للتتابع التّأريخي بعد وفاة الرّسول الأعظم وقفنا مع بيعة الثّلاثة وكيف تمت السّقيفة، وولاية العهد، والشّورىٰ وعقابيلها، فارتأينا أنْ تكون بيعة الغدير هنا علىٰ الرّغم من أنّها سابقة علىٰ وفاة الرّسول صلى الله عليه وآله؛ لأنّها حدثت في زمنه صلى الله عليه وآله، وكذلك سابقه علىٰ كلّ التّقولات والتّخرصات من بيعة أبي بكر وشرعيتها بالإجماع، وبيعة عمر وشرعيتها بولاية العهد من الإمام السّابق، وبيعة عثمان وشرعيتها بالشورىٰ، الّتي أدت إلىٰ الدّكتاتورية الفردية ـ إنْ صح التّعبير ـ بيد عبد الرّحمن بن عوف، ثمّ تم الإجماع من قبل المهاجرين والأنصار والأُمّة علىٰ بيعة الإمام عليّ عليه السلام بالرغم من أنّ نصّ البيعة متقدم علىٰ هذه البيعة الّتي جاءت متأخرة، وهي كما قلنا لاتُبطل النّص ولاتؤدي إلىٰ إثباته أيضاً، بل إنّها تُعطي الإمام وتفسح له المجال في إقامة الحدود الشّرعية، ولذا نراها ـ البيعة ـ قد عطلت وشلت حركة الإمامة المعصومة من إقامة الحدود الشّرعية في زمن الثّلاثة الأوائل، ونحن قد بينا بيعة الأُمّة للإمام بعد مقتل عثمان، وهنا نُريد أنْ نُبين الشّرعية من خلال النّص؛ لأن الإمام عليه السلام كانت طاعته واجبة

---

(١) تأريخ الخلفاء ١: ١٨٧.

بعد وفاة المصطفىٰ ﷺ والبيعة كانت بعدها له عليه السلام وفي زمنه ﷺ وذلك في يوم الغدير الّذي فيه ثبت رسول الله ﷺ ولاية الإمام عليّ عليه السلام، ثمّ بعد ذلك طلب رسول الله ﷺ من النّاس أنْ يُبايعوه ولذا قال له عمر: «بخٍ بخٍ لك ياعليّ، أصبحت مولانا ومولىٰ كلّ مؤمن ومؤمنة» وفي رواية: «بخٍ بخٍ لكَ يابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولىٰ كلّ مؤمن ومؤمنة»، فلما سمع ذلك معاوية بن أبي سفيان، اتكأ علىٰ المغيرة ابن شعبة، وقام وهو يقول: لا نقر لعليّ بولاية، ولانصدق محمّداً في مقالة، فأنزل الله علىٰ نبيه: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَاصَلَّىٰ*وَلَـٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰٓ* أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾[1].

إذن الإجماع قائم علىٰ أنّ الرّسول ﷺ قد أدىٰ كلّ ماعهد إليه من التّبليغ، فلابد من أنْ يكون قد أدىٰ إلىٰ الأُمّة أمر الإمامة المعصومة، ولابد أيضاً من نصّ علىٰ الخليفة من بعده. والإماميّة يُثبتون وجود هذا النّص، وقد وضحنا سابقاً أنّ الإمامة واجبة علىٰ الله أم لا؟ وكذلك وضحنا بشكل بسيط المراد بالعصمة في الإمامة. وأبطلنا كذلك الطُرق الأُخرىٰ في تعيين الأمير، فلم يبق لدينا إلّا أنْ نبحث الطّريق الوحيد لتعيين الإمام ألا وهو النّص. والمرجع في تعيينه ليست السّلطة البشرية؛ لأن البشرية معرفتها محدودة وإدراكها لايتعدىٰ إلىٰ ماوراء الطّبيعة، ولذلك لانستطيع أنْ نُعين الحاكم المثالي الّذي يطمح الإسلام إلىٰ توفيره، وتكون إرادة الأُمّة هنا إرادة مريضة تخطىء القصد وتنحرف مهما كانت لها من الضّوابط، ومهما كانت بعيدة عن الرّواسب الجاهلية والرّوح العنصرية والقبلية. والواقع التّأريخي الّذي مرت به الأُمّة من خلال الأوّل إلىٰ اليوم ـ ماعدا الفترة

---

(١) القيامة: ٣١ ـ ٣٤، أُنظر الحاكم في شواهد التّنزيل ٢: ٢٩٥، ط١ وفي ط ٢ وج ٢: ٣٩٠ ح ١٠٤٠ و١٠٤١، تفسير فرات الكوفيّ: ١٩٥.

الزّمنية القصيرة جداً لخلافة الإمام عليّ عليه السلام ـ والّتي لم تسفسح له الفئات الباغية، والقاسطة والنّاكثة، والمارقة، والمنافقة، في الإصلاحات والأُطروحات والنّظريات الّتي كانت تدور في خلده وفكره لتطبيقها في المجتمع ـ شاهد صدق علىٰ مانقول؛ لأن المجتمع لا زال يحنّ إلىٰ الجاهلية والّتي كانت ولازالت تُهيمن علىٰ عقليته فتسيره حسب النّظم القبلية الفاسدة... والنّصوص الّتي أعتمد عليها الشّيعة كثيرة جداً، ولكننا نختصر المقام علىٰ المراد في هذا البحث وهو حديث الغدير الّذي نصّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر من الله علىٰ ولاية الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام من بعده وهذا الحديث واضح القصد والدّلالة كوضوح الشّمس في رابعة النّهار، ولكن بمجرد أنْ تجرد نفسك أيها المؤرخ، والباحث، والمحقق التّأريخي، عن العصبية المذهبية الّتي تدفع بك وبنا إلىٰ التّأويل والتّفسير والتّحوير وإيجاد المخارج والعثور علىٰ وساوس شيطانية تبعدك عن القصد والمراد. ونحن هنا نورد النّص من المصادر الموثقة الّتي يعتمد عليها أكثر أهل القبلة، ثمّ نطرح التّساؤلات الّتي أتبعناها سابقاً لنرىٰ مدىٰ أهمية البيعة الّتي تشبث بها المتشبثون، وأعطوا لها القوة والزّخم في تعيين الخليفة أو الإمام أو الحاكم، وغلّبوها علىٰ النّص، وهذا مما أدىٰ إلىٰ الاجتهاد الخاطىء في مقابل النّص...

اتفق المؤرخون وأرباب السّير أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عزم علىٰ الخروج إلىٰ الحج في السّنة العاشرة من الهجرة، وهي الحجّة المسماة بحجّة البلاغ، وحجّة التّمام[1] وحجّة الإسلام، وحجّة الكمال[2] وحجّةالوداع، وقد خرج صلى الله عليه وآله من المدينة المنورة يوم

---

(١) تأريخ الطّبريّ ٢: ٤٢٩، نسبة إلىٰ قوله تعالىٰ: ((..بلغ ما أُنزل إليك..))، المائدة: ٦٧، ونسبة إلىٰ قوله تعالىٰ: ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي..))، المائدة: ٣.

(٢) المصدر السّابق.

السّبت لخمس ليالٍ أو ست بقين من ذي القعدة، وقد خرج معه نساؤه جميعاً في هوادج، وسار معه أهل بيته وأغلب المهاجرين والأنصار، وماشاء الله من قبائل العرب وعشائرهم،[١] حتىٰ قدرت الجموع الّتي خرجت معه مابين (٩٠ ـ ١٢٤) ألفاً. أمّا الّذين حجوا معه فأكثر من ذلك بكثير، وذلك لالتحاق أهل اليمن الّذين قدموا مع عليّ عليه السلام وأبي موسىٰ الأشعريّ.[٢] فلما حجّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وقضىٰ مناسكه بمن معه، انصرف راجعاً إلىٰ المدينة المنورة، ومعه الجموع الّتي خرجت من المدينة وحولها. ولما صدر رسول الله صلى الله عليه وآله من حجّة الوداع[٣] نزلت عليه في اليوم الثّامن عشر من ذي الحجة[٤] آية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ...﴾[٥]، فنزل غدير خُم[٦] من الجحفة[٧] وكان يتشعب منها طريق المدينة ومصر والشّام،[٨] ووقف هناك حتىٰ لحقه من بعده وردّ من كان تقدم،[٩] ونهىٰ أصحابه عن سمرات

---

(١) طبقات ابن سعد ٣: ٢٢٥، إرشاد السّاريّ ٦: ٤٢٩، إمتاع المقريزيّ: ٥١٠.

(٢) السّيرة الحلبية ٣: ٢٨٣، السّيرة لأحمد دحلان ٣: ٣، تذكرة الخواص: ١٨، كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين لابن المطهر الحليّ: ٢٣٨.

(٣) مجمع الزّوائد ٩: ١٠٥.

(٤) الحاكم الحسكانيّ ١: ١٩٢.

(٥) المائدة: ٦٧.

(٦) هو موضع تصب فيه عين، وقيل: بئر من الميثب، حفرها مرّة بن كعب، وهو مابين مكّة والمدينة علىٰ ثلاثة أميال من الجحفة، وقيل: علىٰ ميل، وهناك مسجد للنبي صلى الله عليه وآله وقال الشّهيد في الذّكرىٰ: من المساجد الشّريفة مسجد الغدير وهو بقرب الجحفة جدرانه باقية إلىٰ اليوم. مراصد الإطلاع ١: ٤٨٢، سفينة البحار ٢: ٣٠٩، وقد ذكره الشّعراء في شعرهم، كحسان بن ثابت، والكميت، وأبي تمام، كما جاء في كتاب الغدير للعلاّمة الأميني في الجزء الأوّل، وسفينة البحار ٢: ٣٦٠.

(٧) مجمع الزّوائد ٩: ١٦٣، ابن كثير ٥: ٢٠٩.

(٨) معجم البلدان: مادة «الجحفة».

(٩) تأريخ ابن كثير ٥: ٢١٣.

متفرقات بالبطحاء أنْ ينزلوا تحتهن، ثمّ بعث اليهن فقمّ ماتحتهن من الشّوك،[١] ونادىٰ الصّلاة جامعة[٢] وعمد إليهنّ[٣] وظُلّلّ لرسول الله ﷺ بثوب علىٰ شجرة سمرة من الشّمس،[٤] فصلىٰ الظّهر بهجير،[٥] ثمّ قام خطيباً فحمد الله وأثنىٰ عليه وذكر ووعظ وقال ماشاء الله أنْ يقول، ثمّ قال: «أيها النّاس إني أوشك أنْ أُدعىٰ فأُجيب، وإني مسؤول، وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وجاهدت ونصحت فجزاك الله خيراً فقال: أليس تشهدون أنْ لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ جنته حقّ، وأنّ ناره حقّ، وأنّ الموت حقّ، وأنّ البعث حقّ بعد الموت، وأنّ السّاعة آتية لاريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذالك.[٦] قال: اللّهمّ اشهد. ثمّ قال: ألا تسمعون؟ قالوا: نعم. قال: يا أيها النّاس إني فرط وأنتم واردون عليّ الحوض، وإنّ عرضه مابين بصرىٰ إلىٰ صنعاء فيه عدد النّجوم قِدْحان من فضة، وإني سائلكم عن الثّقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»، فنادىٰ منادٍ: ومالثّقلان يارسول الله؟ قال: «كتاب الله، طرف بيدالله وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به، لاتضلوا ولاتبدلوا، وعترتي أهل بيتي، وقد نبأني اللّطيف الخبير أنهما لن يتفرقا حتىٰ يردا عليّ الحوض، سألت ذلك لهما ربي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولاتقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهما فهم اعلم منكم».[٧] ثمّ قال: «ألستم تعلمون أنّي أولىٰ بالمومنين من أنفسهم؟» قالوا:

---

(١) مجمع الزّوائد ٩: ١٠٥، ابن كثير ٥: ٢٠٩.

(٢) مسند أحمد ٤: ٢٨١.

(٣) مجمع الزّوائد ٩: ١٦٣.

(٤) مسند أحمد ٤: ٣٧٢، ابن كثير ٥: ٢١٢.

(٥) المصدران السّابقان.

(٦) الصّواعق المحرقة: ٢٥.

(٧) مجمع الزّوائد ٩: ١٦٢، المستدرك ٣: ١٠٩، ابن كثير ٥: ٢٠٩.

بلىٰ يا رسول الله.[١] قال: ألستم تعلمون ـ أو تشهدون ـ أنّي أولىٰ بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلىٰ يارسول الله.[٢] ثمّ أخذ بيد عليّ بن أبي طالب بضبعه فرفعها حتىٰ نظر النّاس إلىٰ بياض إبطيهما.[٣] ثمّ قال: «أيها النّاس الله مولاي وأنا مولاكم،[٤] فمن كنت مولاه: فهذا عليٌّ مولاه،[٥] اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه[٦]، وانصر من نصره واخذل من خذله[٧]، وأحِبَّ من أحبه، وابغض من أبغضه».[٨] ثمّ قال: «اللّهمّ اشهد»[٩]، ثمّ لم يتفرقا ـ رسول الله وعليّ ـ حتىٰ نزلت: ﴿...ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا...﴾[١٠]، فقال رسول الله ﷺ الله أكبر علىٰ إكمال الدّين، وإتمام النّعمة، ورضا الرّب برسالتي، والولاية لعليّ.[١١]

وهذه الآية هي آخر مانزل من القرآن الكريم بالمدينة يوم النّص علىٰ عليّ أميرالمؤمنين بغدير خُم كما يقول اليعقوبيّ[١٢]. .فلقيه عمر بن الخطاب بعد ذلك فقال

---

(١) مسند أحمد ١: ١١٨ و٤: ٢٨١، سنن ابن ماجة ١: ٤٣ ح ١١٦، ابن كثير ٥: ٢٠٩.

(٢) مسند أحمد ٤: ٢٨١ و٣٦٨، ابن كثير ٥: ٢٠٩.

(٣) الحاكم الحسكانيّ ١: ١٩٠ و١٩٣.

(٤) شواهد التّنزيل ١: ١٩١، ابن كثير ٥: ٢٠٩.

(٥) المصادر السّابقه كلّها.

(٦) مسند أحمد ١: ١١٨، و٤: ٢٨١ و ٣٧٠ و٥: ٣٤٧، مستدرك الحاكم ٣: ١٠٩ و١: ١٩٠ وتأريخ ابن كثير ٥: ٢٠٩.

(٧) مجمع الزّوائد ٩: ١٠٤، شواهد التّنزيل ١: ١٩٣، تأريخ ابن كثير ٥: ٢١٠، مسند أحمد ١: ١١٨.

(٨) شواهد التّنزيل ١: ١٩١، تأريخ ابن كثير ٥: ٢١٠.

(٩) شواهد التّنزيل ١: ١٩٠.

(١٠) المائدة: ٣.

(١١) الحاكم الحسكانيّ عن أبي سعيد الخدريّ ١: ١٥٧ ح ٢١١ و٢١٢، وعن أبي هريرة ١٥٨ ح ٢١٣، وتأريخ ابن كثير ٥: ٢١٤.

(١٢) تأريخ اليعقوبيّ ٢: ٤٣.

له: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولىٰ كلّ مؤمن ومؤمنة.[١] وفي رواية قال له: «بخٍ بخٍ لك يا ابن أبي طالب»[٢] وفي رواية أُخرىٰ قال له: «هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولىٰ كلّ مؤمن ومؤمنة»[٣].

وقد أخرج الطّبرانيّ وغيره بسند مجمع علىٰ صحته عن زيد بن أرقم حديث الغدير، وكذلك عن حذيفة بن أُسيد الغفاريّ. وأخرجه الإمام أحمد عن زيد، والحاكم من المستدرك مصرحاً بصحته، والذّهبيّ والنّسائيّ ومسلم و... و... وسنشير إلىٰ هذه المصادر عند التّساؤلات إن شاء الله تعالىٰ.

(١) هل إنَّ حديث الغدير قد روي عن طريق الشّيعة فقط وفقط؟ أم أنه روي عن طريق أهل السّنة أيضاً؟

فإذا كان الجواب بالأوّل فمن حقكم أنْ تقولوا: إنّ طريق وحديث الخصم ليس حجّة علينا، بل حجّة عليهم! أمّا إذا كان الجواب بالثاني، فنحن نحتج عليكم بهذا الحديث لصحته عندكم ومن طرقكم، فإلزاماً لكم أنْ تلتزموا بما ألزمتم به أنفسكم؟ وإلّا إذا لم تلتزموا فعليكم إسقاط كلّ ماورد من طريقكم، وإنْ لم يكن كذلك فهو خُلف للفرض وللمنطق الاستدلاليّ والعقليّ. وقد نصّ بعض علمائكم علىٰ صحته كما نصّ غير واحد منهم علىٰ تواتره:

أ. وممن نصّ علىٰ صحته من أئمة الحديث عندكم:

١. قال التّرمذيّ «ت ٢٧٩ هـ» في صحيحه بعد أنْ خرجه...: «هذا حديث حسن صحيح»[٤].

---

(١) مسند أحمد ٤: ٢٨١، تأريخ ابن كثير ٥: ٢٠١.

(٢) شواهد التّنزيل ١: ١٥٧.

(٣) مسند أحمد ٤: ٢٨١، الرّياض النّضرة ٢: ١٦٩، تأريخ ابن كثير ٥: ٢١٠.

(٤) صحيح التّرمذيّ ٢: ٢٩٨.

٢. قال ابن كثير «ت ٧٧٤ هـ» في تأريخه بعد أنْ ذكر الحديث: «قال شيخنا أبو عبدالله الذّهبيّ: هذاحديث صحيح»[١].

٣. قال أبو جعفر الطّحاويّ «ت ٢٧٩ هـ» في مشكل الآثار بعد أنْ روىٰ الحديث: «فهذا الحديث صحيح الإسناد، ولاطعن لأحد في رواته».[٢]

٤. قال القرطبيّ ـ ابن عبد البرّ ـ «ت ٣٦٤ هـ» في الاستيعاب بعد أنْ ذكر عدة أحاديث منها حديث الغدير: «هذه كلّها آثار ثابتة».[٣]

٥. قال الذّهبيّ «ت ٧٤٨ هـ» في تلخيص المستدرك: «إنه وافق الحاكم علىٰ تصحيحه كما نقل ذلك عنه ابن كثير».[٤]

٦. قال الحاكم النّيسابوريّ «ت ٤٠٥ هـ» في المستدرك علىٰ الصّحيحين بعد أنْ أخرجه بعدة طرق وصححّها: «إنه صحيح علىٰ شرط الشّيخين».[٥]

٧. قال ابن حجر العسقلانيّ «ت ٨٥٢ هـ» في فتح الباري: «وأمّا حديث من كنت مولاه فعلي مولاه، فقد أخرجه التّرمذيّ والنّسائيّ، وهو كثير الطُرق جداً، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان».[٦] وقال ابن حجر أيضاً في تهذيب التّهذيب بترجمة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب: «صح حديث الموالاة واعتنىٰ بجمع طرقه أبو العباس بن عقدة فأخرجه من

---

(١) تأريخ ابن كثير ٥: ٢٠٩.

(٢) مشكل الآثار ٢: ٣٠٨.

(٣) الاستيعاب ٢: ٢٧٣.

(٤) تلخيص المستدرك ٣: ١٠٩.

(٥) مستدرك الحاكم ٣: ١٠٩.

(٦) فتح الباريّ ٧: ٦١.

حديث سبعين صحابياً أو أكثر، وقد جمعه ابن جرير الطّبريّ في مؤلف».

وقال ابن حجر في الإصابة بترجمة أبي قدامة الأنصاريّ: «ذكره أبو العباس ابن عقدة في كتاب الموالاة الّذي جمع فيه طرق حديث من كنت مولاه، فأخرج فيه من طريق محمّد بن كثير عن قطر عن أبي الطّفيل قال: كنا عند عليّ بن أبي طالب فقال أنشدكم الله من شهد يوم غدير خمّ؟ فقام سبعة عشر رجلاً منهم أبو قدامة الأنصاريّ فشهدوا أنّ رسول الله ﷺ قال ذلك».

٨. قال ابن حجر المكيّ «ت ٩٧٤ هـ» في الصّواعق المحرقة بعد أنْ ذكره: «إنه حديث صحيح لا مرية فيه، وقد أخرجه جماعة، كالترمذيّ والنّسائيّ وأحمد، فطرقه كثيرة جداً، ومن ثمّ رواه ستة عشر صحابياً. وفي رواية أحمد: إنه سمعه من النّبيّ ثلاثون صحابياً، وشهدوا به لعليّ بن أبي طالب لما نوزع أيام خلافته... وكثير من أسانيده صحاح حسان، ولا التّفات لمن قدح في صحته، ولا لمن ردّه بأنّ عليّاً كان باليمن، لثبوت رجوعه منها»[1].

٩. قال المناويّ «ت ١٠١٣ هـ» في فيض القدير: «قال ابن حجر: حديث كثير الطّرق جداً، قد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، منها صحاح ومنها حسان».[2]

١٠. قال عليّ القاريّ «ت ١٠١٤ هـ» في المرقاة في شرح المشكاة بعد أنْ روىٰ الحديث «والحاصل: إنّ هذا حديث صحيح لا مرية فيه، بل بعض الحفاظ عدّه متواتراً... فلا التّفات لمن قدح في ثبوت هذا الحديث، وأبعد من ردّه بأنّ عليّاً كان باليمن».[3]

---

(١) الصّواعق المحرقة: ٢٥.

(٢) فيض القدير ٦: ٢١٨.

(٣) المرقاة في شرح المشكاة ١ج ٥: ٥٦٨.

١١. ورواه أحمد في مسنده عن البراء بن عازب من طريقين رجالهما رجال صحيح ابن مسلم وأكثرهم من رجال صحيح البخاريّ.[١]

١٢. ورواه صاحب الكنز بلفظ: «قال البيهقيّ رجال سنده ثقات، قال ابن حجر ولكنهم شيعة»[٢] الله أكبر كبيراً! كبر مقتاً عند الله أنْ تقولوا ما لا تفعلون؟ قبل قليل يصحح الحديث، ثمّ بعد ذلك يوثقه ويعتبره مشهوراً، ثمّ يجعل محل التّهمة أنّ الرّواة شيعة، وسنثبت له بأنّ أكثر الرّواة ليسوا من الشّيعة، كأبي هريرة الدّوسيّ، وأنس بن مالك، وزيد بن أرقم، وسعد بن أبي وقاص، وعمر بن الخطاب، و... و... لكن أبت عفة ابن حجر وأمثاله أنْ يسمعوا هذا الحديث وفيه تنصيب عليّ بن أبي طالب للخلافة بعد رسول اللهﷺ، بل أبوا أنْ يسمعوا أية فضيلة لإمام المتقين إلّا ووجهوا سهامهم نحوها، فكيف بهذا النّص الجليّ. ولكن أرادوا أنْ يكونوا محلاً لدعاء رسول اللهﷺ من حيثُ يشعرون أو لا يشعرون وهو قولهﷺ: «واخذل من خذله» ولسنا بصدد بيان كلّ ماجاء عن طُرق السُّنة في صحة حديث الغدير فمن أراد المزيد فليراجع كتاب «الغدير في الكتاب والسّنة والأدب»، للعلاّمة الجليل الشّيخ عبد الحسين الأميني «ت ١٣٩٠ هـ».

ب. وممن نصّ على تواتره من أهل السّنه أيضاً كثير وكثير جداً ولكن نكتفي بذكر البعض منهم على سبيل المثال لا الحصر:

١. شمس الدّين الذّهبيّ والّذي نقل كلامه بتواتر حديث الغدير ابن كثير في تأريخه.[٣]

---

(١) مسند أحمد ٢ ج ٤: ٣٨١.

(٢) كنز العمّال ٦: ٥٦٨.

(٣) تأريخ ابن كثير ٥: ٢١٣.

٢. ابن كثير الدّمشقيّ في تأريخه حيث قال: «... الحديث متواتر أتيقن أنّ رسول الله قاله».[١]

٣. ابن الجزريّ «ت ٨٣٣ هـ» في أسنىٰ المطالب قال: «صحيح عن وجوه كثيرة، متواتر عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وهو متواتر أيضاً عن النّبيّ ﷺ، رواه الجمّ الغفير عن الجمّ الغفير، ولا عبرة بمن حاول تضعيفه ممن لا إطلاع له في هذا العلم... وصح عن جماعة ممن يحصل القطع بخبرهم».[٢]

٤. جلال الدّين السّيوطيّ الشّافعيّ «ت ٩١٠ هـ» في الفوائد المتكاثرة في الأخبار المتواترة، وفي الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة، ونقل كلامه العلاّمة المناويّ في التّيسير في شرح الجامع الصّغير قائلاً: «قال: حديث متواتر»[٣] ونقل كلام السّيوطيّ أيضاً العلاّمة العزيزيّ في شرح الجامع الصّغير،[٤] والملا عليّ القاريّ الحنفيّ في المرقاة شرح المشكاة،[٥] وجمال الدّين الشّيرازيّ في كتابه الأربعين، كما ذكر صاحب عبقات الأنوار[٦] والميرزا مخدوم بن مير عبد الباقي في النّواقض علىٰ الرّوافض[٧] و... و... وقال الجزريّ الشّافعيّ في رسالته أسنىٰ المطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب تواتره من طرق كثيره... ونسب منكره إلىٰ الجهل والعصبية.

---

(١) تأريخ ابن كثير ٥: ٢١٣.

(٢) أسنىٰ المطالب: ٣و٤.

(٣) الفوائد المتكاثرة ٢: ٤٤٢.

(٤) الجامع الصّغير ٣: ٣٦٠.

(٥) المرقاة شرح المشكاة ٥: ٥٦٨.

(٦) عبقات الأنوار ٦: ١٢٣.

(٧) المصدر السّابق ٦: ١٢١.

وكيف لايكون متواتراً وقد زادت طُرقه علىٰ مئة عندهم، ورواه سبعون صحابياً أو أكثر، وها هو الطّبريّ قد أفرد له كتاباً سماه «الولاية»، وأخرجه من خمسة وسبعين طريقاً. وأمّا ابن عُقدة فإنه أخرجه من مئة وخمسة طرق وأفرد له كتاباً سماه «الموالاة»،[١] وأشار إلىٰ الكتابين ابن حجر العسقلانيّ في تهذيب التّهذيب بترجمة أميرالمؤمنين، ورواه أحمد بن حنبل من أربعين طريقاً،[٢] والجزريّ المقريّ من ثمانين طريقاً،[٣] والسّجستانيّ من مئة وعشرين طريقاً،[٤] والجعابيّ من مئة وخمس وعشرين طريقاً،[٥] ومحمّد اليمنيّ من مئة وخمسين طريقاً،[٦] والعطار الهمدانيّ من مئتين وخمسين طريقاً،[٧] و... و... والنّسائيّ عن زيد بن أرقم،[٨] وعن عائشة بنت سعد،[٩] وفي السّنن لايُحصىٰ؛ لأنّها كثيرة ولا يمكن الإحاطة بها ولايمكن ضبط كلّ ماجاء بها وهي صريحة بأنّه عليه السلام ولي عهده وصاحب الأمر من بعده صلى الله عليه وآله.

ويظهر لنا أنّ رواة الحديث كثيرون جداً ولايمكن عدّهم جميعاً، بل نكتفي بذكر قسم منهم علىٰ سبيل المثال لا الحصر:

---

(١) الكتاب نفسه والطّرائف للسيد بن طاووس: ١٤٠، الغدير ١: ١٥٣.

(٢) مسند أحمد ٤: ٣٧٢، ومابعدها.

(٣) أسنىٰ المطالب: ٣، ومابعدها.

(٤) الغدير للأميني ١: ١٤.

(٥) المصدر السّابق.

(٦) المصدر السّابق.

(٧) المصدر السّابق ١: ١٥٨.

(٨) الخصائص العلوية: ٢١.

(٩) المصدر السّابق: ٤ و ٢٥.

١. أبو هريرة الدّوسيّ «ت ٥٧ أو ٥٨ أو ٥٩ هـ»، ويوجد حديثه مسنداً في تأريخ الخطيب البغداديّ ٨: ٢٩٠، وتهذيب الكمال للمزيّ، وتهذيب التّهذيب ٧: ٣٢٧، ومناقب الخوارزميّ: ١٣٠، وأسنىٰ المطالب للجزريّ: ٣، الدّر المنثور للسيوطيّ ٢: ٢٥٩، كنز العمّال ٦: ١٥٤، تأريخ الخلفاء: ١١٤، نُزل الأبرار: ٢٠، البداية والنّهاية ٥: ٢١٤، الاستيعاب ٢: ٤٧٣.

٢. أبو ليلىٰ الأنصاريّ قُتل بصفين «٣٧ هـ»، يوجد حديثه مسنداً في الخوارزميّ: ٣٥، تأريخ الخلفاء: ١١٤.

٣. أبو زينب بن عوف الأنصاريّ يوجد حديثه في أُسد الغابة ٣: ٣٠٧، الإصابة ٣: ٤٠٨.

٤. أبو فضالة الأنصاريّ قُتل يوم صفين «٣٧ هـ».

٥. أبو قدامة بن سهل بن الحارث الأنصاريّ، يوجد حديثه في أُسد الغابة ٥: ٣٧٦، الإصابة ٤: ١٥٩.

٦. أبو عمرة بن عمرو بن محصن الأنصاريّ.

٧. أبو الهيثم بن التّيهان قُتل بصفين «٣٧ هـ».

٨. أبو رافع القبطيّ مولىٰ رسول الله ﷺ.

٩. أبو ذويب خويلد الشّاعر الجاهليّ الإسلاميّ.

١٠. أبو بكر بن أبي قُحافة التّيميّ «ت ١٣ هـ»، أُنظر حديثه في أسنىٰ المطالب: ٣، ابن عقدة في حديث الولاية.

١١. أُسامة بن زيد بن حارثة الكلبيّ «ت ٥٤ هـ».

١٢. أُبي بن كعب الأنصاريّ سيد القراء «ت ٣٢ هـ».

١٣. أسعد بن زرارة الأنصاريّ.

١٤. أسماء بنت عميس الخثعمية.

١٥. أُمّ سلمة زوج الرّسول الكريم ﷺ.

١٦. أُمّ هاني بنت أبي طالب.

١٧. أبو حمزة أنس بن مالك الأنصاريّ «ت ٩٣ هـ»، يوجد حديثه في تأريخ الخطيب البغداديّ ٧: ٣٧٧، المعارف: ٢٩١، تأريخ الخلفاء: ١١٤، كنز العمّال ٦: ١٥٤، نُزل الأبرار للبدخشيّ: ٢٠، أسنىٰ المطالب: ٤.

١٨. البراء بن عازب الأنصاريّ «ت ٧٢ هـ»، يوجد حديثه في مسند أحمد ٤: ٢٨١، سنن ابن ماجة ١: ٢٨، خصائص النّسائيّ: ١٦، تأريخ بغداد ١٤: ٢٣٦، تفسير الطّبريّ ٣: ٤٢٨، الاستيعاب ٢: ٤٧٣، الرّياض النّضره ٢: ١٦٩، المناقب للخوارزميّ: ٩٤، الفصول المهمة لابن الصّباغ المالكيّ: ٢٥، ذخائر العقبىٰ: ٦٧٧، كفاية الطّالب: ١٤، تفسير الفخرالرّازيّ ٣: ٦٣٦، تفسير النّيسابوريّ ٦: ١٩٤، نُظم درر السّمطين للزرنديّ، والجامع الصّغير ٢: ٥٥٥، مشكاة المصابيح: ٥٥٧، كنز العمّال ٦: ١٥٢، البداية والنّهاية ٥: ٢٠٩، الخطط للمقريزيّ ٢: ٢٢٢، روح المعاني ٢: ٣٥٠، تفسير المنار ٦: ٤٦٤.

١٩. بُريده بن الحصيب أبو سهل الأسلمي «ت ٦٣ هـ»، يوجد حديثه في المستدرك ٣: ١١٠، حلية الأولياء ٤: ٢٣، الاستيعاب ٢: ٤٧٣، أسنىٰ المطالب: ٣، تأريخ الخلفاء: ١١٤، الجامع الصّغير ٢: ٥٥٥، كنز العمّال ٦: ٣٩٧، مفتاح النّجا ونزل الأبرار: ٢٠، تفسير المنار ٦: ٤٦٤.

٢٠. أبو سعيد ثابت بن وديعة الأنصاريّ.

٢١. جابر بن عبد الله الأنصاريّ «ت ٧٣ أو ٧٤ أو ٧٥ أو ٧٨ هـ»، يوجد حديثه في الاستيعاب ٢: ٤٧٣، تهذيب التّهذيب ٧: ٣٣٧، كفاية الطّالب: ١٦،

البداية والنّهاية ٥: ٢٠٩، كنز العمّال ٥: ٣٩٨، ينابيع المودة: ٤١، العمدة لابن البطريق: ٥٣، أسنىٰ المطالب: ٣، تأريخ آل محمّد للقاضي: ٦٧.

٢٢. جابر بن سمرة بن جنادة أبو سليمان السّوائيّ «ت ٧٤هـ»، يوجد حديثه في الكنز ٦: ٣٩٨.

٢٣. جرير بن عبد الله بن جابر البجليّ «ت ٥١ أو ٥٤ هـ»، يوجد حديثه في مجمع الزّوائد ٩: ١٠٦، تأريخ الخلفاء: ١١٤، البداية والنّهاية ٧: ٣٤٩، كنز العمّال ٦: ١٤٥ و ٣٩٩.

٢٤. أبو ذر جُندب بن جنادة الغفاريّ «ت ٣١هـ»، يوجد حديثه في أسنىٰ المطالب: ٤.

٢٥. أبو جنيدة جندع بن عمرو بن مازن الأنصاريّ يوجد حديثه في أُسد الغابة ١: ٣٠٨، تأريخ آل محمّد: ٦٧.

٢٦. حبة بن جوين العرنيّ «ت ٧٦ ـ ٧٩هـ»، يوجد حديثه في مجمع الزّوائد ٩: ١٠٣، تأريخ بغداد ٨: ٢٧٦، أُسد الغابة ١: ٣٦٧، الكنىٰ والأسماء للدولابيّ ٢: ٨٨، الإصابة ١: ٣٧٢، ينابيع المودة: ٣٤.

٢٧. حذيفة بن أسيد الغفاري من أصحاب الشّجرة «ت ٤٠ـ٤٢هـ»، يوجد حديثه في ينابيع المودة: ٣٨، صحيح التّرمذيّ ٢: ٢٩٨، والفصول المهمة لابن الصّباغ: ٢٥، البداية والنّهاية ٥: ٢٠٩ و٧: ٣٤٨، الصّواعق المحرقة: ٢٥، السّيرة الحلبية ٣: ٣٠١، مجمع الزّوائد ٩: ١٦٥، نُزل الأبرار: ١٨، أخبار الدّول للقرمانيّ: ١٨و ١٢٠، تأريخ الخلفاء: ١١٤، تأريخ آل محمّد: ٦٨.

٢٨. أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاريّ استشهد «سنة ٥٠ ـ٥١ ـ٥٤ هـ»، يوجد حديثه في الرّياض النّضرة ٢: ١٦٩، أُسدالغابة ٥: ٦ و٣: ٣٠٧ و ٥: ٢٠٥،

البداية والنّهاية ٥: ٢٠٩، تأريخ الخلفاء: ١١٤ كنز العمال ٢: ١٥٤، الإصابة ٧: ٧٨٠ و٦: ٢٢٣ و ٢: ٤٠٨، نُزل الأبرار: ٢٠.

٢٩. زيد بن أرقم الأنصاريّ الخزرجيّ «ت٦٦ ـ ٦٨ هـ»، يوجد حديثه في مسند أحمد ٤: ٣٦٨ و ٣٧٢ و١: ١١٨، حضائص النّسائيّ: ١٥، في المستدرك ٣: ١٠٩، الرّياض النّضرة ٢: ١٦٩، تخليص الذّهبيّ ٣: ٥٣٣، وصححه، ميزان الإعتدال ٣: ٢٢٤، الفصول المهمة: ٢٤، مطالب السّؤول: ١٦، مجمع الزّوائد ٩: ١٠٤ تأريخ الخلفاء: ١١٤، الجامع االصّغير ٢: ٥٥٥، تهذيب التّهذيب ٧: ٣٣٧، رياض الصّالحين: ١٥٢، البيان والتّعريف ٢: ١٣٦، كنز العمّال ٦: ١٥٢.

٣٠. أبوإسحاق سعد بن أبي وقاص «ت ٥٤ أو ٥٥ أو ٥٦ أو٥٨ هـ»، يوجد حديثه في خصائص النّسائيّ: ٣ و٤ و١٨ و٢٥، والعمدة: ٤٨، وابن ماجة في السّنن ١: ٣٠، والمستدرك ٣: ١١٦، مجمع الزّوائد ٩: ١٠٧، البداية والنّهاية ٥: ٢١٢، تأريخ الخلفاء: ١١٤، كنز العمال ٦: ١٥٤، نُزل الأبرار: ٢٠.

٣١. طلحة بن عبيد الله التّيميّ المقتول يوم الجمل في صف عائشة ضد الإمام عليّ عليه السلام سنة «٣٦هـ»، المعروف بعدائه للإمام ورغم كلّ ذلك شهد لأمير المؤمنين يوم الجمل بحديث الغدير فكيف يدعي ابن حجر بأنّ رواة حديث الغدير من الشّيعة فقط؟ يوجد حديثه في مروج الذّهب ٢: ١١، المستدرك ٣: ١٧١ و١٥٤، المناقب للخوارزميّ: ١١٢، مجمع الزّوائد ٩: ١٠٧، تهذيب التّهذيب ١: ٣٩١، كنز العمال ٦: ٨٣، البداية والنّهاية ٧: ٣٤٢، أسنىٰ المطالب: ٣.

٣٢. عمربن الخطاب المقتول «٢٣هـ»، يوجد حديث في الرّياض النّضرة ٢: ١٦١و ٢٤٤، ذخائر العقبىٰ: ٦٧ البداية والنّهاية ٧: ٣٤٩، أسنىٰ المطالب: ٣، ينابيع المودة: ٢٤٩، ابن كثير ٥: ٢١٣، وفي وقتها قال عمر بن الخطاب للإمام

عليّ عليه السلام: «بخٍ بخٍ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولىٰ كلّ مسلم»، روي ذلك ابن عساكر في تأريخ دمشق ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ج ٢: ٧٥ ح ٥٧٥ و ٥٧٧ و ٥٧٨ ط ١ بيروت، والمناقب لابن المغازليّ الشّافعيّ: ١٨ ح ٢٤، والمناقب للخوارزميّ الحنفيّ: ٩٤، تأريخ بغداد ٨: ٢٩٠، شواهد التّنزيل ١: ١٥٨ ح ٢١٣، سرالعالمين لأبي حامدالغزاليّ: ٢١، فرائد السّمطين ١: ٧٧، إحقاق الحقّ ٦: ٢٥٦، الغدير للاميني ١: ١٣٢.

وقال عمر بن الخطاب في رواية أُخرىٰ لعليّ يوم الغدير: «هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولىٰ كلّ مؤمن ومؤمنة»، روىٰ ذلك ابن عساكر الشّافعيّ في ٢: ٥٠ ح ٥٤٨ و ٥٤٩ و ٥٥٠، والمناقب للخوارزميّ: ٩٤، مسندأحمد ٤: ٢٨١، الفصول المهمة لابن الصّباغ: ٢٤، الحاوي للفتاوي للسيوطيّ ١: ١٢٢، ذخائر العقبىٰ: ٦٧، فضائل الخمسة ١: ٣٥٠، فضائل الصّحابة للسمعانيّ «مخطوط»، تأريخ الإسلام للذهبيّ ٢: ١٩٧، علم الكتاب للحنفيّ: ١٦١، نظم درر السّمطين: ١٠٩، ينابيع المودة: ٣٠ و ٣١ و ٢٤٩، تفسير الفخر الرّازيّ ٣: ٦٣، تذكرة الخواص: ٢٩، مشكاة المصابيح ٣: ٢٤٦، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفىٰ للسّمهوديّ ٢: ١٧٣، كنز العمال ٦: ٣٩٧، بديع المعاني للاذرعيّ الشّافعيّ: ٧٥، الخطط للمقريزيّ: ٢٢٣، البداية والنّهاية ٥: ٢١٢، شرح ديوان أميرالمؤمنين للميبديّ: ٤٠٦، كفاية الطّالب في حياة عليّ بن أبي طالب للشنقيطيّ: ٢٨، الرّياض النّضرة ٢: ١٦٩، عبقات الأنوار ١: ٢٨٥، فرائد السّمطين للحمويني ١: ٧٧ باب ١٣.

٣٣. عثمان بن عفان المقتول سنة «٣٥ هـ».

٣٤. عمار بن ياسر العنسيّ الشّهيد بصفين «٣٧ هـ»، روىٰ حديثه كثير من أهل

السّير والتّأريخ، وأُنظر، كتاب وقعة صفين: ١٨٦، شرح النّهج ٢: ٢٧٣، وأسنىٰ المطالب: ٤.

٣٥. احتجاج أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومناشدته للجماعة يوم الشّورىٰ، وأيام عثمان، ويوم الرّحبة في الكوفة، ويوم الجمل وصفين. وكذلك احتجاج بضعة المصطفىٰ فاطمة الزّهراء عليها السلام يوم السّقيفة، واحتجاج الحسن عليه السلام.

ومناشدة الإمام الحسين عليه السلام و... و... و... ورغم كلّ ذلك فإنّ بعض الّذين سمعوا وحضروا يوم الغدير عند مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام لهم أقعدهم الحقد والبغض والحسد، وربما التّقية أو الخوف عن القيام بواجب الشّهادة، كأنس بن مالك حيث قال له الإمام عليّ عليه السلام: مالك لاتقوم مع أصحاب رسول الله فتشهد بما سمعته يومئذٍ منه؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كبرت سني ونسيت. فقال عليه السلام: إنْ كنت كاذباً فضربك الله ببيضاء لاتواريها العمامة، فما قام حتىٰ ابيض وجهه برصاً فكان بعد ذلك يقول: أصابتني دعوة العبد الصّالح.[1]

أمّا البراء بن عازب: فقد عمي؛ لأنه أصابته أيضاً دعوة العبد الصّالح كما ذكر أحمد في مسنده بلفظ: فقاموا إلّا ثلاثة لم يقوموا فأصابتهم دعوتة ـ دعوة العبد الصّالح وهو الإمام عليّ عليه السلام.[2]

وأمّا زيد بن أرقم فكتم الحديث ولم يشهد، فأصابه العمىٰ أيضاً كما جاء في

---

(١) المعارف لابن قتيبة: ١٩٤ و٣٩١، شرح النّهج ١: ٣٦٢ و٤: ٣٨٨ و١٩: ٢١٧، عبقات الأنوار ٢: ٣٠٩، مسند أحمد بن حنبل ١: ١٩.

(٢) أرجح المطالب للشافعيّ: ٥٨٠، ط لاهور، أنساب الأشراف ١: ترجمه البراء، البحار ٣٧: ١٩٧، عبقات الأنوار ٢: ٣١٢، إحقاق الحقّ ٦: ترجمة البراء، المصادر في هامش رقم ١.

مناقب الإمام عليّ عليه السلام لابن المغازليّ الشّافعيّ: ٢٣ ح ٣٣، ط ١ طهران، شرح النّهج ١: ٣٦٢ و ٤: ٧٤، ط مصر تحقيق محمّد أبوالفضل، السّيرة الحلبية ٣: ٣٣٧، عبقات الأنوار ٢: ٣١٢.

وأمّا الرّابع فهو جرير بن عبدالله البجليّ فقد رجع أعرابياً بعد أنْ دعا عليه أميرالمؤمنين عليه السلام، كما جاء في أنساب الأشراف ٢: ١٥٦، عبقات الأنوار ٢: ٣١٣.

أمّا الّذين رووا حديث الغدير من التّابعين فهم كثير أيضاً منهم:

١. أبو راشد الحبرانيّ الشّافيّ... وثقه ابن حجر في التّقريب: ٤١٩.

٢. أبو سلمة الزّهريّ المدنيّ، وثقه ابن سعد، كما جاء في خلاصة الخزرجيّ: ٣٨ والتّقريب: ٤٢٢.

٣. أبو سليمان المؤذن، وثقه صاحب التّقريب أيضاً.

٤. أبو عنفرانه المازنيّ.

٥. أبو القاسم أصبغ بن نباته، وثقه العجليّ.

٦. إياس بن نذير، وثقه ابن حبان.

٧. حكيم بن عتيبه الكوفيّ الكنديّ، وثقه الذّهبيّ في التّذكرة ١: ١٠٤.

٨. سعيد بن وهب الهمدانيّ الكوفيّ، وثقه في تهذيب الكمال: ١٢٢.

٩. أبو عمرو زادان بن عمر الكنديّ، وثقه ابن حجر في التّهذيب ٣: ٢٠٣.

١٠. أبو مريم زر بن حبيش الأسديّ، وثقه الذّهبيّ في التّذكرة ١: ٤٠، وفي التّهذيب لابن حجر ٣: ٣٢٣، وأبو نعيم في الحلية ٤: ١٨١.

ومن أراد المزيد فليراجع كتاب الغدير، فقد أحصىٰ رحمه الله «٣٦٠» من العلماء والباحثين، ناهيك عن المؤمنين حول الجامعين لطرق الحديث من السّنة والشّيعة

حسب طبقاتهم... وأُنظر كتاب المراجعات للإمام عبد الحسين شرف الدّين تحقيق وتعليق حسين الرّاضي، مؤسّسة دار الكتاب الإسلامي: ٣١٠ـ ٣٥٥، وكذلك هامش: ٣٣٦، من نفس المراجعات، ولكن تتمة المراجعات لحسين الرّاضي تحت رقم«٦٤٢»، رواة حديث الغدير من الصّحابة حسب الحروف الأبجدية.

إذن الحديث صحيح ومن حاول تضعيفه لا اطلاع له بعلم الحديث، فلا يصغىٰ إليه بعد كلّ ماذكرنا. هذا أولاً:

وثانياً: إنّ الحديث متواتر ولايمكن لأيّ عاقل أنْ ينكر قول كلّ هؤلاء الّذين قالوا بتواتره.

وثالثاً: إنّ طُرق الحديث كثيرة ومتعددة ودعوىٰ أنّه لم ينقله أهل الحديث دعوىٰ باطلة بعد أنْ أفرد بعضهم له كتاباً خاصاً وبعضهم، أوصل طُرقه إلىٰ أكثر من «مئة» علىٰ أقل التّقادير... ومن منا يعتد بقول كلّ زائغ عن الحقّ..

أمّا قول من يدعي بأنّ البخاريّ ومسلم لم يذكرا الحديث كما ادعىٰ صاحب المواقف وشرحها. فالجواب واضح فإنْ كانوا يقصدون بأنّ الحديث غير صحيح فقد ثبتت صحته كما أسلفنا وكذبهم واضح؛ لأن الحاكم وغيره، والذّهبيّ علىٰ ماهو عليه من النّصب والتّعصب، وكذلك ابن حجر اعترفوا بصحة كثير من طُرقه. وإنْ أرادوا بعدم تواتره فقد أثبتنا تواتره واعترف السّيوطيّ بذلك وابن الجزريّ حتىٰ نسب منكر تواتره إلىٰ الجهل والتّعصب و... و... أمّا عدم ذكر البخاريّ ومسلم فهذا ليس بعجيب ولايؤثر علىٰ الحديث، إذكم أهملا أخباراً صحيحة عندهم واستدركها أصحابهما و... ولاندري ظروفهما، ربما لم يذكرا الحديث خوفاً من حكام ذلك الزّمن ورعاية لمذهبهما؛ لأنهما نقلا الحديث الصّحيح

وغير الصّحيح فلماذا لم ينقلاه ويوضحان أنّه غير صحيح، ولكن ربما لهما العذر كما تعذر السّجستانيّ، وأبو حاتم قال: سني لشيعي: مالكم تَنُوحون علىٰ الحسين في كلّ وقت، وقد مضت علىٰ قتله السّنون، فقال نخاف أنْ تنكروا قتله ومظلوميته كما أنكرتم بيعة الغدير. وهل من المعقول أنْ تكذبوا كلّ هؤلاء الّذين رووا ونقلوا الحديث من الصّحابة والتّابعين و... و... حتىٰ الحاقدين والنّاصبين والمقاتلين لعليّ عليه السلام وحتىٰ الغاصبين حقه من أمثال أبي بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، و... و... من أجل أنّ البخاريّ ومسلم لم يذكرا الحديث؟ الله أكبر كبيرا! ياليت البخاريّ ومسلم يفسح لهما المجال ويفسح لكما أيضاً حتىٰ نباهلكما علىٰ صدور الحديث وصحته وتواتره، ولنرىٰ علىٰ من يقع غضب الله، ولكن أنّىٰ لكم من حادثة الحارث بن النّعمان الفهريّ، ونزول الصّاعقه عليه، وبرص أنس بن مالك، وعمىٰ البراء بن عازب، وزيد بن أرقم، وجرير يوم المناشدة لهم من قبل الإمام عليّ عليه السلام في الرّحبة وغيرهاو... و...؟ ثمّ من قال: إنّ البخاريّ ومسلم لم يذكرا الحديث؟ بل ذكراه، وها هو جامع الأُصول ٩: ٤٦٩ شاهد علىٰ إبطال المدعىٰ...

رابعاً: ثبت بالأدلة القطعية بأنّ عليّاً عليه السلام كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بيعة الغدير ولم يكن باليمن كما ادعىٰ بعض، كصاحب المواقف والمقاصد[1] ولذا التّفت الشّارح للمواقف إلىٰ الخطإ وبطلان الدّعوىٰ، فحاول إصلاحها وقال: «ورد هذا بأنّ غيبته لاتنافي صحة الحديث...»، صحيح أنّ عليّاً كان باليمن ولكن ثبت رجوعه منها وإدراكه الحجّ مع النّبيّ صلى الله عليه وآله وقد أخرج أرباب الصّحاح كلّهم، ففي الحديث الّذي اتفقوا علىٰ إخراجه عن أنس بن مالك قال: قدم عليٌّ علىٰ النّبيّ من اليمن فقال: بم أحللت...».[2]

---

(١) المقاصد: ٣٦٠.

(٢) صحيح البخاريّ ٢: ١٧٢، صحيح مسلم ٤: ٤٠، سنن التّرمذيّ ٢: ٢١٦، سنن ابن ماجة ٤: ٢١٠٢، سنن

ج. أمّا دلالة الحديث على ولاية الإمام عليّ عليه السلام فهي واضحة أيضاً كالشّمس

ولا عبرة بمن يُعطي عدة معانٍ للمولىٰ. منها: المعتِق والمعتَق والحليف، والجار، والابن، والعّم، وابن العّم، والمحب، والنّاصر، والمالك للأمر و... و... و... حتىٰ عد ابن البطريق عشرة أوجه لمعنىٰ المولىٰ،[1] وعدها الشّيخ الأميني بستة وعشرين معنىٰ،[2] و... و... ومن هذه المعاني المتعددة والّتي ورد استعمالها في القرآن الكريم بمعنىٰ الأولىٰ قوله تعالىٰ مخاطباً للكفار: ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ﴾[3] أي أولىٰ بكم.

وتأتي بمعنىٰ النّاصر كقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾[4]، وتأتي بمعنىٰ الوارث كقوله تعالىٰ: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾[5]، وتأتي بمعنىٰ العصبة كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى﴾[6]، وتأتي بمعنى الصّديق كقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾[7]، وكذلك لفظ الوليّ يجيء بمعنىٰ الأولىٰ بالتصرف كقولنا: فلان ولي

↔ النّسائيّ ٥: ١٥٧، سنن أبي داود ٢: ١٥٨، السّيرة الحلبية ٣: ٢٨٣، تذكرة الخواص: ١٨، أُنظر كشف اليقين في فضائل أميرالمؤمنين عليه السلام لابن المطهر الحليّ: ٢٣٨ لتجد تفصيلاً كاملاً في كيفية إحلال عليّ عليه السلام بإحلال رسول الله صلى الله عليه وآله، وعقد نيته بنية رسول الله صلى الله عليه وآله وقد شاركه عليه السلام في السّت والسّتين بدنه الّتي ساقها رسول الله صلى الله عليه وآله وقال له: أنت شريكي في حجّي ومناسكي وهديي... إلخ.

(١) العمدة: ١١٢ـ١١٩.

(٢) الغدير ١: ٣٣٦ـ٣٧٠.

(٣) الحديد: ١٥.

(٤) محمّد: ١١.

(٥) النّساء: ٣٣.

(٦) مريم: ٥.

(٧) الدّخان: ٤١.

القاصر، وبمعنىٰ النّاصر والمحبوب و... و... فقالوا: لعل الحديث يشير إلىٰ معنىٰ من كنت ناصره، أو صديقه، أو حبيبه فإنّ عليّاً كذلك وهذا مما يؤدي إلىٰ كرامة وإمامة وصلاحية أبي بكر وعمر وعثمان. كما أنّ بعضهم أيّد ذلك بقرينة ما رأىٰ بعض الأصحاب ممن كان مع عليّ باليمن من شدته في ذات الله، وتكلموا به أمام رسول الله ﷺ، فبسبب ذلك قام يوم الغدير فأشاد بعليّ وأثنىٰ عليه ووصىٰ به، فقال: من كنت مولاه فعلي وليه، كما أوصىٰ بأهل بيته عامة: «... كتاب الله وعترتي أهل بيتي» وليس فيه عهد بالخلافة ولا بالإمامة أصلاً. ولنقف هنا مع هؤلاء بعدة نقاط.

١. لفظة المولىٰ الواردة في الحديث علىٰ أي وزن أتت؟ لا نحن ولا أنتم نأتي بوزنها، لئلا يريد كلّ منا أنْ يزنها لنفسه حتىٰ يكون الحقّ معه، بل نرجع فيها إلىٰ أهل اللّغة، وإلىٰ أئمّة العربية بالخصوص دون غيرهم. فإذا قبلتم فبها ونعمت، وإلّا فلا داعي لهذه التّمحلات والتّأولات والتّخرصات و... و... فأهل اللّغة والتّفسير أيضاً يقولون علىٰ وزن مفعل بمعنىٰ أفعل والآية: ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ﴾[1] أي مقركم وما إليه مآلكم وعقابكم، ولذا جاء بعدها قوله تعالىٰ: ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[2]، ولقد نصّ علىٰ مجيء مفعل بمعنىٰ أفعل طائفة، من أمثال محمّد بن السّائب الكلبيّ المشهور والمعروف بتضلعه في اللّغة العربية، وكذلك يحيىٰ بن زياد الفرّاء، وأبو إسحاق الزّجاج الّذي هو أشهر من أنْ يعرّف، بل هو نار علىٰ علم في اللّغة، وكذلك أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ و... و... وقد قال المفسر الكبير الفخر الرّازيّ «هي مولاكم»، قال: «قال الكلبيّ: يعني أولىٰ بكم... وهو قول الزّجاج،

---

(١) الحديد: ١٥.

(٢) الحديد: ١٥.

والفرّاء وأبي عبيدة»،[١] وورد في شرح المعلقات للزوزنيّ بعد أنْ أورد شعراً فيه لفظ المولىٰ قال: «إنّ المولىٰ هنا بمعنىٰ الأولىٰ بالشيء كقوله تعالىٰ: ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ﴾[٢] أي هي الأولىٰ بكم...»،[٣] وهذا الحسين بن مسعود الفرّاء البغويّ يفسر الآية في معالم التّنزيل: «مأواكم النّار هي مولاكم»، بمعنىٰ «صاحبتكم وأولىٰ بكم لما أسلفتم من الذّنوب»،[٤] وقال الزّمخشريّ: «ومولاي: سيدي وعبدي ومولىٰ من الولاية ناصر وهو أولىٰ به»،[٥] وقال ابن الجوزيّ في تفسير زاد المسير في علم التّفسير: «قوله: مولاكم. قال أبو عبيدة: أي أولىٰ بكم»[٦]، وقال البيضاويّ في تفسيره: «مولاكم: هي أولىٰ بكم...»[٧]

وأورد الشّريف المرتضىٰ في الشّافيّ مانصه: «إنّ ماتحتمله لفظة مولىٰ ينقسم إلىٰ أقسام:

منها: مالم يكن ﷺ عليه.

ومنها: ماكان عليه، ومعلوم لكل أحد أنّه ﷺ لم يرده.

ومنها: ماكان عليه ومعلوم بالدليل أنّه لم يرده.

ومنها: ماكان أصلاً له يجب أنْ يريده لبطلان سائر الأقسام واستحالة خلوّ كلامه من معنىٰ وفائده.

---

(١) تفسير الفخر الرّازيّ ٢٩: ٢٢٧.

(٢) الحديد: ١٥.

(٣) سورة ص: ٩١.

(٤) معالم التّنزيل ٨: ٢٩.

(٥) أساس البلاغة: «ولي».

(٦) زاد المسير ٨: ١٦٧.

(٧) تفسير البيضاويّ: ٧١٦.

فالقسم الأوّل هو المعتَق «بالفتح» والحليف؛ لأنّ الحليف هو الّذي ينضمّ إلىٰ قبيلة أو عشيرة فيحالفها علىٰ نصرته والدّفاع عنه... ولم يكن النّبيّ ﷺ حليفاً لأحد علىٰ هذا الوجه.

والقسم الثّاني ينقسم إلىٰ قسمين:

أحدهما: معلوم أنّه لم يرده لبطلانه في نفسه، كالمعتِق «بالكسر»، والمالك والجار والصّهر، والخلف والإمام إذا عدّا من أقسام المولىٰ، والآخر أنّه لم يرده من حيثُ لم يكن فيه فائدة وكان ظاهراً شائعاً وهو ابن العمّ.

والقسم الثّالث الّذي يعلم بالدليل أنّه لم يرده هو ولاية الدّين والنّصرة فيه والمحبة أو ولاء العتق.

ولم يبق إلّا القسم الرّابع الّذي كان أصلاً له ويجب أنْ يُريده وهو الأولىٰ بتدبير الأمر وأمرهم ونهيهم...»[1]

وقال الشّيخ الطّوسيّ في رسالة المفصح المطبوعة في الرّسائل العشر: «وإذا ثبت أنّ معنىٰ قوله ﷺ: من كنت مولاه»، أي من كنت أولىٰ به ـ وكان أولىٰ بنا عليه السلام من حيث كان مفترض الطّاعة علينا وجب علينا ـ إمتثال أمره ونهيه ومن جعل هذه المنزلة لأمير المؤمنين عليه السلام...»[2] وإنْ شئت المزيد فراجع تفسير الآية في الكشاف، وغرائب القرآن، وروح المعاني، والبحر المحيط، وتفسير الجلالين، ومدارك التّنزيل، وتفسير أبي السّعود، و... و... وغيرها كثير، بل إنّ التّفتازانيّ في شرح المقاصد والقوشجيّ في شرح التّجريد اعترفا أنّ المولىٰ يجيء بمعنىٰ

---

(١) تلخيص الشّافيّ ٢: ١٦٧، البحار ٣٧: ٢٤٠.

(٢) المفصح: ١٣٦.

المتصرّف في الأمر، فتكون دلالة الحديث علىٰ المطلوب واضحة، بل هي أوضح من وضوح الشّمس في رابعة النّهار، وهذا مانصّ عليه الفخر الرّازيّ.(١)

٢. إنّ بعض من يدعي منكم أنّه يسلّم بصحة الحديث ولكن يبتر ـ يقطع ـ ويحذف كلّ مقدمات الحديث من أجل أنْ لايتمسك من يُريد التّمسك بأنّ معنىٰ المولىٰ هو الأولىٰ... والسّؤال الّذي يطرح نفسه هل تعترفون أنّه ﷺ نعىٰ إليهم نفسه الزّكية؟ فإذا كان الجواب بالنفي فهذا كذب صريح ومحض افتراء علىٰ التّأريخ والسّيرة والمؤرخين الّذين تعتمدون عليهم؛ لأنه ورد برواية حذيفة بن أُسيد الغفاريّ الصّحابيّ الجليل، كما أخرجه الطّبرانيّ في المعجم الكبير بسند مجمع علىٰ صحته، أنه ﷺ نعىٰ نفسه بعد أنْ صلّىٰ تحت الشّجيرات المتقاربات فقام وقال: «ياأيها النّاس! إني قد نبأني اللّطيف الخبير أنّه لم يعمر نبي إلّا نصف عمر الّذي يليه من قبله وإني لأظن أنّي يوشك أنْ أُدعىٰ فأجيب، وإني مسؤول وإنكم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وجهدت ونصحت فجزاك الله خيراً... ثمّ قال: «أليس تشهدون أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأن جنته حقّ، وناره حقّ، وأن الموت حقّ، وأن البعث حقّ بعد الموت، وأن السّاعة آتية لاريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور؟» قالوا: بلىٰ نشهد بذلك. قال: «اللّهمّ اشهد».(٢)

---

(١) تفسير الفخر الرازيّ ١٣: ١٧ و٢٣: ٧٤، المرقاة في شرح المشكاة ٥: ٥٦٨.

(٢) أورد هذه الخطبة ابن حجر الهيثميّ المكيّ الشّافعيّ في الصّواعق المحرقة: ٢٥، ط مصر في الشّبهة الحادية عشرة في الفصل الخامس من الباب الأوّل، وكنز العمال ١: ١٦٨ ح ٩٥٨ ط ٢ بروايه زيد بن أرقم، مجمع الزّوائد للهيثميّ الشّافعيّ ٩: ١٦٤، تأريخ دمشق لابن عساكر الشّافعيّ ترجمه الإمام عليّ عليه السلام ٢: ٤٥ ح ٥٤٥، نُزل الأبرار للبدخشيّ: ١٨، ينابيع المودة للقندوزي الحنفيّ: ٣٧، ط اسلامبول، نوادر الأُصول للحكيم

↔

وإذا كان الجواب بنعم فقد ثبت المطلوب.

وفعلاً روىٰ هذه المقدمه كثير من أهل الحديث والسّير والتّأريخ والسّنن، منهم معمر بن راشد، وعبد الله بن نمير، وأبو بكر البزّار، وأحمد بن شعيب النّسائيّ، وابن ماجة القزوينيّ، ومحمّد بن جرير الطّبريّ، والطّبرانيّ، والدّار قطنيّ، وابن كثير الدّمشقيّ و... و...[1]، ثمّ نسأل ماذا جاء بعد هذه المقدمة؟ ألم يقل ﷺ: «أيها النّاس إنّ الله مولاي وأنا مولىٰ المؤمنين وأنا أولىٰ بهم من أنفسهم... فإن قلتم: نعم. فهذا سؤال آخر يتبعه؟ لماذا قال ﷺ إنّ الله مولاي وأنا مولىٰ المؤمنين؟ فإنْ قلتم إنه قال ذلك بمعنىٰ محبهم وناصرهم، وابن عمهم وحليفهم وصديقهم وحبيبهم... فهل يتفق هذا المعنىٰ مع الجملة الأُخرىٰ الّتي جاء بها مباشرة: وأنا أولىٰ بهم من أنفسهم؟ فإنْ قبلتم هذا التّفسير فلا مجال للنقاش معكم؛ لأن هذا خُلف لأصحاب العقول السّليمة؟ وإنْ قلتم هذا لا يتفق مع هذا المعنىٰ فعليكم التّسليم بأنّ المراد هو الأولىٰ كما أوضحنا سابقاً. ثمّ لماذا سارع علىٰ الفور بأخذ يد عليّ بن أبي طالب عليه السلام ورفعها حتىٰ بان بياض إبطيه؟ وقال: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه» أو «من كنت وليه فهذا وليه، اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله...»، ثمّ لماذا اشهدهم قبل ذلك وقال: ألست أولىٰ بكم من أنفسكم؟ ثمّ لماذا قالوا: بلىٰ؟ وهم مَن هم أصحاب اللّغة والبيان والبلاغة والأدب والشّعر و... و...؟ أفيحمل قوله ﷺ هذا علىٰ أنه ابن عمي وأنه

⇐ التّرمذيّ الشّافعيّ: ٢٨٩ط مصر، الفصول المهمة لابن الصّباغ المالكيّ: ٢٤، ط النّجف، الحاكم في مناقب عليّ من مستدركه ٣: ١٠٩.

(١) مسند أحمد ٤: ٣٧٢ و٥: ٣٤٧، كنزالعمّال ١٣: ١٣١ و١٣٤ و١٥٨، تأريخ ابن كثير ٧: ٣٤٨، الرّياض النّضرة ٢: ٢٢٣، الخصائص: ٩٥، سنن ابن ماجة ١: ٤٣.

صهري وأبو ولدي و... و... فلا تؤذوني فيه. وكأنه ﷺ طلب منهم أنْ يعطفوا علىٰ هذا المسكين الفقير الغريب بين ظهرانيهم، وليس هو عليّ بن أبي طالب الّذي ينتسب إلىٰ أشرف وأعظم أُسرة في التّأريخ البشريّ، وهو ابن سيّد البطحاء، وهم يعرفون الإمام عليّ بن أبي طالب حقّ المعرفة. بل إنّ هذا المنطق تضحك من بيانه السّفهاء فضلاً عن العقلاء...، ثمّ هل من المعقول أنّ رسول الله ﷺ بعظمته وجلالة قدره وهو العطوف الّذي لا يضاهي عطفَهُ عطفُ الأُم الرّؤوم علىٰ أُمّته، يوقف هذه الجموع الغفيرة عن المسير في تلك الرّمضاء بهجيرها الّذي لا يُطاق وإرجاع من تقدم من القوم، وإلحاق من تأخر منهم، وينزلهم في ذلك العراء من غير كلأ وماء حتىٰ يصل الأمر بالحاج أنْ يطوي رداءه، إمّا أنْ يجعله تحت قدميه، أو يجعله ظلاً له من شدة الحرارة...، ثمّ كيف لا يعترضون عليه ﷺ ويقولون له ألهذا جمعتنا؟ وفيهم من كانت له سابقة، بل سوابق في الاعتراض عليه ﷺ حتىٰ كانوا يتجرأون عليه ويجرون رداءه و... و... إلخ.

٣. أتعترفون بحادثة الحارث بن النّعمان الفهريّ أم لا تعترفون؟ فإذا كان الجواب بالنفي فهذا محض افتراء وكذب؛ لأن قصة الحارث الفهريّ ووقوع العذاب عليه ذكرها كثير من أهل العلم والتّأريخ والسّير والحديث والتّفسير، بل اطبقوا علىٰ أنه نزلت فيه آية: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ * مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾[1]. وقال: «اللّهمّ إنْ كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السّماء أو ائتنا بعذاب أليم»، فرماه الله بحجر من سجيل، كما فعل من قبلُ بأصحاب الفيل. هذا عندما سمع الحارث بن النّعمان الفهريّ بتنصيب عليّ للإمامة والخلافة والقيادة والسّيادة والرّيادة، فلم يتحمل هذا الرّجل فشك وأتىٰ

---

(١) المعارج: ١ـ٣.

رسول الله ﷺ وهو علىٰ ناقة له فأناخها ونزل عنها وقال: يامحمّد أمرتنا أنْ نشهد أن لا إله إلّا الله، وأنك رسول الله، فقبلنا منك ذلك، وأمرتنا أنْ نُصلي خمساً فقبلنا، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا، وأمرتنا أنْ نصوم رمضان فقبلنا، وأمرتنا بالحجّ فقبلنا، ثمّ لم ترضَ بهذا حتىٰ رفعت بضبعي ابن عمك تفضله علينا، فقلت: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، فهذا شيء منك أمّ من الله؟ فقال ﷺ: «فوالله الّذي لا إله إلّا هو إنّ هذا لمن الله عزّ وجلّ»، فولىٰ الحارث يُريد راحلته وهو يقول: «اللّهمّ إنْ كان مايقول محمّد حقاً فأمطر علينا...»، فما وصل راحلته حتىٰ رماه الله سبحانه وتعالىٰ بحجر من السّماء سقط علىٰ هامته فخرج من دبره فقتله.[1]

فهل من المعقول أنْ يعترض الحارث علىٰ رسول الله ﷺ بعد أنْ اعترف بالواحدنية لله سبحانه وتعالىٰ، وبنبوته ﷺ، وبأداء الفرائض، كالصلاة والزّكاة والصّوم والحجّ ـ يعترض علىٰ أمر بسيط جداً وهو الوصية بالمعنىٰ الّذي تريدونه وهو الحليف المحب الصّديق و... و...؟ وماهو مدىٰ تأثير هذه الوصية بهذا المعنىٰ ـ الّتي تُبكي الثّكلىٰ، بل تُبكي حتىٰ قُساة القلوب علىٰ الحارث بن النّعمان الفهريّ الّذي جاء تواً من بيت الله الحرام والمفروض به قد امتلأ قلبه بالإيمان والتّقوىٰ

---

(١) شواهد التّنزيل للحاكم الحسكانيّ ٢: ٣٨١ ح ١٠٣٠ و١٠٣١ و١٠٣٣ و١٠٣٤، السّيرة الحلبية ٣: ٢٧٥، تذكرة الخواص: ٣٠، نظم درر السّمطين: ٩٣، الفصول المهمة لابن الصّباغ المالكيّ: ٢٥، نور الأبصار: ٧١، ينابيع المودة: ٣٢٨، ط الحيدرية، تفسير أبي السّعود بهامش تفسير الرّازيّ ٢: ٢٤٢، تفسير القرطبيّ ١٨: ٢٧٨، فرائد السّمطين ١: ٨٢، تفسيرالمنار ٦: ٤٦٤، نزهة المجالس ٢: ٢٤٢، السّراج المنير ٤: ٣٦٤، فيض القدير ٦: ٢١٨ شرح الجامع الصّغير ٢: ٣٨٧، شرح المواهب اللّدينة ٧: ١٣، الحاكم في تفسير المعارج من المستدرك ٢: ٥٠٢، غاية المرام: ٣٩٧، تفسير الثّقلين للآية في ٤: ٢٣٤، خصائص الوحي المبين: ٣١، تفسير البرهان ٤: ٣٨٢، تفسير فرات: ١٨٩، أُنظر الغدير ١: ٢٣٩ ـ ٢٤٧، أورد العلاّمة الأميني أكثر من ثلاثين مصدراً من كتب علماء السّنة، فراجع.

والمحبة والعطف علىٰ الأصدقاء والفقراء والمساكين وابن السّبيل والجار والحليف و...و...؟ أفلا يكون من السّخف والحماقة والخبل أنْ يعترض الحارث ابن النّعمان الفهريّ علىٰ رسول الله ﷺ، لأمر بسيط جداً وهو الّذي تحمل ماتحمل من الأعباء في الحجّ وغيره من الفرائض؟ أفلا يكون من السّخف أيضاً أنْ لا يمنعه أصحابه ـ أصحاب الحارث ـ من هذا الاعتراض الجاف علىٰ رسول الله ﷺ لأمر لايعنيه هو بالذات؛ لأن هذا الأمر علىٰ معناكم هو من باب الاستحباب لا الوجوب؟ وحتىٰ لو قلنا بوجوبه فهو من باب الواجب الكفائيّ لا الواجب العينيّ؟ ثمّ هل من المعقول أنّ الاعتراض مِن قبل الحارث علىٰ هذا المعنىٰ يستحق هذا العذاب وسقوط حجر من السّماء علىٰ هامته وخروجه من دبره وقتله، وقد اعترض الأصحاب علىٰ رسول الله ﷺ باكثر من هذا، بل حاولوا قتله مراراً وتكراراً، حتىٰ أنهم كذبوه ولم ينزل عليهم مثل مانزل علىٰ الحارث؟ وهل يستحق هذا الاعتراض علىٰ معناكم نزول آية من القرآن الكريم؟ لا أدري كيف تفسرون هذا؟ بل إن كلّ هذا جاء نتيجة اعتراض الحارث علىٰ الله وعلىٰ رسوله في تنصيب عليّ عليه السلام للخلافة بعد رسول الله ﷺ بدليل قسم رسول الله ﷺ وهو الصّادق المصدق إنّ هذا ليس من عندي، بل هو من الله... ثمّ ألا يدل هذا علىٰ أنّ هنالك مباهلة بين الحارث وبين رسول الله ﷺ؟ لأن الحارث يقول لرسول الله ﷺ «...، ثمّ لم ترض حتىٰ نصبت هذا الغلام فقلت: من كنت مولاه فهذا مولاه. فهذا شيء منك أو أمر من عند الله؟ ورسول الله ﷺ يقول: أمر من عند الله. قال: والله الّذي لا إله إلّا هو إنّ هذا من الله؟ فولىٰ النّعمان وهو يقول: اللّهمّ إنْ كان هذا...»، ثمّ ما معنىٰ قول الحارث: «نصبت هذا الغلام»، إذا كان المراد كما تدعون بأنه المحب الصّديق... إلخ؟ وهل من المعقول أنّ هذه الجموع الغفيرة لاتفهم قول رسول الله ﷺ ولاتفهم اللّغة العربية، بل فهم قوله ﷺ، فقط وفقط الحارث بن النّعمان الفهريّ، وفيهم كبار

الصّحابة من أمثال أبي بكر، وعمر، وعثمان، وأنس بن مالك، وزيد ابن أرقم، و... و...؟ إذاً لابد أنْ يكون هُنالك شيء عظيم لدىٰ الحارث أكبر وأعظم من الجهاد والصّلاة والصّوم والحجّ والزّكاة حتىٰ يرفضه ويطلب المباهلة بصورة غير مباشرة وهو الولاية لعليّ عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا مما لايتحمله الحارث فكان حاله الهلاك رغبة منه حتىٰ لايبقىٰ إلىٰ زمان تنصيب عليّ بالولاية الفعلية، وبهذا يظهر إنّ العصبية الجاهليه الحاقدة السّاذجه لاتتحمل، ولذا كان حال أهل نجران أفضل وأحسن من حال الحارث وأمثاله؛ لأنهم لم يباهلوا رسول الله صلى الله عليه وآله خوفاً من وقوع العذاب...

٤. هنالك من يدعي التّسليم بكل هذه الأُمور الّتي ذكرناها، ولكن يُريد أنْ يصحح خلافة الثّلاثة بكل صورة من الصّور باللف والدّوران والمراوغة، كابن حجر، والسّعد، والحلبيّ، و... و... إذ قالوا: المراد بالولاية بالقوة لا بالفعل أي بالمآل ـ المآلية ـ بعد خلافة الثّلاثة وحين البيعة له من قبل النّاس وهذا ليس فيه تنافيّ... إلخ. والجواب: سبق وأن أبطلنا أثر عقد البيعة في إثبات أو نفي الإمامة هذا أولاً.

وثانياً: أي بيعة هذه الّتي تكون أعظم وأكبر من بيعة الغدير؟ وهي أكبر وأكثر عدداً وفيها الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله الّذي لاينطق عن الهوىٰ... وأنه لقول رسول كريم... وما هو بقول شاعر... ولابقول كاهن... أهي بيعة التّآمر في السّقيفة الّتي لم يحضرها إلّا ثلة، بل شلة من الحزب القرشيّ المتكون من أبي بكر، وعمر، وأبي عبيدة بن الجراح، دون المهاجرين والأنصار وبني هاشم و... و...، ثمّ لم تمض فترة حتىٰ قال فيها عمر بن الخطاب: «... كانت فلتة وقىٰ الله شرها...»؟ وأي بيعة هذه الّتي يقول صاحبها: «إنّ ليّ شيطاناً يعترني...»؟ وأي بيعة تكون أصح وأحسن

وأجمل من بيعة يحضرها رسول اللهﷺ وبأمر رباني ونزول آيات بينات فيها من بيعة عهد من واحد إلىٰ واحد ـ أي من أبي بكر إلىٰ عمر ـ وتحت إغماءٍ شديد وسكرات موت عنيد بالإضافة إلىٰ أنّ كاتبها لو أراد أنْ يكتب اسمه لأصبح هو الخليفة، لكن الخوف من صاحبه فرض عليه أنْ يكتب اسمه، بل إنّ يده بحركة لا إرادية كتبت اسم صاحبه وهو يعرف أنّ مآلها إليه بعده...؟ وأي بيعة تكون مباركة وتكون فيها الشّهادة لها عالية المضامين من حضور المعصومﷺ فيها والجماهير الّتي تزيد علىٰ آلافٍ بما فيهم كبّار الصّحابة من المهاجرين والأنصار و... و... من بيعة تتكون من ستة أشخاص بالصورة الشّكلية الظّاهرية ولكن في الحقيقة إنّها فردية كسابقتيها بيد عبد الرّحمن بن عوف، بالاضافة إلىٰ أنّها إنْ لم تتم يُقتل المعارضون لها بأمر الثّانيّ... وأي بيعة تكللت بالتهنئة من قبل الله ورسولهﷺ وحتىٰ من أبي بكر وعمر، عندما قالوا للإمام عليّ عليه السلام: «بخ بخ لك يابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولىٰ كلّ مؤمن ومؤمنة...»؟ أهي البيعة الّتي سلت فيها السّيوف وكسرت؟ أم البيعة الّتي أرادوا فيها حرق البيوت وكسر الضّلوع؟ أم البيعة الّتي نهبت فيها الأموال، وهدرت الدّماء والفروج؟ و... و... فكيف تكون هذه بيعة مآليه لاحالية...؟ علىٰ أنّ المآلية لاتجتمع مع عموم الحديث؛ لأنّها تستوجب أنْ لايكون الإمام عليّ مولىٰ أحد ممن مات من المسلمين علىٰ عهده بما فيهم الثّلاثة، وهذا خلاف قولهﷺ: «ألست أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا بلىٰ... فعليّ مولىٰ كلّ فرد فرد من غير استثناء، بل هو علىٰ سبيل الاستغراق... وقول أبي بكر وعمر لعليّ بأنه مولاهما في حياة رسول اللهﷺ لا في أثناء خلافتهما بالرغم من أنّ عمر أيضاً قال هذا حتىٰ في خلافته عندما اختصم الأعرابيان عنده.[1] وكيف يُعقل أنْ يكون قول رسول اللهﷺ هذا بعد مرور خمس

---

(١) الصّواعق المحرقة: ٢٦، ١٠٧، كفاية الطّالب: ٦٢، الفتوحات الإسلامية ٢: ٣٠٦، شرح المواهب ٧: ١٣،

وعشرين سنة من وفاته ويترك الأُمّة هذه الفترة الزّمنية بدون راعٍ...؟ حاشاك يارسول الله أنْ تفعل ما لا يفعله العقلاء وأنت سيد العقلاء... فياحبذا لو فعلوا، كمسيلمة الكذاب، وسجاح و... و... دون الإنضواء تحت لواء الإسلام، ثمّ إطلاق الألفاظ الرّنانة عليهم باسم الخليفة أو الأمير للمؤمنين أو... أو... من قبل أنفسهم، أو من قبل المنافقين، ووعاظ السّلاطين، بعد أنْ منعوا النّاس من كتابة الحديث والرّواية، وسمحوا للوضع أنْ يأخذ دوره، بل كثر في عهدهم حتىٰ وصل الأمر في زمن معاوية إنّ أحدهم يضع عشرات الأحاديث في فضائلهم وذم أعدائهم، وقد قال أبو جعفر الأسكافيّ فيما نُقل عنه «أنّ معاوية حمل قوماً من الصّحابة، وقوماً من التّابعين علىٰ رواية أخبار قبيحة في عليّ بن أبي طالب تقتضي الطّعن فيه والبراءة منه... وجعل لهم علىٰ ذلك جعلاً يرغب في مثله فاختلقوا له ما أرضاه. منهم: أبوهريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التّابعين عروة بن الزّبير...»[1] ثمّ هل من المعقول أنّ أبابكر وعمر يهنئان عليّاً لكون رسول الله ﷺ أوصىٰ بمحبته وصداقته وهما من هما في السّياسة والدّهاء؟ ألم تكن هذه التّهنئة لأمر تتشوق إليه النّفوس، وتتطلع إلىٰ رؤيته العيون ألا وهو الإمامة ولكنهما أخفيا ذلك إلىٰ يوم السّقيفة، كما قال الغزاليّ في سر العالمين: «ثمّ بعد ذلك غلب الهوىٰ، وحبّ الرّياسة، وعقود البنود، وخفقان الرّايات، وازدحام الخيول، وفتح الأمصار، والأمر والنّهي، فحملهم علىٰ الخلاف فنبذوه وراء ظهورهم وأشتروا به ثمناً قليلاً فبئس مايشترون»[2]؟

⇔ مسند أحمد ٤: ٢٨١، فيض القدير ٦: ٢١٨، تأريخ ابن عساكر ٢: ٨٢ ح ٥٨١، الرّياض النّضرة ٢: ٢٢٤، ذخائرالعقبىٰ: ٦٨، المناقب الخوارزميّ: ٩٨، بالإضافة إلىٰ المصادر الّتي مرت علينا في قول عمر لعليّ يوم الغدير: «هنيئاً ياابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولىٰ كلّ مؤمن ومؤمنة».

(١) أضواء علىٰ السّنة المحمدية: ١٣٥، الغدير ٩: ٢٦٤، البيان والتّبين للجاحظ ٢: ٨٥.

(٢) هذا القول لأبي حامدالغزاليّ في كتابه سرالعالمين وبما أنه لايوجد عندنا أخذناه من بحارالأنوار ٣٧: ٢٥١ـ٢٥٢.

(٥) نقول متىٰ نزلت هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[١]؟ أنزلت في يوم الغدير ـ الثّامن عشر من ذي الحجّة ـ أم قبل ذلك أم بعد ذلك؟ فإذا قلتم إنّهانزلت يوم الغدير علىٰ خمس ساعات مضت من نهار ذلك اليوم ـ وهو الخميس ـ فبها ونعمت؟ أمّا إذا رفضتم ذلك وادعيتم القبلية والبعدية فنحن نطالبكم بالدليل. وعند التّحقيق لم نعثر علىٰ أي مصدر يُشير إلىٰ البعدية والقبلية. بينما مصادركم تجمع علىٰ أنّها نزلت في ذلك اليوم. ولسنابصدد بيان إحصاء كلّ المصادر ولكن نذكر بعضاً منها علىٰ سبيل المثال[٢] إذن حصحص الحقّ، إنّها نزلت يوم الغدير. والسّؤال هو: ماذا طُلب من رسول الله ﷺ أنْ يبلغ في

---

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) تأريخ ابن عساكر ٢: ٨٦ح ٥٨٦، ط بيروت، شواهد التّنزيل ١: ٢٤٩ ح ٢٤٤ و ٢٤٥ و٢٤٦ و٢٤٧ وح ٢٤٨ و٢٤٩ و ٢٥٠، أرجح المطالب: ٦٦ و٦٧ و٦٨ و٥٦٦ و٥٦٧ و ٥٧٠، عمده القاريّ في شرح صحيح البخاريّ ٨: ٥٨٤، تفسير النّيسابوريّ ٦: ١٧٠، روح المعانيّ للآلوسيّ ٢: ٣٤٨، تفسير المنار ٦: ٤٦٣، فرائد السّمطين ١: ١٥٨ ح ١٢٠، ط ١ بيروت الفصل لابن حزم ١: ٢٢٠، ينابيع المودة: ١٢٠ و٢٤٨ اسلامبول، الفصول المهمة لابن الصّباغ المالكيّ: ٢٥، ط الحيدرية، فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان ٣: ٦٣، أسباب النّزول للواحديّ: ١١٥، الدّر المنثور في تفسيرالقرآن ٢: ٢٩٨، فتح القدير ٢: ٦٠، ط ٢ و٧ تفسير الفخر الرّازيّ ١٢: ٥٠، ط مصر، مطالب السّؤول ١: ٤٤، دار الكتب في النّجف، شرح ديوان أميرالمؤمنين للميبديّ: ٤١٥، الخصائص لابن البطريق: ٥٨، العمدة لابن البطريق: ١١٢، تقريب المعارف للجليليّ: ١٥١، تلخيص الشّافيّ ٢: ١٦٧، فضائل الخمسة ١: ٤٤٧، الصّراط المستقيم ١: ٣٠٠، حقّ اليقين ١: ٢٥٥، كشف اليقين: ٢٤٠، تفسيرابن كثير ٢: ٧٩، البداية والنّهاية ٥: ٤٠٨، غاية المرام: ٣٣٤، خصائص الوحي المبين: ٢٩، تفسيرالحجريّ: ١١ مجمع البيان ٣: ٢٢٣، مناقب عليّ للصنعانيّ ٧: ١٨٨ رقم(٨٩٦). سعد السّعود لعليّ بن طاووس: ٧٠ باب ٢، كشف الغمة ١: ٣١٧، الغدير ١، ٥١، مانزل من القرآن في عليّ لابن بكر الفارسيّ الشّيرازيّ(ت ٤٠٧ ها)، دلائل الصّدق ٢: ٥١، الكشف والبيان للثعلبيّ، وتفسير عبد الوهاب البخاريّ للآيه، الأربعين لجمال الدّين الشّيرازيّ (ت ١٠٠٠ ها).

هذه الواقعة فقط؟ أيبلغ الأحكام الشّرعية، كالصلاة والصّوم والحجّ و... و...؟ أم هنالك شيء آخر طُلب منه أنْ يُبلغه للناس إضافة للأحكام السّابقة؟ فإذا قلتم بالأوّل فهذا محض كذب وافتراء بدليل بسيط وهو أنكم تعترفون أنّها نزلت آخر مانزل من القرآن فكيف يتم التّوفيق بين هذا الرّأي والرّأي القائل بأنّ الصّلاة فُرضت قبل ذلك وفي بداية الدّعوة الإسلاميّة وكذلك الصّوم والزّكاة و... و... وقد بينها الرّسول ﷺ تدريجياً من خلال مانزل من القرآن تدريجياً، وهذا هو غرض الرّسالة، ينزل الوحي فيحمله الرّسول، ثمّ يؤمر بتبليغه وتعليمه وتبيينه، كما قال تعالىٰ: ﴿بِالْبَيِّنَٰتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]. ثمّ اسألوا أنفسكم متىٰ شُرعت الصّلاة، ومتىٰ فُرض الصّوم، و... و... وحتىٰ الجهاد؟ ثمّ قارنوا بين تأريخ التّشريع للصلاة، وتأريخ نزول هذه الآية، ثمّ احكموا بأنفسكم؟ فما ترون من هذا التّبليغ، أهو الصّلاة مثلاً أو الصّوم أو الحجّ أو... أو... بعد أنْ حجوا ورجعوا والمفروض تعلم الأحكام قبل الشّروع بها لا بعد الإنتهاء منها و... و...؟ أم هنالك شيء آخر غير هذه الّتي ذكرناها؟ ثمّ إنّ الحارث بن النّعمان الفهريّ قد بين هذه الفروض واعترف بها بدءاً بالوحدانية ـ شهادة أنْ لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله ـ وانتهاءاً بالحجّ. هذا أولاً.

وثانياً: لماذا كان رسول الله ﷺ يتخوف من هذا التّبليغ إذا كان الأمر متعلقاً بالصلاة أو الصّوم أو... أو...؟ ألم يبلغهم سابقاً خلال هذه الفترة الزّمنية الّتي أمتدت «٢٣» سنة تقريباً. وقد عانىٰ ماعاناه منهم خلال فترة التّبليغ والجهاد، ولسنا بصدد بيان كلّ معاناته ﷺ منهم؛ لأنهم بشر وليسوا ملائكة، ولذا تعامل معهم علىٰ وفق المصلحة الإسلاميّة وكان لايخاف إلّا علىٰ الرّسالة. وها هي قصة زيد بن حارثة الّذي اتخذه رسول الله ﷺ عبداً، ثمّ حرره، ثمّ اتخذه ابناً له بالتبني، ثمّ

---

(١) النّحل: ٤٤.

زوجه من زينب بنت جحش بنت عمته ﷺ وكان النّبيّ ﷺ يعلم من ربّه أنّ زينب ستكون من أزواجه ولذا عندما جاء إليه زيد يستشيره في طلاقها، نهاه الرّسول ﷺ عن الطّلاق... وقد عاتبه الله علىٰ ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾[1]. وأنّ النّبيّ ﷺ قال هذا خوفاً من تقوّل المنافقين والّذين في قلوبهم مرض، وقد عابه بعض وطعن فيه وأثر ذلك أثراً سيئاً في إيمان العامة. ومما يجدر ذكره هنا أنّ النّبيّ ﷺ لم تكن خشيته من النّاس خوفاً علىٰ نفسه؛ لأنه ﷺ، كما يقول عنه الإمام عليّ عليه السلام وغيره: «كنا نلوذ برسول الله إذا حمي الوطيس»، ولكن كان خوفه وخشيته في الله، وهذا الخوف ليس مذموماً؛ لأن الخوف في الله هو في الحقيقة خوف من الله، وهذا ممدوح... فخوفه ﷺ من هذا الشّيء البسيط ومن أجل أنْ يرتفع الحرج من المؤمنين في التّزويج بأزواج الأدعياء فكيف إذاكان الأمر متعلقاً بقيادة البشرية...؟ ألا تعتقدون بأنّ خوفه ﷺ نابع من أنْ يتهموه اتهاماً يُفسد كلّ ثمار الرّسالة وخاصة ممن تصفونهم بالصحابة وفيهم الصّالح والطّالح، والحسن والمسيء، والمؤمن والمنافق، والدّجال والكذاب، ولله في خلقه شؤون.. ولذا قال ﷺ: «يارب، إنّ قومي قريبو عهد بالجاهلية وفيهم تنافس وفخر، ومامنهم رجل إلّا وقد وتره وليهم يعني عليّاً عليه السلام وإني أخاف...»، وعن ابن عباس، وجابر بن عبدالله قالا: أمر الله محمّداً أنْ ينصب عليّاً للناس ليخبرهم بولايته فتخوف رسول الله ﷺ، أنْ يقولوا حابا ابن عمّه وأن يطعنوا في ذلك عليه...»[2]. وفي رواية قدسية قال: «وإني لم أبعث نبياً إلّا جعلت له وزيراً، وأنك رسول الله وأنّ عليّاً وزيرك». قال ابن عباس: فهبط رسول الله فكره أنْ

---

(١) الأحزاب: ٣٧.

(٢) المصدر السّابق ١: ٢٥٥ ح ٢٤٩، كشف الغمة ١: ٣١٧.

يحدث النّاس بشيء منها إذ كانوا حديثي عهد بالجاهلية، حتىٰ مضىٰ من ذلك ستة أيام، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾[١]، حتىٰ كان يوم الثّامن عشر، أنزل الله عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ...﴾ والظّاهر من هذا الحديث أنّ ذلك كان في ليلة المعراج بدليل: «فهبط رسول الله».[٢] وفي حديث آخر... قالﷺ: «يا أيها النّاس إنّ الله أرسلني إليكم برسالة وإني ضقت بها ذرعاً مخافة أنْ تتهموني وتكذبوني حتىٰ عاتبني ربي فيها بوعيد أنزله عليّ بعد وعيد...»[٣].

وثالثاً: لماذا جاء العهد من قبل الباري عزّ وجلّ لرسوله الكريمﷺ في الآية الكريمة: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾؟ ونحن وأنتم قطعنا بأنّ الصّلاة كانت قبل نزول الآية قائمة، والزّكاة مفروضة، والصّوم مشروعاً، والبيت المعمور محجوجاً، والحلال بيناً والحرام بيناً و... و... و...؟ وبإجماع المفسرين إنّ الآية تفيد التّهديد بظاهرها أفلم يكن هذا التّهديد لأهمية الحكم ويجب إيصاله إلىٰ النّاس ولا يعني هذا أنّ النّبيّﷺ يحتمل منه ـ وحاشاه من ذلك ـ أن لا يبلغ الحكم فجاءه التّهديد ولكن، كما ذكرنا سابقاً بأنه يتخوف ويخاف علىٰ رسالته من القوم، ولذلك أسر ذلك كما جاء عن أبي هريرة عن النّبيّﷺ قال: «لما أُسريّ بيّ إلىٰ السّماء سمعت نداءاً من تحت العرش أنّ عليّاً راية الهدىٰ وحبيب من يؤمن بيّ بلّغ يامحمّد» قال: فلما نزل النّبيّﷺ أسر ذلك، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[٤] في عليّ بن أبي طالب: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾،[٥] ولكن السّؤال يبقىٰ ماهذا الحكم الّذي واكبه التّهديد من

---

(١) هود: ١٢.

(٢) شواهد التّنزيل ١: ٢٥٦ و٢٥٧ ح ٢٥٠، كتاب سعد السّعود: ٧٠ باب ٢.

(٣) المصدر السّابق.

(٤) المائدة: ٦٧.

(٥) شواهد التّنزيل ١: ٢٤٩ ح ٢٤٤، أُنظر فرائد السّمطين ١: ١٥٨، ط بيروت ح ١٢٠.

الله تعالىٰ لرسوله الكريم، وواكبه الخوف والكتمان والتّأخير وعدم التّبليغ من قبله ﷺ؟ ثمّ ماهي الضّمانة لسلامة الرّسالة في حالة إظهار الأمر؟ والجواب هو: أنّ هذا الأمر والحكم الّذي واكبه التّهديد من طرف والخوف من طرف آخر هو لابد أنْ يكون أمراً عظيماً وليس لرسول الله ﷺ في صنعه أي شيء وأي إختيار، بل كأن أتعابه ﷺ في خلال هذه المدة لتبليغ الرّسالة لا شيء بصريح القرآن: ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ وهذا لعظم خطره جاء الخطاب لرسول الله ﷺ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ...﴾ ولذا انشرح صدر رسول الله ﷺ بأن رسالته باقية ومحفوظة من قبل الخالق وهو الّذي بلغ عن ربه كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَايَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾،[1] وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَاتَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾،[2] و... و... إذن هذا الأمر لم يختص بالوضوء والصّلاة والصّوم و... بل يختص بركن من أركان الدّين ألا وهو تنصيب الإمام ﷺ من بعده؛ لأن الأُمّة تحتاج إلىٰ إمام بعد الرّسول ﷺ، فيجب في حكمة الله نصبه وقد فعل كما وجب... أمّا أنْ تبقىٰ الأُمّة والاختيار فهذا عبث وتصرف بغير أمر مالك الأمر ـ فولاية الإمام ﷺ قامت مقام النّبوة؛ لأنه بصحة تبليغها عن الله تنفع شهادة أنْ لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، وعدم تبليغها يبطل تبليغ الرّسالة وما كان شرطاً في صحة وجود أمر من الأُمور مايصح وجوده إلّا بوجوده ووجب، كوجوبه كما يقول الأُصوليون، ولذا ختم رسول الله ﷺ حديث الغدير بقوله: «اللّهمّ والِ من والاه، وانصر من نصره، واخذل من خذله»؛ لأنه ﷺ علم ـ وهو الخبير ـ بأنّ هذه الرّئاسة العامة والإمامة الكبرىٰ تحتاج إلىٰ الأعوان والجنود ليقفوا ضد هيجان الحسد الموروث لترك النّعرة والخذلان و... و... لاسيما أنه ﷺ كان عالماً بما في

---

(١) الأحزاب: ٣٩.

(٢) آل عمران: ١٧٥.

صدور المنافقين الحاقدين الحاضرين من عداوته وما انطوت عليه سرائرهم الخبيثة، كما ظهر وهو في الواقع أشجع من الآخرين الحاقدين المتربصين لغصب الخلافة ألا وهو الحارث بن النّعمان الفهريّ، ولذلك أكد بذلك الدّعاء لأعوانه عليه السلام، واللّعن علىٰ من قصر ويقصر ويخطط لعدم نصرته وخذلانه وليس كما ذهب بعضهم في تفسير وتأويل الدّعاء. والنّتيجة بعد كلّ هذا نقول: إنّ دين النّاس لم يكمل إلّا بولاية عليّ عليه السلام، ونعمة الله أيضاً لاتتم إلّا بها، ولا يرضىٰ الله لنا بهذا الإسلام بدونها، وبهذا يُضيّق وجوبها علىٰ كافة أهل الإسلام وقامت مقام كلّ طاعة، ومن لم يؤمن بها فقد خسرت صفقته وظهرت خيبته في الدّنيا والآخرة، ولذا قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾،[1] وهذا هو البرهان السّاطع علىٰ نصب إمام حيث أنه أعظم النّعم علىٰ الأُمّة وبدونه لاتتم النّعمة، وكذلك إكمال الدّين يحصل بنصب الإمام بناءً علىٰ أنّ الإمامة من أُصول الدّين...

ونزلت هذه الآية بعد أن نصب الرّسول صلى الله عليه وآله عليّ بن أبي طالب خليفةً وإماماً علىٰ أُمّته أيضاً في الثّامن عشر من ذي الحجّة في مكان يسمىٰ غدير خُمّ كما ذكرت كتب التّفسير،[2] ولاعبرة بعد هذه المصادر أنْ يأتي متقول ويقول إنّ هذه الآية

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) تأريخ دمشق لابن عساكر ٢: ٧٥ ح ٥٧٥ و٥٧٦ و٥٧٧ و٥٨٥، ط بيروت، شواهد التّنزيل ١: ٢٢ ح ٢١٠ و٢١١ و٢١٢ و٢١٣ و٢١٤ و٢١٥، تحقيق العلاّمة المحموديّ، روح المعانيّ ٦: ٥٥، البداية والنّهاية ٥: ٢١٣ و٧: ٣٤٩، ط آخر، أرجح المطالب: ٥٦٨، ط لاهور، فرائد السّمطين ١: ٧٢ و٧٤ و٣١٥، ط بيرت، تأريخ اليعقوبيّ ٢: ٣٥، تأريخ ابن كثير ٥: ٢١٠، مناقب الإمام لابن المغازليّ: ١٩ ح ٢٤، ط طهران، تأريخ بغداد ٨: ٢٩٠، الدّر المنثور ٢: ٢٥٩ الإتقان للسيوطيّ ١: ٣١، المناقب للخوارزميّ: ٨٠، تذكرة الخواص: ٣٠، ط الحيدرية، تفسير ابن كثير ٢: ١٤، ط ١ مصر، مقتل الحسين للخوارزميّ ١: ٤٧، ينابيع المودة: ١١٥ ط

↔

مكية؛ لأن الآية بتمامها لاتنطبق إلّا علىٰ هذه الأحداث الّتي ذكرناها، ولم يكن لليهود أو النّصارىٰ شأن يذكر حتىٰ يتوجه الخطاب والحذر منهم، وبالتالي يمسك رسول الله ﷺ عن التّبليغ أو يؤخره إلىٰ فترة زمنية، بل كان شأن الخوف كما ذكرناه من الدّاخل وأصحاب السّرائر الخبيثة وبطانة السّوء وممن يطلق عليهم ومع الأسف الشّديد لفظ صحابيّ. وقد رد ابن كثير علىٰ القائل بأنها مكية فقال في تفسيره: «إنّ هذه الآية مدنية، بل هي من أواخر مانزل بها»[1] ولا مانع أنْ تكون الآية هذه قد نزلت مرتين، مرة بعرفة، ومرة بيوم الغدير، كما نزلت بسم الله الرّحمن الرّحيم مرتين، مرة بمكّة، ومرة بالمدينة، كما يقول السّبط ابن الجوزيّ[2].

إذاً أين أثر البيعة أيها المتمسكون ـ المتنطعون ـ بها وتقدمونها علىٰ النّص؟ فهذا عليّ قد بايعه الأُلوف المؤلفة يوم الغدير ولكن أين هي في مقابل النّص؟ وهل سمعتم منه عليه السلام في يوم ما أحتج بالبيعة دون النّص؟ وها هي مناشداته عليه السلام ومناشدة بضعة المصطفىٰ الزّهراء واحتجاجها فقد احتج عليها السلام بحديث الغدير وروىٰ ذلك أكابر الحفاظ، كعبد الرّزاق، وأحمد، والبزاز، والنّسائيّ، وأبو يعلىٰ، والطّبرانيّ، والخطيب، وابن الأثير، والسّيوطيّ و... و... والخلاصة أنّ نصب الإمام بيد الله لابيد الأنام والطّريق في نصبه منحصر في النّص عليه من الكتاب والسّنة المعتبرة، أمّا النّص فهو منتفٍ في حقّ أبي بكر، وعمر، وعثمان، و... و... والبيعة كما ذكرنا دورها ينحصر في تمكين الإمام من إقامة الحدود و... و... لا غير والإمام عليّ عليه السلام والأئمّة من بعده: «الحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومحمّد الباقر وجعفر الصّادق

↔ اسلامبول، البرهان ١: ٤٣٥، ط٢، خصائص الوحي المبين: ٣٦، كشف الغمة ١: ٣٢٣، زين الفتىٰ: ٦٢٧، الأمالي ليحيىٰ بن الحسين الشّجريّ ١: ٤٢ و١٤٦.

(١) تفسير ابن كثير ٢: ٧٩.

(٢) تذكرة الخواص: ٣٠.

وموسىٰ الكاظم وعليّ بن موسىٰ الرّضا ومحمّد الجواد وعليّ الهاديّ والحسن العسكريّ والمهديّ صاحب الأمر صلوات الله عليهم أجمعين» منصوص عليهم وهم أئمّة الخلق سواء تمت البيعة لهم أم لم تتم ؛ لأن الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا... ، ولسنا بصدد كلّ ما يدل علىٰ إمامتهم عليهم السلام والنّصوص الّتي وردت بحقهم ، وكذلك الآيات النّازلة بهم عليهم السلام ؛ لأنّها لا يستطيع من مثلي أنْ يحصيها بالإضافة إلىٰ أنّ بحثنا يدور حول نصوص البيعة لانصوص الولاية ، ولهذا في حديث بيعة الغدير بعد أنْ اعترفوا بالوحدانية لله وبنبوته صلى الله عليه وآله أنه لا ينطق عن الهوىٰ إن هو إلّا وحْيٌ يوحىٰ انتقل بهم صلى الله عليه وآله إلىٰ المرحلة الأخيرة وهي الّتي أفضىٰ إليهم فيها بالنصّ فقرر أولاً : أنّ الله مولاه ، ثمّ قرر أنه مولىٰ المؤمنين بصفته نبياً وعملاً بالنصّ القرآني : ﴿اَلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ،[1] وهكذا فهو لما أصبحت ولايته علىٰ المؤمنين فقد تصرف بحقٍّ منحه إياه الله تعالىٰ ولذلك ذكر النّاس بهذه الولاية ، ثمّ قال : «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه...» ، فأثبت ولاية عليّ عليه السلام كولايته الّتي أثبتها الله له بالقرآن ، وبعد ذلك ـ بعد أنْ أصبح عليٌّ الرّئيس الأعلىٰ ـ إنْ صح التّعبير ـ للحكومة القادمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله جاءت الوفود للتهنئة وهي الّتي يعبر عنها بالبيعة ، وإلّا ما فائدة التّهنئة قبل النّص؟ أو بعبارة أوضح مافائدة البيعة قبل النّص؟ وحسبك كلامه عليه السلام في أيام خلافته أرجع النّاس بالرحبة وناشدهم فقال : «أنشد الله كلّ أمرئ مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم ماقال : إلّا قام فشهد بما سمع ، ولا يقم إلّا من رآه بعينه وسمع بأُذنيه ، فقام ثلاثون صحابياً فيهم اثنا عشر بدرياً فشهدوا أنه أخذه بيده... فانظر أيها القائل بالبيعة بأنّ يوم الرّحبة في خلافته عليه السلام سنة «٣٥هـ» وناشدهم علىٰ ماسمعوه ورأوه يوم الغدير في حجّة الوادع سنة عشر للهجرة ، فالفارق الزّمني هو «٢٥» سنة وقد تخلل هذه الفترة الزّمنية

---

(١) الأحزاب : ٦.

حروب طاحنة أفنت جلّ من شهد يوم الغدير من شيوخ الصّحابة ولم يبق منهم إلّا النّزر القليل علىٰ قيد الحياة وبعضهم لم يشهد الرّحبة إلّا من كان معه عليه السلام بالعراق من الرّجال دون النّساء، ورغم كلّ ذلك قعد المبغضون ولم يشهدوا، كأنس، والبراء وزيد، وجرير... ولسيد الشّهداء أيضاً كهذا الموقف في عرفات علىٰ عهد معاوية مذكراً الحاج بيوم الغدير، والأئمّة والصّحابة كلّهم علىٰ هذا المنوال، ولم نسمع بأنهم احتجوا وناشدوا النّاس بالعدد وبالتهنئة وإلّا لأصبحت خلافة الأوّل صحيحة ببيعة عمر بن الخطاب، وأبي عبيدة بن الجراح له، وكذلك بيعة عمر من قبل أبي بكر بالعهد فقط، وبيعة عثمان بصفقة يد عبد الرّحمن بن عوف. ولو كانت الخلافة الشّرعية بالبيعة فقط لما كان الإمام عليّ عليه السلام خلال هذه الفترة، إماماً وخليفة للمسلمين ولم يتعب رسول الله نفسه صلى الله عليه وآله بالتمهيد له ويتخوف ويحذر ويخشىٰ من هؤلاء، بل يترك الأمر لهم، ولم ينزل الله الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ... وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ...﴾ ولم يقل صلى الله عليه وآله... ولم... ولم... وإلّا أصبح كلامه صلى الله عليه وآله ـ وحاشاه ـ «الحسن والحسين إمامان...»، لغواً ولكن قاتل الله السّياسة، والدّراهم والدّنانير، والسّياط والسّيوف، والمناصب، لطمس نصوص الإمامة وعهود الخلافة لما يخشىٰ الظّالمون منه أنْ تدمر عروشهم ولذا ساموا أصحاب الأئمّة لنقلهم حديث الولاية وغيره سوء العذاب يحلقون لحاياهم، ويحرقون بيوتهم، ويضربون أعناقهم، ويستلون ألسنتهم، ويسملون أعينهم، ويقطعون أيديهم وأرجلهم، ويهتكون أعراضهم، ويصلبونهم علىٰ جذوع النّخل، ويشردونهم من ديارهم، كالذين نراهم اليوم.

بيعة النّاس للإمام الحسن بن عليّ عليه السلام

إننا نعلم من خلال دراسة المصادر التّأريخية، أنّ معاوية حارب الإمام عليّاً عليه السلام باسم المطالبة بدم عثمان، علىٰ رغم أنّ الإمام عليّاً عليه السلام أشار مراراً وتكراراً في رسائله وخطبه إلىٰ أنّه أبرأ قريش من دم عثمان، كما أشرنا سابقاً. وهل من المعقول أنّ كلّ أهل العراق، واليمن، ومصر و... و... قد اشتركوا في قتل عثمان، بما فيهم النّساء والأطفال، والشّيوخ الكبار، وأهل القرىٰ والأطراف؟ وهل..وهل..؟ كلا وألف كلا، بل إنّ معاوية كان يبتغي من وراء ذلك «المُلك»، وكانت الغاية عنده تبرر الوسيلة. ومرت الأيام والشّهور من أوّل يوم بيعة أهل العراق وغيرهم للإمام عليّ ابن أبي طالب عليه السلام وإلى يوم استشهاده عليه السلام، أي خلال مدة خلافته (أربع سنين وتسعة أشهر ويوماً واحداً)، علىٰ أصح التّقادير[1]، وذلك للناس خلاف في مدة عمره وفي مدة خلافته، فخلال هذه المدة لم تمر ليلة واحدة، أو يوم واحد بقي فيه الإمام عليّ عليه السلام مرتاح البال والخاطر، بل إنّ التّخطيط التّآمري، ودائرة البُغاة من النّاكثين، والمارقين، والقاسطين، تعلن عليه الحرب تلو الحرب حتىٰ ضُرج بدمه عليه السلام، بعد أنْ أذن لصلاة الصّبح، وجعل ينبه مَن في المسجد من النّيام، ثمّ صار إلىٰ محرابه فوقف فيه، وافتتح الصّلاة وقرأ فلما ركع وسجد سجدة واستوىٰ قاعداً

---

(١) الفتوح لابن أعثم م ٣: ٢٨٢.

وأراد أنْ يسجد الثّانية، وقيل: بل صلّىٰ الرّكعة الأُولىٰ وسجد الثّانية ضربه ابن ملجم علىٰ رأسه، فوقعت الضّربة علىٰ الضّربة الّتي كان ضربها عمرو بن عبد ود يوم الخندق بين يدي النّبيّ ﷺ، فقال عليه السلام: «فزت ورب الكعبة».[1] وجاء في شرح النّهج: فقال عليّ عليه السلام لابن ملجم بضعف، وانكسار صوت، ورأفة ورحمة! لقد جئت عظيماً، وركبت أمراً عظيماً، وخطباً جسيماً! أبئس الإمام كنت لك حتىٰ جازيتني بهذا الجزاء؟ ألم أكن شفيقاً عليك، وآثرتك علىٰ غيرك، وأحسنت إليك وزدت في إعطائك؟ ألم يُقَلْ فيك كذا وكذا؟ فخليت لك السّبيل، ومنحتك عطائي، وقد كنت اعلم أنك قاتلي لا محالة، ولكن رجوت بذلك الاستظهار من الله تعالىٰ عليك يالُكع، وعلىٰ أنْ ترجع عن غيك، فغلبت عليك الشّقاوة فقتلتني يا أشقىٰ الأشقياء! قال: فدمعت عينا ابن ملجم لعنه الله وقال: يا أميرالمؤمنين! أفأنت تنقذ من في النّار؟ قال له: صدقت، وقيل: فسكت المراديّ ولم يقل شيئاً، فقال عليّ عليه السلام: «وكان أمر الله قدراً مقدوراً»[2] قال: ثمّ أمر به عليّ عليه السلام إلىٰ السّجن، وقال: احبسوه فنعم العون لنا علىٰ عدونا! فإذا أنا متّ، فاقتلوه كما قتلني. قال: فكان عليّ عليه السلام يتفقده ويقول لمن في منزله: أرسلتم إلىٰ أسيركم طعاماً؟[3] وجعل الطّبيب يختلف إلىٰ عليّ واشتدت العلة به جداً، فأحس من نفسه بالموت، وعلم أنّه لاينتعش من مصرعه، فدعا بابنيه الحسن والحسين وأقعدهما بين يديه، ودعا أيضاً بمن حضر من ولده وأهل بيته، وأقبل عليهم بوجهه. فقال: يابنيّ! إني موصيكم بتقوىٰ الله

---

(١) أُنظر الكامل للمبرد: ٥٥٠، تأريخ اليعقوبيّ ١: ٢٢، شرح النّهج ٢: ١٨٢، الطّبقات الكبرىٰ ٣: ٨٣، وغير ذلك كثير....

(٢) شرح النّهج ٢: ١٧٩ والآية ٣٨ من الأحزاب.

(٣) الفتوح لابن اعثم م٣: ٢٨١.

وطاعته... قال الحسن عليه السلام فإذا أبي فارق الدّنيا فأحضرنا أكفانه، وكان عنده حنوط له من بقية حنوط النّبيّ صلى الله عليه وآله، فغسله الحسن والحسين، ومحمّد بن الحنفية يصب علىٰ أيديهما الماء... ونقلاً عن محمّد بن الحنفية، كما جاء في الشّرح: «وكان الحسن يغسله، والحسين يصب الماء عليه، وكان لايحتاج إلىٰ من كان يقلبه، بل يتقلب كما يريد الغاسل يميناً وشمالاً»[1]، ثمّ حُمل علىٰ أعواد المنايا... ودفن في جوف اللّيل الغابر بموضع يقال له الغري. وقيل إنّ عليّاً عليه السلام قد أوصىٰ أنْ يُخفىٰ قبره لعلمه أنّ الأمر يصير إلىٰ بني أُمية، فلم يأمن أن ينبشوا قبره، وهذا هو الصّحيح؛ لأن معاوية بن أبي سفيان يفعل أكثر من ذلك، وهو الّذي ربىٰ أهل الشّام علىٰ سب الإمام عليّ عليه السلام من فوق المنابر، حتىٰ إنهم أخذوا يختمون صلاتهم بشتمه عليه السلام، وقد فعل المتوكلّ بقبر الحسين عليه السلام، من الحرث وجريان الماء، ومنع زيارته، وقطع يد الزّائر و... و... مما لايخفىٰ علىٰ أصحاب التّأريخ والسّير.

فلما كان الغد أذّن الحسن وأقام، وتقدم فصلّىٰ بالناس صلاة الفجر، ثمّ وثب فصعد المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه، وقال: أيها النّاس! من عرفني فأنا الّذي يعرف، ومن لم يعرفني أنبأته باسمي، علىٰ أنّ النّاس بيٍّ عارفون، فأنا الحسن بن عليّ بن أبي طالب ابن عم النّبيّ صلى الله عليه وآله، أنا ابن البشير النّذير، السّراج المنير، أنا ابن من بعث رحمة للعالمين، وسخطاً علىٰ الكافرين، أنا ابن من بعث إلىٰ الجن والإنس، أنا ابن المستجاب الدّعوة، أنا ابن الشّفيع المطاع، أنا ابن أوّل من ينفض رأسه من التّراب، أنا ابن أوّل من يقرع باب الجنّة، أنا ابن من قاتلت معه الملائكة، نصر بالرعب من مسيرة شهر»[2]، ثمّ قال: «لقد قبض ـ دفن ـ في هذه اللّيلة رجل لم

---

(١) شرح النّهج ٢: ١٨٢.

(٢) سمط النّجوم العوالي ٢: ٥٣٣، أُنظر شرح النّهج ٢: ١٨٢، الفتوح لابن اعثم م٣: ٢٨٣ قريب من هذا.

يدركه الأولون بعلم ولا الآخرون بحلم، ولقد كان النّبيّ ﷺ إذا قدمه للحرب، فجبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فما يلبث أنْ يفتح الله علىٰ يديه. أيها النّاس! إنه ما خلّف صفراء ولابيضاء إلّا سبعمئة درهم، قد كان أراد أنْ يبتاع بها لأُختي أُمّ كلثوم خادماً، وقد أمرني أنّ أردها إلىٰ بيت المال. وهذه اللّيلة هي اللّيلة الّتي عرج فيها عيسىٰ بن مريم عليه السلام، وفيها قبض يوشع بن نون - وصي موسىٰ عليه السلام ...[1]، ثمّ خنقته العبرة فبكىٰ وبكىٰ النّاس معه، ثمّ ذكّرهم أنه من أهل البيت الّذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهرهم تطهيراً... والّذين فترض الله مودتهم في كتابه، إذ يقول: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾[2] فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت.[3]

وقد اختلف علماء السّير في يوم بيعة الإمام الحسن عليه السلام، فقسم قال: بويع الإمام الحسن بالخلافة في اليوم الّذي استشهد فيه الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأوّل من بايعه قيس بن سعد بن عبادة، حين قال له: ابسط يدك أُبايعك علىٰ كتاب الله وسنة

---

(١) الفتوح لابن اعثم م٣: ٢٨٣، وأعلام الورىٰ للطبرسيّ: ٢٠٨، حياة الإمام الحسن عليه السلام للقرشي ٢: ٣. وشرح النّهج ٢: ١٨٢ بإختلاف يسير في بعض الألفاظ، والطّبريّ ٦: ٩١ والإرشاد: ١٤٧، صفة الصّفوة ١: ١٢٦ مقاتل الطّالبين: ٦٢.

(٢) الشّورىٰ: ٢٣.

(٣) شواهد التّنزيل ٢: ٢٠٥ ح ٨٣٨، وهامش: ٢٠٧، من تحقيق العلاّمة المحموديّ وح ٨٤٥ و٨٤٦ و٨٤٧ و٨٤٨ و٨٤٩، والمناقب لابن المغازليّ: ٣١٦ ح ٣٦٠، الكامل لابن الأثير ٢: ٦٢٦، الصّواعق المحرقة: ١٠١، فضائل الخمسة ٢: ٦٧، الأمالي الخميسية للشجريّ: ١٤٩، تفسير السّيوطيّ للآية، والثّعلبيّ، فكل هذه التّفاسير تؤكد أنّ إقتراف الحسنة هي مودة أهل البيت عليهم السلام، تحفة الأحوذيّ ٣: ٢٧٢، البخاريّ (كنز العمّال ١٢: ١١٢ و ١٢٠)، ورواه التّرمذيّ، وأحمد، والحاكم، وابن حبان، والهيثميّ في مجمع الزّوائد ٩: ١٤٦ و٢٠١، جامع التّرمذيّ ٥: ٦٥٦، المستدرك ٣: ١٤٣، الطّبريّ ٦: ٩٥، شرح النّهج لابن أبي الحديد ٤: ٦٩٦.

رسوله، فإنّ ذلك يأتي علىٰ كلّ شرط، فبايعه وبايعه النّاس.

وقيل: إنّما بايعوه بعدما قتل عليّ عليه السلام بيومين... وقال الزّهريّ: «كان قد بايع عليّاً عليه السلام أربعون ألفاً من أهل العراق علىٰ الموت ليسيروا معه إلىٰ الشّام، فلما استشهد بايعوا الحسن عليه السلام»[١]، وقال صاحب المقاتل نقلاً عن أبي مخنف عن رجاله: «قام ابن عباس بين يديه ـ بين يدي الحسن ـ فدعا النّاس إلىٰ البيعة، فاستجابوا له وقالوا: ماأحبه إلينا، وأحقه بالخلافة فبايعوه».[٢]

وذكر ابن أعثم في الفتوح: أنّه لما مضىٰ عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلىٰ سبيل الله اجتمع النّاس إلىٰ ابنه الحسن، فبايعوه ورضوا به وبأخيه الحسين من بعده. قال: فنادىٰ الحسن في النّاس فجمعهم في مسجد الكوفة، ثمّ صعد المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمّ قال: أيها النّاس إنّ الدّنيا دار بلاء وفتنة، وكلّ مافيها مائل إلىٰ زوال واضمحلال، وقد نبأنا الله عنها لكي نعتبه، وتقدم إلينا فيها بالوعد لكي نزدجر، فلا يكون له علينا حجّة بعد الاعذار والإنذار، فازهدوا فيما يفنىٰ، وارغبوا فيما يبقىٰ، وخافوا الله في السّر والعلانية، ألا وقد علمتم أنّ أميرالمؤمنين عليّاً رحمه الله حياً وميتاً، عاش بقدر ومات بأجل، وأني أبايعكم علىٰ أنْ تُحاربوا من حاربت وتسالموا من سالمت»، فقال النّاس، سمعنا وأطعنا فمرنا بأمرك يا أميرالمؤمنين... وقيل أنهم قالوا:[٣] «ما أحبه ألينا، وأحقه بالخلافة».[٤]

وروي أنّ الحسن عليه السلام كتب إلىٰ معاوية بن أبي سفيان يدعوه إلىٰ الطّاعة

---

(١) تذكرة الخواص لسبط بن الجوزيّ: ١٩٦.

(٢) المقاتل: ٦٢.

(٣) الفتوح م٣: ٢٨٤ و٢٨٥، المستدرك ٣: ١٧٣، الطّبريّ ٦: ٩٣.

(٤) شرح النّهج لابن أبي الحديد ٤: ٦٩٧.

والجماعة وقال: «... ولقد كنا تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا، في حقنا وسلطان نبينا، وإن كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الإسلام، وأمسكنا عن منازعتهم مخافة علىٰ الدّين أنْ يجد المنافقون والأحزاب في ذلك مغمزاً يثلمونه به، أو يكون لهم بذلك سبب إلىٰ ما أرادوا من إفساده، فاليوم فليتعجب المتعجب من توثبك يامعاوية علىٰ أمر لست من أهله، ولا بفضل في الدّين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدىٰ قريش لرسول الله ﷺ ولكتاب الله، والله حسيبك، فسترد فتعلم لمن عقبىٰ الدّار، وبالله لتلقينَّ عن قليل ربك، ثمّ ليجزينك بما قدمت يداك، ومالله بظلام للعبيد. إنّ عليّاً رحمه الله لما مضىٰ لسبيله يوم قبض، ويوم منّ الله عليه بالإسلام، ويوم يبعث حياً، وَلاّني المسلمون الأمر بعده، فأسأل الله أنْ لا يؤتينا في الدّنيا الزّائلة شيئاً ينقصنا به في الآخرة مما عنده من كرامة، ولك في ذلك إنْ فعلته الحظ الجسيم، والصّلاح للمسلمين، فدع التّمادي في الباطل، وادخل فيما دخل فيه النّاس من بيعتي، فإنك تعلم أنّي أحقّ بهذا الأمر منك عند الله وعند كلّ آواب حفيظ، ومن له قلب منيب، واتقِ الله ودع البغي، واحقن دماء المسلمين، فوالله مالك خيرٌ في أنْ تلقىٰ الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه فيه، وادخل في السّلم والطّاعة، ولا تنازع الأمر أهله ومن هو أحقّ به منك ليطفئ الله النّائرة ـ العداوة ـ بذلك ويجمع الكلمة، ويصلح ذات البين، وإن أنت أبيت إلاّ التّمادي في غيك، سرت إليك بالمسلمين فحاكمتك حتىٰ يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين»، وأرسل الإمام الحسن عليه السلام هذه الرّسالة مع حرب بن عبدالله الأزديّ.[1]

وقبل كلّ هذا عُقد مؤتمر الطّوارئ من قبل معاوية وأصحابه، بعد أنْ سمع باستشهاد الإمام عليّ عليه السلام، وبيعة النّاس في الكوفة وفي أمصار أُخرىٰ للإمام

---

(١) شرح النّهج لابن أبي الحديد ٤: ٦٩٨ و١٢، ط آخر، المقاتل: ٦٤، بشكل مفصل.

الحسن عليه السلام، وقد ضم هذا المؤتمر التّآمري الّذي يشبه مؤتمر السّقيفة إلىٰ حد ما مستشاري الصّحابيّ والمؤتمن علىٰ كتب الرّسائل والوحي ـ كما تدعون ـ ألا وهو معاوية بن أبي سفيان، وقادة أتباعه للتشاور بالأحداث الجديدة ولرسم سياسة لمواجهة الإمام الحسن عليه السلام، كما واجه أباه من قبل. فقرر المؤتمرون، بل المتآمرون بث الجواسيس في داخل المجتمع لبث الدّعايات والإشاعات والأكاذيب ضد أهل البيت عليهم السلام، وذلك من خلال الدّراهم والدّنانير تارةً، ومن خلال المواعيد المغرية بالمناصب للولايات تارةً أُخرىٰ، ومن خلال التّهديد والوعيد تارةً ثالثة و... و... وأرسلوا رجلين من أدهىٰ وأمكر رجالاتهم، أحدهما من بني حمير إلىٰ الكوفة، والثّاني من بني القين إلىٰ البصرة، يكتبان لمعاوية الأخبار،[1] فدل علىٰ الحميريّ عند لحام جرير، ودل علىٰ القيني في بني سليم فأُخذا وقتلا.[2]

وعلىٰ أثر ذلك، وبعد أنْ كشر معاوية عن أنيابه، وكشف عن سوء نياته، كتب إليه الإمام الحسن عليه السلام:

«أمّا بعد: فإنك دسست إليَّ الرّجال كأنك تُحب اللّقاء، وما أشك في ذلك فتوقعه إن شاء الله، وقد بلغني أنك شمُتَّ بما لايشمت به ذوو الحجىٰ...».[3].

وجرت مكاتبات بين الإمام الحسن عليه السلام وبين معاوية، يطول ذكرها فلاحظها في المصادر الخاصة بذلك الحدث،[4] ولسنا بصدد بيان ماجرىٰ بين الإمام الحسن

---

(١) الفصول المهمة لابن الصّباغ المالكيّ: ١٦٦، مقاتل الطّالبين: ٦٢.

(٢) المقاتل: ٦٢، الأغانيّ ١٨: ١٦٢، الإرشاد: ١٤٨، شرح النّهج ٤: ١١.

(٣) المصادر السّابقة، وصلح الإمام الحسن محمّد جواد فضل الله.

(٤) المكاتبات في الفتوح لابن أعثم م٣: ٢٨٦ ومابعدها، والإمام الحسن بن عليّ بن أبي طالب للأُستاذ كامل

↔

ابن عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبين الدّاهية معاوية، وما أصاب الإمام الحسن بن عليّ من الغم عندما أقبل عليه رجل من بني أسد يقال له سنان بن الجراح وجرحه بمعول كان معه جراحة كادت تأتي عليه، وخرّ الإمام الحسن بن عليّ عن فرسه مغشياً عليه، وابتدر النّاس إلىٰ ذلك الأسدي فقتلوه.[1]

وبما أنّ موضوعنا يخص البيعة وآثارها في تعيين الخليفة، ولم ينظر إلىٰ ماجرىٰ إلىٰ الصّلح بين الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام وبين معاوية بن أبي سفيان، وكيفية سحق بنود معاهدة الصّلح من قبل معاوية؛ لأن المعاهدة تخص حقن دماء المسلمين بعد التّطورات الّتي حدثت للإمام الحسن، ولم تنص بنود المعاهدة علىٰ أنّ الإمام الحسن عليه السلام قد أقّر واعترف بأنه عليه السلام غير منصوص عليه من قبل الباري عزّ وجلّ والرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وكذلك من قبل الإمام عليّ عليه السلام، ولم تنص بنود المعاهدة علىٰ أنّ معاوية نُصّ عليه، بل بالعكس بأنّ الإمام الحسن عليه السلام نُصّ عليه ومعاوية حرم هو ومن علىٰ شاكلته من الطّلقاء من الخلافة.

فالإمام الحسن عليه السلام هو حجّة علىٰ المسلمين بعد الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقد قال صلى الله عليه وآله فيه كما ورد عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ، قلت: يارسول الله! عرفنا الله ورسوله فمن أُولو الأمر الّذين قرن الله طاعتهم بطاعته؟ فقال صلى الله عليه وآله: هم خلفائي ياجابر وأئمّة المسلمين من بعدي، أوّلهم عليّ بن أبي طالب، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين،...»[2]، وجاء في كفاية الأثر عن عليّ عليه السلام قال: دخلت علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله

⇔ الملطاويّ: ١١٥ ومابعدها، ط مصر، الطّبريّ ٦: ٩٢، تأريخ اليعقوبيّ ٢: ٢١٥، الأخبار الطّوال: ٢١٧، جمهرة أنساب العرب: ٢٥٧، الأغانيّ ١٨: ١٦٢، شرح النّهج لابن أبي الحديد ٤: ١٢ و١٨: ١٦٢.

(١) تأريخ اليعقوبيّ ٢: ٢١٥، الأخبار الطّوال: ٢١٧، الفتوح لابن أعثم م٣: ٢٩٠.

(٢) إكمال الدّين ١: ٢٥٣ ح٣.

في بيت أُمّ سلمة، وقد نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ..﴾ والأئمّة من ولدك فقلت: يارسول الله وكم الأئمّة بعدك؟ فقال رسول الله: أنت يا عليّ، ثمّ ابناك الحسن والحسين و... و...».[١] وقال ﷺ فيه وفي أخيه الحسين: «... من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»[٢]، وقال ﷺ: «هذان ابناي وابنا ابنتي، اللّهمّ إني أُحبهما فأحبهما وأحبّ من أحبهما».[٣] وقال ﷺ: «... أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم».[٤] ولسنا بصدد بيان شرعية الخلافة أيضاً؛ لأن الحديث الأوّل والثّاني يثبت بالنصّ خلافة الإمام الحسن عليه السلام، وهناك أحاديث أُخرىٰ أعرضنا عنها خشية من طول المقام، ومن شاء فليراجع المصادر الّتي تشير إلىٰ ذلك، وقد أوردناها في تحقيقنا لكتاب الفصول المهمة في معرفة الأئمّة لابن الصّباغ المالكيّ في الفصل الثّاني، وكذلك أُنظر، المناقب لابن شهر آشوب،[٥]، والتّفسير المنسوب للإمام العسكريّ عليه السلام،[٦] وإكمال الدّين عن المفضل بن عمر عن الإمام الصّادق عليه السلام،[٧] وكتاب سليم بن قيس عن سلمان المحمديّ، عن رسول الله ﷺ[٨]، وغيبة النّعمانيّ عن داود بن كثير الرّقي،[٩] وعيون أخبار الرّضا عن كعب

---

(١) كفاية الأثر: ١٥٦.

(٢) كنز العمّال ١٣: ١٥٩.

(٣) الفتح الرّبانيّ ٣: ١٤٠٦، مجمع الزّوائد ٩: ١٧٩، سنن ابن ماجة ١: ٥١، المستدرك ٣: ١٦٦.

(٤) الجامع ٥: ٦٥٦، برواية التّرمذيّ وحسنه.

(٥) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٢٤٣.

(٦) التفسير: ٤٥٦ ح ٢٩٨.

(٧) إكمال الدّين ٢: ٣٥٨ ح ٥٧.

(٨) كتاب سليم بن قيس: ١٤٨.

(٩) كتاب غيبة النّعمانيّ: ٨٧ ح١٨ و١٩.

الأحبار،[١] وكذلك الخصال[٢] وشواهد التّنزيل عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام،[٣] وفضائل ابن شاذان عن رسول الله صلى الله عليه وآله،[٤] وكنز الفوائد عن الجارود،[٥] والاختصاص عن ابن عباس،[٦] وإلزام النّاصب عن ابن عباس عن أميرالمؤمنين عليه السلام[٧]، أمّا الحديثان الأخيران فإنهما يشيران صراحة إلىٰ محبة رسول الله صلى الله عليه وآله له ولأخيه الحسين، وكذلك بغضه وحربه صلى الله عليه وآله لمن يبغضهما ويحاربهما عليهما السلام. ويكفيهما فخراً أنهما من أصحاب الكساء، وأنهما سيدا شباب أهل الجنّة، كما قال صلى الله عليه وآله فيهما علىٰ لسان جبريل، فقال: «جاءني جبريل، فقال: إنّ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة».[٨] فبعد هذا وذاك نطرح بعض الأسئلة علىٰ أصحاب العقول السّليمة، وأصحاب التّأريخ المنصفين من المسلمين وأهل القبلة، والّذين يؤمنون بيوم الحساب الّذي لا ينفع فيه النّدم فنقول:

١. أي مدخل لمعاوية بن أبي سفيان في الخلافة؟ أهو سيد من سادات أهل الجنّة؟ أم أنه من أولاد الطّلقاء الّذين لا تجوز لهم الخلافة، لاهو ولا أبوه؛ لأنهم كانوا من رؤوس الأحزاب؟ فإن قلتم بالأوّل، فهذا كذب وافتراء علىٰ التّأريخ، وإن قلتم بالثاني، فقد أثبت أهل التّأريخ أنّ الطّلقاء لاتجوز لهم وفيهم الخلافة[٩].

---

(١) عيون أخبار الرّضا ١: ٥١ ح١٦.

(٢) الخصال: ٤٧٤ ح ٣٥.

(٣) شواهد التّنزيل: ٤٥٤ ح ٦٢٥.

(٤) فضائل ابن شاذان: ١٥٨.

(٥) كنز الفوائد ٢: ١٣٩.

(٦) الاختصاص: ٢١٩.

(٧) إلزام النّاصب ١: ١١٠.

(٨) رواه التّرمذيّ، وابن ماجة، وأحمد، والطّبرانيّ، وقد تم إستخراجه من قبل.

(٩) الاستيعاب ٢: ٤٠٢، أُسد الغابة ٣: ٣١٨.

٢. هل معاوية بن أبي سفيان له دخل في الشّورىٰ، إنْ سلمنا بالشورىٰ؟ وهل هو فعلاً دخل في الشّورىٰ؟، والتّأريخ أثبت لنا أنّ معاوية لا هو من أهل الشّورىٰ ولم يدخله عمر بن الخطاب في الشّورىٰ أصلاً، بالإضافة إلىٰ ذلك أنّه ليس من أهل الحل والعقد، بل لم يدخل الإيمان لا في قلبه ولا في قلب أبيه، كما أثبتنا ذلك سابقاً. وليس هو من أهل بدر، ولا من أهل أُحد في جانب النّبيّ ﷺ، بل إنه في الجانب المقابل والمعادي للرسول ﷺ؛ لأنه من أبناء الطّلقاء؟ فكيف يستقر له الأمر بعد قول عمر بن الخطاب: هذا الأمر في أهل بدر مابقي منهم أحد، ثمّ في أهل أُحد، ثمّ في كذا وكذا، وليس فيها لطليق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح.[1] وها هو الإمام عليّ بن أبي طالب يقّيم معاوية بن أبي سفيان: «... وخلاف معاوية أيّاي الّذي لم يجعل الله له سابقة في الدّين، ولاسلف صدق في الإسلام، طليق ابن طليق وحزب من الأحزاب، لم يزل لله ولرسوله وللمسلمين عدوّاً هو وأبوه، حتىٰ دخلا في الإسلام كارهين مكرهين»[2]. وقال له عليه السلام أيضاً: «واعلم أنك من الطّلقاء الّذين لاتحل لهم الخلافة، ولاتعقد معهم الإمامة، ولايدخلون في الشّورىٰ».[3]

٣. ماذا تقولون وتُجيبون علىٰ من قيّم معاوية بن أبي سفيان بدءاً برسول الله ﷺ وانتهاءاً بيوم القيامة؛ لأنه لم يزل التّقويم مستمراً لمعاوية بن أبي سفيان، بل إنّ التّأريخ في كلّ يوم يكشف لنا منقبة من مناقب هذا الصّعلوك! وهذا التّقويم لمعاوية ليس من الشّيعة حتىٰ تقولوا هذا من مفتريات الشّيعة، بل إنّ الأعجب هنالك إعتراف صريح من قبل مؤرخيكم ممن يخلط بين الحقّ والباطل بعد إطلاعه علىٰ

---

(١) أُسد الغابة ٤: ٣٨٧، الطّبقات الكبرىٰ ٣: ٢٤٨ ط ليدن.

(٢) وقعة صفين: ٢٢٧، الطّبريّ ٦: ٤، ابن الأثير ٣: ١٢٥.

(٣) العقد الفريد ٢: ٢٨٤، نهج البلاغة ٢: ٥، شرح النّهج ١: ٤٨٣.

أحاديث الرّسول الأكرمﷺ، وكذلك أقوال بعض الصّحابة والتّابعين، بل حتىٰ من مستشاري معاوية نفسه وبطانته، بأنّ معاوية ملعون علىٰ لسان رسول اللهﷺ، بل أمر المصطفىٰ الأمجد والّذي: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾، المسلمين إذا رأيتم معاوية علىٰ منبري فاقتلوه و... و... ثمّ بعد هذا الاطلاع يقول بكل صلافة ووقاحة إنّ سيدنا معاوية دسّ السُّم لسيدنا الحسن، بواسطة جعدة بنت الأشعث، واشترك سيدنا معاوية بسُّم الأشتر، و... ثمّ يقول: قتل سيدنا يزيد سيدنا الحسين، وهكذا يستمر في هذه الخزعبلات والتّرهات، ثمّ يدعي بأنه من المؤرخين المنصفين المحايدين... وها هو عبد الله بن بديل يقول في معاوية: «إنّ معاوية ادعىٰ ماليس له، ونازع الأمر أهله، ومن ليس مثله...»[1] وقال الأسود بن يزيد للسيدة أُمّ المؤمنين عائشة: «ألا تعجبين من رجل من الطّلقاء ينازع أصحاب رسول الله في الخلافة؟ قالت: وما تعجب من ذلك! هو سلطان الله يؤتيه البرّ والفاجر، وقد ملك فرعُون أهل مصر أربعمئة سنة، وكذلك غيره من الكفار»[2]. وقال له شعبة بن غريض: «إنك كنت ميّت الحقّ في الجاهلية، وميّته في الإسلام، أمّا في الجاهلية فقاتلت النّبيّ والوحي حتىٰ جعل الله كيدك المردود، وأمّا في الإسلام فمنعت ولد رسول اللهﷺ الخلافة، وما أنت وهي! وأنت ابن طليق؟».[3]

أمّا أقوال الرّسول الأكرمﷺ في معاوية، فهي كثيرة وقد أشرنا إلىٰ بعضها سابقاً كقوله: «أمّا معاوية فصعلوك لا مال له»،[4] وقال فيه أيضاً وفي عمرو بن

---

(١) وقعة صفين: ٢٣٤، ط القاهرة، الطّبريّ ٦: ٩، ابن الأثير ٣: ١٢٨، الاستيعاب ١: ٣٤٠، شرح النّهج ١: ٤٨٣.

(٢) وقعة صفين: ٢١٤، ط القاهرة، الطّبريّ ٦: ٧، ابن الأثير ٣: ١٢٦.

(٣) الأغانيّ ٣: ٢٥، الإصابة ٢: ٤١ رقم: ٣٢٤٥.

(٤) صحيح مسلم ٤: ١٩٥، السّنن الكبرىٰ للبيهقيّ ٧: ٤٧١، السّنن لأبي داود ١: ٣٥٩، النّسائيّ في سننه ٦:

العاص «... إذا رأيتموهما اجتمعا ففرقوا بينهما، فإنهما لا يجتمعان علىٰ خير أبداً»،[١] وقال فيهما أيضاً: «... اللّهمّ أركسهما في الفتنة ركساً، ودُعّهما إلىٰ النّار دعّا».[٢] ونظر رسول اللهﷺ ذات يوم إلىٰ أبي سفيان، ومعاوية وأخيه، أحدهما قائد والآخر سائق، فقال: «اللّهمّ العن القائد والسّائق والرّاكب».[٣]

هذا غيض من فيض فيما ورد بحق معاوية، وذاك للإمام الحسنعليه السلام وما ورد بحقه وحقّ أبيه وأخيه وأهل بيته من قبل الله ورسوله، فكيف تؤول الخلافة إلىٰ الطّلقاء دون أهل البيت، وهم أهل الكساء المطهرون المعصومون، وها هو قول المصطفىٰﷺ الّذي يوجب علىٰ المسلمين نصب إمام من ولد فاطمة، ومن ذرية الحسينعليه السلام، ومن لم يؤمن بالحديث مات ميتة جاهلية، حيث قالﷺ: «فمن مات، ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية».[٤] إذن الإمامة محصورة في آل البيت، مقصورة عليهم؛ لأن الأمر والاختيار مردود إلىٰ الرّحمن، وليس للخلق الاختيار، والاعتراض في ذلك بسبب من الأسباب، كإجماع الأُمّة؛ لأن الإجماع لم يتم، واختلاف الأنصار والمهاجرين حتىٰ قالوا منا أمير ومنكم أمير، وهذا سعد بن عباده وابنه وجماعة معهما أنكروا البيعة بالإضافة إلىٰ ما أوردناه سابقاً من اعتراض بني هاشم وبعض الصّحابة.

↔ ٢٠٨، مسند الطّيالسيّ: ٢٢٨، رغم كلّ هذه المصادر الّتي تذكر معاوية بن أبي سفيان، لكن الرّافعي يقول: أنه ليس معاوية بن أبي سفيان الّذي ولي الخلافة، بل هو آخر. راجع الإصابة ٣: ٤٩٨.

(١) العقد الفريد ٤: ٣٤٥، وقعة صفين: ٢٤٥.

(٢) مسند أحمد ٤: ٤٢١، وقعة صفين: ٢٤٦، النّصائح الكافية: ٥٩، المعجم الكبير للطبرانيّ ١: ٤٢.٧.

(٣) وقعة صفين: ٢٤٧، الطّبريّ ١١: ٣٥٧، شرح النّهج ٢: ١٠٣، تذكرة الخواص: ١١٥.

(٤) روي هذا الحديث بصياغات وروايات مختلفة علىٰ سبيل المثال: مسند أحمد ٤: ٩٦، صحيح الجامع الصّغير وزيادته الفتح الكبير. محمّد ناصر الدّين الألبانيّ ٢: ح ٦٢٢٧ و ٦٢٢٩.

ثمّ أين الإجماع الّذي دبّ فيه الخلاف بين الأوس والخزرج؟ وأين الإجماع الّذي لم يحضره سوىٰ ثلاثة فقط؟ وأين الإجماع وقد اعتبر عمر بن الخطاب بيعة أبي بكر فلتة؟ وأين الإجماع في خلافة عمر بن الخطاب، وقد إختاره أبوبكر خليفة من بعده وأمر المسلمين بمبايعته؟، كما أنَّ عمر جعلها شورىٰ بين ستة فقط؟ وهذا يقودنا إلىٰ رفض الإجماع والحجج الأُخرىٰ الّتي أشرنا إليها سابقاً، كاسلوب لتقليد الإمامة، ليصل في النّهاية إلىٰ خلق نظرية جديدة مفروضة من قبل أُناس لايمكن أن نصفهم إلّا بما قال تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1].

٤. أفبعد كلّ هذه الأحاديث والأقوال والحكايات من قبل الله ورسوله والصّحابة والمؤرخين وأهل السّير بحق الإمام الحسن من جانب، ومعاوية بن أبي سفيان من جانب آخر، تقولون سيدنا معاوية اشترك في قتل سيدنا الحسن، أو سيدنا يزيد ـ والّذي تأتي سيرته في الفصل القادم ـ قتل سيدنا الحسين و... و...؟ ثمّ بعد ذلك تدافعون عن رفض معاوية لطلب الإمام الحسن منه البيعة ورفض معاوية للبيعة، بل زاد علىٰ ذلك بأنه جيّش جيوشه نحو العراق، فما كان من الإمام الحسن إلّا أنّ جيّش أيضاً جيوشه وخرجت تحت قيادة ابن عمّه عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب في اثني عشر ألفاً من فرسان العرب وقرّاء الكوفة وآزره بقيس بن سعد بن عبادة، ولكن معاوية احتال علىٰ عبيد الله وأرسل إليه في اللّيل قائلاً له: «إنّ الحسن قد راسلني في الصّلح، فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً، وإلّا دخلت وأنت تابع ولك إن جئتني الآن أن أُعطيك ألف ألف درهم، يعجل في هذا الوقت النّصف، وإذا دخلت الكوفة النّصف الآخر فانسل عبيد الله

---

(١) القصص: ٦٨.

ليلاً فدخل معسكر معاوية»[١]. ولم يكتفِ بذلك، بل دسّ إلىٰ عمرو بن حريث، والأشعث بن قيس، وإلىٰ حجار بن أبجر، وشبث بن ربعي دسيساً: أفرد كلّ واحد منهم بعين من عيونه، إنك إنْ قتلت الحسن بن عليّ فلك مئة ألف درهم، وكان يجمع كلّ هؤلاء كرهُهم وحقدُهم علىٰ أهل البيت عليهم السلام فقط لا غير، وجند من أجناد الشّام الكثير الكثير، فبلغ ذلك الحسن فاستلأم، ولبس درعاً وكفّرها، وكان يحترز ولا يتقدم للصلاة بهم إلّا كذلك، فرماه أحدهم وهو في الصّلاة بسهم، فلم يلبث فيه لما عليه من اللامة...»[٢] أهكذا تتم البيعة أيها المنصفون والمؤرخون؟ أهكذا يكون خليفة رسول الله وإمام المسلمين، وسيدكم وليس سيد المؤمنين، أنّ يشتري النّاس بأموال المسلمين، ويدس السُّم في العسل لقتل أبناء النّجباء ليتربع أبناء الطّلقاء علىٰ سدة الحكم وعلىٰ رقاب المسلمين؟ ثمّ تبجلونه وتقولون دخل في الإسلام هو وأبوه، ثمّ خدما وقدما التّضحيات، كما يدعي المدعي؟.

ثمّ ماكان من معاوية إلّا أنْ دسّ إلىٰ عسكر الحسن من يتحدث أنّ قيس بن سعد قد صالح معاوية، وصار معه، ووجه إلىٰ عسكر قيس من يتحدث معه أنّ الحسن قد صالح معاوية وأجابه، و... و...[٣]. وقد قال معاوية لأهل الكوفة: «إني والله ماقاتلتكم لتصلوا، ولا لتصوموا، ولا لتحجوا، ولا لتزكوا إنكم لتفعلون ذلك، وإنّما قاتلتكم لاتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون».[٤] وقال: «ألا إنّ كلّ شيء أعطيته الحسن فتحت قدميّ هاتين»[٥]، فأي بيعة هذه لمعاوية كما

---

(١) مقاتل الطّالبين: ٥٠ ـ ٦٥.

(٢) البحار ١٠: ١٠٧.

(٣) تأريخ اليعقوبيّ ٢: ١٥٦، المقاتل: ٦٣، أسد الغابة ٤: ٩٧، الجمهرة: ٢٩٤.

(٤) المقاتل: ٧٠، ابن كثير ٨: ١٣١، شرح النّهج لابن أبي الحديد ٤: ١٦.

(٥) المقاتل: ٦٩، شرح النّهج لابن أبي الحديد ٤: ١٦.

يدعي بعض؟ فهل فيها أحد من المهاجرين أو الأنصار؟ وهل هرع إليه النّاس كما هرعوا للإمام عليّ، أو للإمام الحسن عليه السلام، أو بايع أهل المدينة معاوية أم بايعوا الإمام الحسن عليه السلام؟

فقد ثبت من المصادر التّأريخية، أنّ أهل المدينة بايعوا الإمام الحسن بن عليّ ابن أبي طالب، وكذلك بقية الأمصار، فقد ذكر ابن أعثم في الفتوح كتاب عبد الله ابن عباس الّذي ورد عليه من البصرة وإذا فيه: «لعبد الله الحسن أمير المؤمنين من عبدالله بن عباس، أمّا بعد يابن رسول الله فإن المسلمين ولّوك أمرهم بعد أبيك...».[1] وها هو قيس بن سعد لم يدخل في بداية الأمر في بيعة معاوية، وعندما دعوه للبيعة قال: إني حلفت ألا ألقاه ـ معاوية ـ إلّا بيني وبينه الرّمح أو السّيف...، ثمّ بعد ذلك أمر معاوية برمح وسيف فوضعا بينه وبينه ليبر بيمينه، وقال له: أتبايع ياقيس قال نعم، ووضع يده علىٰ فخذه ولم يمدها إلىٰ معاوية، فجاء معاوية من سريره وأكب علىٰ قيس حتىٰ مسح يده علىٰ يده، وما رفع إليه قيس يده.[2]

والسّؤال الّذي يطرح نفسه هنا، إنّ المبايع يذهب للبيعة أم المبايع له؟ فأي بيعة هذه الّتي تكون عكس البيعات، حتىٰ بيعة الباطل والّتي تتم بالغلبة والقهر؟ وهي عكس بيعة الأوّل؛ لأن أباعبيدة بن الجراح، وعمر بن الخطاب، وغيرهما هم يجرّون يد الرّجل ويمسحونها بيد الأوّل. وكذلك عكس بيعة الثّاني والثّالث. فأين الإنصاف أيها المؤرخ الكبير ـ ابن خلدون؟ وأين الأمانة في نقل التّأريخ؟ وأين مكان القول القائل: إذا أردت أنْ تكون ناقلاً فما عليك إلّا بالنقل الصّحيح، وإذا

---

(١) الفتوح لابن أعثم م٣: ٢٨٥ و٢٨٦.

(٢) شرح النّهج لابن أبي الحديد ٤: ٧٠٧، الطّبريّ ٦: ٩٢.

أردت أنْ تكون مستدلاً فما عليك إلّا بالدليل؟ فإذا نظرت نظرة سريعة في أقوال عبد الرّحمن بن شريك وحديثه عن معاوية وكيفية نقضه لشروط معاهدة الصّلح يقول: هذا والله هو التّهتك؟[١] وأي بيعة الّتي يقول فيها النّاس آمين، بعد أنْ خطب الحسن عليه السلام بالكوفة بعد خطبة معاوية ونال من الإمام عليّ بن أبي طالب، فقال الإمام الحسن: «أيها الذّاكر عليّاً، أنا الحسن وأبي عليّ، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأُمّي فاطمة وأُمّك هند، وجدي رسول الله، وجدك عتبة بن ربيعة، وجدتي خديجة، وجدتك قتيلة، فلعن الله أخملنا ذكراً، وألأمنا حسباً، وشرنا قديماً وحديثاً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً...».[٢] فقال أهل المسجد آمين.

٥. هل من المعقول أيها المؤرخون المنصفون وأصحاب الأخلاق النّبيلة حتىٰ ولو لم تكونوا من المسلمين، بل من أصحاب النّظريات الأخلاقية والتّربوية والنّفسية والاجتماعية والعلمية، أنْ يكون خليفة المسلمين، أو الحاكم، أو رئيس الدّولة، أنْ يتخلق بهذه الأخلاق الّتي تقوده أنْ يقعد فيها علىٰ منبر الكوفة ويطلب من النّاس أنْ يُبايعوه علىٰ البراءة من عليّ بن أبي طالب؟[٣] وهل حدثكم التّأريخ البشري الماضي والحاضر، بأنّ أحد رؤساء دولة ما طَلب من مجتمعه أنْ يُبايعوه بالبراءة من الرّئيس السّابق لهم، وهو علىٰ قيد الحياة؟ فكيف إذا كان هو تحت الثّرىٰ؟ وها نحن نشاهد عكس ذلك؛ لأن بعضهم أي الرّؤساء الجدد يترحمون علىٰ أعدائهم، ويذهبون للصلاة علىٰ قبورهم و... ألم يكن هؤلاء هم أحسن خُلقاً من معاوية؟

---

(١) شرح النّهج لابن أبي الحديد ٤: ٧٠٦.

(٢) شرح النّهج لابن أبي الحديد ٤: ٧٠٦.

(٣) العقد الفريد ١: ٧٠.

ثمّ أي بيعة هذه الّتي يتلقىٰ فيها معاوية الصّفعات من الرّجال والنّساء من أمثال خالد بن المعمر و... و... والزّرقاء بنت عدي، وأُمّ الخير بنت الحريش بن سراقة و... و...؟[١] ومما يجدر ذكره أنّ معاوية لقي أبا قتادة الأنصاريّ في المدينة فقال له: تلقاني النّاس كلّهم غيركم يامعشر الأنصار، فقال: لم يكن لنا دواب، قال فأين النّاضح؟ فقال عقرناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر، ثمّ قال: إنّ النّبيّ ﷺ قال لنا: «إنّكم سترون بعدي أثرة»، فقال معاوية: فما أمركم؟ قال: أمرنا أنْ نصبر. فقال معاوية: فاصبروا...[٢]، ومثل ذلك قال أبو أيوب الأنصاريّ لمعاوية[٣].

فأي بيعة الّتي تأخذ النّاس بالظن، وتعاقب علىٰ الشّبهة، وتلحق زياد بن أبيه بالبيت الأُموي، وتقتل حجربن عدي وأصحابه؟ وقد قال فيهم رسول الله ﷺ نقلاً عن عائشة، أنّها قالت لمعاوية: «إني سمعت النّبيّ ﷺ يقول: سيقتل بعذراء ناس يغضب الله لهم وأهل السّماء»؟[٤] وأي بيعة الّتي ترفع فيها الرّؤوس؟ فقد روىٰ الطّبريّ: «إنّ أوّل رأس بُعث في الإسلام رأس عمرو بن الحمق، بعثه زياد إلىٰ معاوية»[٥]. وقال ابن كثير: «وبعث برأسه إلىٰ معاوية فطيف به في الشّام وغيرها، فكان أوّل رأس طيف به».[٦] إذاً هذه البيعة كما قلنا ليس فيها أحد من المهاجرين والأنصار، ولا أهل بدر، ولا أهل المدينه، ولا أهل الحجىٰ والفضل، ولا... ولا... فبيعة معاوية وما سبقها من بيعات تخالف الأصل الشّرعي، ويجب الوقوف

---

(١) العقد الفريد ٢: ٢٠٨.

(٢) تأريخ الخلفاء ١: ١٨٨.

(٣) مجمع الزّوائد ٩: ٣٢٣.

(٤) البداية والنّهاية ٨: ١٤٣، كنز العمّال ١٣: ٥٨٨، كتاب الجن ١: ١١٩.

(٥) التّأريخ الصّغير ١: ١٠٥.

(٦) البداية والنّهاية ٨: ٤٨.

ضدها وعدم الاستسلام لها؛ لأن القرآن الكريم يصرح آناء اللّيل وأطراف النّهار: ﴿وَلَاتَرْكَنُوٓا إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ...﴾[1]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَاتُطِيعُوٓا أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ * ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَايُصْلِحُونَ﴾.[2] وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾.[3] وقال تعالىٰ: ﴿وَلَاتُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾.[4] ولذا نرىٰ الخط الإمامي الشّيعي، لم يُهادن ولم يُساوم، منذا اغتصاب الخلافة وإلىٰ قيام الإمام المهديّ عليه السلام، كما ساوم ويساوم خط الخلافة في مهادنة الحاكم الظّالم الجائر ويستسلم له، بل يُحرم الخروج عليه. وسبق وأن أشرنا إلىٰ رواية عبدوس ابن مالك القطان: «ومن غلبهم بالسيف حتىٰ صار خليفة وسمي أمير المؤمنين لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً، وبراً كان أو فاجراً»[5]. وقال أحمد أيضاً في رواية أبي الحرث: «إذا خرج عليه من يطلب الملك فيكون مع هذا قوم ومع هذا قوم: تكون الجمعة مع مَن غلب»، واحتج بأن ابن عمر صلّىٰ بأهل المدينة في زمن الحرة، وقال: «نحن مع مَن غلب»،[6] ومع الأسف الشّديد جوزوا حتىٰ إمامة الفاسق، فقد قالوا: «وجمهور العلماء علىٰ انعقادها بهذا الطّريق سواء كانت شروط الإمامة متوافرة في هذا المنتخب أو لم تتوافر فيه، حتىٰ ولو كان

---

(١) هود: ١١٣.

(٢) الشّعراء: ١٥١.

(٣) النّساء: ٦٠.

(٤) الكهف: ٢٨.

(٥) تقدمت تخريجاته في الأحكام السّلطانيه لأبي يعلىٰ: ٢٣، ٢٤.

(٦) المصدر السّابق.

المتغلب فاسقاً أو جاهلاً انعقدت إمامته»،[١] بل قال بعضهم لو تغلبت امرأة علىٰ الإمامة انعقدت لها.[٢] وحسب اعتقادي أراد صاحب هذا القول أنْ يُصحح خروج السّيدة عائشة، ولو أنّها ظفرت بالحرب لقالوا بصحة خلافتها، ولرووا الأحاديث الكاذبة عن رسول الله ﷺ بذلك. فوجوب الانقياد للفاسق أو الظّالم أو الجائر أو المرأة يخرج الإمامة عن الأصل الشّرعيّ، وحتىٰ لو سلمنا بذلك أي الإمرة لهؤلاء بالغلبة والقهر والسّيوف؛ فإنها لاتكون شرعية، ولايكون الإستلام لها دائماً، بل لابد من تحين الفرص لخلع هؤلاء، لما قدمناه سابقاً من الآيات الّتي لاتجوّز الرّكون إلىٰ الفاسق والظّالم، بل إنّ السّكوت محرم إلّا لتقية أو حفظ دماء المسلمين أو... أو... وأنّ دليل الضّرر رافع فقط، وليس بمشرع أو بمسوغ، كما يقول الفقهاء. وقد قال الإمام الحسن عليه السلام: «إني خشيت أنْ يجتث المسلمون عن وجه الأرض، فأردت أنْ يكون للدين داع»[٣] وقال عليه السلام: «ماأردت بمصالحتي إلّا أنْ أدفع عنكم القتل»،[٤] وقال أيضاً: «والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتىٰ يدفعوني إليه سلماً، والله لئن أُسالمه وأنا عزيز أحبّ إليّ من أنْ يقتلني وأنا أسير، أو يمنَّ عليَّ فتكون سُبّة علىٰ بني هاشم».[٥] ولو ضحىٰ الإمام الحسن من أجل حقه المنصوص عليه من قبل الله ورسوله لقتل هو وجميع أهله بما فيهم الإمام الحسين عليه السلام، ولكن النّتيجة، أنَّ صُلح الإمام الحسن هو الّذي مهّد الطّريق لنهضة

---

(١) مآثر الإنافة في معالم الخلافة ١: ٥٨، أُنظر الفصل الّذي تقدم تحت عنوان (البيعه بالسيف والقهر)، من هذا الكتاب.

(٢) إرشاد السّاريّ للقسطلانيّ ١: ٢٦٣.

(٣) حياة الإمام الحسن للقرشيّ ٢: ٢٧٧.

(٤) المصدر السّابق ٢: ٢٧٨.

(٥) أهل البيت لتوفيق أبو علم: ٣٣٥.

الإمام الحسين، وعلة مصالحة الإمام الحسن هي نفس علة مصالحة رسول الله ﷺ لبني ضمرة، وبني أشجع، كما قال هو عليه السلام: «يا أبا سعيد علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله لبني ضمرة، وبني أشجع، ولأهل مكّة حين انصرف من الحديبية».[١] فمنطق معاوية في أخذ البيعة من النّاس بالقوة هو نفس منطق أسلافه، وهذا ماذكره هو في كتابه للإمام الحسن، فقال بعد أنْ ذكر أبا بكر، وعمر وأباعبيدة، وطلحة والزّبير، وصلحاء المهاجرين: «... وكرهت ذلك لك يا أبا محمّد... ثمّ قال: فالحال بيني وبينك علىٰ ما كانوا عليه...».[٢]

٦. هل تقبلون بأخذ البيعة ليزيد من قبل معاوية وهو يعرف أنّ يزيد فاسق شارب للخمر و... و...؟ فإن قلتم لا ضير في ذلك، فهذا خروج حتىٰ علىٰ أسلافه. وإن قلتم لا. فكيف تقولون سيدنا يزيد، ثمّ تصححون خلافته بهذه الطّريقة الّتي نشير إليها إشارة عابرة؟ فقد كتب معاوية إلىٰ جميع نوابه وألقىٰ عليهم الخبر بأنه يريد أنْ يأخذ البيعة لابنه يزيد، فكتب إلىٰ مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن عامر، ولكنهم أجابوه بأنْ يتأنىٰ في أمر يزيد وأن لا يعجل حتىٰ يطالع أهل المدينة في ذلك، وكان عقيبة الأسديّ شاعر أهل البصرة ممن يكره بيعة يزيد ويبغضه فأنشأ أبياتاً،[٣] لكن معاوية عندما بلغه ذلك أرسل إليه عشرة آلاف درهم ليكف لسانه، فقال شعراً آخر أيضاً فأرسل إليه معاوية بـ «بُدرة أُخرىٰ». وبلغ ذلك عبد الله بن همام السّلوليّ شاعر أهل الكوفة، وكان أيضاً ممن يبغض يزيد فأنشأ أبياتاً[٤]، فبلغ ذلك معاوية فوجه إليه بُدرة من الدّراهم، ولم

---

(١) حياة الإمام الحسن للقرشيّ ٢: ٢٧٧.

(٢) نصّ الرّسالة في الفتوح لابن أعثم م٣: ٢٨٧.

(٣) المصدر السّابق م٣: ٣٣٣.

(٤) المصدر السّابق.

يزل معاوية يُعطي من بيت المال المقارب ويداني المتباعد. وأرسل إلىٰ الأحنف بن قيس، وعبد الله بن الزّبير و... و... إلىٰ أنْ كتب العهد إلىٰ يزيد وجعل له الخلافة من بعده وقال: «... إني من أجلك آثرت الدّنيا علىٰ الآخرة ودفعت حقّ عليّ بن أبي طالب، وحملت الوزر علىٰ ظهري، وإني لخائف أنْ لا تقبل وصيتي، فتقتل خيار قومك، ثمّ تعدو علىٰ حرمة ربك فتقتلهم بغير الحقّ، ثمّ يأتيك اليوم بغتة، فلا دنيا تصيب ولا آخرة تحبّ، يابني إني جعلت هذا مطمعاً لك ولولدك من بعدك... وكن حازماً صارماً... فإني كفيتك الجّد والتّرحال... ولقد وطأت لك يابني البلاد وذللت لك رقاب العرب الصّعاب... ومهدت لك الملك من بعدي تمهيداً...»[1]. فبعد كلّ هذا اسألوا أنفسكم أهذه هي البيعة الّتي تثبت خليفة المسلمين وتجعله حاكماً شرعياً؟ وهي البيعة الّتي تشملها الآية الكريمة: ﴿أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[2]؟ ونحن نسأل هؤلاء أَيصدق علىٰ معاوية وابنه يزيد ومن سبقهما علىٰ أنْ نُسميهم بـ«أُولي الأمر»، وهو المصطلح الشّرعي الّذي يُراد به الإمام بعد النّبيّ ﷺ وحتىٰ في لغة العرب إنّما أُريد مِن الأمر هو أمر الإمامة والحكم علىٰ المسلمين.

وهل تقبل مدرسة الخلافة أنْ يكون معاوية ممن تشملهم الآية؛ لأنّها ترىٰ أُولىٰ الأمر مَنْ بايعه المسلمون بالحكم ويرون وجوب طاعة كلٍّ من بايعوه؟ وهل تقبل هذه المدرسة أنْ يكون خليفتها يزيد بن معاوية الّذي قتل سبط رسول الله ﷺ

---

(١) نصّ الكلام في الفتوح م٣: ٣٥٣ و٣٥٤ و٣٥٥ و٣٥٦ و٣٥٧، تأريخ الطبريّ ٦: ١٧٩ و ١٨٠ بإختلاف بسيط، الإصابة ٤: ١٦٩، تهذيب التّهذيب ٦: ١٧٤، المقتل للخوارزميّ ١: ١٧، البيان والتّبيين ٢: ١٠٧، الكامل لابن الأثير ٤: ٤، مع إختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) النّساء: ٥٩.

وريحانته في كربلاء، وأباح المدينة ثلاثة أيام، ورمىٰ الكعبة بالمنجنيق و... و...؟ وهل يقبلون أنّ رسول الله ﷺ ترك أُمّته هملاً، ولم يعين المرجع من بعده حتىٰ يصل الأمر إلىٰ الطُلقاء وأبناء الطلقاء، أنْ يُعينوا المرجع من بعدهم؟

٧. بماذا توجهون وتعللون إذا أردنا أنْ نُحلل كلام أميركم أمير المؤمنين!! وسيدكم معاوية بن أبي سفيان عندما أراد أنْ يأخذ العهد ليزيد وهو يقطر حقداً وبغضاً ويصرح بعظمة لسانه بأنه آثر الدّنيا علىٰ الآخرة؟ هذا، وهل هذه صفات وخصائص الخليفة؟ أوَ إنَّ الّذي يؤثر الدّنيا علىٰ الآخرة من المؤمنين أم من الخاسرين إنْ لم نقل من الكافرين؟ وكيف ينطبق هذا مع الأحاديث النّبوية الّتي تحث الخليفة علىٰ أنْ يكون زاهداً في الدّنيا، وتاركاً لذاتها و... و... إلخ؟ هذا أوّلاً.

وثانياً: ها هو يصرح أيضاً بأنه دفع حقّ عليّ بن أبي طالب، وهذا إعتراف صريح بحقّ عليّ بن أبي طالب من جهة، وإغتصاب الخلافة من جهة أُخرىٰ؟

وثالثاً: إنّ خليفتكم يصرح بحمل الوزر، وأي وزر أعظم من إغتصاب الخلافة الّذي يعرف هو نفسه حقّ المعرفة بأنّ هذا الأمر يقوده إلىٰ جهنم؟ فأين البيعة؟ وأين الإجماع؟ وأين الشّورىٰ؟ وأين أهل الحل والعقد؟ وأين الصّحابة والصُّحبة؟

ورابعاً: إنّ معاوية قد حول الخلافة الشّرعية إلىٰ مُلك عضوض باعترافه عندما يقول وجعلت الملك لك ولأولادك ـ يعني ليزيد وأولاده ـ ألم يكن هذا ضرباً للآيات القرآنية والأحاديث النّبوية؟

وخامساً: كيف تقبلون بهذا التّصريح الّذي يذل به رقاب العرب الصّعاب، كمايقول هو بكلمته: «وذللت لك رقاب العرب الصّعاب»؟ ألم يكن هذا مخالفاً حتىٰ لقول عمر بن الخطاب حين قال قبل معركة أُحد: « هذه قريش...» وسبق وأنْ

أوردنا كلامه.

وسادساً: كيف تترك مدرسة الخلافة نصوص الرّسول ﷺ في تعيين مَنْ بعده ولم يترك أُمّته هملاً، بل تركها كما يدعون؟[١].

أتقبلون أيها المؤرخون: ابن الأثير، وابن كثير، وابن حزم، وابن تيمية، وأبن... وأبن... أيها الأبناء بأنْ يكون خليفة الله في الأرض معاوية وأمثاله هم الّذين اصطفاهم الله من البشر وجعلهم أئمّة للمسلمين يهتدون بأمرهم وبكتاب الله وسنته...؟ أتقبلون أنّ هؤلاء ينطبق عليهم قوله ﷺ: «اللّهمّ ارحم خلفائي، اللّهمّ ارحم خلفائي، اللّهمّ ارحم خلفائي، قيل له: يارسول الله! من خلفاؤك؟ قال: الّذين يأتون من بعدي، يروون حديثي وسنتي»؟[٢].

أتقبلون أنْ يكون الخليفة الوليد الّذي كان زنديقاً، وقيل للمهديّ العباسيّ ذلك في مجلسه، فقال: «خلافة الله عنده أجل من أنْ يجعلها في زنديق»؟[٣] وها هو الحجاج يقول في خطبة صلاة الجمعة ـ إنْ كان يُصلي علىٰ وضوء ـ قال: «اسمعوا وأطيعوا لخليفة الله وصفّيه عبد الملك بن مروان»،[٤] وكيف تفسرون قوله ﷺ: «فلا طاعة لمن عصىٰ الله تبارك وتعالىٰ، فلا تعتلوا بربكم»، وفي رواية: «لا تضلوا بربكم»؟[٥] وكيف... وكيف...؟ فإما أنْ تقبلوا أنْ يكون خليفة الله هكذا خصائصه ومواصفاته وشروطه، فلا داعي لعتابكم وتوجيه الأسئلة لكم

---

(١) راجع كتاب الألفين للعلاّمة الحليّ تجده مليئاً بالنصوص علىٰ أنّ رسول الله ﷺ لم يترك الأُمّة من بعده هُملاً.

(٢) تقدم إستخراج الحديث.

(٣) تأريخ ابن الأثير ١٠: ٧.

(٤) سنن أبي داود ٢: ٢١٠ ح ٤٦٤٥.

(٥) الرّواية الأُولىٰ في مسند أحمد ٥: ٣٢٥، والرّواية الثّانية في تهذيب ابن عساكر ٧: ٢١٥.

ولأتباعكم ولأشياعكم ومن سار بركبكم إلىٰ يوم القيامة، وإنْ شاء الله نقف وتقفون أمام محكمة عادلة لاتُغادر صغيرة ولاكبيرة إلّا وقد أحصتها، ونظر وتنظرون لمن تكون الغلبة، أو كما قالت السّيدة بنت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب زينب الكبرىٰ: «لمن يكون الفلج». وإمّا أنْ تعترفوا وتوضحوا الحقيقة لأتباعكم علىٰ الأقل، والاعتراف بالخطأ فضيلة وليس رذيلة، أو علىٰ الأقل أنْ تسكتوا عن الدّفاع عمن هو مثل معاوية، ويزيد، ومروان و... و...ولا تقولوا سيدنا يزيد قتل سيدنا الحسين؛ لأنه لا توجد مقايسة ومقارنة بين الإمام وريحانة رسول اللهﷺ، وبين يزيد الفاسق. وها هو المسعوديّ يقول عن الخليفة الأموي الوليد بن يزيد الّذي ثار عليه يحيىٰ بن زيد: «كان الوليد بن يزيد صاحب شراب ولهو وطرب وسماع للغناء، وهو أوّل من حمل المغنين من البلدان إليه، وجالس الملهين، وأظهر الشّراب والملاهي والعزف، وفي أيامه غلبت شهوة الغناء علىٰ الخاص والعام، واتخذ القيان، وكان متهتكاً ماجناً خليعاً...».[1]

وجاء ذكرنا لهذه النّماذج من باب أنّها صغيرة ولا نريد أنْ نتطاول ونتجرأ لأننا إذا ذكرنا تأريخهم من خلال مصادر مدرسة الخلافة والبيعة وكشفنا التّأريخ علىٰ حقيقتة فكأننا كفرنا بالله وبرسوله، بل أهون من ذلك؛ لأن المدرسة تجيز أنْ يستلم الخلافة والإمارة قبل توبته ولو بساعة واحدة، كما أثبتنا ذلك سابقاً، ولا تجيز لنا التّوبة إطلاقاً، وخاصة لمن يمس قدسية هؤلاء وهي تحكم عليه بهدر دمه حتىٰ ولو أعلن التّوبة، واعترف بخطئه إنْ كان مخطئاً، أو كانت عنده شبهة، بل إنّ حال المرتد أفضل وأحسن منه؛ لأنه يُستتاب في حال وجود الشُّبهة، أو أنّه يُستتاب ثلاثة أيام بلياليها عند البعض. وخلاصة القول يريدون منا أنْ نكتب عن

---

(١) مروج الذّهب ٣: ٢٦٣، البداية والنّهاية ٧: ١٠.

عدالتّهم، وعن صحبتهم، وزهدهم، ونصورهم بريشة المؤرخ الفنان الماهر علىٰ لوحة زيتية، يحملون القرآن والسّنة النّبوية علىٰ صدورهم بعد أنْ حفظوها في قلوبهم، ولم يحرقوهما ويمزقوهما ـ القرآن والسّنة ـ وما عليك إلّا أنْ تذكر أنّ الأرض تسكن وتهدأ من زلزلتها بفضل درة عمر بن الخطاب، كما قال الفخر الرّازيّ في تفسيره الكبير: «وقعت الزّلزلة في المدينة فضرب عمر الدّرة علىٰ الأرض وقال: أسكنيها بإذن الله، فسكنت وماحدثت الزّلزلة بالمدينة بعد ذلك».[١]

ولابد لك أنْ تقول إنّ رسول الله ﷺ قال لعمر ـ والعياذ بالله ـ «إنّ الشّيطان ليخاف منك ياعمر».[٢] ويجب عليك أنْ لا تقول مقولة عمر بن الخطاب حين قدم عليه أهل الشّام يشكون إليه وباء الأرض وثقلها... في حديث طويل ذكره أهل السّير والسّنن... وبالتالي قال عمر: «إنّا نشرب هذا الشّراب الشّديد لنقطع به لحوم الإبل في بطوننا أنْ تؤذينا، فمن رابه من شرابه شيء فليمزجه بالماء».[٣] ويجب عليك أنْ لا تقول في أبي بكر مارواه أنس بن مالك حيث قال: «جاءت امرأة من الأنصار فقالت: يارسول الله! رأيت في المنام كأن النّخلة الّتي في داري وقعت وزوجي في السّفر، فقال: يجب عليك الصّبر فلن تجتمعي به أبداً، فخرجت المرأة باكية، فرأت أبابكر فأخبرته بمنامها ولم تذكر له قول رسول الله فقال: اذهبي فأنك تجتمعين به في هذه اللّيلة. فدخلت إلىٰ منزلها وهي متفكرة في قول رسول الله وقول أبي بكر، فلما كان اللّيل وإذا بزوجها قد أتىٰ فذهبت إلىٰ النّبيّ وأخبرته

---

(١) تفسير الفخر الرّازيّ: ٣٧٨، ط الحجر.

(٢) مسند أحمد ٥: ٣٥٣، وقال التّرمذيّ هذا حديث حسن صحيح ٥: ٦٢١.

(٣) سنن البيهقيّ ٨: ٢٩٩، موطأ مالك ٢: ١٨٠.

بزوجها، فنظر إليها طويلاً فجاءه جبريل وقال: يامحمّد الّذي قلته هو الحقّ ولكن لمّا قال الصّديق إنك تجتمعين به في هذه اللّيلة استحيا الله منه أنْ يجري علىٰ لسانه الكذب؛ لأنه صديق فأحياه كرامة له»[١]، أُنظر أيها المؤرخ الكريم وأنت علىٰ أعتاب القرن الحادي والعشرين، وصاحب النّظريات العملاقة بأنك تصدق شهادة أبي بكر وتقدمها علىٰ شهادة جبريل، كما ذكر النّسفيّ: «إنّ رجلاً مات بالمدينة فأراد النّبيّ أنْ يُصلي عليه، فنزل جبريل وقال يامحمّد! لا تُصلِّ عليه فامتنع، فجاء أبو بكر فقال: يانبي الله صلِّ عليه فما علمت منه إلّا خيراً، فنزل جبريل وقال يامحمّد! صلِّ عليه فإن شهادة أبي بكر مقدمة علىٰ شهادتي».[٢]

أهذه هي البيعة لإنشاء الولاية، وبالبيعة هذه تجب الطّاعة، وبالبيعة تنعقد الإمامة والسّيادة، لمثل هذه النّماذج أيها الكاتب محمّد بن سرور؟ وكما تدعي لا ولاية ولاطاعة قبل البيعة للإمام من قبل الرّعية، ثمّ تضرب الآيات القرآنية والنّصوص النّبوية عرض الحائط في يوم الغدير، بل إنك تجرأت علىٰ الله ورسوله وأنكرت بيعة الغدير باسلوب خاوٍ وضعيف بما فيه من التّناقض والتّهافت، بل إنّ الكتاب ينقض بعضه بعضاً ولايستحق الرّد، لكن نريد أن نبين أنّ دفاعك واستدلالك لإبطال بيعة الغدير من أجل تصحيح خلافة مُن تُريد أنْ تجعله خليفة وإماماً للمسلمين، حتىٰ ولو كان فاسقاً فاجراً وشارباً للخمر، وقاتلاً للنفس المحرمة والمحترمة و... و... وجاء في ميزان الإعتدال: «إذا رأيتم معاوية علىٰ منبري فاقتلوه»،[٣]، وقال مثله في التّهذيب لابن حجر،[٤] ومثله جاء في كنوز

---

(١) نزهة المجالس للصفوريّ ٢: ١٨٤.

(٢) المصدر السّابق.

(٣) ميزان الإعتدال ٢: ٧و١٢٩.

(٤) التّهذيب ٥: ١١٠و٧: ٣٢٤و٨: ٧٤.

الحقائق للمناوي،[١] فمن خلال هذه الأحاديث وغيرها يكون معاوية ممن يجب قتله بحكم النّبيّ ﷺ، فكيف يتولىٰ إمرة المسلمين وخلافتهم؟ وسواء كان هذا المنبر المذكور في الأحاديث هو منبر رسول الله ﷺ بالخصوص الّذي كان بالمدينة، أو مطلق المنبر الّذي يصعد عليه في الإسلام ويخطب.[٢]

(١) كنوز الحقائق: ٩.

(٢) طبقات ابن سعد ٤: ق١: ١٣٦.

بيعة النّاس لمسلم بن عقيل رضي الله عنه نيابة عن الإمام الحسين عليه السلام

لا نُريد الحديث عن النّصوص الشّرعية الّتي تنص علىٰ خلافة وإمامة الحسين ابن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والّتي أوردنا قسماً منها سابقاً، وليس إعراضنا عنها زهداً منا فيها والعياذ بالله، بل لأن موضوعنا منصب علىٰ البيعة ومدىٰ أثرها في تعيين الخليفة، أو الحاكم، أو الأمير، أو الواليّ للمسلمين. وسبق أنْ أشرنا إلىٰ أنَّ البيعة من قبل النّاس للإمام تؤثر فقط وفقط في تمكينه من إقامة الحدود وتطبيق الشّريعة؛ لأنه يكون مبسوط اليد كما يقول الفقهاء. والبيعة وحدها لا تجعل الخليفة للمسلمين خليفة شرعاً تجب طاعته في زمن الحضور للمعصوم عليه السلام.

فعندما بلغ أهل الكوفة هلاك معاوية بن أبي سفيان أرجفوا بيزيد، وعرفوا خبر الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وامتناعه من بيعة يزيد، كما امتنع سابقاً من بيعة معاوية. فاجتمعت الشّيعة بالكوفة في منزل سليمان بن صرد الخزاعي وذكروا هلاك معاوية فحمدوا الله عليه... فقال سليمان: إنّ معاوية قد هلك، وأنّ حسيناً قد تقيضّ «امتنع» علىٰ القوم ببيعته... فإنْ كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوّه فأعلموه، وإنْ خفتم الفشل والوهن فلا تغروا الرّجل في نفسه، قالوا: لا، بل نقاتل عدوه، ونقتل أنفسنا دونه... فكتب للحسين بن عليّ كلّ من سليمان بن صرد، والمسيب بن نجبة، ورفاعة بن شداد، وحبيب بن مظاهر الأسدي و...

و... وجاء في الكتاب: إنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أنْ يجمعنا بك علىٰ الحقّ... ثمّ سرحوا الكتاب مع عبد الله بن مسمع الهمداني، وعبد الله بن وال... ولبث أهل الكوفة يومين بعد تسريحهم بالكتاب، وأنفذوا قيس بن مسهر الصّيداوي، وعبد الرّحمن بن عبدالله الأرحبي، ثمّ الاثنين والأربعة..، ثمّ لبثوا يومين آخرين وسرحوا إليه هاني بن هاني السّبيعيّ، وسعد بن عبد الله الحنفيّ وكتبوا له «... أمّا بعد فحيّ هلا، فإن النّاس ينتظرونك، لا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل، ثمّ العجل العجل...»، وكتب إليه شبث بن ربعيّ، وحجار بن أبجر، ويزيد بن الحارث بن رويم، وعروة بن قيس، وعمروبن الحجاج الزّبيديّ ومحمّد بن عمرو التّميميّ: «أمّا بعد: فقد اخضر الجناب وأينعت الثّمار، فإذا شئت فأقدم علىٰ جند لك مجنّد...»، وتلاقت الرّسّل كلّها عنده، فقرأ الكُتب وسأل الرّسل عن النّاس، ثمّ كتب مع هاني ابن هاني، وسعيد بن عبد الله، وكانا آخر الرّسل...[1].

وبعد كلّ هذا وذاك نطرح بعض الأسئلة عليكم أيها الكتاب والمؤرخون وأصحاب الشّهادات العليا، وكذلك علىٰ مُشرفيكم الّذين يمنحونكم الدّكتوراه علىٰ أُطروحاتكم الّتي تُركز علىٰ تزوير الحقائق التّأريخية، وهذا مع الأسف انتشر بشكل سريع وعادي وليس فيه خجل، وحياء من أهل العلم والمعرفة، فمثلاً يقول صاحب دكتوراه من جامعة القاهرة: إنّ الحسين بن عليّ بن أبي طالب هو الّذي

---

(١) هذه خلاصة مايذكره كلّ من الشّيخ المفيد في الإرشاد ٢: ٣٥ـ٣٨، الفتوح م٣: ٢٩، الطّبريّ ٦: ١٩٧، ابن الأثير ٤: ١٠، سمط النّجوم العوالي ٣: ٥٨، الأخبار الطّوال: ٢٢٩، جمهرة أنساب العرب: ٢٩٥، مقتل الخوارزميّ ١: ١٩٤، تأريخ الكوفة: ٢٧٣، المقتل لأبي مخنف: ١٤، المقتل للمقرم: ١٤٦، منتهىٰ الآمال ١: ٥٦١، تذكرة الخواص: ٢٣٦ و٢٣٧ و٢٤١، مقاتل الطّالبين: ٩٩.

طلب البيعة من شيعته وشيعة أبيه في الكوفة... أو أحد الأبناء الّذين ذكرناهم سابقاً، يقول بكل صلافة: إنّ الحسين بن عليّ قُتل بسيف جده و... و... إلخ.

١. أَ إنّ الحسين بن عليّ بن أبي طالب هو الّذي طلب البيعة من هؤلاء أم أنهم طلبوا منه أنْ يُبايعوه، وأنْ يُقدم عليهم وليس لهم إمام غيره؟ فإنْ قلتم إنّ الحسين هو الّذي طلب ذلك، فهذا كذب محض؛ لأن التّأريخ لم يحدثنا بمثل هذا الطّلب، وإنْ شئتم ونحن نقبل منكم أنْ تذكروا لنا ولو مصدراً تأريخياً واحداً حتىٰ ولو لم يكن معتبراً عندنا فنقبل به. ثمّ يجب عليكم أنْ تُكذبوا كلّ المصادر التّأريخية الّتي ذكرت أنّ أهل الكوفة هم الّذين راسلوا الحسين بن عليّ، وطلبوا منه أنْ يكون إماماً لهم بالمعنىٰ الّذي حددناه سابقاً؛ لأنه إمام من قبل الله ورسوله قبل طلبهم هذا، وقبل إرسال كتبهم ورسلهم إليه، بل هنا يريدون منه أنْ يأتيهم ويُطبق شريعة جده الّتي محقها معاوية ويزيد، ثمّ يُريدون أنْ يقتدوا به ويهديهم إلىٰ سبيل النّجاة، ويقيم فيهم حدود الله، فإذن هذه البيعة من قبلهم وهذه الرّسل والكتب هي تأكيد منهم علىٰ أنهم يرفضون بيعة يزيد، وليمكنوا الحسين من إقامة الحكم الشّرعي، وإماتة البدع الّتي أوجدها معاوية وأسلافه و... و... فإنْ سلمتم بهذا فهو؟ وإنْ رفضتم ذلك، نطرح عليكم السّؤال التّالي: مَنْ مِنَ الخلفاء الثّلاثة الأوائل طلب النّاس منه هذا الطّلب؟ فإنْ قلتم هذا ثابت وثبت لأحدهم، فالمدار نفسه كما في السّؤال الأوّل، اذكروا لنا المصادر التّأريخية. وإنْ قلتم: لا، فقد ثبت المطلوب إنّ بيعة الثّلاثة الأوائل، ومعاوية لم تكن شرعية بالبيعة، بل هي باطلة؛ لأن بيعة النّاس لهم سواء بالقوة أو بالعهد أو بالشّورىٰ لا أثر لها في شرعية الحاكم، بل بالإغتصاب والقهر والسّيف، كما يذهب إلىٰ ذلك بعض ممن ذكرناهم سابقاً. ثمّ نطرح السّؤال الثّالث: أإنّ الإمام الحسين بن عليّ قد ثبتت إمامته بالنّص الّذي قاله رسول الله فيه وفي أخيه الحسن: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»، والّذي أشرنا إليه وسنشير

إليه عما قريب. أم ثبتت إمامته بالبيعة من قبل أهل الكوفة؟ فإنْ قلتم بالأوّل فلا قيمة إذن لبيعة أهل الكوفة له، وإنّما هي تمكينه من إقامة الحدود الشّرعية، و... و...، وإنْ قلتم بالثاني، أي ثبتت إمامته ببيعة أهل الكوفة فهذا تكذيب لحديث رسول الله ﷺ. ثمّ لو سلمنا جدلاً علىٰ رأيكم بأنّ البيعة هي الّتي ثبتت الإمامة والإمارة للحسين بن عليّ بن أبي طالب، فلماذا ينازعه يزيد حقه؟ فإن قلتم بولاية العهد، فولاية العهد ليزيد من قبل معاوية قد أُخذت بالقوة والقهر والسّيف والارتشاء و... و...، وقد ذكرنا ذلك. أمّا ولاية العهد للحسين، فقد ثبتت من قبل الرّسول الأكرم، وإنْ لم تقبلوا فبولاية العهد من قبل أبيه عليّ بن أبي طالب بعد أخيه الحسن. وإنْ لم تقبلوا فبولاية العهد من قبل أخيه الحسن، وبإمضاء معاوية ابن أبي سفيان في معاهدة الصّلح الّتي ثبتت بأنّه لايحق لمعاوية أنْ يعهد إلىٰ أحد دون الحسين بن عليّ بن أبي طالب. ولاندري بماذا تجيبون التّأريخ؟ اللّهمّ إلّا باللف والدّوران.

القوّة أم الحبّ:

وخرج الإمام الحسين من المدينة متوجهاً نحو مكّة وهو يقرأ قوله تعالىٰ ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[1]... ودخل مكّة وهو يقرأ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[2]، وفي مكّة كتب الحسين بن عليّ نسخة واحدة إلىٰ رؤساء الأخماس بالبصرة، وهم: مالك بن مسمع البكريّ، والأحنف بن قيس، والمنذر بن

(١) تأريخ الطّبريّ ٦: ١٩٠، الإرشاد للشيخ المفيد: ١٨٤، مقتل الحسين للمقرم: ١٤٠، والآية: ٢١ من سورة القصص.

(٢) تأريخ ابن عساكر ٤: ٣٢٨، الإرشاد: ٢٠٢، الآية: ٢٢ من سورة القصص.

الجارود، ومسعود بن عمرو، وقيس بن الهيثم، وعمرو بن عبيد بن معمر، وأرسله مع مولىً له يقال له سليمان[١]... وبعث إليه يزيد بن مسعود كتاباً يقول فيه: «... وأنتم حجّة الله علىٰ خلقه، ووديعته في أرضه، تفرَّعتم من زيتونة أحمدية هو أصلها وأنتم فرعها، فأقدم سعدت بأسعد طائر، فقد ذللت لك رقاب بني تميم وتركتهم أشد تتابعاً في طاعتك من الإبل الظّماء لورود الماء يوم خمسها، وقد ذللت لك رقاب بني سعد، وغسلت درن قلوبها بماء سحاب مزن حين استهل برقها فلمع...».

ونحن نسألكم هنا بالخصوص أَإنّ يزيد بن مسعود ذلل للإمام الحسين أعناق بني تميم، ورقاب بني سعد بالقوة كما يُفهم، أم إنّها كناية عن حبهم للحسين وبذل مهجهم دونه؟ فإنْ قلتم ذللها بالقوة فهذا مردود؛ لأنه ـ يزيد بن مسعود ـ جمعهم وقال لهم: يابني تميم كيف ترون موضعي فيكم وحسبي منكم؟ قالوا: بخٍ، بخٍ أنت والله فقرة الظّهر، ورأس الفخر... فأخبرهم بعد ذلك بهلاك معاوية وانكسار باب الجور والإثمّ وتضعضعت أركان الظّلم، وكان قد أحدث بيعة عقد بها أمراً ظن أنه قد أحكمه وهيهات الّذي أراد، اجتهد والله ففشل، وشاور فخذل... فقالت له بنو حنظلة: يا أبا خالد نحن نَبل كنانتك وفرسان عشيرتك، إنْ رميت بنا أصبت وإنْ غزوت بنا فتحت، لا تخوض والله غمرة إلّا خضناها... وتكلمت بنو عامر بن تميم فقالوا: يا أباخالد نحن بنو أبيك وحلفاؤك، لا نرضىٰ إنْ غضبت ولا نبقىٰ إنْ ظعنت والأمر إليك، فادعنا إذا شئت... وقالت بنو سعد بن يزيد: أبا خالد إنّ أبغض الأشياء إلينا خلافك والخروج من رأيك... إلخ. فإن قلتم بالأوّل فهذا لا توجد

---

(١) تأريخ الطّبريّ ٦: ٦٣ و ٢٠٠، الإصابة ٢: ٤٨٠، اللّهوف: ٢١، مثير الأحزان: ١٢، لكنهم اختلفوا في اسم مولاه الّذي أرسله إلىٰ البصرة فبعضهم قال: ذراع السّدوسيّ، و... و....

عليه قرينة لا من بعيد ولا من قريب، بل بالعكس توجد قرائن علىٰ الثّاني إنه ذكرهم بأشياء وأشياء منها أنّ معاوية أحدث بيعة عقد بها أمراً ظن أنه قد أحكمه... ففشل وشاور فخذل. ألا يدل هذا علىٰ أنّ عامة النّاس فضلاً عن زعماء القوم يفهمون أنّ تلك البيعة الّتي حدثت لا أثر لها علىٰ حجّة الله المنصوص عليه بدليل قوله لهم «أحدث»، وكلمة أحدث معناها إبتدع، وأنتم تقولون كلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة صاحبها في النّار... ثمّ إنّ يزيد بن مسعود أخبر هؤلاء بأنّ الإمام الحسين حجّة الله علىٰ المسلمين حينما قال لهم:...« وهذا الحسين بن عليّ وابن رسول الله ﷺ، ذو الشّرف الأصيل والرّأي الأثيل، له فضل لا يوصف وعلم لا ينزف، وهو أولىٰ بهذا الأمر لسابقته وسنه وقدمه وقرابته، يعطف علىٰ الصّغير ويُحسن إلىٰ الكبير فأكرِمْ به من راعي رعية، وإمام قوم وجبت لله به الحجّة، وبلغت به الموعظة، فلاتعشوا عن نور الحقّ، ولا تعكسوا في وهد الباطل...».[1]

(٢) لماذا يتصور بعضٌ، كابن خلدون، وابن تيمية، والأبناء الآخرين من القدماء والمحدثين أننا نريد أنْ نثبت خلافة وإمامة الحسين بن عليّ من خلال قول النّاس من البشر، كلا وألف كلا..جئنا بهذا المثال من باب المقارنة بين البيعات الّتي سبقتها، وإلّا فكما قلنا أنّ إمامة الحسين بن عليّ ثابتة بالنصّ الإلهي والنّبويّ من آية التّطهير وغيرها، ومن قوله ﷺ: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا» وغير ذلك. لكن جرأة هؤلاء الأبناء الّذين طبع الله علىٰ قلوبهم الرّين جعلت عقولهم تعمىٰ عن الحقيقة، ولذا يقول ابن خلدون: «إنّ الحسين في تأريخ ميكافيلي

---

(١) تأريخ الطّبريّ ٦: ٢٠٠، مثير الأحزان: ١٣، جمهرة أنساب العرب: ٢١٨، زيد الشّهيد: ١٠١ ط ٢، اللّهوف: ٢١، ذخيرة الدّارين: ٢٢٤، أنساب الأشراف ٥: ٣٣٨، المقتل للخوارزميّ ١: ١٩٣، المقتل للمقرم: ١٤٢ و١٤٣ و١٤٤.

العرب... كان رجلاً مشهوراً... وإن كان عادلاً ومحقاً... وذلك عندما: «ظنها من نفسه بأهليته وشوكته، وإن... وإن...»،[١] وقال القاضي أبو بكر العربيّ المالكيّ: «إنّ الحسين قُتل بشرع جده»،[٢] وقال ابن تيمية: «لم يكن في خروجه ـ أي الحسين ـ مصلحة لا في دين ولا في دنيا، وكان في خروجه وقتله من الفساد مالم يكن يحصل لو قعد في بلده»،[٣] ولسنا بصدد محاكمة هؤلاء الأبناء، بل إنّ هذه الاعتراضات إنْ وردت، فقد أوردوها علىٰ جده وأبيه وأخيه من قبل، و... و... وقال بعضهم كيف يخرج رسول الله ﷺ في معركة أُحد ومعركة بدر ولم يكن عنده من العدد والعدة مايكفي و... وإنّ عليّاً قد شقّ الجماعة، وإنّ الحسن نازع معاوية وليس العكس، و... و....

ثمّ إنّ الحسين لما اجتمع عنده ما ملأخرجين من الكتب والرّسائل الّتي جاءته من أهل الكوفة والبصرة تريد منه أنْ يكون لهم إماماً، فماذا يعمل في نظر هؤلاء الأبناء؟ أيكتب لهم الجواب بالنفي ولايريدهم ـ أي لايقدم عليهم ـ بعد أنْ بقوا بدون راعٍ؟ بالإضافة إلىٰ ذلك يبقىٰ هو آثماً؛ لأنهم يستصرخونه ويستغيثون به؟ أم يجيبهم إلى طلبهم هذا ويعمل بتكليفه الشّرعي؟ فإذا قلتم بالأوّل فهذا مدفوع؛ لأنه تعطيل لحدود الله و... و... ثمّ أنتم تمجدون المعتصم الخليفة العباسيّ؛ لأنه جيش الجيوش عندما سمع امرأة من المسلمين تستصرخ وتستغيث به وتقول وامعتصماه! و... فكيف بابن بنت رسول الله وابن الشّريعة الإسلاميّة أنْ لا يستجيب لهؤلاء الآلاف المؤلفة من أبناء الصّحابة والتّابعين والمهاجرين والأنصار

---

(١) تأريخ ابن خلدون ١: ٢٢٨.

(٢) المصدر السّابق ١: ٢٢٩، نقلاً عن العواصم والقواصم للقاضيّ المالكيّ.

(٣) منهاج السّنة ٢: ٢٤١.

و... و... وإنْ قلتم بالثّاني فهذا ماحدث فعلاً وقد كتب إليهم جواباً واحداً دفعه إلىٰ هاني بن هاني السّبيعيّ، وسعيد بن عبدالله، وكانا آخر الرّسل إليه وكانت صورة الكتاب: «بسم الله الرّحمن الرّحيم من الحسين بن عليّ إلىٰ الملإ من المؤمنين والمسلمين، أمّا بعد فإن هانياً وسعيداً قدما عليَّ من رسلكم، وقد فهمت كلّ الّذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم أنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أنْ يجمعنا بك علىٰ الهدىٰ والحقّ، وإني باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم ابن عقيل، وقد أمرته أنْ يكتب إليَّ بحالكم ورأيكم ورأي ذوي الحجىٰ والفضل منكم، وهو متوجه إلىٰ ماقبلكم إن شاء الله تعالىٰ والسّلام ولا قوة إلّا بالله، فإنْ كنتم علىٰ ماقدمتْ به رسلكم وقرأتُ في كتبكم، فقوموا مع ابن عمّي وبايعوه وانصروه ولا تخذلوه، فلعمري ليس الإمام العادل بالكتاب، والعادل بالقسط، كالذي يحكم بغير الحقّ ولايهدي ولايهتدي جمعنا الله وإياكم علىٰ الهدىٰ وألزمنا وإياكم كلمةالتّقوىٰ إنه لطيف لما يشاء، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته»، ثمّ طوىٰ الكتاب وختمه ودعا مسلم بن عقيل رحمه الله فدفع إليه الكتاب...[1].

إذاً الحسين لم يطلب البيعة في بداية الأمر، بل بعد أنْ جاءته كُتب القوم ورسلهم حتىٰ قال صاحب تذكرة الخواص نقلاً عن هشام بن محمّد مانصه: «... ثمّ إنّ الحسين كثُرت عليه كُتب أهل الكوفة، وتواترت إليه رسلهم إنْ لم تصل إلينا فأنت آثمّ...»[2]، ولهذا قال عليه السلام لابن عباس عندما نهاه عن المسير إليهم: «... هذه

---

(١) الفتوح لابن أعثم م٣: ٣٥ و٣٦، الطّبريّ ٦: ١٩٨، الأخبار الطّوال: ٢٣٨، الإرشاد للشيخ المفيد: ٢٠٤، منتهىٰ الآمال ١: ٥٦٥ و٥٦٦، المقتل للمقرم: ١٤٥، المقتل للخوارزميّ ١: ١٩٦، الفصل العاشر، المقتل لأبي مخنف: ١٧، مثير الأحزان: ٢١، اللّهوف: ١٠، تأريخ الكوفة: ٢٧٤.

(٢) تذكرة الخواص: ٢٣٩.

كتبهم ورسلهم وقد وجب عليّ المسير لقتال أعداء الله»، فبكىٰ ابن عباس وقال: «واحسيناه»[١]، وفي رواية الطّبريّ كتب إليه أهل الكوفة: «أنّه معك مئة ألف»[٢]. فبماذا يكون اعتذار الحسين بن عليّ، لهم وهم يستصرخونه ويستغيثون به و..و..إلخ، ولذا خرج إليهم مسلم بن عقيل حاملاً لهم كتاب الحسين بن عليّ، ومعه قيس بن مسهر الصّيداوي، وعمارة بن عبد الله السّلوليّ، وعبد الرّحمن بن عبدالله الأرحبيّ، وأمره بكتمان الأمر وتقوىٰ الله والنّظر فيما اجتمع عليه أهل الكوفة، فإن رأىٰ النّاس مجتمعين مستوثقين عجل إليه بكتاب...

ولنفرض أنّ الحسين عليه السلام قد طلب البيعة لنفسه، أذلك ممنوع عليه؟ ومن الّذي يمنع دعاة الإصلاح أنْ يرسلوا الدّعاة إلىٰ أنفسهم ومبادئهم؟ هؤلاء المناقشون يصححون خلافة العباسيين، فكيف وصل بنو العباس إلىٰ السّلطة؟ ألم يدعوا إلىٰ أنفسهم سراً، ثمّ ثاروا بعد ذلك وأخذوا السّلطة بالسيوف وأخيراً أخذوا البيعة؟ فالبيعة كانت آخر المطاف في كلّ حركة، وكلّها عندهم صحيحة، إلّا طلب الحسين للبيعة؟ إنه لغريب جداً أنه تجب إطاعة القائم بالسيف المتغلب به ولو كان فاسقاً، وخروج الإمام الحسين عليه السلام يؤاخذ عليه؟ إنه الحقد علىٰ رسول الله وأهل بيته الّذي يجعل هؤلاء يتخبطون في أدلتهم ومناقشاتهم...اللّهمّ لاتجعلنا منهم واجعل قلوبنا نقية نظيفة دائماً.

ونطوي سفر مسلم بن عقيل خوفاً من الإطالة، وننتقل إلىٰ البيعة لمسلم بن عقيل نيابة عن الإمام الحسين عليه السلام... فعندما سمع النّاس بقدوم مسلم بن عقيل، وهو رسول الحسين بن عليّ، ودخوله الكوفة ونزوله في دار سالم بن المسيب،

---

(١) تذكرة الخواص: ٢٣٩.

(٢) تأريخ الطّبريّ ٦: ٢٢١، مثير الأحزان: ١٦.

وهي دار المختار بن أبي عبيدة الثّقفيّ، تطايرت النّاس إليه لتجتمع إليه... وفعلاً اختلفوا إليه في دار سالم وهو يقرأ عليهم كتاب الحسين بن عليّ والقوم يبكون شوقاً منهم إلىٰ قدوم الحسين بن عليّ[١] ألم يكفِ هذا أنْ يكون مسوغاً شرعياً للإمام الحسين بن عليّ أنْ يستجيب لدعوة النّاس ويخرج إليهم؟ أيها المؤرخ المنصف!

٣. مَن هو الّذي حصل علىٰ هذه الطّاعة والانقياد والطّلب من قبل النّاس من الخلفاء الّذين سبقوه وتربعوا علىٰ رقاب النّاس وسموا أنفسهم بتسميات كثيرة منها أمير المؤمنين، وخليفة رسول الله، و... و... إلخ، ومَن منهم حصل علىٰ هذه الرّوح الّتي أشاروا إليها في رسائلهم وأقوالهم، فهذا عابس بن شبيب الشّاكريّ يقوم ويخاطب رسول الحسين مسلم بن عقيل: «... والله إنيّ أُحدثك عما أنا موطن عليه نفسي والله لأُجيبنكم إذا دعوتم، ولأُقاتلنّ معكم عدوكم ولأضربنّ دونكم حتىٰ ألقىٰ الله...»، وقال حبيب بن مظاهر الأسديّ: «قد قضيت ما في نفسك بواجز من قولك، وأنا والله الّذي لا إله إلّا هو علىٰ مثل ما أنت عليه...»، وقال: سعيد بن عبد الله الحنفيّ مثل قولهما[٢]. وأقبل النّاس يُبايعونه حتىٰ أحصي ديوانه ثمانية عشر ألفاً[٣]، وقيل: بلغ خمسة وعشرين ألفاً[٤]، وقيل: أربعين ألفاً[٥].

٤. فمن حقنا أنْ نسأل الأبناء وغيرهم، وأصحاب الأُطروحات لنيل شهادة

---

(١) الفتوح م٣: ٣٧و٣٨، الطّبريّ ٦: ١٩٩، المقتل للمقرم: ١٤٧، الأخبار الطّوال: ٢٣١، سمط النّجوم العوالي ٣: ٥٩، المقتل لأبي مخنف: ٢٠، مثير الأحزان: ٢١، اللّهوف: ١٠، تذكرة الخواص: ٢٤٤، مقاتل الطّالبين: ٩٩، تأريخ الكوفة: ٢٧٤، منتهىٰ الآمال ١: ٥٧٢.

(٢) تأريخ الطّبريّ ٦: ١٩٩، الفتوح م٣: ٣٨.

(٣) تذكرة الخواص: ١٣٨، الطّبريّ ٦: ٢١١.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ٢: ٣١٠.

(٥) تأريخ ابن عساكر ح٦٤٩ من ترجمة الإمام الحسين بن عليّ، مثير الأحزان: ١١.

الماجستير، أمثال الألبانيّ، والجزائريّ، والسّالوسيّ، والسّروريّ، والغليسية، وكذلك أصحاب الدّكتوراه عمر محمّد عمر، وسيف الدّين عبد الفتاح، وأحمد عبدالله، ومحسن الظّاهر و... و... هل حصلت مثل هذه البيعة لأحد من قبل؟ وبهذا العدد الهائل؟ والكم والكيف؟ والرّغبة والسّرور دون السّيف والغلبة والقهر والإجبار؟ فإن قلتم: نعم. فأين دليلكم؟ وإنْ سلمتم فبها ونعمت، وبطلت كلّ البيعات السّابقة؛ لأنّها لم تحصل علىٰ هذا العدد الهائل، وهي لرسول الحسين عليه السلام وهو مسلم بن عقيل، فكيف إذا كان الحسين عليه السلام؟ فحسب اعتقادنا لايمكن إحصاء العدد. ورب سائل يسأل لماذا لم يبق في نهاية المطاف بعد هذه الجموع الغفيرة مع مسلم ولا مع الحسين إلّا النّزر القليل؟ وأعتقد أنّ الجواب واضح وهو دراسة الحكم الأموي الّذي أسسه معاوية بالقوه والسّيف والبطش والمال، ونحن عرفنا سابقاً كيف تؤخذ البيعة بالقوة، و... و... وليس بجديد فإنهم انثالوا علىٰ الإمام عليّ عليه السلام، وعلىٰ الإمام الحسن عليه السلام، ثمّ فرقهم المال والجاه والسّيف و... و... ووالله وأنا مستعد للمباهلة بأنه لو حصل مثل هذا العدد أو عشر هذا العدد، بل ولو بنسبة ١٪ إنْ صح التّعبير في بيعة الثّلاثة الأوائل لأصبحت الأقلام المأجورة تكتب المجلدات وتملأ المكتبات حول مظلوميتهم، ولكن حصل هذا العدد الّذي ليست له قيمة شرعية أمام النّص الرّبانيّ والنّبويّ لأهل البيت عليهم السلام، ورغم كلّ ذلك يأتي من يأتي ويقول فلان لايعرف السّياسة، وفلان قُتل بسيف جده، وفلان حصل علىٰ إجماع من المسلمين ولا إجماع واقعاً، وفلان حصل عليها خوفاً من وقوع الفتنة، وفلان حصل عليها من خلال الشّورىٰ و... و...

السّياسة الماكرة

فبعد أنْ بايع النّاس مسلماً كتب عليه السلام إلىٰ الحسين عليه السلام كتاباً جاء فيه: «أمّا بعد فإن

الرّائد لايكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجل الإقبال حين يأتيك كتابي، فإنّ النّاس كلّهم معك ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوىٰ والسّلام»[١]. وأرسل الكتاب مع عابس بن شبيب الشّاكريّ ويخبره بطاعة أهل الكوفة وانتظارهم لقدومه...

لكن قاتل الله السّياسة الماكرة... فساء هذا الاجتماع بني أُميّة، وممن له هواهم، أمثال عمر بن سعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن مسلم بن ربيعة الحضرميّ، وعمارة ابن عقبة بن أبي معيط، فكتبوا إلىٰ يزيد يخبرونه بقدوم مسلم وإقبال أهل الكوفة عليه، وأنّ النّعمان بن بشير لاطاقة له علىٰ المقاومة،[٢] فأرسل يزيد علىٰ «سرجون» النّصرانيّ[٣] مولاه، يستشيره وكان كاتبه وأنيسه فقال «سرجون»: عليك بعبيد الله بن زياد قال: إنه لاخير عنده، فقال سرجون: لوكان معاوية حياً وأشار عليك به أكنت توليه؟ قال: نعم، فقال: هذا عهد معاوية إليه بخاتمه ولم يمنعني أنْ أعلمك به إلّا معرفتي ببغضك له فأنفذه إليه، وهنا يأتي سؤال عرضي للأبناء، وأصحاب الأقلام والمؤرخين، وكتّاب التّأريخ، وحملة الشّهادات العالية، و..و... كيف تقبلون أنْ يكون مستشار خليفتكم معاوية وابنه يزيد من النّصارىٰ، وهو الّذي يدير دفة الحكم الإسلاميّ، والرّسول الأكرم يقول: «الإسلام يعلو ولا يُعلىٰ عليه»؟ ولو كان هذا المستشار ـ والعياذ بالله ـ عند غير خلفائكم من النّاس وخاصة لوكان عند بني هاشم فماذا تفعلون؟ ألم تقيموا الدّنيا

---

(١) تأريخ الطّبريّ ٦: ٢١١.

(٢) المصدر السّابق ٦: ١٩٩ـ٢٠١.

(٣) الإسلام والحضارة العربية ٢: ١٥٨، لمحمد كرد عليّ. وسرجون من نصارىٰ الشّام، إستخدمه معاوية في مصالح الدّولة، وكان أبوه منصور علىٰ المال في الشّام من عهد هرقل قبل الفتح...

ولم تقعدوها، وتفعلوا ماتفعلون وتكتبوا كما كتبتم عن الأُسطورة الوهمية، وجعلتموها حقيقة في التّأريخ ألا وهي أُسطورة عبدالله بن سبأ، ألم تنسجوا عليها الخيوط والحبال وتلبسوها الثّوب المرصع بديباج الكذب والبهتان؟ ولكن بما هو مستشار كاتب الوحي، كما تدعون ولم يضر بمصلحتكم، ويقف ضد بني هاشم، فلا بأس به وأمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه مستشاره نصرانيّ، ويأتمنه علىٰ أُمور لا يأتمن عليها حتىٰ ابنه وولي عهده، حتىٰ فيما يتعلق بأُمور المملكة الّتي يديرها من بعده!! حقاً إنه لأمير للمؤمنين من أمثال هؤلاء الكتاب الّذين يرفضون أهل بيت الوحي ويأتمرون بأمر سرجون!! و... و... وقد أخذ يزيد باستشارته وعزل النّعمان وكتب إليه: أمّابعد: فإن الممدوح مسبوب يوماً، وإنّ المسبوب يوماً ممدوح، وقد سمىٰ بك إلىٰ غاية أنت أنت فيها كما قال الأوّل:

رفعت وجاوزت السّحاب وفوقه فما لك إلّا مرقب الشّمس مقعد

وأمره بالاستعجال علىٰ الشّخوص إلىٰ الكوفة ليطلب ابن عقيل فيوثقه أو يقتله أو ينفيه.[1] ولذا باغت ابن زياد الكوفيين بزي الحسين عليه السلام حتىٰ اسقر في دار الإمارة بين حامية مستعدة بعد أنْ لبس ثياباً يمانية، وعمامة سوداء، وانحدر وحده، وكلما مر بالمحارس ظنوا أنّه الحسين عليه السلام فقالوا: مرحباً بابن رسول الله وهو ساكت فدخل الكوفة مما يلي النّجف.[2] علماً بأنّ مسلماً لم يقدم علىٰ أهل الكوفة كوالٍ مختار، أو مفوض مطلق ليستقل في أعماله وأعمالهم بالتصرف بالمسؤولية، وإنّما بعثه الحسين عليه السلام، كمعتمد يشرف علىٰ أمرهم ويستطلع حقيقة خبرهم، ولكن الكوفيين غروا مسلماً وأغتروا ولم يغتنموا صفاء جوهم إلىٰ أنْ دهمهم اللّعين ابن

---

(١) أنساب الأشراف ٤: ٨٢، الطّبريّ ٦: ١٩٩، تأريخ الكوفة: ٢٧٥.

(٢) تأريخ الطّبريّ ٦: ٢٠١، مآثر الإنافة ١: ١٨٥، أنساب الأشراف ٤: ٧٧.

زياد وفرق جمعهم بالوعد والوعيد علىٰ طريقة أسلافه الغدر والخيانة، وأخذ النّاس بالقوة بينما أبت عفة وشهامة عميد آل عقيل ومندوب الحسين عليه السلام أنْ يفتك بابن زياد عندما اقترح عليه هاني أو شُريك، حيث قال: إنّا أهل بيت نكره الغدر! أُنظر إلىٰ عبارته الّتي تحتوي علىٰ مغزىً كبير وكبير جداً، فإن آل عليّ وآل عقيل من شدة تمسكهم بالحقّ والصّدق نبذوا الغدر والمكر، ولذا قال إلىٰ شُريك عندما عاتبه علىٰ عدم قتله لعبيد الله بن زياد: منعني من ذلك حديث سمعته من عمّي عليّ ابن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «الإيمان قيد الفتك، فلم أحبّ أنْ أقتل عبيد الله بن زياد في منزل هذا الرّجل». فقال له شريك: «والله لو قتلته لقتلت فاسقاً فاجراً منافقاً».(١)

والسّؤال الّذي نطرحه عليكم أيها الأبناء، لو كان أحد أفراد الحكم الأمويّ أو الحكم العباسيّ إنْ لم نقل أحد أفراد السّقيفه فهل يتورع عن قتل عدو له من بني هاشم علىٰ الرّغم من أنهم ليسوا بأعداء ـ ولانريد أنْ ننبش التّأريخ، فبماذا تجيبون؟ إنْ قلتم بأنه يتورع عن قتله، فهذا كذب محض، والتّأريخ شاهد علىٰ ذلك. وإنْ قلتم نعم، فعلىٰ الأقل لابد أنْ تكون كتابتكم فيها شيء من الإنصاف؟ وانتهت القصة بقتل مسلم بن عقيل، وهاني، وبعث ابن زياد رأسيهما إلىٰ يزيد الخنا مع هاني ابن حية الوادعيّ، والزّبير بن الأروح التّميميّ، وقال صاحب تذكرة الخواص: هو أوّل

---

(١) القصة كاملة في الفتوح م٣: ٤٧ و٤٨ و٤٩، الأخبارالطّوال: ٢٢٤، تأريخ اليعقوبيّ ٢: ٢٤٣ الكامل لابن الأثير ٤: ١٣، الطّبريّ ٦: ٢٠١ و ٢٤٠، ط آخر والحديث في مسند أحمد ١: ١٦٦ و١٦٧ بلفظ: (الإيمان قيد الفتك ولايفتك المؤمن)، وأُنظر مروج الذّهب ٢: ٨٩، الإصابة ٢: ٦١٦ ق٣، الأغاني ١٤: ٩٥، مقتل الخوارزميّ ١: ٢٠١، منتخب كنز العمّال بهامشه ١: ٥٧، الجامع الصّغير ٤: ١٢٣، كنوز الحقائق ١: ٩٥، مستدك الحاكم ٤: ٣٢٥، مقاتل الطّالبين: ١٠٢.

رأس حمل من رؤوس بني هاشم وجثة مسلم أوّل جثة صلبت منهم»[١]... ثمّ إنّ ابن زياد قد حبس جماعة ممن نصروا مسلماً وممن أعطوا البيعة للحسين عليه السلام فأخرجهم واحداً تلو الآخر، وأمر بضرب أعناقهم من أمثال عبيد الله بن عمرو ابن عزيز الكنديّ، وعبيدالله بن الحارث بن نوفل بن عمرو بن الحارث بن ربيعة ابن بلال بن أنس بن سعد الهمدانيّ، وعبد الأعلىٰ بن يزيد الكَلبيّ العليميّ من بني عُليم، والعباس بن جعدة الجدليّ، وعمار بن صلخب الأزديّ، و... و...

هذه هي البيعة الّتي تتم بإرادة الإنسان واختياره، ولابيعة للمكره؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ يقول: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾[٢]، فهل ثمة بيعة من دون إكراه حصلت للثلاثة الأوائل؟ ولماذا هذا التّسامح من فقهاء أهل السّنة في العدد الّذي تنعقد فيه البيعة حتىٰ يصل الأمر الاكتفاء ببيعة رجل واحد في إنعقاد الإمامة، و... و...

---

(١) تذكرة الخواص: ٢٤٣.

(٢) البقرة: ٢٥٦.

بيعة النّاس للإمام الرّضا عليه السلام بولاية العهد

هو الإمام الثّامن المنصوص عليه من قبل الله ورسوله من أئمّة المسلمين عليّ ابن موسىٰ الكاظم بن جعفر الصّادق بن محمّد الباقر بن عليّ بن الحسين السّبط الشّهيد بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ولد بالمدينة المنورة سنة «١٤٨هـ»[١]. وهو سليل بيت النّبوة ووارث أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين، وهو القائم بالأمر بعد أبيه موسىٰ الكاظم عليه السلام، وقبض بطوس من أرض خراسان سنة «٢٠٣هـ» وكانت مدة إمامته وقيامه بعد أبيه في خلافته عشرين سنة[٢]. وقد دلت النّصوص والأحاديث علىٰ إمامته من قبل جده رسول الله صلى الله عليه وآله كما ذكرنا ذلك سابقاً إلىٰ أنّ الأئمّة عليهم السّلام منصوص عليهم من قبل الله في اللّوح المحفوظ، ويكفيه فخراً أنه ممن تشملهم آية التّطهير و... و... وقد نصّ عليه الإمام الصّادق عليه السلام بالخصوص في أحاديث كثيرة، منها ماروي في أخبار الرّضا[٣]، وإثبات الهداة[٤]، وحلية الأبرار[٥]، والفصول المهمة لابن الصّباغ المالكيّ،[٦] وقد نصّ عليه الإمام

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ٢: ٢٤٧.

(٢) المصدر السّابق.

(٣) أخبار عيون الرّضا ١: ٢٩ ح ٢.

(٤) إثبات الهداة ٦: ٢٠ ح ٤٣.

(٥) حلية الأبرار ٢: ٣٨٤.

(٦) الفصول المهمة: ٢٤٣.

موسىٰ الكاظم عليه السلام في نصوص كثيرة منها: فعن عليّ بن يقطين قال: كنت عند أبي الحسن موسىٰ بن جعفر وعنده عليّ ابنه، فقال يا عليّ هذا ابني سيد ولدي، وقد نحلته كنيتي قال، فضرب هشام يعني ابن سالم، يده علىٰ جبهته، فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، لقد نعىٰ والله إليك نفسه.[1] وفي رواية داود الرّقي قال: قلت لأبي إبراهيم، يعني موسىٰ الكاظم فداك أبي، إني قد كبرت وخفت أنْ يحدث بي حدث ولا ألقاك فأخبرني من الإمام بعدك؟ فقال ابني عليّ.[2]

وفي عهده عليه السلام ظهرت فرقة الواقفية بعد استشهاد أبيه موسىٰ بن جعفر عليه السلام وأذاعت هذه الفرقة الضّالة أنّ الإمام موسىٰ بن جعفر لم يمت، بل رُفع إلىٰ السّماء، كما رُفع عيسىٰ بن مريم، وأنّه المهديّ، وسيعود لعالم الدّنيا مرة أُخرىٰ، ولايمكن أنْ يكون من بعده أي إمام، ورفضوا إمامة الإمام عليّ بن موسىٰ الرّضا وخلافته لأبيه.[3] ولسنا بصدد بيان ودراسة هذه الفرقة، بل نذكر نموذجاً واحداً من مواقف الإمام ضد هذه الفرقة: فعن إبراهيم بن أبي يحيىٰ بن أبي البلاد قال: قال الرّضا عليه السلام: «مافعل الشّقي حمزة بن بزيع، قلت: هو ذا قد قدم، فقال: يزعم أنّ أبي حيّ، هم اليوم شكاك، ولايموتن غداً إلّا علىٰ الزّندقة، قال صفوان: فقلت فيما بيني وبين نفسي: شكاك قد عرفتهم، فكيف يموتون علىٰ الزّندقة؟ فما لبثنا إلّا قليلاً حتىٰ بلغنا عن رجل منهم أنّه قال عند موته: هو كافر بربٍ أماته، قال صفوان: فقلت هذا تصديق الحديث[4]. وهذه الفرقة خرجت عن الشّيعة الإماميّة، لكن لا زالت

---

(١) عيون أخبار الرّضا ١: ٢١.

(٢) المصدر السّابق ١: ٢٣.

(٣) موقف الإمام عليّ بن موسى الرّضا من هذه الفرقة الضّالة في كتاب موقف أهل البيت من الغلو والغلاة، وموقف الإماميّة منهم للمؤلف.

(٤) كتاب الغيبة للشيخ الطّوسيّ: ٤٥.

بعض الأقلام المأجورة تنسبها إلىٰ الشّيعة علىٰ الرّغم من خروجها علىٰ أئمّة أهل البيت عليهم السلام وعن عقائدهم القرآنية الحقة، كيف؟ وأنّ الأئمّة لعنوهم وتبرأوا منهم. بالإضافة إلىٰ ذلك إنّ هذه الفرقة بادت ولم يبق منا سوىٰ ذكرها في بطون الكتب التّأريخية، و... و... ولسنا أيضاً بصدد دراسة تأريخ حياة الإمام الرّضا الفكرية والعقائدية والسّياسية، ولا زهده وتقواه، وعبادتة وأخلاقه وآدابه، و... و... حيث إنّ خصومه ومناوئيه كانوا يعترفون له بذلك ولا يستطيعون إخفاء هذه المواصفات والصّفات العظيمة الّتي يتمتع بها، فهو عالم آل البيت، ولذا وصف بـ «نامي العلم كامل الحلم، مضطلع بالأمر، عالم بالسياسة، مستحق للرئاسة»[1].

وجاء في تذكرة الخواص: «وكان ثقة يفتي بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن نيف وعشرين سنة».[2] وقال سبط بن الجوزيّ نقلاً عن الواقديّ: «إنّ الإمام عليّ بن موسىٰ الرّضا لما وصل إلىٰ نيسابور أثناء الانتقال من المدينة إلىٰ خراسان: «خرج إليه علماؤها، مثل يحيىٰ، وإسحاق بن راهويه، ومحمّد بن رافع، وأحمد بن حرب، وغيرهم، لطلب الحديث والرّواية والتّبرك به».[3] ولذا كان المأمون يعقد مجالس المناظرة ويدعو العلماء المسلمين والمتكلمين، وأصحاب الرّأي، وعلماء الأديان والدّعوات المختلفة، ويدعو الإمام عليّ بن موسىٰ الرّضا للمحاججة والحوار والمناظرة...

وقد عاصر الإمام عليّ بن موسىٰ الرّضا المهديّ والهاديّ والرّشيد والأمين والمأمون، وقد امتدت هذه الفترة من سنة «١٥٨هـ» حتىٰ سنة «٢٠٣هـ» ولو

---

(١) تحف العقول: ٤٤١.

(٢) تذكرة الخواص: ٣٥١.

(٣) المصدر السّابق: ٣٥٢.

درسنا حياة الإمام من جانب التّقوىٰ والزّهد والعبادة و... و... وحياة هؤلاء في القصور بين الجواري والمغنين، والشّعراء الماجنين، وكذلك كؤوس الخمر والدّماء، وتبذير الأموال والإسراف بالدراهم والدّنانير الذّهبية، في مقابل سياسة الاضطهاد والتّنكيل، والإرهاب والتّجويع، لمختلف طبقات الأُمّة، ليدرك المنصف، والقارئ الكريم، والمؤرخ والكاتب الّذي يعيش علىٰ أعتاب القرن الحادي والعشرين، ليدرك بوضوح الفارق الكبير بين هؤلاء وبين قادة أهل البيت عليهم السّلام ودعوتهم إلىٰ الإصلاح والتّغيير والعدل، علىٰ نهج القرآن الكريم والسّنة النّبوية المطهرة، والّتي أوذوا من أجلها وعذبوا وشردوا وسجنوا واستشهدوا، و...

أمّا الوضع السّياسي الّذي عاشه الإمام عليّ بن موسىٰ الرّضا، فهو لا يمكن وصفه مع خلفاء بني العباس، فعاش عليه السلام في كنف أبيه، وهو يشاهد بأُم عينيه محنة أبيه موسىٰ الكاظم، وهو يتنقل من سجن إلىٰ آخر حتىٰ استشهد عليه السلام، وشهد الإمام عليّ بن موسىٰ الرّضا مجزرة واقعة فخ الّتي تشبه واقعة كربلاء في حز الرّؤوس وسبي الأرامل والأطفال، وهذه المذبحة الرّهيبة ومالحقها من مطاردة وهدم الدّور ومصادرة الأموال، و..و... قد أثرت في نفس الإمام، وفي ذات يوم قال صفوان فحدثني الثّقة أنّ خالد بن يحيىٰ البرمكيّ قال لهارون الرّشيد: «هذا عليّ بن موسىٰ الرّضا قد قدم وادعىٰ الأمر لنفسه»، فقال هارون الرّشيد: «يكفينا ماصنعنا بأبيه، تريد أن نقتلهم جميعاً»[1]، لانُريد أنْ نُدلل علىٰ أنّ الرّشيد كان نزيهاً من دماء العلويين وأهل البيت عليهم السّلام، وهو الّذي عمد إلىٰ عميدهم وإمامهم موسىٰ الكاظم وقتله بالسُّم وقضىٰ شهيداً في أحد سجون بغداد في سجن السّنديّ بن

(١) الفصول المهمة لابن الصّباغ المالكيّ: ٢٤٥.

شاهك مدير شرطة الرّشيد وبأمر منه، و... و... ولكن نُريد أنْ نقول هذا إعتراف صريح من قبل الرّشيد عندما قال لخالد البرمكيّ: «يكفينا ماصنعنا بأبيه، تريد أنْ نقتلهم جميعاً»، وقد أمر الجلوديّ أنْ يهجم علىٰ دار الإمام الرّضا مع خيله ورجاله وأنْ يسلب كلّ ما في داره حتىٰ النّساء لايدع علىٰ واحدة منهن إلّا ثوباً واحداً حتىٰ أقراطهن وخلاخيلهن وأُزرهن إلّا أخذها الجلوديّ وجميع ما في الدّار من قليل أو كثير، وكان الإمام عليّ بن موسىٰ الرّضا عليه السلام هو الّذي يسلم بيده هذه الأشياء إلىٰ الجلوديّ ويحلف للجلوديّ بأنْ لم يبق علىٰ النّساء شيء من الحليّ ولا غيرها، ولا في البيت أيضاً،[1] وقد فعل الأمين مافعل حتىٰ إنّ ابن الأثير يقول: «لم نجد في سيرته ـ أي الأمين ـ ما يستحسن ذكره من حلم، أو معدلة، أو تجربة، حتىٰ نذكرها».[2] وذكر السّيوطيّ بذخ وسرف الرّشيد وتضييعه الأموال وانشغاله باللهو والعبث والجواريّ مما لا يحصىٰ ذكره، وهو أوّل خليفة لعب بالصولجة والكرة ورمي النّشاب في البرجاس، وأوّل خليفة لعب بالشطرنج من بني العباس، وهوالّذي يتعلق بالجارية صباحاً، ويشتريها مساءاً، ويطأها ليلاً قبل انقضاء عدتها، ويحللها له القاضي الّذي سماه في عهده بقاضي القضاة حين يقول له: تهبها لبعض ولدك، ثمّ تتزوجها، و... و... وقد ذكرنا تعلقه بجارية أبيه المهديّ، ولذا قال ابن المبارك: «فلم أدر ممن أعجب، من هذا الّذي قد وضع يده في دماء المسلمين وأموالهم يتحرج عن حرمة أبيه، أو من هذه الأمه الّتي رغبت بنفسها عن أمير المؤمنين، أو من هذا فقيه الأرض وقاضيها حين قال: اهتك حرمة أبيك واقضِ شهوتك وصيره في رقبتي[3] و... و...، ثمّ إنّ الرّشيد عندما وصلته وشاية

---

(١) القصة كاملة في عيون أخبار الرّضا ٢: ١٦١، مروج الذّهب ٣: ٣٤٣.

(٢) الكامل في التّأريخ ٦: ٢٩٥.

(٣) تأريخ الخلفاء للسيوطيّ: ٢٨٦ و٢٨٧ و٢٨٩ و٢٩٠ و٢٩١ و٢٩٥ و٢٩٦ و٢٩٧ وما بعدها.

بحق مالك بن أنس اوصلها جعفر بن سليمان عندما قيل له إنه لا يرىٰ إيمان بيعتكم شيئاً، فضربه بالسياط، حتىٰ انخلعت كتفاه.[١] وقال صاحب المقاتل: «وقد اضطهد المنصور الإمام مالك وضربه والي المدينة سبعين سوطاً».[٢] فتردي الوضع السّياسي والأخلاقي والاجتماعي، و... و... للخلفاء والحاكمين شمل كلّ الأُمّة، فلم يسلم أحد منهم. وفي هذا الحال اشتد الميل لأهل البيت عليهم السّلام، وخاصة الإمام عليّ بن موسىٰ الرّضا، ولذلك خرجت ثورات العلويين وغيرهم والّتي امتدت من الدّيلم، وخراسان، والأهواز، والبصرة، والكوفة، إلىٰ مكّة والمدينة، وأفريقيه، واليمن، وانضم إليها أتباع كثير من الفقهاء، من أمثال نهضة زيد بن عليّ بن الحسين الّتي أفتىٰ أبو حنيفة بتأييدها، وكذلك تأييد نهضة إبراهيم ابن عبدالله بن الحسن، وكان الإمام مالك قد قال للناس عندما سألوه في نهضة محمّد بن الحسن صاحب النّفس الزّكية: «إنّ في أعناقنا بيعة لأبي جعفر»، فقال مالك لهم: «إنّما بايعتم مكرهين، وليس علىٰ كلّ مكره يمين».[٣] وكان لسفيان الثّوريّ موقف رفض لحكومة بني العباس، وموقف تأييد، بل انضم إلىٰ نهضة زيد ابن عليّ في زمن هشام بن عبد الملك، و..و... والشّاهد في كلّ هذا هو أنّ البيعات الّتي حدثت لبني أُميّة، وبني العباس، هي بيعات باطلة؛ لأنّها جاءت عن طريق الإكراه، كسابقاتها من البيعات، ماعدا المنصوص عليها من قبل الله ورسوله.

والدّولة العباسية في زمن الإمام عليّ بن موسىٰ الرّضا قد مرت بمرحلة صراع داخلي بين المأمون وأخيه الأمين، وذلك بسبب ولاية العهد الّتي عهدها الرّشيد في

---

(١) مروج الذّهب ٣: ٣٣٩.

(٢) أبو الفرج الإصبهانيّ: ٥٣٩.

(٣) تأريخ الطّبريّ ٢: ١٩٠، الإمامة والسّياسة ٣: ٨١.

حياته وقسم بها السّلطة علىٰ أبنائه الثّلاثة، الأمين والمأمون والقاسم، وجعلها بينهم، ولكن ابتداءاً بالأمين، ثمّ المأمون، ثمّ القاسم، فأعطىٰ ولاية العراق والشّام وحتىٰ آخر المغرب للأمين، وأعطىٰ المأمون همدان وأطرافها إلىٰ آخر المشرق، وأعطىٰ القاسم المسمىٰ بـ«المؤتمن» الجزيرة والثّغور والعواصم،[1] ومات الرّشيد واستقر الملك للأمين، فأوّل عمل قام به عزل المأمون من ولاية العهد وجعلها لأبنه موسىٰ، وطلب من المأمون أنْ يعترف بولاية العهد لموسىٰ بعد الأمين، لكن المأمون رفض ذلك وتمرد علىٰ خلافة أخيه، وأعلن خلعه والتّحلل من بيعته، وحدث صراع مسلح بين الطّرفين وتغلب المأمون علىٰ أخيه الأمين، و... و... ولسنا بصدد بيان ذلك، لكن نريد أنْ نُبين أنّ القلوب أخذت تهفو إلىٰ الإمام عليّ ابن موسىٰ الرّضا خلال هذه الفترة الدّموية، فخشي المأمون من قوة التّيار المؤيد والموالي للعلويين، فتعامل بالدبلوماسية ـ كما تسمىٰ اليوم ـ فبدل السّيف والسّجن والدّماء، وذلك لما اشتهر به المأمون من الذّكاء والدّهاء والحنكة السّياسية، فخطط أنْ يعقد ولاية العهد للإمام عليّ بن موسىٰ الرّضا ويجعله أحد أركان وأعمدة السّلطة لامتصاص الانتفاضات والثّورات والحركات العلوية، لكن الإمام عليّ بن موسىٰ الرّضا رفض ذلك بإصرار، و... و... لكن الإجبار والإكراه عاد مرة أُخرىٰ، فاضطر الإمام عليّ بن موسىٰ إلىٰ القبول، وهو يعلم بأنّ ولاية العهد لم تصل إليه كما أخبر بذلك من قبل آبائه عليهم الصّلاة والسّلام، و... و... إلخ فوجه المأمون دعوته للإمام عليّ بن موسىٰ، وطلب منه الحضور إلىٰ خراسان للتشاور معه في نقل ولاية العهد والخلافة إليه، لكن الإمام رفض ذلك ـ كما قلنا سابقاً ـ فوجه إليه المأمون تحذيراً، فاستجاب الإمام عليّ بن موسىٰ إلىٰ ذلك مكرهاً؛ لأن

---

(١) الكامل في التّاريخ لابن الأثير ٦: ١٧٣.

الدّعوة جاءت متزامنة مع نهضة محمّد بن جعفر الصّادق عمّ الإمام الرّضا في المدينة المنورة.

وهنا تبدأ التّساؤلات حول هذا القرار الخطير الّذي اتخذه المأمون بولاية العهد إلىٰ عليّ بن موسىٰ الرّضا عليه السلام وذلك من خلال كتابه الّذي وجهه إلىٰ الإمام وكذلك إلىٰ العباسيين الّذين اعترضوا عليه حول القرار.

(١) هل أقدم المأمون علىٰ هذا القرار الخطير نتيجة رد فعل للنهضات والحركات الّتي شهدها العصر العباسي بشكل عام وعصره بشكل خاص؟ وهل كان المأمون صادقاً فيما أقدم عليه من أنّه يريد أنْ يُعيد الحقّ إلىٰ نصابه، وأنّه يصل الأرحام الّتي قُطعت منذ سنوات، كما يقول الجهشياريّ؟.[1] وهل كان المأمون مقتنعاً بأحقية أهل البيت بالإمامة والخلافة؟ وهل... وهل...؟ أم إنّها كانت سياسة الدّهاء والمكر والختل لتدعيم نفوذه وأركان خلافته؟ ألم يكن هذا الأُسلوب الّذي اتبعه المأمون هو نفس الأُسلوب الّذي اتبعه أسلافه من قبل في الحصول علىٰ البيعة بالإكراه والتّهديد بالقتل؟ ولذا نجده يصرح في كتابه لعليّ بن موسىٰ الرّضا: «إنّ عمر بن الخطاب جعل الشّورىٰ في ستة أحدهم جدك، وقال: من تخلف فاضربوا عنقه، ولابد من قبول ذلك فأجابه الإمام عليّ بن موسىٰ الرّضا إلىٰ ما التّمس»[2].

وقبل الإجابة علىٰ هذه التّساؤلات نبدأ باستعراض آراء المؤرخين والكتاب من كلّ الفرق والإتجاهات، حتىٰ نستطيع أنْ نستشف الدّوافع الحقيقية لبيعة

---

(١) كتاب الوزراء: ٣١٢.

(٢) المقاتل: ٥٦٣، الإرشاد للشيخ المفيد: ٣١٠.

المأمون بولاية العهد للإمام الرّضا عليه السلام. قال الطّبريّ[١] وابن الاثير[٢] واليعقوبيّ[٣] إنّ الدّافع: «هو أنّه ـ أي المأمون ـ نظر في بني العباس وبني عليّ، فلم يجد أحداً هو أفضل ولا أورع ولا اعلم منه»، يرىٰ صاحب المقاتل[٤]: «أنّ المأمون كان خلال صراعه مع أخيه الأمين قد عاهد الله علىٰ أنْ ينقل الخلافة إلىٰ أفضل آل أبي طالب، وأنّ عليّ الرّضا هو أفضل العلويين إنْ ظفر بالمخلوع». ويذهب السّوطيّ[٥] مذهباً آخر هو: «أنّ المأمون قد حمله علىٰ ذلك إفراطه في التّشيع، حتىٰ قيل إنه هم أنْ يخلع نفسه ويفوض الأمر إليه ـ أي إلىٰ الإمام الرّضا». أمّا الفخريّ[٦] فـ«يرىٰ أنّ المأمون فكر في حال الخلافة بعده وأراد أنْ يجعلها في رجل يصلح لها لتبرأ ذمته، كذا زعم». بينما يرىٰ الشّيخ المظفر[٧]: «أنّ المأمون كان مدفوعاً في البيعة لعليّ الرّضا بولاية العهد بدافع سياسي هو حماية مصالح الدّولة العباسية؛ لأن المأمون من رجال الدّهاء والسّياسة». ويرىٰ هاشم معروف الحسنيّ[٨]: «أنّ المأمون وضع الإمام الرّضا تحت رقابة الخليفة ومنعه من القيام بحركة علوية جديدة»، ويرىٰ الدّكتور النّشار[٩]: «أنّ المأمون أدرك خطورة الدّعوة الإسماعيلية، فأراد أنْ يقضي

---

(١) تأريخ الطّبريّ ٧: ١٣٥.

(٢) الكامل في التّأريخ ١: ١١١.

(٣) تأريخ اليعقوبيّ ٣: ١٧٦.

(٤) مقاتل الطّالبيين: ٤٥٤.

(٥) تأريخ الخلفاء: ٣٠٧.

(٦) المُجدي في النّسب: ١٩٨.

(٧) تأريخ الشّيعة: ٥١.

(٨) عقيده الشّيعة الإماميّة: ١٦١.

(٩) نشأه الفكر الفلسفي في الإسلام ٢: ٣٩١.

عليها، وكان الإمام عبدالله الرّضي بدأ نشاطاً واسعاً، ولذا قرب المأمون إليه عليّ الرّضا وبايعه بولاية العهد».

وبعد هذا العرض السّريع نقول: إنّ المأمون كان قد برع في العلوم والفنون، ولذا قال الدّميريّ عنه في حياة الحيوان: «لم يكن في بني العباس اعلم من المأمون»،[١] وقال عنه ابن النّديم: «إنه اعلم الخلفاء بالفقه والكلام»،[٢] وورد عن الإمام الرّضا عليه السلام في مناقب آل أبي طالب رواية يصف بها خلفاء بني العباس «سابعهم أعلمهم»،[٣] ووصفه صاحب العقد الفريد[٤] والجهشياريّ[٥]: «بأنه داهية بني العباس يقتل الفضل ويبكي عليه، ويقتل قتلته، يقتل الإمام الرّضا، ثمّ يبكي عليه، ويقتل طاهراً ويولي أبناءه مكانه، ويقتل أخاه ويوهم أنّ الذّنب في ذلك علىٰ الفضل وطاهر، وهذا مما يدل علىٰ دهائه وحنكته وسياسته»، ونحن نميل إلىٰ هذا الرّأي الّذي يقول بدوافع سياسية، حيث أراد تدعيم خلافته وتجنب قيام المزيد من النّهضات والحركات الشّيعية في وجهه كما أراد إرضاء أهل خراسان، ولذا نجده اتخذ مرو مركزاً لخلافته؛ لأنه تولّىٰ الخلافة في فترة قلقة حرجة، ساد فيها الاضطراب، و... و... فأراد أنْ يأمن الخطر الّذي يتهدده من قبل تلك الشّخصية الفذة، وحتىٰ لا ينظر النّاس إلىٰ أية بادرة عدائية منه لنظام الحكم القائم إلّا علىٰ أنّها نكران للجميل، وقد أشار المأمون إلىٰ ذلك بأنه خشي أنْ يترك الإمام علىٰ حاله أنْ ينفتق عليه منه ما لا يسده، ويأتي منه عليه ما لا يُطيقه... وأنْ يجعل

---

(١) حياة الحيوان ١: ٧٢.

(٢) الفهرست: ١٧٤.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٢: ٢٧٦.

(٤) العقد الفريد ١: ١٢٣.

(٥) الوزراء والكتاب: ٣١١.

الإمام تحت المراقبة الدّقيقة من الدّاخل والخارج، ولذا عمد إلىٰ زواجه من ابنته؛ حتىٰ تكون عليه رقيباً داخلياً موثوقاً عنده هو... ولم يكتفِ بذلك، بل جعل هشام بن إبراهيم الرّاشديّ من أخصّ النّاس عند الرّضا... وكان لايتكلم الإمام في داره بشيء إلّا أورده هشام علىٰ المأمون وذي الرّئاستين و..و..[١] وكذلك أراد المأمون أنْ يعزل الإمام الرّضا عن النّاس، حتىٰ لا يؤثر عليهم بما يملكه من قوة الشّخصية، ويعزله أيضاً عن شيعته ليقطع الطّريق عليه، ولذا نجد أنّ الإمام يكتب إلىٰ أحمد بن محمّد البزنطيّ: «أمّا ماطلبت من الإذن عليّ فإن الدّخول إليّ صعب، وهؤلاء قد ضيقوا عليَّ في ذلك الآن فلست تقدر الآن، وسيكون إن شاء الله...»[٢] وخير دليل علىٰ عزله عن النّاس إرجاعه عن صلاة العيد مرتين، وقد ذكرها المسعوديّ في الوصية[٣]، ومعادن الحكمة[٤]. ونور الأبصار للشّبلنجيّ[٥]، وصاحب أعلام الورىٰ[٦]، وروضة الواعظين[٧]، وأُصول الكافيّ[٨]، ومطالب السّؤول لابن طلحة الشّافعيّ[٩].

---

(١) مسند الإمام الرّضا ١: ٧٧، عيون أخبار الرّضا ٢: ١٥٣، البحار ٤٩: ١٣٩، شرح ميمية أبي فراس: ٣٠٤، كشف الغمة ٣: ٩٢.

(٢) رجال المامقانيّ ١: ٧٩، عيون أخبار الرّضا ٢: ٢١٢.

(٣) الوصية: ٢٠٠.

(٤) معادن الحكمة: ٢٠٠.

(٥) نور الأبصار: ١٤٣.

(٦) أعلام الورىٰ: ٣٢٢.

(٧) روضة الواعظين ١: ٢٧١.

(٨) أُصول الكافيّ ١: ٤٨٩.

(٩) مطالب السّؤول: ٨٥.

أمّا ما أكده الدّكتور أحمد الشّيبيّ من أنّ المأمون أراد أنْ يجعل له شعبية واسعة بتقريبه الإمام الرّضا، وجعل الولاية له بقوله: «إنّ المأمون جعله ولي عهده، لمحاولة تأليف قلوب النّاس ضد قومه العباسيين، الّذين حاربوه ونصروا أخاه»[1].

وقد أكد هذا الرّأي الدّكتور أحمد أمين المصريّ في ضُحىٰ الإسلام من أنّ المأمون: «أراد بذلك أنْ يصلح بين البيتين العلويّ والعباسيّ، ويجمع شملهما ليتعاونوا علىٰ ما فيه خير الأُمّة وصلاحها...»[2].

هذا الكلام ليس بدقيق؛ لأن عقائد المأمون لم تكن هي المنطلق له في مواقفه السّياسية، بل نراه ينطلق بما هو يخدم مصالحه الخاصة، حتىٰ إنه وصف الصّحابة ماعدا الإمام عليّ بن أبي طالب بالملحدين، ووصف الخليفة الثّاني بأنه «جَعَل» وفي رواية «علج»، وفي ثالثة «عِجل»، ونعتقد أنّ هذه شنشنة من هؤلاء لتبرير سياسة الخداع الّتي اتبعها المأمون، وهذه كالشنشنة الّتي روجوا لها في زمن الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام بافتراء الحديث المكذوب الّذي أشرنا إليه سابقاً: «إنّ ابني هذا يصلح بين فئتين..»، ولو طرحنا عليهم السّؤال التّالي: لو أنّ أحد أفراد بني هاشم، أو أحد أفراد المذهب الشّيعي، أو أحد الموالين أو المحبين لأهل البيت قال: إنّ الخليفة الثّاني «جَعَل»، أو قال بتكفير كلّ الصّحابة فماذا تقولون عنه؟ أتكفرونه فقط؟ أم تحللون دمه؟ أم تبيحون عرضه وسبي نسائه؟ فإن قلتم لا هذا، ولا ذاك؟ فهذا افتراء علىٰ أنفسكم وعلىٰ التّأريخ، وذلك إنّ كتبكم هذه مملوءة بالتكفير لا لشيء، ولكن لمجرد طرح رأي في الخليفة الثّاني، وكذلك وجهة نظر في بعض الصّحابة الّذين أشار إليهم الرّسول الأكرم، والقرآن الكريم بالنفاق، وليس كلّ

---

(١) الصّلة بين التّصوف والتّشيع: ٢٢٣.

(٢) ضُحىٰ الإسلام ٣: ٢٩٥.

الصّحابة كما تدعون؟ وصاحب هذا الرّأي لا يأتي بجديد من عنده، بل يعتمد علىٰ مصادركم الّتي تعتمدون عليها ولايجوز المساس بها، كصحيح البخاريّ، ومسلم والتّرمذيّ، وجميع الصّحاح، وكذلك تأريخ الطّبريّ، واليعقوبيّ، والكامل، و..و... وكذلك كتب التّفسير والسّيرة... إلخ.

أمّا مايراه جرجي زيدان في تأريخ التّمدن الإسلاميّ[١] وأحمد شلبيّ في التّأريخ الإسلاميّ والحضارة الإسلاميّة،[٢] وابن الأثير في الكامل،[٣] وابن الطّقطقيّ في الفخريّ في الآداب السّلطانية،[٤] والّذين يرون أنّ ولاية العهد جاءت بعامل الفضل بن سهل الشّيعيّ. وجوابهم واضح جداً، لأن نسبة التّشيع إلىٰ الفضل هي نسبة غير صحيحة، حتىٰ وإنْ تظاهر بها. اللّهمّ إلّا أنْ تكون مؤامرة بين الرّجلين وذلك؛ لأن بعض النّصوص تفيد أنّ الفضل كان عدواً للإمام، حيث إنه كان من صنائع البرامكة، كما يقول صاحب عيون أخبار الرّضا،[٥] والبرامكة أعداء أهل البيت عليهم السلام، بل إنّ الفضل وأخاه لم يكونا راغبين أصلاً في البيعة للإمام الرّضا عليه السلام[٦]، كما ذكر ذلك صاحب المقاتل،[٧] وصاحب نور الأبصار صرّح بأنهما مانعا في عقد العهد للإمام الرّضا،[٨] وصاحب كشف الغمة،[٩] وصاحب روضة

---

(١) تأريخ التّمدن الإسلاميّ ٤: ٤٣٩.

(٢) التّأريخ الإسلاميّ والحضارة الإسلاميّة ٣: ٣٢٠.

(٣) الكامل في التّأريخ ٥: ١٢٣.

(٤) الآداب السّلطانية: ٢١٧.

(٥) عيون أخبار الرّضا ٢: ١٦٦ و٢٢٦.

(٦) عيون أخبار الرّضا: ١٤٢.

(٧) المقاتل: ٥٦٣.

(٨) نور الأبصار: ١٤٢.

(٩) كشف الغمة ٣: ٦٦.

الواعظين،[١] والشّيخ المفيد في الإرشاد،[٢] وزاد بعض المؤرخين بأنّ المأمون لم يقتل الإمام الرّضا إلّا بتحريض من الفضل بن سهل، وإذا كان الفضل بن سهل من الشّيعة، فمن غير المناسب أنّ الإمام يُخبر المأمون بما عرضه عليه الفضل من قتل المأمون، كما ذكر القصة كاملة الطّبريّ في تأريخه،[٣] والإصبهانيّ في المقاتل،[٤] وأعلام الورىٰ،[٥] وصاحب كشف الغمة،[٦]، وها هو المأمون يزجر الرّيان بن الصّلت عندما رأىٰ أنّ القواد والعامة أكثروا في بيعة الرّضا، وأنهم يقولون: «إنّ هذا من تدبير الفضل»، فأجابه المأمون: «... ويحك ياريان أيجسر أحد علىٰ أنْ يجيء إلىٰ خليفة قد استقامت له الرّعية والقواد واستوت الخلافة، فيقول له: ادفع الخلافة من يدك إلىٰ غيرك؟ أيجوز هذا في العقل؟».[٧]

أمّا الإجابة علىٰ السّؤال الّذي طرحناه سابقاً أكان الإمام عليه السلام راضياً بولاية العهد أم كان مكرهاً؟ فقد حدثتنا المصادر التّأريخية بأنّ الإمام رفض قبول الولاية أشد الرّفض، وبقي مدة يحاول إقناعه فلم يفلح، وقد استمرت محاولاته في مرو أكثر من شهرين والإمام عليه السلام يأبىٰ عليه، كما ورد في عيون أخبار الرّضا،[٨] والبداية

---

(١) روضة الواعظين ١: ٢٦٩.

(٢) الإرشاد: ٣١٠.

(٣) تأريخ الطّبريّ ١١: ١٠٢٥، طلندن.

(٤) المقاتل: ٥٦٥.

(٥) أعلام الورىٰ: ٣٢٥.

(٦) كشف الغمة ٣: ٧١.

(٧) عيون أخبار الرّضا ٢: ١٥١ ح٢٢، حليه الأبرار ٢: ٣٤٨، وفيات الأعيان ٢: ٥٢١ و٣: ٨٤ و٤: ٤١ و٥: ٣٥٧ و٦: ٤٢٠.

(٨) عيون أخبار الرّضا ٢: ١٤٩.

والنّهاية ،[١] والآداب السّلطانية ،[٢] وغاية الاختصار ،[٣] وينابيع المودة ،[٤] وتأريخ الشّيعة ،[٥] وروضة الواعظين ،[٦] وأعلام الورىٰ ،[٧] وعلل الشّرايع ،[٨] وأمالي الصّدوق ،[٩] والإرشاد للشيخ المفيد ،[١٠] وكشف الغمة ،[١١] والمناقب لابن شهرآشوب ،[١٢] والكافيّ ،[١٣] وغير ذلك كثير ، تؤكد أنّ الإمام رفض الولاية ، ولكن ـ كما أشرنا سابقاً ـ قبلها بعد التّهديد ، حيث قال له المأمون « ... ما استقدمناك باختيارك ، فلا نعهد إليك باختيارك ، والله إنْ لم تفعل ضربت عنقك ... » ، وقال الإمام عليه السلام : « ... قد علم الله كراهتي لذلك ، فلما خيرت بين قبول ذلك وبين القتل اخترت القبول علىٰ القتل ، ويحهم ... ودفعتني الضّرورة إلىٰ قبول ذلك علىٰ إجبارٍ وإكراهٍ ، بعد الإشراف علىٰ الهلاك ... » ، هذا جواب الإمام علىٰ سؤال الرّيان . أمّا جوابه لأبي الصّلت فهو : « ... وأنا رجل من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) البداية والنّهاية ١٠: ٢٥٠.

(٢) الآداب السّلطانية: ٢١٧.

(٣) غاية الاختصار: ٦٧ و٦٨.

(٤) ينابيع المودة: ٣٨٤.

(٥) تأريخ الشّيعة: ٥١ و٥٢.

(٦) روضة الواعظين ١: ٢٦٧.

(٧) أعلام الورىٰ: ٣٢٠.

(٨) علل الشّرائع ١: ٢٣٦.

(٩) أمالي الصّدوق: ٤٢.

(١٠) الإرشاد: ٣١٠.

(١١) كشف الغمة: ٣١٠.

(١٢) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٣٦٣.

(١٣) أُصول الكافيّ ١: ٤٨٩.

أجبرني علىٰ هذا الأمر وأكرهني عليه...»، وها هو أحمد أمين المصريّ يقول: «... وألزم الرّضا بذلك، فامتنع، ثمّ أجاب»،[١] وقال القندوزيّ: «أنه قبل ولاية العهد، وهو باكٍ حزين»،[٢] وقال المسعوديّ في إثبات الوصية: «... فألح عليه، فامتنع، فأقسم، فأبر قسمه...»،[٣] وقال عليه السلام: «... إني قد أجبت امتثالاً للأمر، وإن كان الجفر والجامعة يدلان علىٰ ضد ذلك». إذاً لم يكن المأمون جاداً في عرضه للخلافة ولا الإمام عليه السلام راضياً بها؛ لأن ولاية الأمر هي من قبل الله في الأصل لا من قبل المأمون. ولذا قال عليه السلام بعد أنْ رفع يديه إلىٰ السّماء: «اللّهمّ إنك تعلم أنّي مكره مضطر، فلا تؤاخذني، كما لم تؤاخذ عبدك ونبيك يوسف حين دفع إلىٰ ولاية مصر».[٤]

(٢) ولا أدري ممن أعجب أمن الّذي يأخذ البيعة بالقوة والإكراه من النّاس ويعلم أنه ليس أهلاً لها؟ أم ممن يسندها إلىٰ غيره بعد أنْ أخذها بالقوة في بداية أمره؟ أم من الّذي جعلها دكتاتورية الفرد الواحد تحت غطاء الشّورىٰ؟ أم من الّذي يجبر الإمام علىٰ قبولها والإمام يرفضها؟ أم ممن يدافع بالباطل عن تصحيحها؟ أم ممن يتغاضىٰ عن النّص القرآني والنّبويّ؟ لا أدري ولا أدري؟ والسّؤال الّذي يطرح نفسه علىٰ هؤلاء الّذين يصححون، أو يتغاضون عن النّص ويبررون، و... و... مَنْ من أصحابكم عُرِضَ عليه مثل ما عرض علىٰ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، كما بينا سابقاً بأنهم انثالوا عليه حتىٰ وُطِئَ الحسنان،

---

(١) ضُحىٰ الإسلام ٣: ٢٩٤.

(٢) ينابيع المودة: ٣٨٤.

(٣) تأريخ المسعوديّ: ٢٠٥.

(٤) أمالي الشّيخ الصّدوق: ٥٢٥ ح١٣.

ورفضها وقال لهم: التّمسوا غيري أو قال: أكون لكم وزيراً خير من أنْ أكون أميراً و... و... وكذلك أنّ الإمام الحسن أيضاً فعلوا معه مثل مافعلوا بأبيه عليه السلام وكذلك الإمام الحسين لم يطلب منهم، البيعة، بل هم الّذين طالبوه، و... وهذا الإمام الرّضا يجبره المأمون عليها؟ فإذا قلتم عندنا مثل هؤلاء الصّفوة الطّاهرة، فاذكروا لنا نموذجاً واحداً نقتدي به؟ وإنْ قلتم لا يوجد عندنا فلماذا لم تظهروا الحقّ وتصرحوا بأنّ الخلافة قد اغتصبت من أهلها؟ أم تريدون أنْ تتحملوا وزرها في الدّنيا والآخرة، كما قال صاحبكم؟ لماذا لم تكن لديكم الجرأة ولو بالنسبة؟ وها هي امرأة ضعيفة حسب ما تقولون بأنها اعترفت بخطئها وقالت: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا رَٰوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾،[1] وها هي النّسوة أيضاً لهن الجرأة أمام ملك مصر: ﴿قُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾[2]، بعد أنْ سألهن: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ﴾،[3] وها هم إخوة يوسف يعترفون بالخطأ، والاعتراف بالخطأ فضيلة، كما تقولون، حيث: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ﴾،[4] وقالوا أيضاً: ﴿قَالُوا يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ﴾[5]، و... و... و... فلماذا هذا الإصرار على الباطل؟

الوثيقة التّاريخية:

٣. لو درسنا الوثيقة التّأريخية لولاية العهد من قبل المأمون، وقبول الإمام لها

---

(١) يوسف: ٥١.

(٢) يوسف: ٥١.

(٣) يوسف: ٥١.

(٤) يوسف: ٩١.

(٥) يوسف: ٩٧.

بعد التّهديد بالقتل، نجد فيها أشياء وأشياء، ونحن لسنا بصدد دراسة الوثيقة وشروط الإمام عليه السلام الّتي ثبتها في الوثيقة، والّتي من ضمن الشّروط: «إنه لا يأمر ولا ينهىٰ، ولا يولي ولا يعزل، ولا يتكلم بين اثنين في حكم، ولا يغير شيئاً هو قائم علىٰ أُصوله» و... و... و... وأمّا المأمون الّذي كتب الوثيقة بخط يده، فقد قال: «... ودعا أمير المؤمنين ولده وأهل بيته وخاصته، وقواده وخدمه، فبايعه الكل مطيعين مسارعين مسرورين عالمين...»[1]، ألم يكن هذا إعتراف صريح من قبل داهيتكم العباسيّ، بأنّ البيعة لاتكون بالإكراه والإجبار من قبل النّاس للإمام، ولايكون أيضاً إسناد الولاية بالإكراه والإجبار، فهو يقول: «فبايعه الكل مطيعين مسارعين مسرورين...»؟ فبالله عليكم هل حصلت البيعة لصاحبكم الأوّل، أو الثّاني، أو الثّالث، بأن بايعه النّاس مطيعين غير مكرهين، ومسارعين غير مجبورين، ولا يساقون بالقوة، ثمّ يجذبون يد النّاس وهم مؤتزرون بالأُزر بالقوة ويمسحون بها يد صاحبكم؟ أحصل السّرور في البيعات لهم أم بدل السّرور الدّموع والآلام والأحزان، وقد مثلتها بضعة المصطفىٰ الزّهراء البتول عليها السلام؟ أم جاءوا إليهم مسرعين للبيعة طائعين، دون وضع الحبال في أعناقهم، أو حرق بيوتهم، أو كسر سيوفهم أو... أو... أو...؟ أو يقتلون إنْ لم يتفقوا علىٰ واحد، كما قال عمر ابن الخطاب؟ علماً بأنكم تدعون بأنّ السّتة من المبشرين بالجنة من قبل الرّسول صلى الله عليه وآله، إذاً الخليفة عندكم له صلاحية قتل أهل الجنّة، حتىٰ يُعجل بهم إلىٰ الجنّة خوفاً من الازدحام، وخوفاً من أنْ لايبقىٰ لهم مكان في الجنّة... ويا ليت الصّحابة الأوائل علموا بهذه القدحة والنّفحة العُمرية، حتىٰ كلما لم يتفقوا علىٰ رأي يقتلون، وبالتالي يحصلون علىٰ المكان الأوّل في الجنّة. ولكن يبقىٰ السّؤال أيحصل

---

(١) الفصول المهمة في معرفة الأئمّة لابن الصّباغ المالكيّ: ٢٥٧.

القاتل علىٰ الثّواب ويدخل الجنّة، أم لايحصل علىٰ الثّواب؟ فإن قلتم يحصل علىٰ الثّواب، إذاً القاتل والمقتول علىٰ حد سواء. وإن قلتم لايحصل علىٰ الثّواب فعلىٰ أي شيء يحصل؟ فإن قلتم يُعاقب قلنا لماذا يُعاقب؟ ألأنه امتثل أمر الخليفة، ولا يجب مخالفة الإمام؛ لأنه عندكم مفترض الطّاعة حتىٰ ولو كان فاسقاً؟ ويمكن له أن يحتج علىٰ الله لماذا أُعاقب وأنا ممتثل لأمر خليفتك...؟ والنّتيجة ينتقل العقاب إلىٰ الخليفة، فهل تقبلون أنّ الله يعاقب ويعذب صاحبكم بالنار علىٰ فعل غيره؛ لأنه لم يكن هو ـ الخليفة ـ الفاعل؟ فإن قلتم قبلنا فنحن معكم، وإن قلتم لا نقبل نحن نقول لكم إنّ العذاب والعقاب واقع لا محال عليه؛ لأنه هو الآمر والمنفذ، وهو وسيلة بيده مثله، كمثل السّكين في يد القصاب هذا علىٰ رأيكم، وإلّا فلتخرج أقلامكم وتجيب علىٰ هذه التّساؤلات الّتي لابد منها.

٤. أمّا الكتاب الّذي دونه الإمام الرّضا عليه السلام علىٰ ظهر صحيفة ولاية العهد فقد جاء فيه: «... إنّ أمير المؤمنين... عرف من حقنا ماجهله غيره، وآمن نفوساً فزعت... وعرفها بعد نكرها... وإنه جعل إليّ عهده والإمرة الكبرىٰ إنْ بقيت بعده... أنْ أعمل فيهم بطاعة الله تعالىٰ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله، ولا أسفك دماً حراماً، ولا أُبيح فرجاً ولا مالاً... وأنْ أتخير الكفاة جهدي وطاقتي، وجعلت بذلك علىٰ نفسي عهداً مؤكداً يسألني الله عنه... وإنْ أحدثت، أو غيرت، أو بدلت، كنت للعزل مستحقاً وللنكال متعرضاً... والجفر والجامعة يدلان علىٰ ضد ذلك...».[1] وفي الجانب الأيمن صورة شهادة يحيىٰ بن أكتم علىٰ مضمون الكتاب ظاهره وباطنه... وهناك صورة شهادة عبدالله بن طاهر، وصورة شهادة حماد بن النّعمان، وصورة شهادة ابن المعتمر... وعلىٰ الجانب الأيسر بخط الفضل بن سهل

---

(١) الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمّة لابن الصّباغ المالكيّ: ٢٥٧.

رسم أمير المؤمنين بيراعه هذه الصّحيفة، العهد، الميثاق، ظهراً وبطناً... وبمرأىٰ ومسمع من وجوه بني هاشم، وسائر الأولياء والأخيار.

أُنظروا بالله عليكم إلىٰ صورة الكتاب بدقة وتأملوا ألا تستشفون منه بالقول الصّريح أنّ الإمام عليه السلام، بيّن ووضّح أنّ المأمون عرف حقّ أهل البيت بعد أنْ جهله ماسبقه من الخلفاء وكلمة «غيره»، مطلقة تشمل كلّ من جهل حقّ أهل البيت بما فيهم الأوّل والثّاني؛ لأن عهدهم برسول صلى الله عليه وآله قريب جداً، بل كما قلنا سابقاً قبل موته وبعد موته صلى الله عليه وآله بلحظات جهلوا حقهم عليه السلام، بل كان يوصي بهم وفي الأثناء قالوا إنه ليهجر، كما في الوصية بحديث الثّقلين: «كتاب الله وعترتي أهل بيتي». أمّا إذا قلتم بأنّ الإمام هو الّذي قال هذا، فالجواب. لو لم يكن كلام الإمام صحيحاً لاعترض المأمون علىٰ ذلك وهو الدّاهية والعالم، ولم تحدثنا المصادر التّأريخية أنّه اعترض علىٰ ذلك، وهو في أوج عظمته، وكان أقل الصّحابة يعترض علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله، فكيف بالمأمون المبسوط اليد، وهذا الكلام لا ينزه المأمون، ولم يكن إعتراف من قبل الإمام بشرعية خلافة المأمون؛ لأننا أوضحنا سابقاً أنّ الإمام أُجبر وأُكره علىٰ ذلك، وأنّ المأمون يقتله حتماً إنْ لم يقبل. ألا تستشفون أنّ نفوس آل البيت كانت فزعة وخائفة، وقد فعلوا بها مافعوا، وذلك من خلال قول الإمام «آمن نفوساً فزعت...»، بل إنّها روعت، وكما أثبتنا إنّها ضُربت وكسرت أضلاعها، ثمّ إنّها قتلت، وعريت، وشردت، وجوعت و... و... فإن قلتم هذا أيضاً قول الإمام عليه السلام، قلنا الجواب هو نفس الجواب الأوّل...

ألا تستشفون من قول الإمام عليه السلام للمأمون: «إن بقيت بعده»، وهو يعلم عن طريق الجفر والجامعة بأنه لم يبقَ بعده، وبهذه الصّورة لايكون لهذا العهد أي قيمة؛ لأنه يستشهد قبل وفاة المأمون، ولايترتب أثر علىٰ هذا العهد حتىٰ لو سلمنا جدلاً

بأنه لم يعلم وبقي علىٰ قيد الحياة بعد المأمون فماذا يعمل؟ اُنظروا أيضاً بدقة وتأمل أنه يعمل بطاعة الله وطاعة رسولهﷺ، فالسؤال مَن الّذي عمل من أصحابكم بطاعة رسولهﷺ بهذا الخصوص بعد أنْ وصلت إليه الخلافة؟ ولا اُريد أن اُكرر، بل أقول هم اعترفوا بخطئهم، وقال قائلهم ياليتني لم أعمل العمل الفلاني والعمل الفلاني، حتىٰ قال قائلهم ليتني تركت هذا الأمر لغيري، وقال قائلهم وقال... وقال... ومَن منهم لم يسفك دماً حراماً؟ ونحن ندري أنّ جوابكم أنهم لم يسفكوا. فنريد الجواب عن سفك دم مالك بن نويرة علىٰ أقل التّقادير، وليس دماء المعترضين من أمثال أبي ذر، وعمار، والمقداد و... و... و... والّذي قال رسول اللهﷺ في أحدهم: «... عمار تقتله الفئة الباغية»، ثمّ لا نريد إحراجكم عن قتل العترة الطّاهرة بدءاً بالإمام عليّ، وفاطمة الزّهراء، والحسن والحسينعليهم السلام... وإلىٰ قيام يوم السّاعة؟ فلماذا لاتعترفون بالخطأ، كما اعترف الثّلاثة الأوائل حتىٰ ولو كان في سكرات موتهم؟ فأنتم أيضاً نقبل منكم، ومن نحن حتىٰ نقبل؟ بل الله يقبل منكم التّوبة حتىٰ ولو في سكرات الموت... وحتىٰ لو سلمنا فهل اختاروا الكفاة من النّاس؟ إنهم أمروا من لم يصلِّ حتىٰ ركعة واحدة، بل إنهم أمروا علىٰ رقاب النّاس الزّناة و... و... كما قلنا سابقاً وذكرنا أسماءهم والمصادر التّأريخية الّتي أشارت إلىٰ ذلك... ومَن منهم الّذي قال إنّ الأمر يسألني الله عنه؟ لم تذكر المصادر التّأريخية لنا أحداً منهم، اللّهمّ إلّا الأوّل قال إنّ ليّ شيطاناً يعتريني فإن... فقوموني... والنّاس لاتعرف متىٰ يأتيه هذا الشّيطان الّذي يعتريه. وكذلك قال الثّاني مثل قول الأوّل إنّ ليّ شيطاناً يعتريني... ومَن منهم الّذي لم يُبذر الأموال؟ اللّهمّ إلّا عثمان فإنه لم يعطِ خمس خراج أفريقية إلىٰ فلان، ولم يعط... ولم يعط و... فراجع ماكتبناه سابقاً.

٥. والتّساؤلات كثيرة حول ماجاء في ولاية العهد سواء كانت من كتاب المأمون أو من جواب الإمام له. ولكن يبقىٰ سؤال آخر، وهو صغير جداً هل اشهد الأوّل في عهده لعمر بن الخطاب أحداً غير عثمان، وهو الّذي كتب اسم عمر والخليفة مغمىً عليه كما ذكرنا ذلك سابقاً؟ وهل...؟ وهل...؟ وهذا لا يعني أنّه اشهده، بل قال له أكتب فكتب، والكاتب غير الشّاهد.

ثمّ إنّ خطبة الإمام عليه السلام بعد مراسم مجلس البيعة، الّتي سنشير إليها فيما بعد توضح لنا أنّ الإمام عليه السلام له موقف من السّلطة، ولم يكن مقتنعاً بهذه البيعة الّتي لم يشهد لها تأريخ الإسلام من مثيل، حيث قال: «بعد حمد الله والثّناء عليه: إنّ لنا عليكم حقاً برسول الله صلى الله عليه وآله ولكم علينا حقاً به، فإذا أديتم إلينا ذلك وجب علينا الحقّ لكم»،[1] ولم يُشرْ الإمام في خطبه إلىٰ أنّه أحد رجال الدّولة، ولم يشر إلىٰ أنّه نائبٌ أو وصيٌّ لملك المأمون، وإضفاء الصّفة الشّرعية له.

وحين قبل الإمام عليه السلام ولاية العهد الرّمزية، والّتي حددها هو بنفسه، راح المأمون يعلن النّبأ، وينشره في أنحاء البلاد الإسلاميّة. وجلس المأمون يوم الخميس في ديوان الخلافة، وأمر وزيره الفضل بن سهل أنْ يخرج للناس ويعلن لهم القرار بولاية العهد من بعده لعليّ بن موسىٰ عليه السلام، وإنه سماه: «الرّضا»، وأمرهم بلبس الخضرة، والعود لبيعته في الخميس الآخر، علىٰ أنْ يأخذوا رزق سنة. فلما كان ذلك اليوم، ركب النّاس علىٰ طبقاتهم من القواد والحجاب والقضاة وغيرهم في الخضرة، وجلس المأمون ووضع للرّضا وسادتين عظيمتين حتىٰ لحق بمجلسه وفرشه، وأجلس الرّضا عليه السلام عليهما في الخضرة وعليه عمامة وسيف، ثمّ أمر ابنه العباس بن المأمون أنْ يُبايع له أوّل النّاس، فرفع الرّضا عليه السلام يده فتلقىٰ بها وجه نفسه

---

(١) مقاتل الطّالبين: ٥٦٤، الإرشاد: ٣١١، في رحاب أهل البيت ٤: ١٢١ ق ٢ للسيد محسن الأمينيّ.

وببطنها وجوههم، فقال له المأمون: أبسط يدك للبيعة، فقال الرّضا عليه السلام: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله هكذا كان يبايع»، فبايعه النّاس ويده فوق أيديهم، ووضعت البُدر، وقام الخطباء والشّعراء فجعلوا يذكرون فضل الرّضا عليه السلام، وما كان من المأمون في أمره، ثمّ دعا أبو عباد بالعباس بن المأمون، فوثب فدنا من أبيه فقبل يده، وأمره بالجلوس، ثمّ نودي علىٰ محمّد بن جعفر بن محمّد، وقال له الفضل بن سهل: قم، فقام فمشىٰ حتىٰ قرب من المأمون فوقف ولم يُقبل يده، فقيل له امضِ، فخذ جائزتك، وناداه المأمون: ارجع يا أبا جعفر إلىٰ مجلسك فرجع، ثمّ جعل أبو عباد يدعو بعلويّ وعباسيّ فيقبضان جوائزهما... وأمر المأمون فضربت الدّراهم، وطبع عليها اسم الرّضا عليه السلام... وخطب للرّضا عليه السلام في كلّ بلد بولاية العهد، كالمدينة... وقام بين يديه الخطباء والشّعراء

وخفقت الألوية علىٰ رأسه... وذكر ممن حضر أنه قال: كنت بين يديه في ذلك اليوم، فنظر إليّ وأنا مستبشر بماجرىٰ فأومأ اليّ أنْ ادنُ مني، فدنوت منه، فقال لي من حيث لا يسمعه غيري: «لا تشغل قلبك بهذا الأمر ولا تستبشر به، فأنه شيء لا يتم»[1].

وتمت البيعة لعليّ الرّضا بولاية العهد في شهر رمضان سنة ٢٠١ هـ.

والسّؤال الّذي يطرح نفسه. هل حصلت مثل هذه البيعة لأحد من أصحابكم وخاصة بهذه الصّورة الّتي ليس فيها إكراه وإجبار؟ ومَنْ من أصحابكم جلس علىٰ

---

(١) صورة البيعة في الإرشاد للشيخ المفيد ٢: ٢٦١ و٢٦٢ و٢٦٣، المقاتل: ٥٦٢ ـ ٥٦٥، الفصول المهمة: ٢٢٥ و٢٥٦، أعلام الورىٰ: ٣٢٠، وعيون أخبار الرّضا ٢: ١٤٥ ح ١٤، مناقب آل أبي طالب ٤: ٣٦٤، الجهشياريّ: ٢١٢ اليعقوبيّ ٣: ١٧٦، الفخريّ: ١٩٨، الكامل في التّأريخ ٦: ١١١، مروج الذّهب ٤: ٦٨، الشّذرات الذّهبية: ٩٧، الطّبريّ ٧: ١٣٩، البداية والنّهاية ١٠: ٢٥٨.

وسادتين وأهل الحل والعقد، كما تقولون يبايعونه؟ ومَنْ من أصحابكم رفع يده وتلقىٰ بها وجهه وببطهنا وجوههم؟ ومَنْ من أصحابكم بايعه النّاس ويده فوق أيديهم؟ بل نقول كلّ البيعات كانت عكس هذه البيعة ماعدا المنصوص عليها، كبيعة الغدير مثلاً... ومَنْ من أصحابكم لم يستبشر بها؟ اللّهمّ إلّا إذا قلتم إنّ الأوّل مد يده إلىٰ الشّخصين المعروفين ـ عمر وأبي عبيدة بن الجراح ـ وهذا جاء للتمويه علىٰ مؤتمر وبنود السّقيفة، وهو يعلم حقاً بأنهما لن يقبلا... ومن...؟ ومن...؟ ورغم كلّ هذا وذلك، فإن البيعة لاتقدم ولاتؤخر بدون النّص، بل بالعكس تؤثر سلباً في حالة عدم النّص، كما حدث بعد وفاة الرّسول ﷺ وابتعدوا عن صاحب النّص الشّرعي.. ثمّ إننا نرىٰ من خلال التّتبع التّأريخي أنّ المأمون نفسه عدل عن البيعة ونقضها، كأسلافه علىٰ الرّغم من أنّ الإمام عليه السلام كان ناصحاً له ويخبره بما فيه النّاس من الفتنة والقتال، وبما كان الفضل يستر عنه الأخبار، وأخبره بأنّ النّاس قد بايعوا عمّه إبراهيم بن المهديّ بالخلافة[1]، ولذا استدعىٰ المأمون رجال دولته واستفسر منهم عن حقيقة الأمر فأكدوا ما أنبأه، وأخبره الإمام عليّ بن موسىٰ الرّضا به...

وتجري الأحداث ويصرع الفضل بن سهل بتدبير من المأمون، بل كانوا من حشم المأمون وهم أربعة نفر... ثمّ هربوا و... ولكن المأمون طلبهم... وجيء بهم فقالوا للمأمون: «أنت أمرتنا بقتله»، فأمر بهم فضربت أعناقهم، كما يقول الطّبريّ في إحدىٰ رواياته[2]، و... وتجري الأحداث ويأمر المأمون أحد رجاله بأنْ يطيل أظافره، وأنه وضع سماً في هذه الأظافر، ثمّ قام هذا الرّجل بعصر بعض

---

(١) تأريخ الطّبريّ ٧: ١٤٧، الكامل في التّأريخ ٦: ١١٨.

(٢) تأريخ الطّبريّ ٧: ٢٤٨.

الرّمان لعليّ بن موسىٰ الرّضا فشربه، فمات بعد يومين في رواية الإصبهانيّ[١]، وفي رواية أُخرىٰ للإصفهانيّ: «إنّ عليّ الرّضا مات نتيجة أكله عنباً مسموماً». أمّا صاحب الفخريّ فيتهم المأمون صراحة بقتل الإمام، فيقول إنه: «دسّ إلىٰ عليّ بن موسىٰ الرّضا سماً في عنب... فأكلّ منه... فمات من ساعته»[٢].

والسّؤال الّذي يطرح نفسه عليكم أيها المؤرخون الّذين تتهجمون علىٰ بيعة الغدير، وكذلك علىٰ أهل البيت بأنهم طلاب سلطة و... هذا مما يحز في النّفوس لطمس الحقائق التّأريخية، ثمّ إنّ هذه الجرأة الّتي قادتكم إلىٰ الهجوم غير المنصف علىٰ أتباعهم، وعلىٰ محبيهم سواء من أهل السّنة أو الشّيعة هي الّتي جعلتنا نرد عليكم، ومن خلال كتبكم الّتي تحمل الألقاب الطّنانة والرّنانة كالأُستاذ المساعد، والمدرس بكلية الشّريعة والقانون، والمستشار التّأريخي، والماجستير في العلوم الإسلاميّة، والدّكتوراه و..و... فالسؤال أين أصبح حديث رسول الله ﷺ الّذي يرويه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه و... و... فليطعه إنْ استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر»[٣] و... و... وأين أصبح قوله ﷺ «... ومن نكث صفقة الإمام جاء إلىٰ الله أجذم»[٤]، وقوله ﷺ: «المؤمنون عند شروطهم»[٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾؟[٦] وأين أصبح

---

(١) المقاتل: ٥٦٦.

(٢) الفخريّ: ١٩٩.

(٣) صحيح مسلم بشرح النّوويّ ١٢: ٢٣٣، ط المصرية.

(٤) بحار الأنوار ٢٨: ٢٦٧ ح ٢.

(٥) وسائل الشّيعة ٢١: ٢٧٦ ح ٢٧٠٨١.

(٦) المائدة: ١.

قوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾؟[١] و... و...؟ اللّهمّ إلّا أنْ يقال أنّ المأمون بدل أنْ يُعطي صفقة يده أعطىٰ سماً لأحد أصحابه، وضعه في أظافره لسّم الإمام، وبدل أنْ يُعطي ثمرة قلبه للإمامعليه السلام، قطع قلب الإمام بالسّم الّذي دسه إليه، وبدل أنْ يُطيعه عصاه، وبدل أنْ يضرب عنق الّذي ينازعه ضرب عنقه عن طريق السّم، وبدل أنْ يوفي بعهده وفىٰ لأسلافه، وبدل أنْ يبقىٰ علىٰ شرطه في الآية رجع عنه كما رجع الثّاني عندما قال للإمام عليّعليه السلام يوم غدير خم: «بخٍ بخٍ...».

(١) الإسراء: ٣٤.

بيعة النّاس للإمام المهديّ عليه السلام في عصر الظّهور

هو الإمام الثّاني عشر لأئمّة الشّيعة الإماميّة، محمّد بن الحسن بن عليّ بن محمّد ابن عليّ بن موسىٰ الرّضا بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكنيته أبو عبدالله وأبو القاسم، وهوالخلف الحجّة صاحب الزّمان، القائم المنتظر، وهو آخر الأئمّة. وقد رويت أحاديث كثيرة رواها الشّيعة، وأهل السّنة عن النّبيّ صلى الله عليه وآله تشير بعضها إلىٰ عدد الأئمّة وأنهم جميعاً من قريش، وبعضها الآخر أنهم بعدد نقباء بني إسرائيل، وفي بعضها أنّ تسعة منهم من أولاد الحسين عليه السلام، وبعضها ذكرت أسماءهم واحداً بعد الآخر، ورويت أحاديث كثيرة من كلا الفريقين حول إمامة كلّ واحد منهم، وقد روىٰ كلا الطّرفين أحاديث كثيرة أيضاً بخصوص الإمام الحجة المهديّ عليه السلام.

ونشير هنا إلىٰ طرفٍ منها علىٰ سبيل المثال لا الحصر، منها مارواه سبط ابن الجوزيّ عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يخرج في آخر الزّمان رجل من ولدي اسمه كأسمي وكنيته ككنيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، فذلك هوالمهديّ» وهذا حديث مشهور.[1]

وروىٰ الحافظ الكنجيّ الشّافعيّ: «عن سفيان بن عيينة عن عليّ الهلاليّ عن

---

(١) تذكرة الخواص: ٣٦٣ـ٣٦٤.

أبيه قال: دخلت علىٰ رسول اللهﷺ في شكاته ـ مرضه ـ الّتي قبض فيها، فإذا فاطمةعليها السلام عند رأسه قال: فبكت حتىٰ ارتفع صوتها فرفع رسول اللهﷺ طرفه إليها وقال: «حبيبتي فاطمة ماالّذي يبكيك؟» فقالت: «أخشىٰ الضّيعة من بعدك»، فقال «ياحبيبتي أما علمتِ أنّ الله تعالىٰ أطلع إلىٰ الأرض أطلاعة، فأختار منها أباك فبعثه برسالته... ثمّ أطلع أطلاعة فأختار بعلك... يافاطمة ونحن أهل بيت أعطانا الله سبع خصال... أنا خاتم النّبيين... ووصيي خير الأوصياء، وأحبهم إلىٰ الله، وهو بعلك... ومنا من له جناحان أخضران يطير في الجنّة مع الملائكة... ومنا سبطا هذه الأُمّة، وهما ابناك الحسن والحسين وهما سيدا شباب أهل الجنّة... يافاطمة والّذي بعثني بالحقّ إنّ منهما مهدي هذه الأُمّة... يقوم بالدين في آخر الزّمان، كما قمت به في أوّل الزّمان، ويملأ الدّنيا عدلاً كما ملئت جوراً...».[1]

وعن سفيان الثّوري عن عاصم عن زر عن عبدالله قال: قال رسول اللهعليه السلام: «لاتذهب الدّنيا حتىٰ يملك العرب رجلٌ من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي».[2]

وعن أبي هريرة قال: قال رسول اللهﷺ: «لو لم يبق من الدّنيا إلّا يوم، لطوّل الله ذلك اليوم حتىٰ يلي رجل من أهل بيتي».[3]

وهنالك مصادر كثيرة ذكرته بهذا الاسم والمواصفات. ولسنا بصدد دراسة حياتهعليه السلام، وغيبته الصّغرىٰ والّتي امتدت من ولادته سنة «٢٥٥ هـ» في حياة أبيهعليه السلام

---

(١) كفاية الطّالب: ٤٧٨ و٤٧٩، وأُنظر صاحب حلية الأولياء أبو نعيم الإصبهانيّ لكتاب الموسم بـ«نعت المهديّ ـعليه السلام ـأو مناقب المهديّ ـجمع فيه أربعين حديثاً، ومجمع الزّوائد ٩: ١٦٥٧، ذخائر العقبىٰ: ١٣٥.

(٢) مشكاة المصابيح: ١٢٢، حلية الأولياء ٥: ٧٥، ينابيع المودة: ٥٢٠، كنز العمّال ٧: ١٨٨ مسند أحمد ١: ٣٧٦، صحيح التّرمذيّ ٢: ٣٦، تأريخ بغداد ٤: ٣٨٨.

(٣) الفصول المهمة: ٢٧٨.

الّذي عايشه مدة خمس سنوات، أو من وفاة أبيه سنة «٢٦٠ هـ» وحتىٰ سنة «٣٢٨ أو ٣٢٩هـ»، وكان خلالها يتصل بأتباعه من خلال سفرائه الأربعة، وغيبته الكبرىٰ، والّتي بدأت بموت السّفير الرّابع عليّ بن محمّد سنه «٣٢٨ أو ٣٢٩ هـ» والّتي انقطع اتصاله بأتباعه وقواعده ووكلائه، وحتىٰ يجيء وقت القيام بالسيف. ولا يعني هذا أنه عليه السلام لا يعيش في المجتمعات البشرية ولا يقصده النّاس ويلتقي بهم ويرونه ويسألونه، كما هو شأن الفرد والإنسان العادي من أبناء الجنس البشري، فهذا المعنىٰ لا يوجد في ذهن أي شيعي، وإلّا انخرمت قاعدة اللّطف الإلهي، وقد شاء الله تعالىٰ بلطفه بعباده، وحكمته في خلقه ورحمته بهم، أنْ يرعىٰ البشرية، ويوفر للناس مايصلحهم ومايقربهم ويبعدهم من الشّقاء والمعصية. وهنا نطرح عدداً من الأسئلة:

١. ألا يشكّل وجود الأنبياء مظهراً من مظاهر هذا اللّطف الإلهي، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾؟[1] بل إنه عليه السلام يختفي بجسمه عن العيون مع كونه موجوداً، فهو يرىٰ النّاس ولا يرونه، كما أنّ العيون لاترىٰ الأرواح ولا الملائكة ولا الجن مع تواجدها في المجتمعات البشرية، وقد تظهر الملائكة حتىٰ لغير الأنبياء، كما ظهرت لسارة زوج إبراهيم عليه السلام، ولمريم بنت عمران عليها السلام. أمّا الأنبياء فقد ظهر جبريل لرسول الله صلى الله عليه وآله، وكذلك ظهرت الملائكة يوم بدر للمسلمين... وهناك أحاديث تثبت ظهور الإمام المهديّ منها: «لايرىٰ بجسمه ولا يسمىٰ باسمه»، ومنها: «الخامس من ولد السّابع، يغيب عنكم شخصه، ولايحل لكم تسميته»، ومنها: «يفقد النّاس إمامهم فيشهد الموسم فيراهم ولا يرونه»[2].

---

(١) فاطر: ٢٤.

(٢) أُنظر هذه الأحاديث وغيرها في إكمال الدّين: ٣٨١ ح ٥ و٦٤٨ ح ٤ و٣٩١، النّجم الثّاقب: ٣٥١، وكتاب

ولسنابصدد دراسة من يؤمن به، وقال الكثير بحقه من المدح والثّناء، كـابن الصّباغ المالكيّ، ومحمّد بن طلحة الشّافعيّ، والقطب الرّوانـديّ، وابـن العـربيّ، وسبط ابن الجوزيّ، وابن الأثير، والشّبراويّ الشّافعيّ، والقرمانيّ، وأبي الفداء، وابن خلكان، والذّهبيّ، والنّبهانيّ، والشّبلنجيّ، والإربليّ، والمـفيد، والزّركـليّ، والكاشفيّ، وأحمد دحلان، وابن شهر آشوب، والكنجيّ الشّافعيّ، والقـندوزيّ الحنفيّ، و... و...

ولسنابصدد دراسة وردّ المشككين والحاقدين الّذين وصل بهم الجهل حـتىٰ قال ابن خلدون في مقدمته[1]: «إنّ السّرداب الّذي غاب فيه إمامهم في مدينة الحلة من العراق، والشّيعة يأتون في كلّ ليلة بعد صلاة المغرب بباب هـذا السّرداب... ويصرخون ويـنادون يـامولانا اخـرج إلينا». ويـذهب السّـويديّ في سـبائك الذّهب[2] إلىٰ هذا الرّأي، ولكن يقول غاب في سامراء وليس في الحلة. ويـذهب إلىٰ هذا الرّأي ابن تيمية في منهاج السّنة، وابن حجر في الصّواعق،[3] والقصيميّ

↔ الغيبة للطوسيّ: ٢٢١و٢٢٢، الكافيّ ١: ٢٦٤ ح ١٢، علل الشّرايع: ٢٤٥ ح ٥ إثبات الوصية: ٢٢٤، وكفاية الأثر: ٢٢٨، أعلام الورىٰ: ٣٥١، عقد الدّرر، باب ٢ ح ٤١ و٤٢، ينابيع المودة: ٤٤٨، صحيح التّرمذيّ ٢: ٤٦، مسند أحمد ١: ٣٧٦، صحيح أبي داود ٢: ٢٠٧، مستدرك الحاكم ٤: ٤٦٥، نور الأبصار: ١٥٥، منتخب الأثر: ١٦٨، المنتخب ٦: ٣٤ سنن ابن ماجة ٢: ١٣٦٦، الجامع الكبير ٢: ٣٧٧، الصّواعق المحرقة: ٩٩، جـواهـر العقدين ٢: ٢٦٨، فرائد السّمطين ٢: ١٣٢ ح ٤٣١، كتاب الغيبة للنعمانيّ: ٦٦، العمدة لابن البـطريق: ٤١٦، كشف الغمة ٣: ٢٨٣ الإرشاد للشيخ المفيد ٢: ٣٣٩، كلّ هذه المصادر لاحظها تتكلم عن الإمام المهديّ عليه السلام من ولادته والنّص عليه إلىٰ عصر ظهوره.

(١) المقدمة: ٣٥٩.

(٢) سبائك الذّهب: ٧٨.

(٣) الصّواعق: ١٠٠.

و... و...، حتىٰ وصل الأمر بالمفسر الكبير الآلوسي، أنْ يقول: إنّ الشّيعة تضع الأخماس والزّكوات في السّرداب و..و..،ولانريد أنْ نقول أكثر من أنْ يذهب بنفسه ويأخذ كلّ هذه الأموال الّتي تجمعت خلال السّنوات الطّويلة قبل الآلوسيّ، ويصبح من أكبر تجار العالم. ثمّ لماذا لايكلف نفسه بالذهاب إلىٰ سامراء ويأخذ هذه الأموال حتىٰ يخلص نفسه، ويخلص أهله ومحبيه من الفقر المدقع الّذي مرّبه هو وأصحابه وأفراد عائلته، الّذي يدعي صاحب الدّكتوراه والّتي نالها تحت عنوان الآلوسي مفسراً... ويكتب كلّ هذا في مقدمة أُطروحته؟ ثمّ لماذا لايذهب صاحب هذه الأُطروحة ويأخذ هذه الأموال بدلاً من الآلوسيّ الّذي رحمه الله توصلت عبقريته إلىٰ اكتشافها، وكأنه اكتشف إحدىٰ النّظريات الكونية أو العلمية أو... أو...؟ ولكن العتب كلّ العتب علىٰ الّذي يمنح الدّكتوراه لا علىٰ المكتشف البارع. ثمّ لماذا لايسأل الباحث نفسه كيف اعتمد علىٰ أشخاص لايفرقون بين الحلة ذات الآثار التّأريخية والحضارة الإسلاميّة وغير الإسلاميّة، وبين سامراء الّتي لم تكن مجاورة لها، ولم تكن من المناطق المجهولة، بل إنّ زوار العالم الإسلاميّ والغربيّ يقصدونها إما للزيارة، أو للسياحة، أو للإطلاع علىٰ المعالم الحضارية الإسلاميّة، أو لاكتشاف الآثار الّتي خلفتها الدّولة العباسية، وكذلك للإطلاع علىٰ هندسة وتأريخ الملوية و... و... ثمّ لم نجد إشارة واحدة من قبل الرّحالة، وأصحاب الرّأي الّذين يشدون الرّحال إلىٰ هذه المعالم الحضارية قد أشار إلىٰ هذه المتاهات، ولم يصور لنا ولم يذكر لنا التّأريخ كيف تتجمع الشّيعة في الحلة وتنادي بهذه النّداءات؟ ثمّ كيف تسمح لهم السّلطات المتعاقبة علىٰ العراق بهذا التّجمع الّذي يشكل لهم تظاهرة ضد السّلطة والحكم؟ وياالله والدّيمقراطية والحرية الّتي يتمتع بها الشّيعة في العراق منذ الحكم الأمويّ الّذي يقتل ويسجن علىٰ التّهمة والظّن و..و..إلىٰ الحُكم العادل وهو حكم عبدالله المؤمن «المجرم الكبير صدام

الكافر»، الّذي لا مثيل له في التّأريخ البشريّ، وخاصة بعد تطور أساليب التّعذيب والأسلحة النّووية والكيمياوية والبايولوجية، الّتي يبحث عنها العالم برمته ولم يصل إليها و.. و.. إلخ.

٢. لسنا بصدد دراسة كيف يجتمع المهديّ وعيسىٰ بن مريم فيجيء وقت الصّلاة فيقول المهديّ لعيسى تقدم، فيقول عيسىٰ أنت أولىٰ بالصلاة، فيصلي عيسىٰ وراءه مأموماً. قال سبط ابن الجوزيّ في تذكرة الخواص[١] قلت: فلو صلّىٰ المهديّ خلف عيسىٰ لم يجز لوجهين: أحدهما؛ لأنه يخرج عن الإمامة بصلاته مأموماً فيصير تبعاً، والثّاني: لأن النّبيّ ﷺ: «قال لا نبي بعدي»، وقد نسخ جميع الشّرايع، فلو صلّىٰ عيسىٰ بالمهدي لتدنس وجه: «لانبي بعدي»، بغبار الشّبهة... ولسنا بصدد دراسة طول عمره أيضاً فهناك جماعة طالت أعمارهم، كالخضر والياس، وذي القرنيين، الّذي عاش ثلاثة آلاف سنة، وعوج ابن عناق عاش ثلاثة آلاف وستمائه سنة. وأمّا الأنبياء، فقد زاد نوح علىٰ الألف، وشيث نحوهم، وعاش قينان تسعمئة سنة، وعاش مهلائيل ثمانمئة، وعاش نفيل بن عبدالله سبعمئة سنة، وعاش سطيع الكاهن واسمه ربيعة بن عمرو ستمئة سنة، وعاش عامر بن الضّرب خمسمئة، وكان حاكم العرب، وكذا تيم الله بن ثعلبة، وكذا سام ابن نوح، وعاش الحرث بن مضاض الجرهمي أربعمئة سنة، والقائل: «كأن لم يكن بين الحجون إلىٰ الصّفا»، وكذا أرفخشد، وعاش قس بن ساعدة ثلاثمئة وثمانين سنة، وعاش كعب بن جمجمة الدّوسيّ ثلاثمئة وتسعين سنة، وعاش سلمان الفارسيّ «المحمديّ» مئتين وخمسين سنة وقيل ثلاثمئة، في خلق يطول ذكرهم.[٢]

---

(١) تذكرة الخواص: ٣٦٤.

(٢) تذكرة الخواص: ٣٦٤ـ ٣٦٥.

٣. مانريد أن نثبته هنا هو أنّ الهدف من وجود الإمام المهديّ عليه السلام هو أنّ الإمامة متممة للنبوة ومحققة لحكمة ختم النّبوة، وهذا الهدف سيتحقق بواسطته عليه السلام، وهناك تكون الحجة لحركة البشرية الاختيارية، كما قال تعالىٰ: ﴿لئلا يكون للناس علىٰ الله حجّة بعد الرّسل﴾،[١] لا إلزام النّاس وقهرهم علىٰ اعتناق الدّين الحقّ واتباع القادة الإلهيين وقهرهم أيضاً علىٰ بيعة غير أهل النّص، ولذا وعد الله سبحانه وتعالىٰ البشرية بإقامة الحكومة الإلهية علىٰ الأرض كلّها في آخر الزّمان، ونشر العدل والقسط في الشّعوب المظلومة والمضطهدة والمقهورة من قبل الظّالمين، والّتي يئست من كلّ الأنظمة الفاسدة، ولذا قال تعالىٰ: ﴿ليظهره علىٰ الدّين كله﴾[٢]. فالهدف الأساسي لبعثة الأنبياء هو إقامة الحكومة الإسلاميّة العالمية، ولذا كان الرّسول صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء، فالهدف النّهائي هو إظهار الدّين علىٰ كلّ الأنظمة الفاسدة.

وهذا من أنباء الغيب بأنه سبحانه وتعالىٰ بشرنا بوعده الصّادق، أنّ هذه الدّولة العالمية ستقوم علىٰ يد الإمام المهديّ، وها هو الوعد الإلهي يصرح به القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِن بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[٣]، ومما لايقبل الشّك أنّه يأتي ذلك اليوم الّذي يتحقق فيه الوعد الإلهي بدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[٤]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ

---

(١) النّساء: ١٦٥.

(٢) التّوبة: ٣٣، الفتح: ٢٨، الصّف: ٩.

(٣) الأنبياء: ١٠٥.

(٤) القصص: ٥.

وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ...﴾[١]. وإن شاء الله سيتحقق هذا الوعد في زمان ظهور الحجّة...

إذاً الغيبة من خصائص الإمام المهديّ، وكذلك تحقيق الدّولة العظمىٰ والّتي تحكم بالقرآن هي أيضاً من خصائص ظهور الإمام المهديّ، وهذه الرّواية الّتي يرويها السّيد عبد العظيم الحسنيّ عن الإمام الجواد عليه السلام، عن آبائه عليهم السّلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «للقائم منا غيبة أمدها طويل، كأني بالشيعة يجولون جولان النّعم في غيبته يطلبون المرعىٰ فلا يجدونه، ألا فمن ثبت منهم علىٰ دينه ولم يقسُ قلبه لطول غيبة إمامه، فهو معي في درجتي يوم القيامة»، ثمّ قال: «إنّ القائم منا إذا قام، لم يكن لأحد في عنقه بيعة، فلذلك تخفىٰ ولادته ويغيب شخصه».[٢]

وروي عن عبدالله بن عمرو أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يخرج المهديّ وعلىٰ رأسه غمامة ينادي إنّ هذا المهديّ فاتبعوه»[٣] وعن أبي رومان عن عليّ عليه السلام قال: «إذا نادىٰ منادٍ من السّماء أنّ الحقّ في آل محمّد صلى الله عليه وآله فعند ذلك يظهر المهديّ عليه السلام[٤]. وقال صلى الله عليه وآله: «يقتتل عند كنزكم ابن خليفة لاتصير إلىٰ واحد منهم، ثمّ يجيء خليفة الله المهديّ فإذا سمعتم به فائتوه فبايعوه فإنه خليفة الله المهديّ».[٥]

وفي رواية المفضل بن عمر قال سألت سيدي الصّادق عليه السلام: «هل للمأمور

---

(١) النّور: ٥٥.

(٢) منتخب الأثر: ٢٥٥.

(٣) مستدرك الصّحيحين ٤: ٤٦٣ و٥٠٢، ينابيع المودة: ٥٢٢ و٥٣٧ و٥٣٩.

(٤) كفاية الطّالب: ٥١٢.

(٥) مستدرك الصّحيحين ٤: ٤٦٣ و٥٠٢، وينابيع المودة: ٥٢٢.

المنتظر المهديّ عليه السلام من وقت موقت يعلمه النّاس؟...فقال: يامفضل يسند القائم ظهره إلىٰ الحرم، ويمد يده فترىٰ بيضاء من غير سوء ويقول: هذه يد الله، وعن الله، وبأمر الله، ثمّ يتلو هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ...﴾[1]. فيكون أوّل من يقبل يده جبرائيل عليه السلام، ثمّ يبايع، وتبايعه الملائكة ونجباء الجنّ، ثمّ النّقباء... صاح صائح بالخلائق... بلسان عربيّ مبين... يامعشر الخلائق، هذا مهدي آل محمّد... بايعوه تهتدوا، ولاتخالفوا أمره فتضلوا...»،[2] وفي رواية أُخرىٰ: «... قال: فيجمع الله عليه أصحابه... فيبايعونه بين الرّكن والمقام، ومعه عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله قد توارثته الأبناء عن الآباء...»،[3] وفي رواية عن بكير بن أعين، عن أبي عبدالله عليه السلام في وصف الحجر والرّكن: «ومن ذلك الرّكن يهبط الطّير علىٰ القائم، فأوّل من يبايعه ذلك الطّير، وهو والله جبرئيل عليه السلام...»،[4] وفي رواية عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إنّ أوّل من يبايع القائم عليه السلام جبرئيل، ينزل في صورة طير أبيض فيبايعه...»،[5] وفي رواية عن عليّ بن مهزيار قال: قال أبوجعفر عليه السلام: «كأني بالقائم... قائماً بين الرّكن والمقام، بين يديه جبرئيل عليه السلام ينادي: البيعة لله، فيملأها عدلاً...»،[6] وفي رواية عن حذيفه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وذكر المهديّ، فقال: «إنه يبايع بين الرّكن والمقام...»،[7] وفي رواية عن أبي بصير

---

(١) الفتح: ١٠.

(٢) البحار ٥٣: ٨ باب ٢٥.

(٣) البحار ٥٢: ٢٣٩ ح ١٠٥ عن الكلينيّ.

(٤) المصدر السّابق ٥٢: ٢٧٩ ح ٢، عن علل الشّرايع.

(٥) إكمال الدّين ٢: ٣٨٧، وتفسير العياشيّ ٢: ٢٥٤.

(٦) الغيبة للشيخ الطّوسيّ: ٢٨٩.

(٧) المصدر السّابق، وكتاب غيبة النّعمانيّ: ٩٤.

عن أبي عبدالله عليه السلام إنه قال: «... يبايع النّاس علىٰ كتاب جديد...»[١]

وعن حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «سمعت رسول الله يقول: إذا كان عند خروج القائم، ينادي منادٍ من السّماء... فيبايعونه بين الرّكن والمقام...»،[٢] وعن أبي بصير أيضاً عن أبي جعفر في حديث طويل: «... ويبايعونه الثّلاثمئة، وقليل من أهل مكّة»،[٣] ومثلها عن الكابليّ: «بلفظ يبايع القائم بمكّة، علىٰ كتاب الله وسنة رسوله»[٤] وهناك روايات كثيرة تؤكد علىٰ أنّ الإمام يبايعه النّاس من كلّ الأقوام بين الرّكن والمقام.

كيف إذاً يورد بعض النّاس إشكالاً علىٰ أحاديث المهديّ، ويزعمون جهلاً منهم وضلالاً أنّها تنافي عقيدة إسلامية راسخة، ألا وهي: ختم النّبوّة برسول الله صلى الله عليه وآله[٥] فَيشبّهون علىٰ ضعفة الأفهام، ويطلقون الكلام بغير خطام ولازمام! ألا فليتق الله هؤلاء الّذين يهرفون بما لايعرفون، ويتخلصوا من عذاب يوم الدين: ﴿يَوْمَ لَايَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٦]. وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ لَايُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٧]. وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾[٨].

---

(١) الكافيّ ١: ٣٢٤، وغيبة الشّيخ الطّوسيّ: ٢٢١، وغيبة النّعمانيّ: ١٥٨.

(٢) البحار ٥٢: ٣٠٤، عن الأختصاص.

(٣) المصدر السّابق ٥٢: ٣٠٧.

(٤) المصدر السّابق ٥٢: ٣٠٨.

(٥) ان قضية الإمام المهديّ عليه السلام لا تعارض ختم النّبوة.

(٦) الشّعراء: ٨٨ ـ ٨٩.

(٧) الدّخان: ٤١ ـ ٤٢.

(٨) الفرقان: ٢٧.

لقد تلبّد الجوّ بغيوم الأوهام، فأنبتت لفيفاً من الأقوام المتصارعة آراؤهم، المتدابرة قلوبهم، ونبع منهم من زاغ عن المحجة البيضاء، وراحوا يخوضون مع الخائضين، باسم التّحرر الفكريّ، أو الإصلاح الدينيّ، ولذا عمدوا إلىٰ إنكار كثير من المغيّبات التّي وردت بها النّصوص الصّريحة المتواترة، وما إنكارها إلّا الجموح الفكريّ، والغرور العقليّ؛ عندما راجت في اذهانهم النّزعة الفلسفية، وعمّت فتنتها، حتىٰ غرر بها بعض ممن تستهويهم زخارف القول، وتغرهم لوامع الأسماء والألقاب والمناصب. ووصل الحد ببعضهم أن يقول: لاتوجد في القرآن آية تدل أو تشير إلىٰ الإمام المهديّ.

والجواب علىٰ ذلك بشكل مختصر ولأجل الاستئناس لا الاستدلال ننقل ما قاله إمام المفسرين ابن جرير الطّبريّ: «حدثنا موسىٰ قال: حدثنا عمرو قال: حدثنا أسباط، عن السّديّ في قوله تعالىٰ: ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1]. أما خزيهم في الدنيا فإنهم إذا قام «المهديّ» وفتحت القسطنطينية، قتلهم، فذلك الخزي، وأما العذاب العظيم، فإنه عذاب جهنم الّذي لايخفف عن أهله، ولايقضي عليهم فيها فيموتوا»[2].

وحكىٰ القرطبيّ عن قتادة، والسّدي: «الخزي لهم في الدنيا قيام المهديّ، وفتح عمورية، ورومية، وقسطنطينية، وغير ذلك من مدنهم علىٰ ما ذكرناه في كتاب التّذكرة»[3].

وحكىٰ ابن كثير عن السّديّ، وعكرمة، ووائل بن داود، أنهم فسروا الخزي

---

(١) البقرة: ١١٤.

(٢) جامع البيان ٢: ٥٢٥، تحقيق الشّيخ أحمد شاكر.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢: ٧٩.

في الدنيا بخروج المهديّ، وصحح أنّ الخزي في الدنيا أعم من ذلك كلّه»[١].

وقال الشّوكانيّ في تفسيره فتح القدير: «أما خزيهم في الدنيا: فإنه إذا قام المهديّ، وفتحت القسطنطينية قتلهم، فذلك الخزي»[٢].

وقال الشّيخ الشّبلنجيّ في نور الأبصار: «قال مقاتل بن سليمان ومن تابعه من المفسرين في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾[٣]. قال: «هو المهديّ يكون في آخر الزّمان، وبعد خروجه تكون أمارات السّاعة وقيامها»[٤].

أما دعوىٰ خلو الصّحيحين من أحاديث المهديّ فهذه دعوىٰ غير صحيحة، بل في الصّحيحين مايشير إلىٰ ذلك بدون ذكر لفظ المهديّ. وقد وردت روايات صحيحة خارج نطاق الصّحيحين تصرح بزيادة علىٰ مافيهما، كما في مسند أحمد[٥]، والنّسائي[٦]، وابن ماجة في الفتن[٧]، وشرح النّوويّ[٨]، وفيض القدير[٩]... إلخ.

كما لاينبغي لنا أن نعزل النّصوص عن شرح العلماء، وقد ذكرنا من حمل أحاديث الصّحيحين المشار إليها علىٰ المهديّ نفسه مثل، الحافظ أبي الحسن

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١: ٢٢٦ ط الشّعب.

(٢) فتح القدير ١: ١٣٢.

(٣) الزّخرف: ٦١.

(٤) نور الأبصار: ١٥٢.

(٥) مسند أحمد ٦: ٢٨٦.

(٦) سسنن النسائيّ ٥: ٢٠٧.

(٧) سنن ابن ماجة ٢: ٥٠٣

(٨) صحيح مسلم بشرح النّوويّ ١٨: ٥ـ٦

(٩) فيض القدير ٥: ٣٤٨

الآبريّ، وحكاه عنه القرطبيّ، والحافظ ابن حجر، والسّخاويّ، والسّيوطيّ، والزّرقانيّ، وغيرهم، وأقروه عليه، وذهب أيضاً الطّيبيّ، وأبو داود، وابن كثير، وابن القيم، وابن حجر الهيتميّ، والكشميريّ، ومحمّد صديق خان، ومحمّد بن جعفر الكتانيّ. هذا بالإضافة إلىٰ أنّه لم يقل أحد من العلماء بعدم إيراد الحديث في الصّحيحين يدل علىٰ ضعفه عندهما، فقاعدة: «لايصح الاحتجاج بحديث في غير الصّحيحين إلّا إذاكان له أصل فيهما، أو في أحدهما»، هذه قاعدة محدثة مبتدعة لم يقل بها أحد، بل صرح بعضهم بما فيهم الشّيخان البخاريّ، ومسلم، بما ينقض دعوىٰ الاقتصار علىٰ الصّحيحين من أساسها. وإنّ قول ابن خلدون: «إنّ أحاديث المهديّ جميعها ضعيفة» هذا الزّعم وغيره خطأ ظاهر[1]. فقد قال الشّيخ محمّد صديق حسن خان في معرض رده علىٰ ابن خلدون: «أقول: لا شك في أنّ المهديّ يخرج في آخر الزّمان من غير تعيين لشهر وعام، لما تواتر من الأخبار في الباب، واتفق عليه جمهور الأُمّة سلفاً عن خلف، إلّا من لايعتد بخلافه، وليس القول بظهوره بناءً علىٰ أقوال الصّوفية ومكاشفاتهم، أو أهل التّنجيم، أو الرّأي المجرد، بل إنّما قال به أهل العلم لورود الأحاديث الجمة في ذلك، فقول ابن خلدون: «إن صح ظهور هذا المهديّ...» لايخلو عن مسامحة ونوع إنكار من خروجه، وتلك الأحاديث واردة عليه، وليست بدون من الأحاديث التّي ثبتت بها الأحكام الكثيرة المعمول بها في الإسلام، وكلما ذكر من جرح الرّواة وتعديلهم يجري في رجال الأسانيد الأُخرىٰ أيضاً بعينه أو بنحوه، فلا معنىٰ للريب في أمر ذلك الفاطميّ الموعود المنتظر، المدلول عليه بالأدلة، بل إنكار ذلك جرأة عظيمة في مقابلة النّصوص المستفيضة المشهورة البالغة إلىٰ حد التّواتر، وأما أنه لا تتم

---

(١) راجع التّاج ٥: ٣٤١.

شوكة أحد إلّا بالعصبية فنعم، ولكن الله تعالىٰ قادر علىٰ خرق العادة، ويؤيد دينه كيف يشاء»[١].

وقال في عون المعبود: «وقد بالغ الإمام المؤرخ عبد الرّحمن بن خلدون في تأريخه في تضعيف أحاديث المهديّ كلّها فلم يصب، بل أخطأ»[٢].

وقال الشّيخ محمّد حبيب الله الشّنقيطيّ في كتابه «الجواب المقنع المحرر في أخبار عيسىٰ والمهديّ المنتظر»، ورددت فيه علىٰ ابن خلدون في تضعيفه لأحاديث المهديّ في مقدمة تأريخه، فمن شاء استيفاء الكلام علىٰ ماورد فيهما، فليراجعه»[٣].

وقد صحح العلاّمة أحمد محمّد شاكر بعض الأحاديث الواردة في شأن المهديّ في تحقيقه لمسند أحمد، إلّا أنه حمل علىٰ ابن خلدون حملة عنيفة، وقال: «أما ابن خلدون فقد قفا ماليس له به علم، واقتحم قُحَماً لم يكن من رجالها، وغلبه ماشغله من السّياسة وأمور الدولة، وخدمة من كان يخدم من الملوك والأمراء، فأوهم أنّ شأن المهديّ عقيدة شيعية، أو أوهمته نفسه ذلك»[٤].

وقال أيضاً: «إنّ ابن خلدون لم يحسن قول المحدثين: «الجرح مقدم علىٰ التّعديل»، ولو اطلع علىٰ أقوالهم، وفقههم ما قال شيئاً مما قال، وقد يكون قرأ، وعرف، ولكنه أراد تضعيف أحاديث المهديّ، بما غلب عليه من الرّأي السّياسيّ في عصره»[٥].

---

(١) الإذاعة: ١٤٥.

(٢) عون المعبود ١١: ٣٢٦

(٣) فتح المنعم ١: ٣٣١.

(٤) المسند ٥: ٣٥٧٠.

(٥) راجع تحقيق هذه القاعدة في قواعد التّحديث للقاسميّ: ١٧٠.

وقال الشّيخ محمّد المغربيّ: «ويقرب في شدة القبح الطّعن في الأحاديث الصّحيحة الواردة في نزول سيدنا عيسىٰ الطّعن في الأحاديث الكثيرة الشّهيرة الواردة في خروج المهديّ آخر الزّمان بأنها باطلة، وأنّه «خرافة»، تقليداً لابن خلدون، وابن خلدون لم يكن فقيهاً في مذهبه، فضلاً عن كونه محدّثاً، وفضلاً عن كونه مبرزاً في علم الحديث فيه أهلية النّقد والتّمييز للأحاديث، ومن الغلط الفاحش الداخل علىٰ كثير من خواص النّاس فضلاً عن عوامهم الحكم علىٰ الكل بحكم البعض، فابن خلدون حَكم علىٰ جميع الأحاديث الواردة في خروج المهديّ بأنها من خرافات الرّافضة ودسائسهم، ولاشك عند كلّ من له إلمام بالعلم أنّ هذا طعن بمجرد الرّأي لايمت إلىٰ تحقيق علم الرّواية بشيء، وهو فاسد من وجهين:

١ـ يلزم منه رد كلّ رأي، أو عقيدة أخذ بها طائفة من طوائف المسلمين مخالفة لنا في المذهب، ولو كان حقاً، ولو جاء فيه حديث أو أحاديث عن رسول الله ﷺ، وهذا نظر سخيف، فليست سنته عليه الصّلاة والسّلام مقصورة علىٰ طائفة مخصوصة من أُمّته.

٢ـ تهجمه بغير علم علىٰ جميع الأحاديث الواردة بأنها من الخرافات، فلو كان عنده إلمام بعلم الرّواية، ووقار العلماء المتثبتين، وحكم علىٰ بعضها بطريق الظّن بأن فيها مثلاً راوياً كذاباً أو ضعيفاً، أو إسناد هذا الحديث مقطوع، أو واهٍ، لكان قريباً من القبول عند من يفهم العلم... وإنّ المستمسك برأي ابن خلدون غريق مستمسك بغريق»[1].

وقد تصدىٰ لابن خلدون العلاّمة المحدث السّيد أحمد في كتاب خاص سماه

---

(١) سيد البشر يتحدث عن المهديّ المنتظر: ٥٨ ـ ٥٩، نقلاً عن «اعتقاد أهل القرآن في نزول المسيح ابن مريم آخر الزّمان»، للشيخ محمّد العربيّ المغربيّ.

«إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون»، نقض فيه كلّ ما أبداه ابن خلدون من المطاعن، وتتبع كلامه جملة جملة بحيث لم يترك بعده لقائل مقالاً»[١].

وقال الشّيخ محمّد بن جعفر الكتانيّ: «...ولولا مخافة التّطويل لأوردت هنا ما وقفت عليه من أحاديث المهديّ، لأني رأيت الكثير من النّاس في هذا الوقت يتشككون في أمره، ويقولون: ياترىٰ هل أحاديثه قطعية أم لا؟ وكثير منهم يقف مع كلام ابن خلدون ويعتمده مع أنه ليس من أهل هذا الميدان، والحقّ الرّجوع في كلّ فن لأربابه، والعلم عند الله تبارك وتعالىٰ»[٢].

وقال الشّيخ حمود بن عبد الله التّويجريّ: «إنّ مُنْخُلَ ابن خلدون الّذي نخل به أحاديث المهديّ كان واسع الخروق جدّاً، ولم يكن مضبوطاً ومحكماً، فهذا نخل به كثيراً من الصّحاح والحسان الواردة في المهديّ، ولم يستثن منها من النّقد إلّا القليل، أو الأقل منه»[٣].

وقال الشّيخ عبد المحسن العباد: «إنّ ابن خلدون مؤرخ، وليس من رجال الحديث، فلايعتد به في التّصحيح والتّضعيف، وإنّما الاعتداد بذلك بمثل البيهقيّ، والعقيلي، والخطابيّ، والذّهبيّ،...»[٤].

إذاً الإيمان بـ«المهدوية»، لم يكن أبداً من مختصات الشّيعة الإماميّة، وليس من بدعهم التّي ابتدعوها كما يدعي بعض الكتاب، بل ليس من مختصات المسلمين دون غيرهم من أبناء الديانات السّماوية الأُخرىٰ.

---

(١) المهديّ المنتظر للغماريّ: ٧.

(٢) نظم المتناثر في الحديث المتواتر: ١٤٦.

(٣) الاحتجاج بالأثر: ٢٠٢.

(٤) الرّد علىٰ من كذب بالأحاديث الصّحيحة الواردة في المهديّ: ٢٩ ـ ٣١ «بتصرف».

إنّ اليهود والنّصارىٰ يعتقدون بمصلح يأتي آخر الزّمان هو «ايليا»، عند اليهود، و «عيسىٰ بن مريم»، عند النّصارىٰ.

كما أنّ المسلمين علىٰ إختلاف مذاهبهم وطوائفهم يعتقدون بـ«المهديّ المنتظر» علماً بأنه من ضروريات المذهب عند الشّيعة الإماميّة، وذهب أهل السّنة إلىٰ مثل ذلك علىٰ لسان أئمّة مذاهبهم ورجال حديثهم، لكنه سيظهر في آخر الزّمان مهديّ يقوم بالسيف، وليس له الآن وجود، ولا يعلم متىٰ سيولد، ومن أبوه، وعلىٰ هذا الأساس أمكن للسنوسيّ في ليبيا، وعبد الرّحمن في السّودان، وغيرهما، ادعاء المهدوية كذباً وزوراً، أو نسبت إليهم أو سولت لهم أنفسهم، وهم علىٰ ثلاثة أقسام:

«١» مَن ادّعىٰ المهدوية بدافع حُبِّ الرّئاسة والجاه.

«٢» مَن نُسبت إليه المهدوية.

«٣» مَن ادّعىٰ المهدوية بخطّة استعمارية وإيعاز من المستعمرين.

ولقد أخطأ من ادعاها لأناس ماتوا، وطوي بساطهم من عالم الدنيا، ولعل بعض الجهلة الأغمار، ممن لا يميز بين القاع والدار، ولا بين النّافع والضّار، يحتج لإنكار ماتواتر من ظهور المهديّ بحديث «لا مهديّ إلّا عيسىٰ بن مريم»، ولسنا بصدد بيان ذلك وسنناقشه فيما بعد إن شاء الله تعالىٰ. بل بين فترة وأُخرىٰ تظهر هذه الفكرة وتتجسد في هذا وذاك حسب الآراء والميول والنّزعات، وأعجب من هؤلاء الدجالين هم الّذين صدّقوا ادعاءات هؤلاء، وآمنوا بهم وبخرافاتهم، كما نفىٰ الواقع الخارجي ماذهبت إليه الكيسانية من كون المهديّ «محمّد بن الحنفية»، والإسماعيلية من كونه «إسماعيل بن جعفر»، وذلك لثبوت موتهما وانتفاء بقائهما.

وقد اعتمد الإماميّة علىٰ روايات صحيحة السّند، ظاهرة الدلالة، خالية من

الرّيب والشّك، وقد نصّ عليها من قبل أئمّة الحديث، وأكابر الحفاظ، وصححوها أو حسنوها، وكون بعضها علىٰ شرط الشّيخين البخاريّ ومسلم. وقد عالجنا هذا سابقاً حسب القواعد المقررة في علم الحديث، والتّي توجب الأخذ بها، لاعتضادها وانجبارها بأخذ المشهور بها، والإجماع علىٰ مضمونها. ولكن بعض المسلمين مع إقرارهم بالمهديّ أنكروا المهديّ الّذي هو محمّد بن الحسن العسكريّ وذلك بحجّة أنّ الإمام العسكريّ لم يكن له ولد بدليل عندما حضرته الوفاة، جعل والدته «أُمّ الحسن»، وصية عنه علىٰ كلّ مالديه، ولو كان له ولد لما عداه، هذا أولاً.

وثانياً: أنّ جعفر بن الإمام عليّ والّذي هو عمّ المهديّ قد أنكر وجود ولد لأخيه، وشهد علىٰ هذا الأمر، وشهادته ذات أهمية كبرىٰ.

وثالثاً: لماذا فعل الإمام العسكريّ هذا الأمر، من ناحية الوصية، ومن كتمان أمر ولادة ابنه، مع كثرة أصحابه، في حين أنّ الأئمّة الّذين سبقوه لم يفعلوا ذلك مع شدة الحكم الأُمويّ والعباسيّ.

والجواب علىٰ هذه التّساؤلات بسيط جداً لأيّ متأمل في الأمر؛ وذلك لأن الوصية للأُم لاتصلح برهاناً ودليلاً علىٰ نفي وجود الولد، بل إنّ حكمة الإمام من هذه الوصية هو تفويت الفرصة علىٰ أعداء أهل البيت لقتل بقية الله والخلف الصّالح ،بسبب ظروف المطاردة والكبت، والإرهاب، والظّلم، والتّشريد، التّي فرضها النّظام العباسيّ علىٰ هذه العائلة الكريمة. وقد كان النّظام العباسيّ حريصاً علىٰ تتبع أخبار القادم الوليد، بعد أن وصل إلىٰ علمه أنّ زوجة ـ إمام الرّافضة ـ الحادي عشر في الأشهر الأخيرة من حملها... وهو يعرف أنّ الوليد الجديد؛ هو من تواترت بشأنه أحاديث الرّسول ﷺ من أنه المعّد للظهور في يوم موعود، ولو

كان يوماً واحداً قبل يوم القيامة، من أجل أن يملأ الأرض عدلاً وقسطاً، ولقد كان النّاس آنذاك، حتىٰ حاشية البلاط العباسيّ، يتهامسون بالحديث المروي عن جد ـ إمام الرّافضة ـ حيث يقول: «لو لم يبق من الدهر إلّا يوم واحد لبعث الله فيه رجلاً من أهل بيتي...» فلما ولدت زوجة الإمام وليدها خافت عليه من بطش أعدائه فأخفته، بأمر زوجه، وإمامها، وأبيه، عن أعين النّاس، والسّلطات، وأجهزة استخباراتها.

وهكذا أعاد التّأريخ قصة فرعون وأُمّ موسىٰ مرة أُخرىٰ.

فقد كان الحكم العباسيّ فرعون عصره، ينطبق عليه ما قاله الله في فرعون مصر: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[1]. وكانت أُمّ المهديّ، كأُمّ موسىٰ التّي قال عنها الله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[2].

وكان المهديّ كموسىٰ يرعاه الله، ويوفقه، ويحفظه، حيث يقول: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ * إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ * أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[3].

وهكذا كان أمر الإمام المهديّ «عجل الله فرجه». فقد كان وما يزال يصنع علىٰ عين الله وتحت رعايته، وحمايته، وحفظه، لإنه الرّجل المذخور لليوم

---

(١) القصص: ٤.

(٢) القصص: ٧.

(٣) طه: ٣٧ ـ ٣٩.

الموعود، ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[١]. لقد كانت ولادة الإمام المهديّ ايذاناً بدخول البشرية عامة، والأُمّة الإسلاميّة خاصة، مرحلة خطيرة في مسيرتها الكادحة نحو الله تعالىٰ... تلك هي مرحلة الغيبة الكبرىٰ... مرحلة توقف القيادة التّأريخية لهذه المسيرة عن ممارسة أعباء القيادة، والشّهادة الرّبانية علىٰ البشرية بصورة مباشرة كجزء من تخطيط إلهي محكم، يستهدف إخضاع البشرية إلىٰ إختبار دقيق، هو الأخير في سلسلة الامتحانات، والابتلاءات الإلهية، لتربية البشرية واعدادها فكرياً وسلوكياً لمرحلة المستقبل. وهذا الابتلاء الجديد هو مصداق قوله تعالىٰ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا أَن يَقُولُوٓا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[٢] بالإضافة إلىٰ هذا كلّه، زاد الإمام عليه السلام في الإيهام ـ متعمداً ـ فأشهد لفيفاً من كبار رجالات الدولة يومذاك علىٰ الوصية كما يقول الشّيخ المفيد[٣]. وهذا التّصرف ليس بغريب علىٰ الإمام، وذلك أُسوة بجده الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام الّذي جعل له خمسة أوصياء بعد وفاته، ومن ضمنهم الخليفة العباسيّ المنصور، والرّبيع، وقاضي المدينة، بالإضافة إلىٰ زوجته حميدة، وولده موسىٰ بن جعفر[٤]. ولو خصّ ابنه بالوصية لكان للحكم العباسيّ معه شأن آخر من يوم وفاة أبيه، وهذا الغرض هو الّذي فوت الفرصة علىٰ المنصور العباسيّ عندما كتب إلىٰ والي المدينة يأمره يتضييق الخناق علىٰ وصي جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام، فكتب إليه الوالي يخبره بعد التّحقيق، بأن الأوصياء هم خمسة، ومن أبرزهم هو الخليفة

---

(١) التّوبة: ٣٣.

(٢) العنكبوت: ٢.

(٣) الفصول العشرة: ١٣ - ١٤.

(٤) المصدر السّابق.

نفسه، فكان في ذلك إبعاد الأذىٰ عن الإمام موسىٰ بن جعفر عليه السلام.

أما شهادة عمّ الإمام كان من ورائها قصد، وهو يتخيل إذا أنكر ذلك سيكون هو الإمام من بعد الحسن العسكريّ عليه السلام وستجبىٰ له الأموال من كلّ حدب وصوب، ولكن إرادة الله غالبة، إذ سرعان ما انكشف زيف أمره، ثمّ ندم علىٰ مافعل وتاب علىٰ ماقيل ولذا سمي أولاً بـ«جعفر الكذاب»، ثمّ «جعفر التّواب». علماً بأنه من النّاس العاديين الّذين يجوز عليم الكذب، والخطأ والنّسيان، والعصيان، وادعاء الباطل، والحسد، وهذا ليس بغريب في الكون؛ وقد سبقه قابيل بقتل أخيه هابيل، واخوة يوسف عندما ألقوا يوسف في الجب، وحلفوا اليمين الكاذبة لأبيهم بأن يوسف أكله الذّئب، وقد وقف أبو لهب ضد رسول الله صلى الله عليه وآله وقد نزلت فيه آي من الذّكر الحكيم.

لقد اشتهر بين الإماميّة وأهل السّنة: أنّ البنوّة تثبت بقول القابلة والنّساء اللائي يحضرن الولادة، وباعتراف صاحب الفراش، وبشهادة رجلين من المسلمين علىٰ إقرار الأب بابنه، والسّيدة حكيمة هي بنت الإمام الجواد هي التّي حضرت وتولت أمر الولادة وشهدت بها، والإمام العسكريّ هو الأب؛ وقد أقر بهذه البنوة أمام خواصه[1].

وفي ذكر مبايعته بالخلافة، وفي أي موضع تكون؟ ومن أين خروجه؟

فقد أخرج نعيم عن ابن سيرين قال: «علىٰ راية المهدي مكتوب البيعة لله تعالىٰ»[2].

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ٣٧٢.

(٢) أبو نعيم لوحة: ٩٥، ابن حماد: ٩٨، الدانيّ: ١٠٠.

وفي التّذكرة: « راياته صفر، وفيها رقوم، فيها اسم الله الأعظم مكتوب، فلا يهزم له راية، يمشي النّصر بين يديه أربعين ميلاً»[١].

وأخرج نعيم عن عبد الله بن عمرو قال: «يحج النّاس معاً، ويغزون معاً، علىٰ غير إمام، فبينما هم نُزُول بمنىٰ، إذ أخذهم كالب، فثارت القبائل بعضها، إلىٰ بعض فاقتتلوا حتىٰ تسيل العقبة دماءً، فيفزعون إلى خيرهم فيأتونه وهو ملصق وجهه إلىٰ الكعبة يبكي، كأني انظر إلىٰ دموعه، فيقولون هلم إلينا فلنبايعك، فيقول: ويحكم! كم من عهد نقضتموه، وكم من دم سفكتموه، فيبايع كرهاً، فإن أدركتموه فبايعوه، فإنه المهديّ في الأرض، والمهدي في السّماء»[٢].

وأخرج أيضاً عن الحكم بن نافع قال: «إذا كان النّاس بمنىٰ وعرفات، نادىٰ منادٍ بعد أن تتحارب القبائل: ألا إن أميركم فلان، ويتبعه صوت آخر: ألا أنه قد كذب، ويتبعه صوت آخر: ألا إنه قد صدق، فيقتتلون قتالاً شديداً. وعند ذلك يرون كفاً معلقة في السّماء، ويشتد القتال حتىٰ لايبقىٰ من أنصار الحقّ إلا عدة أهل بدر، فيذهبون حتىٰ يبايعوا صاحبهم»[٣].

وأخرج أيضاً عن ابن مسعود قال: «إذا انقطعت التّجارات، والطُرق، وكثرت الفتن، خرج سبعة رجال علماء، من أفق شتىٰ علىٰ غير ميعاد، ويبايع لكل رجل منهم ثلاثمئة وبضعة عشر رجلاً، حتىٰ يجتمعوا بمكة فيلتقي السّبعة، فيقول بعضهم لبعض: ماجاء بكم؟ فيقولون: جئنا في طلب هذا الرّجل الّذي ينبغي أن تهدأ علىٰ يديه هذه الفتن، وتفتح له القسطنطينية، قد عرفناه باسمه، واسم أبيه وأُمّه،

---

(١) التّذكرة: ٢٥٤، الداني: ١٠٠.

(٢) الحاكم ٤: ٥٠٣ ح ٥٠٤، العطر الورديّ: ٦٣، برهان المتقيّ: ١٤٣ ح ٦.

(٣) ابن حماد: ٣٩.

وجيشه، فيتفق السّبعة علىٰ ذلك. فيطلبونه فيصيبونه بمكة، فيقولون له: أنت فلان ابن فلان، فيقول: لا، بل أنا رجل من الأنصار، حتىٰ يفلت منهم. فيصفونه لأهل الخبرة، والمعرفة به. فيقال: هو صاحبكم الّذي تطلبونه، وقد لحق بالمدينة، فيطلبونه بالمدينة فيخالفهم إلىٰ مكّة، فيطلبونه بمكة فيصيبونه فيقولون: أنت فلان وأُمّك فلانه بنت فلان، وفيك آية كذا وكذا، وقد أفلتّ منا مرّه، فمد يدك نبايعك، فيقول: لست بصاحبكم، حتىٰ يفلت منهم، فيطلبونه بالمدينة فيخالفهم إلىٰ مكّة فيصيبونه بمكّة عند الرّكن ويقولون له: إثمنا عليك، ودماؤنا في عنقك، إن لم تمد يدك نبايعك، هذا عسكر السّفيانيّ قد توجه في طلبنا، فيجلس بين الرّكن والمقام، فيمد يده فيبايع له، فيلقي الله محبته في صدور النّاس، فيسير مع قوم أسد بالنهار، رهبان باللّيل»[1].

وأخرج أيضاً عن ابن عباس قال: «يبعث المهدي بعد أياس حتىٰ يقول النّاس: لامهديّ. وأنصاره من أهل الشّام عددهم ثلاثمئة وخمسة عشر رجلاً عدد أصحاب بدر، يسيرون إليه من الشّام حتىٰ يستخرجوه من بطن مكّة من دار عند الصّفا فيبايعوه كرهاً، فيصلي بهم ركعتين صلاة المسافر عند المقام، ثم يصعد المنبر»[2].

وأخرج أيضاً عن أبي هريرة قال: «يبايع المهديّ بين الرّكن والمقام، لا يوقظ نائماً، ولا يهريق دماً»[3]

وأخرج أيضاً عن قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج المهديّ من المدينة إلىٰ

---

(١) ابن حماد: ٩٥ و ٩٧ و ٨٩، عقد الدرر: ١٣٢، لوائح السّفارينيّ ٢: ١١، الإشاعة: ٩٣ و ٩٤.

(٢) ابن حماد: ٩٤، عقد الدرر: ١٢٣، الحاويّ ٢: ٦، لوائح السّفارينيّ ٢: ١٢، برهان المتقيّ: ١٤٣ و ١٤٤ ح ٧.

(٣) ابن حماد: ١٤، عقد الدرر: ١٥٦ و ٢٢٦، لوائح السّفارينيّ ٢: ١٢، برهان المتقيّ: ١٤٤ ح ٩.

مكّة، فيستخرجه النّاس من بينهم، فيبايعونه بين الرّكن والمقام، وهو كاره»[١].

وفي ابن المناديّ من مرفوع حذيفة: «يبايع له النّاس عند الرّكن والمقام، يردّ الله به الدين، ويفتح له الفتوح، فلا يبقىٰ علىٰ وجه الأرض إلا من يقول: لا إله إلّا الله فقال سلمان: من أي ولدك هو؟ قال: من ولد ابني هذا وضرب علىٰ الحسين». قلت: قد مر أنه من ذرية الحسن، وهنا من ولد الحسين، ولعل الجمع بينهما، أن أباه من ذرية أحدهما، وأُمّه من ذرية الآخر فتأمل[٢].

وأخرج نعيم عن أبي جعفر قال: «يظهر المهديّ بمكّة عند العشاء،ومعه راية رسول الله ﷺ، وقميصه، وسيفه، وعلامات، ونور، وبيان، فإذا صلىٰ العشاء نادىٰ بأعلىٰ صوته يقول: أذكركم الله أيها النّاس، ومقامكم بين يدي ربكم، فقد أنجز الحجّة، وبعث الأنبياء، وأنزل الكتاب، وأمركم أن لاتشركوا به شيئاً، وأن تحافظوا علىٰ طاعته وطاعة رسوله، وأن تحيوا ما أحيا القرآن، وتميتوا ما أمات القرآن، وتكونوا أعواناً علىٰ الهدىٰ، ووزراً علىٰ التّقوىٰ، فإن الدنيا قد دنا فناؤها وزوالها، وإني أدعوكم إلىٰ الله ورسوله، والعمل بكتابه، وإماتة الباطل، وإحياء السّنة، فيظهر في ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً، عدة أهل بدر، علىٰ غير ميعاد، رهبان بالليل، أسد بالنهار، فيفتح الله له أرض الحجاز، ويبعث بجنوده إلىٰ الآفاق، ويمكث ويميت الجور وأهله، وتستقيم له البلدان، ويفتح الله علىٰ يديه القسطنطينية»[٣].

---

(١) الحاويّ ٢: ٧٦، الفتاوىٰ الحديثية: ٢٨، برهان المتقيّ: ١٤٤ ح ١٠.

(٢) تقدم استخراجه.

(٣) ابن حماد: ٩٥، سنن أبي داود ٤: ١١٠ ح ٤٢٩٥، عقد الدرر: ١٤٦، ملاحم ابن طاووس: ٦٤، الصّراط المستقيم ٢: ٢٦٢، إثبات الهداة ٣: ٦١٤ ح ١٥١.

وعن عليّ عليه السلام: «أنهم لما يأتونه للمبايعة يقول لهم: إني لست قاطعاً أمراً حتىٰ تبايعوني علىٰ ثلاثين خصلة تلزمكم، لاتغيرون منها شيئاً، ولكم عليَّ ثمان خصال. فيقولون: قد فعلنا ذلك، ما أنت ذاكر يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله! فيخرجون معه إلىٰ الصّفا فيقول: أنا معكم علىٰ أن لاتولّوا، ولاتسرقوا، ولاتزنوا، ولا تقتلوا محرماً، ولاتأتوا فاحشة، ولاتقربوا أحداً إلا بحقه، ولاتكنزوا ذهباً ولافضة، ولابراً، ولاشعيراً، ولاتأكلوا مال اليتيم، ولاتشهدوا بغير ماتعلمون، ولاتخربوا مسجداً، ولاتقبحوا مسلماً، ولاتشربوا مسكراً، ولاتلبسوا الذّهب، والحرير، والديباج، ولاتتبعوا هارباً، ولاتسفكوا دماً حراماً، ولاتقربوا منكراً، ولاتغدروا بمستأمن، ولاتبغوا علىٰ كافر، ولامنافق، وتلبسون الخشن من الثّياب، وتتوسدون التّراب علىٰ الخدود، وتجاهدون في الله حقّ جهاده ولاتشتموا، وتكرهون النّجاسة، وتأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر. فإذا فعلتم ذلك فعلّي: أن لا أتخذ حاجباً، ولا ألبس إلا كما تلبسون، ولا أركب إلا كما تركبون، وأرضىٰ بالقليل، وأملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وأعبد الله حقّ عبادته، أوفي لكم وتَفُوا لي.

فيقولون: رضينا وأتبعناك علىٰ ذلك. فيصافحهم رجلاً رجلاً. ويفتح الله تعالىٰ له خراسان، ويطيعه أهل اليمن، وتكون همدان وزاراءه، وخولان جيوشه، وحمير أعوانه، ومضر قواده، ويكثر الله تعالىٰ جمعه بتميم، ويشد ظهره بقيس، ويسير ورایاته أمامه، وعلىٰ مقدمته عقيل، وعلىٰ ساقته الحارث»[1].

---

(١) لم أعثر أصلاً علىٰ هذا الحديث الطّويل في مصادر الفريقين إلا في عقد الدرر: ٩٥ و٩٦ و٩٧، ولكن مضامين هذا وبعض فقراته وردت في روايات متعددة ومسندة، كما جاء في برهان المتقيّ: ٧٦، إلزام النّاصب ٢: ١٧٨، منتخب الأثر: ١٥٤ ح ٤٣، العطر الورديّ: ٥١.

وفي حديث حذيفة ﷺ عن النّبيّ صلىٰ الله عليه وسلم: «لاتحشر أمتي حتىٰ يخرج المهديّ، يمده الله بثلاثة آلاف من الملائكة، ويخرج إليه الأبدال من الشّام، والنّجباء من مصر، وعصائب أهل المشرق حتىٰ يأتوا مكّة، فيبايع له بين الرّكن والمقام، ثم يتوجه إلىٰ الشّام، وجبريل علىٰ مقدمته، وميكائيل علىٰ يساره، ومعه أهل الكهف أعوان له، فيفرح به أهل السّماء والأرض، والطّير، والوحش، والحيتان في البحر، وتزيد المياه في دولته، وتمدّ الأنهار، وتضعف الأرض أكلها، وتستخرج الكنوز»[١].

قال: فيقدم إلىٰ الشّام، فيأخذ السّفيانيّ فيذبح تحت الشّجرة الّتي أغصانها إلىٰ بحيرة طبرية.

قال حذيفة: يارسول الله ﷺ! كيف يحل قتالهم وهم يوحدون؟.

قال: « ياحذيفة! هم يومئذ علىٰ ردّة، يزعمون أن الخمر حلال، ولا يصلون».

وعن أبي[٢] سعيد الخدريّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« ينزل بأُمتي في آخر الزّمان بلاء شديد من سلطانهم، لم يسمع ببلاء أشد منه، حتىٰ تضيق عليهم الأرض الرّحبة، وحتىٰ تملأ الأرض ظلماً وجوراً، لايجد المؤمن ملجأ يلتجيء إليه من الظُلم، فيبعث الله تعالىٰ رجلاً من عترتي، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يرضىٰ عنه ساكن السّماء وساكن الأرض، لاتدخر الأرض من بذرها شيئاً إلا أخرجته، ولا السّماء شيئاً من قطرها إلا صبه الله عليهم مدراراً، يعيش فيهم سبع سنين، أو ثمان، أو تسع سنين، يتمنىٰ الأحياء الأموات، مما صنع الله بأهل الأرض من خيره»[٣].

---

(١) عقد الدرر :١٤٩، سنن الدانيّ:١٠٥.

(٢) تهذيب ابن عساكر ١:٦٢، عقد الدرر :٨٣و٨٤.

(٣) مستدرك الحاكم ٤: ٤٦٥، البخاري الجزء ٩ كتاب الفتن، مسند أحمد ٣:٢٨، مسلم ٢: كتاب الفتن، تذكرة

وأخرج أبو نعيم عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «يخرج المهديّ في أُمتي يبعثه الله عياناًللناس، تنعم الأُمّة وتعيش الماشية، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً، أي بالسوية»[١].

وأخرج نعيم عن كعب قال: «أول لواء يعقده المهديّ يبعثه إلىٰ التّرك فيهزمهم، ويأخذ ما معهم من السّبي والأموال، ثم يسير إلىٰ الشّام فيفتحها، ثم يعتق كلّ مملوك معه، ويعطي أصحابه قيمهم»[٢].

↔ القرطبيّ ٢: ٧٠٠، عقد الدرر :١٧ و٤٣ و ٦٠ و ١٤١ و ٢٣٦، تذكرة الحفاظ ٣:٨٣٨ كنز العمّال ١٤:٢٧٥.

(١) أبو نعيم في صفة المهديّ لوحة: ٩٩، الحاكم ٤: ٥٥٧، مسند أحمد ٣:٣٧.

(٢) ابن حماد: ٥٨، وفي كتاب الفتن مخطوط تحت رقم ميكروفيلم «٣١٨٧» ورق ٦.

فهرس الآيات

الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
﴿... لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	١١٤	٣٨٣
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ...﴾	١٨٠	١٥٤
﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ...﴾	٢٥٣	٥٥
﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ...﴾	٢٥٦	٣٤٥
سورة آل عمران		
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن...﴾	١٤٤	١٠٠،٩٦،٩٥
﴿... وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ...﴾	١٥٩	١٩٠
﴿فَلَاتَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	١٧٥	٢٩٧
سورة النساء		
﴿...فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾	١٩	٢١٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿...وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ...﴾	٢٠	٩٨
﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ...﴾	٣٣	٢٨١
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ...﴾	٣٥	٣١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم...﴾	٥٨	٣١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى...﴾	٥٩	٥٠، ٣٢٤
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ...﴾	٦٠	٣٢١
﴿...فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ...﴾	٩٥	٥٥
﴿...لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ...﴾	١٦٥	٣٧٩

سورة المائدة

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَوْفُوا بِٱلْعُقُودِ...﴾	١	١٨، ٩٢، ٣٧١
﴿...فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ...﴾	٣	٢٦٢، ٢٦٥، ٢٩٨
﴿...أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾	٢٤	١٩٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى...﴾	٥٤	٦٠
﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ...﴾	٥٥	١٧٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ...﴾	٦٧	٢٦١، ٢٩٣، ٢٩٦

سورة الأعراف

﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ...﴾	١٨	٨٣

الآية	رقمها	الصفحة
سورة التوبة		
﴿... لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾	٣٣	٣٧٩، ٣٩٢
﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟...﴾	٥٨	٥٤
﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ...﴾	٦١	٥٣
﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم...﴾	٦٤	٥٤
﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ...﴾	١٠١	٥٩
سورة هود		
﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ...﴾	١٢	٢٩٦
﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى...﴾	٤٥	٣٠
﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ...﴾	٤٦	٣٠
﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ...﴾	٧٣	٢٩
﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ...﴾	١١٣	٣٢١
سورة يوسف		
﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ...﴾	٢٣	٣٢
﴿... قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ...﴾	٢٥	٣٠
﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ...﴾	٢٦	٣١
﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾	٣٩	٥٢
﴿...ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ...﴾	٥١	٣٦٣
﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾	٩١	٣٦٣

الآية	رقمها	الصفحة
﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ﴾	٩٧	٣٦٣
سورة النحل		
﴿بِالْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ...﴾	٤٤	٢٩٤
سورة الاسراء		
﴿...ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَـىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾	١٨	٨٣
﴿... وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾	٣٤	١٨، ٣٧٢
﴿...وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ...﴾	٥٥	٥٥
سورة الكهف		
﴿...وَلَاتُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ...﴾	٢٨	٣٢١
﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِن...﴾	٣٧	٥٢
﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا...﴾	٧١	٣١
سورة مريم		
﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى...﴾	٥	٢٨١
سورة طه		
﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾	٣٧	٣٩١
﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾	٣٨	٣٩١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِالسَّاحِلِ...﴾	٣٩	٣٩١
﴿قَالُوٓاْ إِنْ هَـٰذَانِ لَسَـٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم...﴾	٦٣	٢٠٦
﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَانَسْـَٔلُكَ رِزْقًا...﴾	١٣٢	٣٠

سورة الانبياء

﴿... فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ ...﴾	٨٤	٣١
﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ...﴾	١٠٥	٣٧٩
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾	١٠٧	٨٩

سورة النور

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ لُعِنُواْ...﴾	٢٣	٥٤
﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ...﴾	٣٦	٣٢
﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ...﴾	٥٥	٣٧٩

سورة الفرقان

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ...﴾	٢٧	٣٨٢

سورد الشعراء

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾	٦١	٥٢
﴿يَوْمَ لَايَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾	٨٨	٣٨٢
﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾	٨٩	٣٨٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَاتُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾	١٥١	٣٢١
﴿ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَايُصْلِحُونَ﴾	١٥٢	٣٢١
﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾	٢١٤	٣٨
سورة القصص		
﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ...﴾	٤	٣٩١
﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ...﴾	٥	٣٧٩
﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ...﴾	٧	٣٩١
﴿... هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَـٰصِحُونَ﴾	١٢	٢٩
﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾	٢١	٣٣٤
﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى...﴾	٢٢	٣٣٤
﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ...﴾	٢٩	٣٠٠
﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ...﴾	٦٨	١٢٩، ٣١٦
سورة العنكبوت		
﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا...﴾	٢	٣٩٢
﴿... إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾	٣٣	٣٠
سورة لقمان		
﴿...وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ...﴾	١٤	٢٠٦

الآية	رقمها	الصفحة
سورة السجدة		
﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾	١٨	٢٠١
سورة الأحزاب		
﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ...﴾	٦	١٩١، ٣٠٠
﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ...﴾	٢١	٦١، ٨٨، ١١٦
﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ...﴾	٣٢	٣٢
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ...﴾	٣٣	٣٢، ٣٧، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ١٤٧، ٣١١
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ...﴾	٣٦	٧٩، ١٨٩
﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ...﴾	٣٧	١٦٥
﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ...﴾	٣٩	٢٩٧
﴿... وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ...﴾	٥٣	١٦٩، ١٨٥
سورة سبأ		
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا...﴾	٢٨	٢٤
سورة فاطر		
﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ...﴾	٢٤	٣٧٥
﴿...وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ...﴾	٤٣	٣١

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الشورى		
﴿... وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾	٢٣	٣٠٦
﴿... وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾	٣٨	١١٢، ١٩٠
سورة الزخرف		
﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَـٰذَا صِرَٰطٌ...﴾	٦١	٣٨٤
سورة الدخان		
﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾	٤١	٢٨١، ٣٨٢
﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾	٤٢	٣٨٢
سورة الأحقاف		
﴿... وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا...﴾	١٥	٢٠٦
سورة محمّد		
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾	٩	١٢٩
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ...﴾	١١	٢٨١
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ...﴾	٢٥	٥٤
سورة الفتح		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن...﴾	١٠	٣٨١
﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ...﴾	١٨	٦٣

الآية	رقمها	الصفحة
﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ ...﴾	٢٩	٦٥
سورة الحجرات		
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَاتَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ...﴾	٢	١٩٦
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ...﴾	٦	٢٠١
﴿...إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾	١٣	٢٣٦
سورة الذاريات		
﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾	٣٦	٣٢
سورة النجم		
﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾	٢	٥٢، ٧٨
﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾	٣	٥٢، ٧٨، ١٥٦
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾	٤	٣١٤، ٧٨، ١٥٦
﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾	٥	٧٨
سورة الحديد		
﴿...مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾	١٥	٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣
سورة الحشر		
﴿...وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ...﴾	٧	٧٨، ١٥٦

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الصف		
﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَاتَفْعَلُونَ﴾	٣	٩٩
سورة الحاقة		
﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾	٤٠	٧٨
﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ﴾	٤١	٧٨
﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾	٤٢	٧٨
﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾	٤٣	٧٨
سورة المعارج		
﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾	١	٢٨٧
﴿لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾	٢	٢٨٧
﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾	٣	٢٨٧
سورة القيامة		
﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾	٣١	٢٦١
﴿وَلَـٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾	٣٢	٢٦١
﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾	٣٣	٢٦١
﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾	٣٤	٢٦١
سورة التكوير		
﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾	١٩	٧٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾	٢٠	٧٨
﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾	٢١	٧٨
﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾	٢٢	٧٨
سورة المسد		
﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾	١	٣٩
﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾	٢	٣٩
﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾	٣	٣٩

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الصفحة
ابن سمية ماعرض عليه أمران قط إلّا اختار الأرشد منهما	١٨٧
ابني هذا إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمّة تسعة تاسعهم	٢٢٩
احبسوه فنعم العون لنا علىٰ عدونا! فإذا أنا متّ، فاقتلوه كما قتلني	٣٠٦
احتجوا بالشجرة وأضاعوا الّثمرة	١١٩
إذا اختلف النّاس كان ابن سمية مع الحق	١٨٨
إذا خرج ثلاثة في سفر فيلؤمروا عليهم أحدهم	١٥٣
إذا رأيتم معاوية علىٰ منبري فاقتلوه	٢٥٩
إذا رأيتموهما اجتمعا ففرقوا بينهما فإنهما لا يجتمعان علىٰ خير	٣١٧
إذا كان عند خروج القائم ينادي منادٍ من السّماء... فيبايعونه بين	٣٨٤
إذا نادىٰ منادٍ من السّمآء أن الحق في آل محمّدﷺ فعند ذلك يظهر	٣٨٢
ارجعوا بيننا السّيف	١٩٧
الأئمّة من قريش	١٨٠

الإسلام يعلو ولا يُعلىٰ عليه ٣٤٤
الإمام الجائر خير من الفتنة، وكلٌ لا خير فيه، وفي بعض الشّر ١٥٣
الأمر لله يضعه حيث يشاء ٢١
الإيمان قيد الفتك، فلم أحبّ أنْ أقتل عبيد الله بن زياد في منزل ٣٤٦
الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا ٣٣٥
الدّم الدّم، والهدم الهدم... ٢١
السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت إنّما يريد الله... ٤٥
اللّهمّ اشهد ٢٨٦
اللّهمّ العن القائد والسّائق والرّاكب ٣١٧
اللّهمّ إنك تعلم أني مكره مضطر، فلا تؤاخذني، كما لم تؤاخذ ٣٦٤
اللّهمّ إني أبرأ إليك مما صنع خالد ٦٠
اللّهمّ إني أستعديك علىٰ قريش... وأجمعوا علىٰ منازعتي، أمراً ١٦٢
اللّهمّ إني أستعديك علىٰ قريش ومن أعانهم، فإنهم قطعوا رحمي ٢٣٥
اللّهمّ إني بريء من الغلاة كبراءة عيسىٰ ابن مريم من النّصارى ٩٩
اللّهمّ: وأتباعُ الرّسل ومصدقوهم من أهل الأرض بالغيب عند ٦٦
اللّهمّ وأصحاب محمّد خاصة، الّذين أحسنوا الصّحبة والّذين أبلوا ٦٦
اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب الرّجس عنهم ٤٣
اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي وحامتي فأذهب عنهم الرّجس وطهره ٤٤
اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي وعترتي، فأذهب عنهم الرّجس وطهره ٤٤
اللّهمّ هؤلاء أهلي فأذهب عنهم الرّجس... ٤٤
اللّهمّ هؤلاء عترتي ٤٤
النّاس سواسية كأسنان المشط ٢٣٦

النّاكثون : أهل الجمل ، المارقون الخوارج ، القاسطون : أهل الشّام ٢٤٩
النّجوم أمان لأهل الأرض ، وأهل بيتي أمان لأُمتي من الإختلاف ٥١
إليك عني ، فإنك رجس ، وإني من أهل بيت الطهارة قد أنزل الله فينا ٤٥
إن ابني هذا يصلح بين فئتين ٣٦٠
إن القائم منا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة ، فلذلك تخفىٰ ٣٨٢
إن الله أجل وأعظم من أنْ يترك الأرض بغير إمام عادل ٧٢
إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين وأنتم الأقربون من قريش ٣٨
إن الله أمرني بالبيعة . فأقبل النّاس يبايعونه علىٰ ألا يفروا ٢٢
إنّ الله لم يدع الأرض بغير إمام عادل ، ولولا ذلك لم يعرف الحق من ٧٢
إنّا لو كنا نفتي النّاس برأينا وهوانا لكنا من الهالكين ٤٠
إن اليهود أحبوا عزيراً حتىٰ قالوا فيه ماقالوا ، فلا عزير منهم ولاهم ٩٩
إنّا معاشرَ الأنبياء لا نُورّث ، ما تركناه فهو صدقةٌ ١٢٤
إنّا معاشر الأنبياء لا نورّث ما نركناه فهو صدقة ١٢٤
إن أتاكم آتٍ منا فأنظروا علىٰ أي شيء تخرجون ٢٧
إن أشد قومنا لنا بغضاً بنو أُميّة وبنو المغيرة وبنو مخزوم ١٩٠
إن أُمتي ستغدر بك بعدي ويتبع ذلك برها وفاجرها ١٦٢
إن بيعتي بالمدينة لزمتك يامعاوية وأنت بالشام كما التّزمت ببيعة ٢٣٧
إن سعداً لا يخالف ابن عمه عبد الرّحمن ، وعبد الرّحمن نظير ١٧١
إن عماراً أجاره الله من الشّيطان علىٰ لسان نبيه ﷺ ١٨٧
إنكم سترون بعدي أثرة ٣٢٢
إنكم قد اختلفتم إليّ وأتيتم وإنيّ قائل لكم قولاً إنْ قبلتموه قبلت ٢٣٠
إنْ كنت كاذباً فضربك الله ببيضاء لاتواريها العمامة فما قام حتىٰ ٢٧٨

إن لنا حقاً إنْ نُعطه نأخذه، وأن نمنعه نركب أعجاز ١٨٣
إنّما الطاعة لله ولرسوله ولولاة الأمر، وإنّما أمر بطاعة أُولي الأمر ١٩٨
... إنّما كان لكما ـ طلحة والزّبير ـ ألا ترضيا قبل الرّضا وقبل ٢٤
إنّما يريد الله ٤٦
إنّ مما عهد إليَّ النّبيّ أنّ الأُمّة ستغدر بيِّ بعده ٢٣٥
إنها تُرضي الله وإنه يتعاقد معهم نيابة عن الله... ١٨
إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتىٰ يمضي فيه اثنا عشر خليفة كلّهم من ٢٢٩
إنّ هذا المال ليس ليِّ ولا لك وإنّما هو فيء المسلمين ٢٤٦
إنه يبايع بين الرّكن والمقام ٣٨٣
إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ٤٨
إني قد أجبت امتثالاً للأمر، وإن كان الجفر والجامعة يدلان علىٰ ٣٦٤
إنيّ قد كنت كارهاً لأمركم فأبيتم إلّا أنْ أكون عليكم. ألا وإنه ليس ٢٣٠
أُبايعكم علىٰ أن تمنعوني مما تمنعون نساءكم وأبناءكم ٢٠
أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا علىٰ قومهم بما فيهم ٢١
أخشىٰ الضّيعة من بعدك ٣٧٦
أرأيتكما إنْ حدثتكما حديثاً عن رسول الله تعرفانه وتفعلان به؟ ١٢٦
أسندت رسول الله ﷺ إلىٰ صدري فوضع رأسه علىٰ منكبي ١٠٥
أشيروا عليّ أيها النّاس ١٩٥
أفسدت علينا أُمورنا ولم تستشر ولم ترع لنا حقاً ١٤٢
أقضىٰ أُمتي عليّ ٢٤٨
أكبر علىٰ إكمال الدّين وإتمام النّعمة، ورضا الرّب برسالتي ٢٦٦
ألا إنّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان وكلّ مال أعطاه من مال الله فهو ٢٤٦

ألا إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من قومه ٥٠
ألا إنّ مفاتيح مالكم معي. ألا وإنه ليس ليَّ أنْ آخذ منه درهماً ٢٣٠
ألا أيها النّاس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأُجيب ٤٧
ألا تبايعوني علىٰ الإسلام ١٤
ألست أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا بلىٰ ٢٩٢
ألستم تعلمون أني أولىٰ بالمومنين من أنفسهم ٢٦٥
ألستم تعلمون ـ أو تشهدون ـ أني أولىٰ بكل مؤمن من نفسه ٢٦٥
أليس تشهدون أنْ لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ ٢٦٥
أليس تشهدون أن لا إله إلّا الله، وأن محمّداً عبده ورسوله، وأن ٢٨٦
أمّا بعد: فإنّ بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام؛ لأنه بايعني ٢٣٨
أمّا بعد: فإنك دسست إليَّ الرّجال كأنك تُحب اللّقاء، وما أشك في ٣١١
أما قرأت كتاب الله ٤٥
أمّا معاوية فصعلوك لا مال له ٣١٦
أمّا والّذي فلق الحبة وبرأ النّسمة، لولا ما سبق به القضاء لعلمت ١٢١
... أمّا والله لقد تقمصها فلان ـ ابن أبي قحافة ـ وإنه ليعلم أنّ محلي ١٢٣
... أمّا والله لقد تقمصها فلان ـ ابن أبي قحافة ـ وإنه ليعلم أنّ محلي ١٢٣
أمرت أن أقاتل النّاس حتىٰ يشهدوا أنْ لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً ١٤٦
أُمِرتُ بقتال النّاكثين والقاسطين والمارقين ٢٤٩
أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم ٣١٣
أنّ الأُمّة ستغدر بك من بعدي ١٦٢
أنْ أُقبض قبضاً سريعاً وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم ٤٩
أنتِ إلىٰ خير، أنتِ من أزواج النّبيّ ﷺ ٣٧

أنتم اعلم بشؤون دنياكم	١٥٢
أنتم علىٰ قومكم بما فيكم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسىٰ بن مريم	٢١
أنشدكم الله ، أفيكم أحد آخىٰ رسول الله ﷺ بينه وبين نفسه حيث	١٨٣
أنفذوا بعث أُسامة لعن الله من تخلف عنه	٨٣
أنّهم ارتدوا جميعاً علىٰ أدبارهم القهقرىٰ وأنّهم إلىٰ النّار	٦٠
أويطمع ياعمّ فيها غيري	١١٠
أويقضي الله خيراً من ذلك ياسعد	١٩٥
أين إِخواني الّذين ركبوا الطريق ومَضَوْا علىٰ الحق؟ أين عمار؟	٦٥
أيها الذّاكر علياً ، أنا الحسن وأبي عليّ وأنت معاوية وأبوك صخر	٣٢١
أيها النّاس الله مولاي وأنا مولاكم	٢٦٥
أيها النّاس إن الله مولاي وأنا مولىٰ المؤمنين وأنا أولىٰ بهم من	٢٨٧
أيها النّاس! إنّ أحقّ النّاس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر	٢٣٩
أيهاالنّاس إن أحق النّاس بهذا الأمر أقواهم عليه ، وأعلمهم بأمر الله	٢٦
أيها النّاس إني أوشك أنْ أُدعى فأُجيب ، وإني مسؤول ، وأنتم	٢٦٤
أيها النّاس ، إني رأيت في منامي رؤيا : رأيت كأني	١٩٦
بلىٰ ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي	٥٤
تسألني يابن أُمّ عبد كيف تفعل؟ لا طاعة لمن عصىٰ الله	٢٧
تنحي فإنك إلىٰ خير	٣٦
جندب وما جندب وزيد الخير وما زيد الخير ، أمّا أحدهما	٢٠٥
جهزوا جيش أُسامة ، لعن الله من تخلف عنه	٨٣
حبيبتي فاطمة ماالّذي يبكيك	٣٧٦
..حتىٰ مضىٰ الأوّل لسبيله فأدلىٰ بها إلىٰ ابن الخطاب بعده	١٦١

خاصف النّعل ٢٥٠
دعوني وألتمسوا غيري، فإنكم ستقبلون أمراً له وجوه وألوان، ٢٥٠
سبحان الله ما أسرع ماكذبتم علىٰ رسول الله ﷺ ١٢٠
ستقتلك الفئة الباغية وأنت علىٰ الحقّ، فمن لم ينصرك يومئذ ٢٥٧
ستكون بعدي أثرة وأُمور تنكرونها ٧٤
سيروا علىٰ بركة الله؛ فإن الله قد وعدني إحدىٰ الطائفتين، والله ١٩٥
سيقتل بعذراء ناس يغضب الله لهم وأهل السّماء ٣٢٢
سيلي أُموركم بعدي رجال يطفئون السّنة ويعملون بالبدعة ٢٧
سيلي أُموركم من بعدي رجال يعرفونكم ماتنكرون، وينكرون ٢٤٧
صنفان من أُمّتي لا نصيب لهما في الإسلام: النّاصب لأهل بيتي ٩٨
عشر خصال من صفات الإمام: العصمة، والنّصوص ١٩٨
علىٰ المرء المسلم السّمع والطاعة فيما أحب وكره، إلّا أنْ يأمر ٢٧
عليّ بن أبي طالب عندما قال لعمر بن الخطاب: «احلب حلباً لك ١١١
عليّ مع الحق والحق مع عليّ يدور معه حيثما دار ٢٤٨
عمار تقتله الفئة الباغية ٣٦٩
عهد اليَّ النّبيّ ﷺ أنْ أُقاتل النّاكثين والقاسطين والمارقين ٢٤٩
عهد اليَّ رسول الله ﷺ أنْ أُقاتل النّاكثين والقاسطين والمارقين ٢٤٩
فإن آمنتم بي فبايعوني علىٰ أن تطيعوني، وتصلوا وتزكوا... ١٨
فإن الله سبحانه بعث محمّداً ﷺ نذيراً للعالمين... فلما مضىٰ ﷺ ١٢٢
فإن بيعتي لاتكون خفية، ولاتكون إلّا عن رضا المسلمين ويجب ٢٨
فأبوك كان اعلم بحقي منك، وإنك تعرف من حقي ماكان أبوك ١٣٤
... فأقول سحقاً سحقاً ٦١

فأمسكت يدي حتىٰ راجعة النّاس قد رجعت عن الإسلام	١٢٢
فأنا عبدالله وأخو رسوله	١٢١
فرفع عليّ عليه السلام صوته وقال: سبحان الله! لقد ادعىٰ ما ليس له	١٢٠
فزت ورب الكعبة	٣٠٦
فسمعته يقول: يا أيها النّاس أني قد تركت فيكم، ما إن أخذتم به لن	٤٧
فطفقت أرتئي بين أنْ أصول بيد جذاء أو أصبر علىٰ طخية عمياء	٢٣٥
فلا طاعة لمن عصىٰ الله تبارك وتعالىٰ، فلا تعتلوا بربكم	٣٢٨
فنظرت فإذا ليس ليّ مُعين إلّا أهل بيتي فضننت بهم عن الموت	٢٣٦
فوالله الّذي لا إله إلّا هو إن هذا لمن الله عزوجل	٢٨٨
فهذا عليٌّ مولاه، اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه	٢٦٥
فيا عجباً!بينا هو يستقيلها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته	١٦١
فيا لله والشّورىٰ	١٨٥
في بني إسرائيل من دخله غفر له	٥١
فيجمع الله عليه أصحابه... فيبايعونه بين الرّكن والمقام	٣٨٣
فيكم من يُقاتل علىٰ التّأويل كما قاتلت علىٰ التّنزيل	٢٥٠
قال ففي المسجد، فإنّ بيعتي لا تكون خفياً: ولا تكون إلّا عن	٢٢٩
قال لا نبي بعدي	٣٨٠
قوموا عني، لا ينبغي عندي التّنازع	٧٥
كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأتينا كلّ غداة فيقول: الصّلاة رحمكم الله،	٤٦
كأني قد دُعيت فأجبت، إني تركت فيكم الثّقلين، أحدهما أكبر من	٤٨
كذبت لا أُمَّ لك، أنت أضيق حلقة أُست من ذلك	١٢١
كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الّذي علىٰ النّاس	١٥٣

كما تنفرج المرأة عن قبلها ٢٠٠
كنا نلوذ برسول الله إذا حمي الوطيس ٢٩٦
كنت أنا أُغسله ١٠٥
لا أحمل عهد الله وميثاقه علىٰ ما لا أدركه ولا يدركه أحد، من ذا ١٧٢
... لا تدرون لعلكم أن تبتلوا ٢٠٠
لاتذهب الدّنيا حتىٰ يملك العرب رجلٌ من أهل بيتي يواطئ اسمه ٣٧٦
لا ترفعوني فوق حقي، فإن الله تعالىٰ اتخذني عبداً قبل أنْ يتخذني ٩٩
لا تشغل قلبك بهذا الأمر ولا تستبشر به، فأنه شيء لا يتم ٣٧١
لاتصلِّ خلف الغالي وإن كان يقول بقولك، والمجهول والجاهر ٩٩
لا تضلوا بربكم ٣٢٨
لا تفعلوا فإني أكون وزيراً خيراً من أنْ أكون أميراً ٢٥٣
لا تفعلوا فإني أكون وزيراً خير من أنْ أكون أميراً ٢٢٩
لا حاجة لي في أمركم. أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت به، ٢٣٠
لا طاعة لمن لم يطع الله ٢٧
... لا عهد لي بقوم أسوأ محضراً منكم، تركتم رسول الله جنازة بين ١٢٣
لافضل لعربي علىٰ أعجمي إلّا بالتقوى ٢٣٦
لانبي بعدي ٣٨٠
لايحل لمسلم أنْ يبيت ليلة وليس في عنقه بيعة لأحد ١٥٣
لا يعاب المرء بتأخير حقه، إنّما يعاب من أخذ ماليس له ١٢٢
لشد ما تشطرا ضرعيها ١١١
لعن الله الرّاكب والقائدوالسّائق ٢٥٩
لقد، رأيت أصحاب محمّدﷺ فما أرىٰ أحداً يشبههم منكم ٦٥

للقائم منا غيبة أمدها طويل، كأني بالشيعة يجولون جولان النّعم	٣٨٢
لما أُسريّ بيّ إلىٰ السّماء سمعت نداءاً من تحت العرش أنّ علياً راية	٢٩٧
لمانظر رسول الله ﷺ إلىٰ الرّحمة هابطة قال: (ادعوا ليّ، أدعوا ليّ	٤٢
... لنا حق فإن أُعطيناه، وإلّا ركبنا أعجاز الإبل وإن طال السّرىٰ	١٢٣
لو لم يبق من الدّنيا إلّا يوم، لطوّل الله ذلك اليوم حتىٰ يلي رجل من	٣٧٦
لو وجدت أربعين ذوي عزم لناهضتهم	١٣٤
ماأردت بمصالحتي إلّا أنْ أدفع عنكم القتل	٣٢٤
ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفىٰ	١٨٨
ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء عن رجل أصدق من أبي ذر	١٨٨
ماحق امرئ مسلم له شيء يُريد أنْ يُوصي فيه يبيت ليلتين إلّا	١٥٥
ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحة لم يجد رائحة	١٥٣
ما من نبي إلّا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف، وبطانة تأمره	٦٠
مجاري الأمور والأحكام علىٰ أيدي العلماء بالله الأمناء علىٰ	٢٥
من أبغض عترتي فهو ملعون ومنافق خاسر	٦٣
من أبغضنا ـ أهل البيت ـ حشره الله يوم القيامة يهودياً ...	٦٣
من أبغضنا ـ أهل البيت ـ فهو منافق	٦٣
من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني	٣١٣
من أستعمل عملاً من المسلمين وهو يعلم أنّ فيهم أولىٰ بذلك منه	٢٦
من أمّ قوماً وفيهم اعلم منة أو أفقه منه لم يزل أمرهم في سفال	٢٥
من خرج يدعو النّاس وفيهم من هو اعلم منه فهو ضال مبتدع	٢٥
من سره أنْ ينظر إلىٰ رجل سبقه بعض أعضائه إلىٰ الجنة فلينظر إلىٰ	٢٠٥
من عادىٰ عماراً عاداه الله ومن أبغض عماراً أبغضه الله	١٨٧

من كنت مولاه فعلي مولاه ٢٨٨
من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ٢٨٧، ٣٠١
من كنت وليه فهذا وليه، اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، ٢٨٧
من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية ٧١
من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ٧١
من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية ١٥٤
من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية ٧١
مَنْ مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية ١٧٦
من نكث فإنّما ينكث علىٰ نفسه ومن أوفىٰ بما عاهد الله عليه ٢٤٧
نزلت هذه الآية في خمسة: فيَّ وفي عليّ عليه السلام وفاطمة عليها السلام وحسن ٤٢
واخذل من خذله ٢٩٩
واعلم أنك من الطلقاء الّذين لاتحل لهم الخلافة، ولاتعقد معهم ٣١٥
والّذي لا إله إلّا هو إنه من الله ٢٢٨
والله لاتمضي الأيام واللّيالي حتىٰ يولد ليَّ ذكر من صلبي يقوم ٢٣١
والله لتخرجن أو لأكشفن شعري ولأعجن إلىٰ الله ١٢٦
والله لو أُعطيت الأقاليم السّبعة بما تحت أفلاكها علىٰ أنْ أُعصي الله ١٩٨
والله لو أنّ فاطمة بنت محمّد سرقت لقطعت يدها ٢٣٦
والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتىٰ يدفعوني إليه سلماً، والله ٣٢٤
والله مابي رغبة في السّلطان وحبّ الدّنيا ولكن لإظهار العدل ١٧٤
وإني لم أبعث نبياً إلّا جعلت له وزيراً، وأنك رسول الله وأن علياً ٢٩٦
وأمّا حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنّصيحة علىٰ المشهد والمغيب ١٨
وأمّا حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة والنّصيحة في المشهد والمغيب ٢٤٨

وأنا رجل من ولد رسول الله ﷺ أجبرني علىٰ هذا الأمر وأكرهني	٣٦٤
وأن تدفعوا عني العدو حتىٰ الموت...	١٨
وترك السّنة، وفراق الجماعة	٢٤٩
وزعمت أني لكل الخلفاء حسدت، وعلىٰ كلّهم بغيت، فإنْ يكن	٢٤٢
وكان أمر الله قدراً مقدوراً	٣٠٦
وكان من نبذهم الكتاب أنْ أقاموا حروفه	٣٥
ومن ذلك الرّكن يهبط الطير علىٰ القائم فأوّل من يبايعه ذلك الطير	٣٨٣
ويبايعونه الثّلاثمئة وقليل من أهل مكّة	٣٨٤
ويح عمار تقتله الفئة الباغية عمار يدعوهم إلىٰ الله ويدعونه إلىٰ	٢٥٩
ويح عمار يدعوهم إلىٰ الجنة ويدعونه إلىٰ النّار	٢٥٩
... ويحهم أنىٰ زحزحوها ـ الخلافة ـ عن رواسي الرّسالة؟	١٢٣
ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النّفس المحرمة	٢٥
ويل لبني أُميّة	١٩١
هذا عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ، لا يفترقان حتىٰ يردا عليّ	٤٩
هذان ابناي وابنا ابنتي، اللّهمّ إني أُحبهما فأحبهما وأحبّ من	٣١٣
هذه بيعة تنكث	٢٥٣
هذه كتبهم ورسلهم وقد وجب عليَّ المسير لقتال أعداء الله	٣٤١
هلم أكتب لكم كتاباً، لن تضلوا بعده	٧٥
هم خلفائي ياجابر وأئمّة المسلمين من بعدي، أوّلهم عليّ بن أبي	٣١٢
هؤلاء اشهد عليهم	٥٤
هؤلاء أهل بيتي	٤٢
هؤلاء أهل بيتي اللّهمّ أذهب عنهم الرّجس وطهرهم تطهيراً...	٤٢

هؤلاء أهل بيتي وحامتي فأذهب عنهم الرّجس وطهرهم تطهيراً ٣٦
يا أيها النّاس إنّ الله أرسلني إليكم برسالة وإني ضقت بها ذرعاً ٢٩٧
يا أيها النّاس إني فرط وأنتم واردون عليّ الحوض وإنّ عرضه ٢٦٥
ياأيها النّاس! إني قد نبأني اللّطيف الخبير أنّه لم يعمر نبي إلّا نصف ٢٨٦
ياحبيبتي أما علمتِ أنّ الله تعالىٰ أطلع إلىٰ الأرض أطلاعة ٣٧٦
يارب إن قومي قريبو عهد بالجاهلية وفيهم تنافس وفخر، ٢٩٦
يارب، أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ٦١
يارسول الله ما لقينا من أبي بكر وعمر بعدك ١٢٠
ياعمار إنْ رأيت علياً قد سلك وادياً، وسلك النّاس وادياً غيره ٢٥٧
ياعمار لا حاجة لنا في مَن لا يرغب فينا ٢٤٢
يامالك إني لأعرف بالناس منك دع هؤلاء يعملون برأيهم ٢٤٢
يامفضل يسند القائم ظهره إلىٰ الحرم، ويمد يده فترىٰ بيضاء من ٣٨٣
يبايع النّاس علىٰ كتاب جديد ٣٨٤
يخرج المهديّ وعلىٰ رأسه غمامة ينادي إن هذا المهديّ فاتبعوه ٣٨٢
يخرج في آخر الزّمان رجل من ولدي اسمه كأسمي وكنيته ٣٧٥
يقتتل عند كنزكم ابن خليفة لاتصير إلىٰ واحد منهم، ثمّ يجيء ٣٨٢
يكون بعدي أئمّة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي وسيقوم ٧٥

فهرس المصادر والمنابع

١. القرآن الكريم

حرف الألف

٢. الإبانة عن أُصول الدّيانة، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعريّ، طبعة القاهرة ١٣٥٩ هـ، وطبعة مكتبة دار البيان دمشق ١٤٠١ هـ.

٣. الإتقان في علوم القرآن لجلال الدّين عبد الرّحمن السّيوطيّ، طبعة بيروت ١٤٠٢ هـ.

٤. إتقان المقال في أُصول الرّجال، لمحمّد طه النّجّفي.، طبعة بيروت ١٤٠٦ هـ.

٥. إثبات الوصيّة للإمام يحيىٰ بن الحسين الهاديّ، طبعة القاهرة، ١٣٨٩ هـ.

٦. إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام المنسوب إلىٰ أبي الحسن علي ابن الحسين المسعوديّ، طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٥ هـ.

٧. أجوبة مسائل جارالله لعبد الحسين شرف الدين، طبعة بيروت ١٤١٩هـ. ٨. الإحتجاج علىٰ أهل اللّجاج، لأحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسيّ، طبعة النّجف الأشرف ١٣٨٥ هـ.

٩. إحقاق الحق وإزهاق الباطل للشهيد القاضي نور الله الشّوشتريّ، وفي هامشه تعليقات السّيد شهاب الدّين المرعشيّ، طبعة قم ١٤٠١ هـ.

١٠. إحكام الأحكام لابن حزم الظّاهري، طبعة القاهرة ١٤٠١ هـ.

١١. الأحكام السّلطانية لمحمّد بن الحسين الفراء الحنبلي، ضمن مجلد مع الأحكام السلطانية للماورديّ، الطبعة الأولىٰ مصر، ١٣١٩ هـ.

١٢. الأخبار الطوال، لأحمد بن داود الدّينوريّ، طبعة لاهور ١٣٥٤ هـ.

١٣. أخبار القضاة، تحقيق محمّد عليّ العمريّ، طبعة ١٤٠٥ هـ.

١٤. الإختصاص، المنسوب لمحمّد بن محمّد بن النّعمان العكبريّ المعروف بالشيخ المفيد، طبعة دار إحياء التّراث العربيّ ١٤٠٦ هـ.

١٥. إختيار معرفة الرّجال للمير داماد، طبعة مشهد ١٤٠٨ هـ.

١٦. الأربعين لابن حجر العسقلانيّ، طبعة القاهرة، الفجالة ١٤٠٩ هـ.

١٧. الأربعين في أُصول الدّين للرازيّ، طبعة دار الفكر العربيّ ١٣٦٩ هـ

١٨. أرجح المطالب لعبيد الله الحنفيّ للامرتسري، طبعة لاهور ١٤١٦ هـ.

١٩. الإرشاد في معرفة حجج الله علىٰ العباد لمحمّد بن محمّد بن النّعمان المعروف بالشيخ المفيد، طبعة دار إحياء التّراث العربيّ ١٤١٥ هـ.

٢٠. إرشاد السّاري لأحمد بن بكر للقسطلانيّ، طبعة القاهرة ١٣٥٨ هـ.

٢١. أزمة الفكر السّياسي الإسلامي، لعبد الحميد متولي، القاهرة ١٤١٩ هـ.

٢٢. الأزهار في فقة الأئمّة الأطهار، لأحمد بن يحيىٰ المرتضىٰ، الحسني اليماني الطبعة الحجرية، وطبعة دار الكتاب اللبناني ١٩٧٥ م.

٢٣. أساس البلاغة للزمخشريّ، طبعة دار النّهضة بالقاهرة ١٤٠٥ هـ.

٢٤. أسباب نزول القرآن، لعليّ بن أحمد الواحديّ النّيسابوريّ، طبعة الحلبيّ، مصر ١٤٠٢ هـ وطبعة دار الكتب العلمية بيروت.

٢٥. الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ليوسف بن عبدالله بن عبد البر النّمري، طبعة حيد آباد، الدكن ١٤٠٣ هـ.

٢٦. أُسد الغاية في معرفة الصّحابة، لعزّ الدّين علي بن أبي الكرم محمّد بن محمّد المعروف بابن الأثير الجزريّ، طبعة الوهيبة بمصر ١٣٥٦ هـ.

٢٧. الإسلام وأوضاعنا السّياسية لعبد القادر عودة، طبعة مصر ١٣٩٥ هـ.

٢٨. الإسلام والحضارة العربية لمحمّد كُرد علي، طبعة بيروت، ١٤٠٦ هـ.

٢٩. أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، لمحمد بن دويش الحوت البيروتي، طبعة مصر ١٤١٦ هـ.

٣٠. الأشباه والنّظائر لزين العابدين بن إبراهيم بن نجيم الحنفيّ، طبعة دار إحياء التّراث الإسلامي بيروت، وطبعة مؤسّسة الحلبي مصر ١٣٧٨ هـ.

٣١. الإصابة في تمييز الصّحابة لأحمد بن علي بن محمّد بن الحجر العسقلانيّ، طبعة مصر أُفسيت على كلكتا، وطبعة إحياء التراث العربي ١٤٠٨ هـ.

٣٢. أصل الشّيعة وأصولها لمحمّد حسين آل كاشف الغطاء، المطبعة الحيدرية النّجف الأشرف ١٣٨٥ هـ.

٣٣. أُصول الدّين عبد القاهر بن طاهر البغداديّ، التميمي، طبعة دار إحياء التّراث ١٤٠٣ هـ، وطبعة استانبول مطبعة الدولة ١٣٤٦ هـ.

٣٤. أُصول الكافي لمحمّد بن يعقوب الكلينيّ الرّازي، طبعة مؤسّسة الوفاء ١٤٠٦ هـ وطبعة دار الكتب الإسلاميّة طهران ١٣٨٩ هـ.

٣٥. أضواء على السّنة المحمدية لمحمد أبو رية، طبعة مصر الفجالة ١٣٩٥ هـ.

٣٦. إعجاز القرآن للشيخ مصطفى الرّافعي، طبعة بيروت ١٤٠٥ هـ.

٣٧. أعلام النّساء لعمر رضا كحالة، طبعة دار إحياء التّراث العربيّ ١٤١٦ هـ.

٣٨. إعلام الورى بأعلام الهدى للفضل بن الحسن الطبرسيّ، طبعة النّجف الأشرف، الحيدرية ١٣٦٥ هـ.

٣٩. الأغاني لأبي الفرج الإصفاني، طبعة دار الفكر بيروت ١٤١٢ هـ.

٤٠. الإقتصاد في الإعتقاد للطوسيّ، طبعة النّجف الأشرف ١٣٥٦ هـ.

٤١. إلزام النّاصب لعليّ بن زين العابدين الحائريّ، طبعة بيروت ١٤٠٢ هـ.

٤٢. الألفين للعلاّمة الحليّ، طبعة مؤسّسة الأعلمي بيروت ١٤١٦ هـ.

٤٣. أمالي الشّجري (الأمالي الخميسية)، ليحيىٰ بن الحسين الشّجري، طبعة صنعاء ١٢٦٤ هـ وطبعة عالم الكتب بيروت ١٤٠٣ هـ.

٤٤. أمالي الشّيخ الصّدوق لمحمّد بن علي بن بابويه، طبعة مؤسّسة الأعلمي بيروت ١٤٠٠ هـ.

٤٥. أمالي الطوسيّ لمحمّد بن الحسن الطوسيّ، المطبعة الإسلاميّة، طهران ١٤٠٤ هـ وطبعة مؤسّسة البعثة دار الثّقافة قم ١٤١٤ هـ.

٤٦. أمالي الشّيخ المفيد، لمحمّد بن النّعمان العكبريّ البغداديّ الملقب بالمفيد، طبعة إيران مؤسّسة النّشر الإسلامي ١٤٠٤ هـ.

٤٧. الإمام الحسن بن علي للأُستاذ كامل الملطاويّ، طبعة بيروت ١٤٠٣ هـ.

٤٨. الإمامة والسّياسة لابن قتيبة الدّينوريّ، طبعة الفجالة الأولىٰ بمصر ١٢٦٥ هـ. وطبعة مكتبة مصطفىٰ البابي الحلبيّ مصر ١٣٨٨ هـ.

٤٩. إمتاع الأسماع للمقريزي، نشر المكتبة السّلفية بالقاهرة ١٣٩٨ هـ.

٥٠. الإمتاع والمؤانسة للتوحيدي، طبعة دار إحياء الكتب العربية، مصر.

٥١. أمل الآمل لمحمّد بن الحسن الحر العامليّ، طبعة النّجف الأشرف ١٣٥٠ هـ.

٥٢. الأُمويون والخلافة، الدكتور حسين عطوان، طبعة دار الجبل بيروت.

٥٣. أنساب الأشراف لأحمد بن يحيىٰ بن جابر البلاذريّ، طبعة مكتبة المثنىٰ بغداد ١٣٩٦ هـ.

٥٤. أهل البيت لتوفيق أبو علم، طبعة دار إحياء التّراث العربيّ ١٤١٣ هـ.

حرف الباء

٥٥. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار للعلاّمة محمّد باقر بن محمّد تقي المجلسيّ، طبعة مؤسّسة الوفاء بيروت ١٤٠٠ هـ.

٥٦. البحر الزّخّار الجامع لمذاهب علماء الأمصار لأحمد بن يحيىٰ بن المرتضىٰ طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٣٥٤ هـ، وطبعة الخانجي ١٣٦٨ هـ٥٧. البدء والتّأريخ، لأحمد بن سهل البلخي، مطبعة السّنة المحمدية ١٤٠٦ هـ.

٥٨. البداية والنّهاية لإسماعيل بن عمر بن كثير الدّمشقيّ، طبعة مصر ١٣٨٥ هـ.

٥٩. بشارة المصطفىٰ لشيعة المرتضىٰ، لمحمّد بن محمّد بن علي الطبريّ، نشر مطبعة الخانجي مصر ١٤٠٠ هـ.

٦٠. بصائر الدرجات لمحمّد بن الحسن الصّفارالقميّ المعروف بابن فروخ، طبعة دار صادر بيروت ١٤٠٢ هـ.

٦١. بغية الطالب لكمال الدّين ابن العديم الحنفيّ (مخطوط).

٦٢. بلاغة النّساء لأحمد بن أبي الطاهر، طبعة دار الكتاب العربيّ ١٤٠٥ هـ.

٦٣. بهجة الآمال للعياري، دار المحاسن للطباعة القاهرة ١٣٨٦ هـ.

٦٤. البيان للسيد الخوئيّ، طبعة دار إحياء التّراث العربيّ بيروت ١٤٠٠ هـ.

٦٥. البيان في أخبار آخر الزّمان للحافظ الكنجيّ، مطبوع مع كفاية الطالب.

٦٦. البيان والتّبين عمرو بن بحر الجاحظ، طبعة دار الوعي سوريا ١٤٠٢ هـ.

٦٧. البيعة وولاية العهد والشّورىٰ في تعيين الخليفة للمؤلف (المخطوط).

حرف التّاء

٦٨. تأسيس الشّيعة لعلوم الإسلام للسيد حسن الصّدر، طبعة دار التّراث العربيّ.

٦٩. تأويل الآيات الظّاهرة في فضائل العترة الطاهرة، لعليّ الغرويّ الحسينيّ الاسترآبادي، طبعة دار الفكر، ودار الكتب العلمية.

٧٠. تأريخ ابن خلدون، لعبد الرّحمن بن خلدون، طبعة دار الكتاب العربيّ بيروت ١٤٢٠ هـ.

٧١. تأريخ ابن الورديّ، لعمر بن مظفّر الشّهير بابن الورديّ، طبعة دار المعرفة، ودار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٢ هـ.

٧٢. تأريخ أبي الفداء، (المختصر في أخبار البشر)، لعماد الدّين إسماعيل أبو الفداء، طبعة إدارة ترحاب السّنة ـ باكستان، المكتبة الإعدادية.

٧٣. تأريخ الإسلام، الدكتور حسن إبراهيم، طبعة دار الكتاب بيروت ١٤٠١ هـ.

٧٤. تأريخ الإسلام لشمس الدّين الذّهبيّ، طبعة حيد آباد الدكن ١٣٥٤ هـ.

٧٥. التّأريخ الإسلامي لمحمد شاكر، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٦ هـ.

٧٦. التّأريخ الإسلامي والحضارة الإسلاميّة لأحمد شلبيّ، طبعة القاهرة ١٤١٩.

٧٧. تأريخ بغداد لأحمد بن علي الخطيب البغداديّ، طبعة دار السّعادة مصر.

٧٨. تأريخ التّمدن الإسلامي لجرجي زيدان، طبعة المنشورات العلمية بيروت.

٧٩. تأريخ الخلفاء لجلال الدّين السّيوطيّ، طبعة دار السّعادة مصر ١٤١٦ هـ.

٨٠. تأريخ الخميس في أحوال أنفس نـفيس، لحسين بن محمّد بن الحسن الدّياربكريّ، طبعة دار الإستقامة مصر ١٤٠٢ هـ.

٨١. تأريخ دمشق (ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام)، لعليّ بن هبة الله المعروف بابن عساكر، طبعة دمشق.

٨٢. تأريخ الطبريّ (تأريخ الأُمم والملوك)، لمحمّد بن جرير الطبريّ، طبعة أُوربا، وطبعة الإستقامة مصر.

٨٣. التّأريخ الكبير لمحمّد بن إسماعيل البخاريّ، طبعة حيد آباد الدكن.

٨٤. تأريخ الكوفة لحسن البراقي، طبعة النّجف الأشرف ١٣٨٣ هـ، والطبعة الحيدرية.

٨٥. تأريخ المدينة للسّمهوديّ، توزيع المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٢ هـ.

٨٦. تأريخ اليعقوبيّ لأحمد بن إسحاق اليعقوبيّ، طبعة النّجف الأشرف ١٣٥٤ هـ.

٨٧. تجديد التّأريخ لعمر فروخ، طبعة دار البحث بيروت ١٤٠٣ هـ.

٨٨. تجريد الإعتقاد للشيخ الطوسيّ، طبعة النّجف الأشرف ١٣٥٦ هـ.

٨٩. تحف العقول عن آل الرّسول، لمحمّد الحسن بن علي بن شعبة الحرانيّ، طبعة دار إحياء التّراث العربيّ ١٤٠٦ هـ.

٩٠. تحفة الأحوذي للمباركفوريّ، طبعة دار الفكر العربيّ بيروت ١٤٠٢ هـ.

٩١. تذكرة الحفاظ، لشمس الدّين أبي عبدالله الذّهبيّ، طبعة حيدر آباد الدكن ١٣٨٧ هـ وطبعة دار إحياء التّراث العربيّ مكتبة الحرم المكيّ بمكّة المكرمة.

٩٢. تـــذكرة الخـــواص (تذكرة خواص الأُمة) ليوسف بن فرغلي بن عبد الله المعروف بسبط ابن الجوزيّ، طبعة النّجف الأشرف، وطبعة مصر.

٩٣. ترتيب كتاب العين للفراهيديّ، طبعة مؤسّسة النّشر الإسلامي بيروت ٩٤. تفسير ابن كثير لإسماعيل بن عمر بن كثير الدّمشقيّ، طبعة دار صادر.

٩٥. تفسير أبي السّعود، لمحمّد بن العماديّ، بهامش تفسير الرّازي، طبعة دار إحياء التّراث العربيّ.

٩٦. تفسير البرهان لهاشم بن سليمان البحرانيّ، طبعة دار الكتب الإسلاميّة ١٤٠٩ هـ وطبعة مؤسّسة إسماعيليان قم ١٣٣٤ هـ.

٩٧. تـفسير الثّـعلبي (الكشف والبيان في تفسير القرآن)، لأبي إسحاق الثّعلبي، طبع ونشر مكتبة الثّقافة بالمدينة المنورة ١٤٠٢ هـ.

٩٨. تفسير الجلالين لجلال الدّين السّيوطيّ والمحلّيّ، طبعة القاهرة ١٣٦٤ هـ.

٩٩. تفسير الحبري، توزيع رئاسة البحوث العلمية والافتاء والدعوة الرّياض.

١٠٠. التّفسير المنسوب للإمام الحسن العسكريّ، طبع ونشر مؤسّسة الإمام المهديّ.

١٠١. تفسير الخازن لعلاء الدّين الخازن الخطيب البغداديّ، طبعة مصر ١٤١٥ هـ.

١٠٢. تفسير الرّازي لفخر الدّين محمّد الرّازي، طبعة الحلبيّ مصر ١٤٠٢ هـ.

١٠٣. تفسير روح البيان لمحمّد بن عبد الله الآلوسي، طبعة دار إحياء التّراث.

١٠٤. تفسير الكاشف لمحمود بن عمر الزّمخشري، مطبعة التّجارية الكبرىٰ مصر.

١٠٥. تفسير شبر للسيد عبدالله شبر، طبعة النّجف الأشرف، وطبعة دار الكتب العربية.

١٠٦. تفسير الطبريّ (جامع البيان في تفسير القرآن)، لمحمّد بن جرير الطبريّ، طبعة بولاق مصر ١٣٥٦ هـ.

١٠٧. تفسير عبد الوهاب البخاريّ لجمال الدّين الشّيرازيّ، طبعة القاهرة ١٤٠٠ هـ

١٠٨. تفسير العياشيّ، لمحمّد بن مسعود السّلمي السّمرقنديّ المعروف بالعياشيّ، الطبعة الرّابعة بيروت دار الكتاب العربيّ ١٤٠٦ هـ.

١٠٩. تفسير فرات الكوفيّ، لأبي القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفيّ، طبعة دار الثّقافة الإسلاميّة بيروت ١٤٠٨ هـ.

١١٠. تفسير القرآن العظيم، (تفسير ابن كثير)، لإسماعيل بن عمر بن كثير البصريّ الدّمشقيّ، طبعة بيروت دار المعرفة ١٤٠٧ هـ وطبعة دار إحياء التّراث العربيّ.

١١١. تفسير القرطبيّ، (الجامع لأحكام القرآن)، لمحمّد بن أحمد القرطبيّ، طبعة الفجالة القديمة مصر.

١١٢. تفسير القميّ، لعليّ بن إبراهيم بن هاشم القميّ، طبعة دار صادر بيروت ١٤٠١ هـ وطبعة النّجف الأشرف.

١١٣. تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، طبعة القاهرة ١٤٠٠ هـ وطبعة بيروت ١٤٠٥ هـ.

١١٤. تفسير الميزان للعلاّمة الطباطبائيّ، طبعة دار إحياء التّراث بيروت ١٤٠٠ هـ

١١٥. تفسير النّيسابوريّ المطبوع بهامش تفسير الطبريّ، للحسن القميّ، طبعة مصر.

١١٦. تقريب المعارف للجليي، طبعة دار إحياء التّراث العربيّ بيروت ١٤٠٣ هـ.

١١٧. تلخيص الشّافي للشيخ الطوسيّ، طبعة دار الكتاب العربيّ بيروت ١٤٠٥ هـ.

١١٨. تلخيص المحصل لنصير الدّين الطوسيّ، طبعة دار المعرفة بيروت ١٤١٣ هـ.

١١٩. تلخيص الّتمهيد للباقلاني، طبعة دار إحياء التّراث العربيّ ١٤٠٤ هـ.

١٢٠. تنبيه الخواطر ونزهة النّواظر، لورام بن أبي فراس، مطبعة سعيد مشهد ١٤٠٤ هـ.

١٢١. التّنبيه والإشراف للمسعوديّ، تصوير دار الكتاب العربيّ بيروت ١٤٠٣ هـ.

١٢٢. تنقيح المقال في علم الرّجال لعبد الله بن محمّد حسن المامقانيّ، طبعة دار الكتاب العربيّ بيروت ١٤٠٢ هـ.

١٢٣. التّهذيب لمحمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسيّ، طبعة دار الكتاب العربيّ والمعرفة بيروت ١٤١٩ هـ.

١٢٤. تهذيب تأريخ دمشق الكبير، لعليّ بن الحسين بن هبة الله المعروف بابن عساكر، الطبعة المنيرية بمصر ١٤٠١ هـ.

١٢٥. تهذيب الكمال في اسماء الرّجال، ليونس بن عبد الرّحمن المزي، مؤسّسة الرّسالة بيروت ١٤٠٩ هـ.

١٢٦. تيسير الوصول للشيباني، المطبعة التّجارية الكبرىٰ بمصر ١٣٥٦ هـ.

حرف الثّاء

١٢٧. الثّائر الحميري للدكتور مصطفىٰ غالب، طبعة دار إحياء الأدب العربيّ.

١٢٨. الثّقات لمحمد بن حبان البستي التّميميّ، طبعة دائرة المعارف العثمانية الهند ١٣٦٩ هـ.

حرف الجيم

١٢٩. جامع الأحاديث لجعفر بن أحمد بن علي القميّ المعروف بابن الرّازي، طبعة إحياء التّراث العربيّ ١٤٠٩ هـ.

١٣٠. جامع الأخبار للإصفاني طبعة بيروت دار ابن كثير ١٣٩٨ هـ.

١٣١. جامع الأُصول في أحاديث الرّسول، لمجد الدّين المبارك بن الأثير الجزي، طبعة الفجالة مصر ١٤٠٦ هـ.

١٣٢. جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، ليوسف بن عبد البر، النّمري القرطبيّ، طبعة دار إحياء التّراث العربيّ ١٤١٢ هـ.

١٣٣. جامع الرّواة للإربلي لمحمّد بن علي الأردبيلي، طبعة المحمدي طهران.

١٣٤. الجامع الصّغير لعبد الرّحمن السّيوطيّ، طبعة دار الكتب العربية بيروت ١٤٠٦ هـ.

١٣٥. الجامع الكبير، لعبد الرّحمن السّيوطيّ، مطبعة الطباعة العامرة مصر ١٣٦٨ هـ.

١٣٦. الجامع لأحكام القرآن لأحمد بن أبي فرح القرطبيّ، طبعة دار الكتب المصرية ١٣٨٩ هـ.

١٣٧. جامع المقاصد في شرح القواعد لعليّ بن الحسن الكركي، طبعة مؤسّسة آل البيت عليهم السلام ١٤٠٨ هـ.

١٣٨. الجذور التّأريخية لأزمة الحرية، الدكتور حسن حنفي، طبعة دار إحياء التّراث العربيّ ١٤٠٠ هـ.

١٣٩. الجرح والتّعديل لمحمّد بن إدريس بن منذر الرّازي، طبعة حيد آباد الدكن ١٤٠٦ هـ وطبعة دار إحياء التّراث العربيّ بيروت ١٣٧١ هـ.

١٤٠. الجمل والنّصرة لسيد العترة في حرب البصرة، لمحمّد بن النّعمان العكبريّ البغداديّ المعروف بالشيخ المفيد، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣ هـ.

١٤١. جمهرة أنساب العرب لابن حزم، طبعة دار الكتب الحديثة القاهرة ١٤٠٢ هـ.

١٤٢. جامع الجوامع لأمين الدّين علي الطبرسيّ، طبع ونشر دار إحياء التّراث العربيّ بيروت ١٣٧١ هـ.

١٤٣. جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، للشيخ محمّد حسن النّجفيّ، طبعة مؤسّسة الرّسالة بيروت ١٣٦٨ هـ.

١٤٤. جوهرة العقدين للزرندي الحنفيّ، مطبعة المثنىٰ بغداد ١٤٠٠ هـ.

حرف الحاء

١٤٥. حاشية الباجوردي على شرح الغزي، على متن الشيخ أبي شجاع، منشورات المكتب العالمي للتأليف والترجمة، دار مكتبة الحياة بيروت ١٣٨١ هـ.

١٤٦. حاشية البجيرمي على شرح النهج لمحمد علي البجيرمي، المطبعة الهندية العربية مصر ١٣١٣ هـ.

١٤٧. حاشية ردّ المختار على الدر المختار لابن عابدين، المطبع المصطفائي، لكهنو.

١٤٨. حجّة الله البالغة لأحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الشّاه ولي الله الدهلوي، الهندي المطبعة الخيرية ١٣٢٢ هـ، وطبعة القاهرة ١٣٥٥ هـ.

١٤٩. حقّ اليقين عبدالله شبر، طبعة دار إحياء التّراث العربيّ بيروت ١٣٩٨ هـ.

١٥٠. الحكم الإسلامي للقرضاوي، طبعة دار الكتاب العربيّ بيروت ١٤٠٦ هـ.

١٥١. الحكومة الإسلاميّة للإمام الخمينيّ، طبعة النّجف الأشرف ١٣٩٥ هـ.

١٥٢. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأحمد بن عبد الله الإصبهانيّ، طبعة دار الكتاب العربيّ بيروت ١٤٠٥ هـ.

١٥٣. حياة الإمام الحسن عليه السلام للقرشي، طبعة دار الكتاب العربيّ بيروت ١٤٠٨ هـ.

حرف الخاء

١٥٤. الخصائص لابن البطريق، طبعة الهيئة المصرية للتأليف والنّشر القاهرة ١٤٠٢ هـ.

١٥٥. الخصائص العلوية لأحمد بن محمّد النّطنزي، طبعة دار الفكر ١٤٠٨ هـ.

١٥٦. خصائص النّسائي لأبي عبد الرّحمن أحمد بن شعيب النّسائي، طبعة دار الكتاب العربيّ بيروت ١٤٠٢ هـ.

١٥٧. الخصائص لجلال الدّين السّيوطيّ، طبعة الهيئة المصرية القاهرة ١٤٠٦ هـ.

١٥٨. الخصال لمحمّد بن علي بن الحسين المعروف بالشيخ الصّدوق، تصوير دار صادر بيروت، بدون تأريخ وطبعة الأعلمي بيروت ١٤١٠ هـ.

١٥٩. خلاصة التّشريع الإسلامي لعبد الوهاب خلاف، طبعة الرّباط بالمغرب الأقصىٰ ١٤٠٣ هـ

١٦٠. الخلفاء الرّاشدون لطه حسين، طبعة دار الفكر العربيّ بيروت ١٤٠٥ هـ.

حرف الدال

١٦١. الدر المنثور في التّفسير المأثور، لجلال الدّين السّيوطيّ، المطبعة الإسلاميّة بالأُفست طهران ١٣٧٧ هـ.

١٦٢. دُرر الأحاديث النّبوية، ليحيىٰ بن الحسين، طبعة مؤسّسة الأعلمي بيروت ١٤٠٢ هـ.

١٦٣. الدراية للشهيد الثّاني، طبعة القدسي بيروت ١٤٠٦ هـ

١٦٤. الدرجات الرّفيعة لعليّ خان الشّيرازيّ المدني، منشورات العرفان مطبعة السّاحل الجنوبي لبنان ١٤٠٩ هـ.

١٦٥. الدروس للشهيد الثّاني، نشر المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلاميّة دار النّصر للطباعة ١٣٨٩ هـ.

١٦٦. دعائم الإسلام للقاضي النّعمان، طبعة حيد آباد الدكن ١٤٠٥ هـ.

١٦٧. دلائل الصّدق للشيخ محمّد حسن المظفر، طبعة إحياء التّراث العربيّ ١٤٠٩ هـ

١٦٨. دلائل النّبوّة لأحمد بن الحسين البيهقيّ، طبعة حيد آباد الدكن ١٤٠٢ هـ.

١٦٩. دول الشّيعة في التّأريخ لمحمّد جواد مغنية، طبعة دار الكتاب العربيّ بيروت ١٤٠١ هـ

١٧٠. الديمقراطية وحقوق الإنسان في الوطن العربيّ، الدكتور عبد العزيز الدوري طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٠ هـ.

حرف الذال

١٧١. ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربىٰ، لأحمد بن عبدالله الشّهير بالطبري، نشره حسام الدّين القدسي بالقاهرة ١٣٥٦ هـ

حرف الرّاء

١٧٢. رئاسة الدولة للدكتور رأفت عثمان، طبعة دار الفكر العربيّ بيروت ١٤٠٦ هـ.

١٧٣. رجال ابن داود، الحسن بن علي بن داود الحليّ، طبع المكتبة السّلفية بالمدينة المنورة ١٤٠٢ هـ.

١٧٤. رجال الكشي، (أختيار معرفة الرّجال)، طبعة دار الكتاب العربيّ بيروت ١٤٠٩ هـ.

١٧٥. رجال المامقانيّ، طبعة النّجف الأشرف، وطبعة الحيدرية ١٣٩٨ هـ.

١٧٦. رجال النّجاشي، لأحمد بن علي بن أحمد النّجاشي، طبعة دار الفكر ودار صادر بيروت ١٤٠٥ هـ.

١٧٧. رسائل ابن حزم الظّاهري، طبعة المكتبة السّلفية بالمدينة المنورة ١٣٨٩ هـ.

١٧٨. رسائل الجاحظ، رساله النّابتة لعمر بن بحر الجاحظ، طبعة دار ومكتبة الهلال، وطبعة مكتبة الخانكي القاهرة ١٤٠٦ هـ.

١٧٩. الرّسالة الإسلاميّة للإمام الخمينيّ، طبعة قم المقدسة ١٤٠٠ هـ.

١٨٠. روضات الجنات لمحمّد باقر الخوانساريّ، طبعة إسماعيليان قم المقدسة.

١٨١. الرّوض الأزهر، طبعة حيدر آباد الدكن، وطبعة أُفست دار صادر بيروت ١٤٠٠ هـ

١٨٢. الرّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لعبد الرّحمن السّهيلي، طبع شركة الطباعة الفنية المتحدة مصر ١٣٩١ هـ

١٨٣. روضة الواعظين لمحمّد بن فتال النّيسابوريّ، طبعة بيروت ١٤٠٢ هـ.

١٨٤. الرّياض النّضرة لمحب الدّين أحمد بن عبد الله الطبريّ الشّافعيّ، طبعة الخانكي مصر ١٤٠٣ هـ.

حرف الزّاي

١٨٥. زيد الشّهيد للسيد عبد الرّزاق المقرم، طبعة النّجف الأشرف ١٣٨٦ هـ.

١٨٦. زين الفتىٰ أحمد العاصمي، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣ هـ.

حرف السّين

١٨٧. سر العالمين لمحمّد بن محمّد الغزاليّ، طبعة عالم الكتب بيروت ١٤٠٣ هـ.

١٨٨. السّراج المنير للشيخ علي العزيزيّ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٣٦٨ هـ.

١٨٩. سعد السّعود لعليّ بن طاووس الحليّ، طبعة دار الحديث حمص ١٣٨٨ هـ.

١٩٠. سفينة البحار للشيخ عباس القميّ، طبعة النّجف الأشرف ١٣٦٥ هـ.

١٩١. السّقيفة لأبي بكر الجوهري، طبعة القاهرة وطبعة الفجالة القديمة ١٣٦٨ هـ.

١٩٢. سمط النّجوم العوالي لعبد الملك العاصمي المكيّ، طبعة المكتبة السّلفية القاهرة دار الكتب العلمية ١٣٨٦ هـ.

١٩٣. سنن ابن ماجة لمحمّد بن يزيد القزويني، نشر دار الفكر ١٣٧١ هـ.

١٩٤. سنن أبي داود، أشعث السّجستاني الأزديّ، طبعة دار الحديث حمص وطبعة مصطفىٰ البابي مصر ١٣٩١ هـ.

١٩٥. سنن البيهقيّ لأحمد بن الحسين بن علي، طبعة دار الكتب العلمية ١٤١٤ هـ.

١٩٦. سنن التّرمذيّ لمحمّد بن عيسىٰ التّرمذيّ، طبعة بولاق مصر ١٣٦٥ هـ.

١٩٧. سنن الدّارميّ لعبد الله بن عبد الرّحمن الدّارميّ طبعة الإعتدال دمشق ١٤١٩ هـ.

١٩٨. سير أعلام النّبلاء لشمس الدّين محمّد الذّهبيّ، طبعة الرّسالة بيروت ١٤٠٠ هـ.

١٩٩. السّيرة الحلبية لعليّ بن برهان الدّين الحلبيّ، طبعة دار الكتاب العربيّ ١٤٠٨ هـ.

٢٠٠. سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزيّ، طبعة دار الكتاب العربيّ بيروت ١٤٠٦ هـ.

٢٠١. السّيرة النّبوية لأبي محمّد عبدالملك بن هشام، طبعة بيروت ١٤٠٢ هـ.

٢٠٢. السّيرة النّبوية لابن كثير، طبعة دار الفكر ودار صادر بيروت ١٤٠٩ هـ.

٢٠٣. السّيرة النّبوية بهامش السّيرة الحلبية لأحمد زيني دحلان، طبعة دار الكتاب العربيّ ١٤٠٨ هـ.

حرف الشّين

٢٠٤. الشّافعيّ ـ حياته وعصره ـ لمحّمد أبو زهرة، طبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد ١٤٠٩ هـ

٢٠٥. الشّافي في الإمامة لعليّ بن الحسين الشّريف المرتضىٰ، الموسوي، طبعة النّجف الأشرف ١٣٥٦ هـ

٢٠٦. شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح المعروف بابن العماد طبعة بيروت ودمشق ١٤٠٩ هـ.

٢٠٧. شرح الأُصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزليّ، مطبعة التّقدم مصر ١٣٢٣ هـ.

٢٠٨. شرح تجريد الإعتقاد للعلامة الحليّ والقوشجيّ، طبعة دار الكتاب العربيّ ١٤٠٩ هـ.

٢٠٩. شرح الجامع الصّغير لجلال الدّين السّيوطيّ، طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠١ هـ.

٢١٠. شرح ديوان أمير المؤمنين للميبدي، طبعة الأعلمي بيروت ١٤١٦ هـ.

٢١١. شرح العقائد النّسفية للسعد مسعود بن عمر التفتازاني، طبعة دار الكتاب العربيّ بيروت ١٤٠٣ هـ.

٢١٢. شرح القسطلانيّ علىٰ صحيح البخاريّ لمحمّد بن إسماعيل البخاريّ، المطبعة الخيرية مصر ١٣٦٥ هـ.

٢١٣. شرح القواعد للعلامة الحلّي، المطبعة العربية الهندية ١٣٩٨ هـ.

٢١٤. الشّرح الكبير للدّرديريّ، مطبعة رجب وأولاده بغداد ١٣٥٨ هـ.

٢١٥. شرح المقاصد لعمر بن مسعود بن عبد الله التّفتازانيّ، طبعة بيروت ١٤١٠ هـ

٢١٦. شرح المواقف لعلي بن محمّد الجرجانيّ، مطبعة الفجالة الجديدة بمصر ١٤٠٣ هـ ومطبعة السعادة بمصر ١٣٢٥ هـ.

٢١٧. شرح المواهب للزّرقانيّ، مطبعة الفجالة الجديدة بمصر ١٤١٠ هـ.

٢١٨. شرح ميمية أبي فراس، لأبي فراس الحمدانيّ، تحقيق محمّد علي، طبعة بيروت ١٤٠٦ هـ

٢١٩. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزليّ، طبعة بيروت ١٣٧٥ هـ.

٢٢٠. شرح نهج البلاغة للشيخ محمّد عبده، طبعة دار الكتاب العربيّ ١٤٠٦ هـ.

٢٢١. شرح نهج البلاغة للخوئيّ، طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٦ هـ.

٢٢٢. شواهد التّنزيل لقواعد التّفضيل لعبيدالله بن عبدالله النّيسابوريّ المعروف بالحاكم الحسكانيّ، مؤسّسة الطبع والنّشر طهران ١٤١١ هـ.

٢٢٣. الشّيعة في الميزان للشيخ محمّد جواد مغنية، طبعة دار الكتاب العربيّ بيروت ١٤٠٠ هـ.

حرف الصّاد

٢٢٤. صحيح البخاريّ لمحمّد بن إسماعيل البخاريّ، طبعة دار إحياء الكتب بيروت، وطبعة، محمّد علي، وطبعة المعاهد، وطبعة اسطنبول، وطبعة بمبئي.

٢٢٥. صحيح التّرمذيّ لعيسىٰ بن سورة التّرمذيّ، مطبعة المكتبة السّلفية بالمدينة المنورة.

٢٢٦. صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النّيسابوريّ، طبعة مصر، وعيسىٰ الحلبيّ القاهره ١٣٥٩ هـ.

٢٢٧. الصّراط المستقيم إلىٰ مستحقّي التّقديم لزين الدّين علي بن يونس النّباطي البياضي، طبعة دار إحياء التّراث العربيّ بيروت ١٤٠٦ هـ.

٢٢٨. صفة الصّفوة لأبي الفرج جمال الدّين عبد الرّحمن بن علي بن محمّد المعروف بابن الجوزيّ، طبعة دار الفكر بيروت ١٤١٣ هـ.

٢٢٩. الصّلة بين التّصوف والتّشيع الدكتور الشّيبي، طبعة بيروت ١٤٠٦ هـ.

٢٣٠. صلح الإمام الحسن عليه السلام لمحمّد جواد فضل الله، طبعة دار الفكر العربيّ بيروت ١٤١١ هـ.

٢٣١. الصّواعق المحرقة في الرد علىٰ أهل البدع والزندقة لأحمد بن حجر الهيثميّ، الطبعة المحمدية بمصر ١٣٦٩ هـ

حرف الضّاد

٢٣٢. ضحي الإسلام للدكتور أحمد أمين المصريّ، طبعة دار الكتاب العربيّ بيروت ١٤٠٩ هـ.

حرف الطاء

٢٣٣. طبقات سلاطين الإسلام لاستانلي لين بول، طبعة دار الفكر بيروت ١٤١٣ هـ.

٢٣٤. الطبقات الكبرىٰ لمحمّد بن سعد الواقديّ، طبعة أُوربا، ودار صادر بيروت ١٣٥٤ هـ.

٢٣٥. طبقات المعتزلة لأحمد بن يحيىٰ بن مرتضىٰ الصّنعانيّ، طبعة بيروت ١٤٠٥ هـ.

٢٣٦. الطرئف للسيد علي بن طاووس الحليّ، طبعة الحيدرية النّجف الأشرف ١٣٦٩ هـ.

حرف العين

٢٣٧. عبدالله بن سبأ للسيد مرتضىٰ العسكريّ، طبعة دار الملايين بيروت ١٤٠٦ هـ

٢٣٨. عبقرية علىّ بن أبي طالب لعباس محمود العقاد، طبعة المنيرية القاهرة.

٢٣٩. عبقرية عمربن الخطاب للعباس محمود العقاد، طبعة إحياء التّراث العربيّ بيروت ١٤٠٣ هـ.

٢٤٠. عقائد الإمامية للشيخ محمر رضا المظفر، طبعة النّجف الأشرف ١٣٩٦ هـ.

٢٤١. عقد الدرر الشّافعيّ، طبعة حيد آباد الهند ١٤٠٢ هـ ومطبعة الأنوار القاهرة.

٢٤٢. العقد الفريد أحمد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسي، طبعة دار الأندلس ١٤٠٨ هـ.

٢٤٣. عقيدة الشّيعة الإمامية لهاشم معروف الحسني، طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٢ هـ.

٢٤٤. علل الشّرايع لمحمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ المعروف بالشيخ الصّدوق، طبعة النّجف الأشرف المطبعة الحيدرية ١٣٥٧ هـ.

٢٤٥. علي والحاكمون للدكتور محمّد الصّادقي، طبعة دار الملايين بيروت ١٤٠٩ هـ.

٢٤٦. عمدة القاريّ لمحمود بن أحمد العيني، المطبعة المنيرية بالقاهرة ١٣٥٨ هـ.

٢٤٧. عوائد الأيام في بيان قواعد الأحكام للشيخ أحمد النّراقي، الطبعة الحجرية مكتبة بصيرتي.

٢٤٨. العواصم والقواصم للقاضي المالكي، طبعة دار إحياء التّراث الإسلامي بيروت ١٤٠٩ هـ.

٢٤٩. عوالي الآلي العزيزية في الأحاديث الدينية، لمحمّد بن علي بن إبراهيم الأحسائي المعروف بابن أبي جمهور، مطبعة سيد الشّهداء قم ١٤٠٣ هـ.

٢٥٠. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لمحمّد بن عبد الله بن يحيىٰ المشهور بسيد النّاس، طبعة تصوير دار المعرفة ١٤٠١ هـ.

٢٥١. عيون أخبار الرّضا عليه السلام لمحمّد بن علي بن الحسين بن بابويه المعروف بالصّدوق، طبعة دار إحياء الكتب العلمية بيروت ١٤٠٢ هـ.

حرف الغين

٢٥٢. غاية الإختصار المنسوب لابن زهرة، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨ هـ.

٢٥٣. غاية المرام للسيد هاشم البحرانيّ، طبعة طهران ناصر خسرو، بدون تأريخ.

٢٥٤. الغدير في الكتاب والسّنة والأدب لعبد الحسين أحمد الأميني، طبعة دار إحياء الكتب العلمية بيروت ١٤٠٢ هـ.

٢٥٥. غرو الحكم ودرر الكلم، لعبد الواحد الآمدي التّميميّ، طبعة دار الأضواء وأُفست علىٰ المطبعة الحيدرية النّجف الأشرف ١٣٥٩ هـ.

٢٥٦. موقف أهل البيت عليهم السلام واتباعهم من الغلو والغلاة للمؤلف.

٢٥٧. الغيبة لمحمّد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسيّ، طبع مطبعة حبيب الرّحمن الأعلمي ١٣٩٥ هـ.

٢٥٨. الغيبة لمحمّد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب النّعماني، طبعة المكتبة العربية بيروت ١٤٠٥ هـ.

حرف الفاء

٢٥٩. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** لأحمد بن علي بن محمّد بن حجر العسقلانيّ المعروف بابن حجر، طبعة البابي الحلبيّ القاهرة ١٣٥٧ هـ.

٢٦٠. **فتح البيان في مقاصد القرآن** لصديق حسن خان، طبعة حيدر آباد الدكن.

٢٦١. **الفتح الرّباني** لعبد القادر الجيلانيّ، طبعة المكتبة السّلفية السّعودية ١٤٠٩ هـ

٢٦٢. **فتح القدير** لمحمّد بن علي الشّوكانيّ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٦ هـ.

٢٦٣. **فتوح البلدان** لأحمد بن يحيىٰ بن جابر البغدادي البلاذريّ، طبعة حيدر آباد الدكن ١٤٠٥ هـ.

٢٦٤. **الفتوح** لأبي محمّد أحمد بن أعثم الكوفي، طبعة إدارة الطباعة المنيرية مصر ١٤٠٢ هـ وطبعة دار الكتب العلمية بيروت.

٢٦٥. **الفتوحات الإسلامية** للدكتور علي السّالم، طبعة جامعة بغداد ١٤١٠ هـ.

٢٦٦. **فجر الإسلام** الدكتور أحمد أمين المصريّ، طبعة دار الكتاب العربيّ بيروت ١٤٠٥ هـ.

٢٦٧. **فرائد السّمطين في فضائل المرتضىٰ والبتول والسّبطين** للحمويني، طبعة مؤسّسة المحمودي بيروت ١٤٠٨هـ.

٢٦٨. **الفردوس بمأثور الخطاب** لأبي شجاع شيرويه الديلمي الهمداني، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٩ هـ.

٢٦٩. **الفَرْق بين الفُرِق** لعبد القاهر بن طاهر بن محمّد البغداديّ،الإسفرائيني، طبعة دار الكتاب العربيّ بيروت ١٤٠٦ هـ.

٢٧٠. **فروع الكافي** للشيخ محمّد بن يعقوب الكلينيّ، طبعة دار الكتب الإسلامية ١٣٨٩ هـ.

٢٧١. **الفصل في الملل والأهواء والنّحل** لعلي بن أحمد بن حزم الظّاهري، طبعة حيدر آباد الدكن ١٣٩٥ هـ.

٢٧٢. **الفصول المختارة من العيون والمحاسن** لمحمّد بن النّعمان المفيد، طبعة مكتبة الداوري قم المقدسة

١٤٠٢ هـ.

٢٧٣. **الفصول المهمة في معرفة الأئمّة**، لعليّ بن محمّد المعروف بابن الصّباغ المالكي، طبعة النّجف الأشرف ١٣٥٨ هـ.

٢٧٤. **الفضائل لابن شاذان**، لسديد الدّين شاذان بن جبريل بن إسماعيل، طبعة دار الكتاب العربيّ بيروت ١٤٠٦ هـ.

٢٧٥. **فضائل الخمسة** للفيروز آبادي، طبعة دار صادر بيروت ١٤٠٠ هـ.

٢٧٦. **فضائل الصّحابة** لأحمد بن محمّد حنبل الشّيبانيّ، طبعة جامعة أُم القرىٰ السّعودية وطبعة دار العلم ١٤٠٣ هـ.

٢٧٧. **الفقه الأكبر** للإمام أبي حنيفة، طبعة دار الكتاب العربيّ بيروت ١٤٠٢ هـ.

٢٧٨. **فقه الرّضا المنسوب للإمام الرّضا**عليه السلام، تحقيق مؤسّسة آل البيت عليهم السّلام طبع المؤتمر العالمي للإمام الرّضا٧ مشهد ١٤٠٦ هـ.

٢٧٩. **الفقيه (من لا يحضره الفقيه)** لمحمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ المعروف بالشيخ الصّدوق، طبعة مؤسّسة النّشر الإسلامي قم.

٢٨٠. **الفهرست** لمحمّد بن إسحاق الملقب بابن النّديم الوراق، نشر دار قطري بن الفجاءة الدوحة قطر ١٩٨٥ م.

٢٨١. **فوات الوفيات** لمحمّد بن شاكر الكتبي، طبعة دار صادر بيروت ١٤٠٣ هـ.

٢٨٢. **في رحاب أهل البيت**عليهم السلام للسيد محسن الأمين العامليّ، طبعة بيروت ١٤٠٩ هـ.

٢٨٣. **فيض القدير** لعبد الرّؤوف المناويّ، المطبعة المنيرية القاهرة ١٣٤٨ هـ.

حرف القاف

٢٨٤. **قاموس الرّجال في تحقيق رواة الشّيعة ومحدثيهم**، لمحمّد تقي التّستري، طبعة دار إحياء التّراث

العربيّ بيروت ١٤٠٨ هـ.

٢٨٥. القاموس المحيط للفيروز آبادي، طبعة مؤسّسة الوفاء بيروت ١٤٠٠ هـ.

٢٨٦. قرب الإسناد لعبدالله بن جعفر الحميري القميّ، طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٦ هـ.

حرف الكاف

٢٨٧. الكافي لمحمّد بن يعقوب الكلينيّ الرّازي، طبعة دار الكتب الإسلامية طهران ١٣٨٩ هـ.

٢٨٨. الكامل للمبرد، طبعة دار الكتاب العربيّ بيروت ١٤١٠ هـ.

٢٨٩. الكامل في التّأريخ لعليّ بن محمّد الشّيبانيّ الموصليّ المعروف بابن الأثير طبعة دار إحياء التّراث العربيّ بيروت ١٤٠٨ هـ.

٢٩٠. كتاب سليم بن قيس الهلاليّ العامريّ، طبعة دار الكتاب العربيّ بيروت ١٤١٦ هـ.

٢٩١. كشف الخفاء ومزيل الإلباس لإسماعيل بن محمّد العجلونيّ، طبعة الفجالة الجديدة بمصر ١٤٠٦ هـ

٢٩٢. كشف الغمة في معرفة الأئمّة لعليّ بن عيسىٰ الإربليّ، طبعة تبريز بدون تأريخ وطبعة دار الكتاب الإسلامي بيروت ١٤٠١ هـ.

٢٩٣. كشف القناع علىٰ متن الإقناع، طبعة دار الكتاب العربيّ ١٤٠٥ هـ.

٢٩٤. الكشف والبيان للثعلبيّ، طبعة حيد آباد الدكن ١٣٥٨ هـ.

٢٩٥. كشف اليقين للعلامة الحلّي، طبعة دار الملايين بيروت ١٤٠٥ هـ.

٢٩٦. كفاية الأثر لعليّ بن محمّد الرّازي القميّ، طبعة بيدار قم المقدسة.

٢٩٧. كفاية الطالب لمحمّد بن يوسف الكنجيّ الشّافعيّ، طبعة النّجف الأشرف.

٢٩٨. كمال الدّين وتمام النّعمة لمحمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ المعروف بالشيخ الصّدوق، طبعة دار الكتاب الإسلامي بيروت ١٤٠٨ هـ.

٢٩٩. كنزالعمّال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدّين علي المتقي الهنديّ، طبعة مؤسّسة الرّسالة بيروت ١٤٠٥ هـ.

٣٠٠. كنز الفوائد لمحمّد بن علي الكراجكيّ الطرابلسيّ، طبعة دار الذخائر قم المقدسة ١٤١٦ هـ.

٣٠١. كنوز الحقائق لعبد الرّؤوف المناويّ، طبعة بولاق مصر العربية ١٣٥٨ هـ.

حرف اللاّم

٣٠٢. لسان العرب لجمال الدّين محمّد بن مكرم بن منظور المصريّ، طبع ونشر أدب الحوزة، وطبعة إحياء التّراث العربيّ بيروت ١٤١٠ هـ.

حرف الميم

٣٠٣. مآثر الأنافة في معالم الخلافة لأحمد بن عبد الله القلقشنديّ، طبعة بيروت ١٤٠٥ هـ وطبعة عالم الكتب بيروت ..

٣٠٤. مانزل من القرآن في عليّ بن أبي طالب لابن بكر الفارسيّ، طبعة بيروت ١٤٠٠ هـ.

٣٠٥. مباني تكملة المنهاج للسيد الخوئيّ، طبعة دار الملايين بيروت ١٤٠٠ هـ.

٣٠٦. المبسوط في فقه الإمامية لمحمّد بن الحسن المعروف بالطوسيّ، طبعة بيروت ١٤٠٥ هـ.

٣٠٧. مثير الأحزان لابن نما الطباطبائيّ، طبعة دار إحياء التّراث العربيّ ١٤٠٦ هـ

٣٠٨. مجلة الثّقلين العدد ـ ٢٥ ـ السّنه السّابعة

٣٠٩. مجمع البيان للفضل بن الحسن الطبرسيّ، طبعة العرفان صيدا بيروت ١٤٠٥ هـ.

٣١٠. مجمع الزّوائد لعليّ بن أحمد بن أبي بكر الهيثميّ، طبعة المقدسيّ القاهرة ١٣٥٩ هـ.

٣١١. المحاسن والأضداد لعمرو بن بحر الجاحظ، طبعة بيروت ودار الفكر العربيّ بيروت ١٤٠٠ هـ.

٣١٢. المحاسن والمساوي لإبراهيم بن أحمد البيهقيّ، طبعة دار صادر بيروت ١٣٩٠ هـ.

٣١٣. محاضرات الرّاغب الإصبهانيّ، طبعة دار الفكر العربيّ ١٤٠٩ هـ.

٣١٤. مختارات الصّحاح للرازيّ، طبعة دار إحياء التّراث الإسلامي بيروت ١٤٠٢ هـ.

٣١٥. المختصر لجعفر الحلّي، طبعة مؤسّسة الوفاء بيروت ١٤٠٦ هـ.

٣١٦. المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء، طبعة الفجالة الجديدة القاهرة ١٣٨٩ هـ.

٣١٧. مرآة الجنان لليافعيّ، طبعة المؤسّسة العربية للدراسات والنّشر بيروت ١٤١٩ هـ.

٣١٨. مرآة العقول لمحمّد باقر المجلسيّ، طبعة دار إحياء التّراث الإسلامي.

٣١٩. المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين العامليّ، طبعة دار الفكر بيروت ١٣٨٩ هـ.

٣٢٠. المراسم لسلاّر ـ ضمن الجوامع الفقهية، طبعة دار إحياء التّراث العربيّ بيروت ١٤١٣ هـ.

٣٢١. مراصد الإطلاع لصفي الدّين البغداديّ، طبعة محمّد مصطفى حلمي القاهرة. ٣٢٢. المرقاة في شرح المشكاة لمحمّد علي القاريّ الهرويّ، طبعة حيدر آباد.

٣٢٣. مروج الذهب ومعادن الجوهر لعليّ بن الحسين المسعوديّ، طبعة المكتبه التّجارية بيروت.

٣٢٤. مسالك الإفهام للشهيد الثّاني، الطبعة الحيدرية النّجف الأشرف ١٣٢٥ هـ.

٣٢٥. المسامرة في شرح المسيارة لكمال الدّين بن همام بن أبي الشريف، طبعة إحياء التّراث بيروت ١٤١٩ هـ وطبعة بولاق ١٣١٧ هـ.

٣٢٦. المستدرك على الصّحيحين في الحديث لمحمّد بن عبد الله المعروف بالحاكم النّيسابوريّ، طبعة حيدر آباد الدكن.

٣٢٧. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل للشيخ الميرزا حسين النّوريّ، طبعة طهران ناصر خسرو.

٣٢٨. المسترشد في الإمامة لمحمّد بن جرير بن رستم الطبريّ، طبعة مؤسّسة الثّقافة الإسلامية لكوشانبور ١٤١٥ هـ.

٣٢٩. مسند أبي يعلى الموصليّ لأحمد بن علي المثنى التّميميّ، طبعة دار القبلة جدّة ١٤٠٨ هـ.

٣٣٠. مسند أحمد لأحمد بن محمّد بن حنبل الشّيبانيّ، طبعة دار الفكر بيروت ١٤١٤ هـ.

٣٣١. مسند الإمام زيد بن علي زين العابدين، جمع علي بن سالم الصّنعانيّ، طبعة دار الصّحابة ١٤١٢ هـ.

٣٣٢. مسند الطيالسي لسليمان بن داود بن الجارود البصريّ، طبعة دار المعرفة بيروت.

٣٣٣. مشكاة المصابيح للخطيب التّبريزي، طبعة دهلي وطبعة المكتبة الإسلامية لاهور ١٣٦٨ هـ.

٣٣٤. مشكل الآثار لأبي جعفر أحمد بن محمّد الأزديّ الحجريّ الطحاويّ، طبعة دار صادر بيروت.

٣٣٥. مصابيح السّنّة لمحمّد بن الحسين بن مسعود الفرّاء البغويّ، طبعة دار المعرفة بيروت ١٤٠٧ هـ.

٣٣٦. المصباح المنير للفيوميّ، طبعة دارالفكر العربيّ بيروت ١٤٠٦ هـ.

٣٣٧. المصنّف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر عبدالله بن محمّد بن أبي شيبة، طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٣ هـ.

٣٣٨. مطالب السّؤول في مناقب آل الرّسول لكمال الدّين محمّد بن طلحة الشّافعيّ، طبعة النّجف الأشرف ١٣٦٩ هـ

٣٣٩. المطالب العالية لابن حجر العسقلانيّ، طبعة الفجالة الجديدة مصر ١٣٥٨ هـ

٣٤٠. المعارف لعبد الله بن مسلم المعروف بابن قتيبة الدّينوريّ، طبعة صبحي محمّد علي مصر ١٣٢٨ هـ ومنشورات الشّريف الرّضي قم ١٤١٥ هـ.

٣٤١. معالم التّنزيل لمحمّد الحسين بن مسعود الفرّاء البغويّ، طبعة دار الحرمين القاهرة ١٤١٥ هـ.

٣٤٢. معالم الحكومة الإسلامية للشيخ جعفر الهاديّ، طبعة الجامعة الإسلامية قم

٣٤٣. معالم المدرستين للسيد مرتضىٰ العسكريّ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥ هـ.

٣٤٤. معاني الأخبار لأبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه المعروف بالصّدوق، طبعة مؤسّسة النّشر الإسلامي قم ١٣٦١ هـ ق.

٣٤٥. المعجم الأوسط لأبي القاسم سليمان بن أحمد اللّخمي الطبرانيّ، طبعة دار الحرمين القاهرة ١٤١٥ هـ.

٣٤٦. معجم البلدان لشهاب الدّين ياقوت بن عبدالله الحمويّ الرّوميّ، طبعة دار إحياء التّراث العربيّ بيروت ١٣٩٩ هق.

٣٤٧. معجم رجال الحديث للسيد أبو القاسم بن علي أكبر الخوئيّ، منشورات مدينة العلم قم المقدسة ١٤٠٣ هـ.

٣٤٨. المعجم الصّغير لسليمان بن أحمد اللّخمي الطبرانيّ، طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠١ هـ.

٣٤٩. المعجم الكبير لسليمان بن أحمد اللّخمي الطبرانيّ، طبعة دار إحياءالتّراث العربيّ بيروت ١٤٠٤ هـ

٣٥٠. معرفة الصّحابة، جمع وإعداد محمّد عبد السّلام اليمنيّ، طبعة مصر.

٣٥١. المغازي لمحمّد بن عمر الواقديّ، طبعة مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ١٣٥٨ هـ.

٣٥٢. مفاتيح الغيب لابي عبدالله محمّد بن عمر، طبعة دار الكتاب العربيّ بيروت ١٤٠٢ هـ.

٣٥٣. المفردات في غريب القرآن للحسين بن محمّد بن المفضل المعروف بالراغب الإصبهانيّ، طبعة دار الفكر العربيّ بيروت ١٤٠٦ هـ.

٣٥٤. مقاتل الطالبين لعليّ بن الحسين بن محمّد الإصبهانيّ، منشورات الشّريف الرّضي قم المقدسة ١٤٠٥ هـ.

٣٥٥. مقتل الحسين لأبي مخنف لوط بن يحيىٰ الأزديّ الكوفيّ، طبعة المطبعة العلمية قم ١٣٦٤ هق.

٣٥٦. مقتل الحسين لموفق بن أحمد المكيّ الخوارزميّ، طبعة مكتبة المفيد قم المقدسة.

٣٥٧. مقتل الحسين للسيد عبد الرّزاق المقرم، طبعة دار إحياء التّراث العربيّ بيروت ١٣٨٨ هـ.

٣٥٨. مقدمة ابن خلدون، لابن خلدون المغربيّ، طبعة دار الجبل بيروت ١٤٠٥ هـ

٣٥٩. المُقنعة لمحمّد بن محمّد بن النّعمان العكبريّ المعروف بالمفيد، طبعة مؤسّسة النّشر الإسلامي قم ١٤١٠ هـ.

٣٦٠. الملل والنّحل لمحمّد بن عبد الكريم الشّهرستانيّ طبعة أُفست دارالمعرفة، وطبعة مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة.

٣٦١. الملهوف على قتلى الطفوف لعليّ بن موسى بن طاووس الحسينيّ الحليّ، طبعة دار الأُسوة طهران ١٤١٤ هـ.

٣٦٢. من لايحضره الفقيه للشيخ الصّدوق، طبعة دار التّراث الإسلامي بيروت ١٤٠٥ هـ.

٣٦٣. المناقب لابن المغازليّ، لعليّ بن محمّد بن محمّد الواسطيّ الشّافعيّ المعروف بابن المغازليّ، طبعة دار الكتب الإسلامية ١٤٠٢ هـ.

٣٦٤. المناقب لابن شهر آشوب رشيد الدّين محمّد بن علي المازندرانيّ، طبعة المطبعة العلمية قم المقدسة.

٣٦٥. مناقب الإمام أمير المؤمنين لمحمّد بن سليمان الكوفيّ القاضي، طبعة مجمع إحياء الثّقافة الإسلامية قم ١٤١٢ هـ.

٣٦٦. المناقب للموفق بن أحمد الخوارزميّ، طبعة النّجف الأشرف ١٣٦٨ هـ.

٣٦٧. منتخب الكنز بهامش مسند أحمد، للمتقي الهنديّ، طبعة دار الفكر بيروت.

٣٦٨. منتهى الآمال للشيخ عباس القميّ، طبعة دار إحياء التّراث الإسلامي بيروت ١٤١٦ هـ.

٣٦٩. المنتهى في كفاية الأحكام للسّبزواريّ، طبعة دار إحياء التّراث الإسلامي بيروت ١٤١٩ هـ.

٣٧٠. منهاج السّنة لابن تيمية، طبعة المكتبة العلمية بيروت ١٤٠٥ هـ.

٣٧١. منبة المريد في آداب المفيد والمستفيد للشهيد الثّاني، نشر مركز الإعلام الإسلامي قم ١٤٠٩ هـ.

٣٧٢. المواقف في علم الكلام لعبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار عضد الدين الإيجي، طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٢ هـ.

٣٧٣. موطّأ للإمام مالك بن أنس، طبعة دار إحياء التّراث العربيّ ١٤٠٦ هـ.

٣٧٤. الموفقيات للزبير بن بكار، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٢ هـ.

٣٧٥. ميزان الإعتدال لشمس الدّين الذّهبيّ، طبعة دار المعرفة بيروت ١٤٠٠ هـ

حرف النّون

٣٧٦. نثر الدرر لمنصور بن الحسين الآبي، طبعة مركز تحقيق التّراث بمصر

٣٧٧. النّجم الثّاقب للنّوريّ، طبعة دار إحياء التّراث الإسلامي بيروت ١٤١٩ هـ.

٣٧٨. نزل الأبرار للبدخشيّ، طبعة الإستقامة بالقاهرة ١٣٦٩ هـ.

٣٧٩. نزهة المجالس لعبد الرّحمن بن عبد السّلام الصّفوريّ، طبعة دار الفكر بالقاهرة.

٣٨٠. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، الدكتور سامي النّشار، طبعة الرّياض.

٣٨١. النّصائح الكافية لمن يتولىٰ معاوية، طبعة دار إحياء التّراث بيروت.

٣٨٢. نظام الحكم للقاسميّ، طبعة محمّد علي صبيح وأولاده ١٤٠٥ هـ.

٣٨٣. نظام الحكم في الإسلام لمحمّد يوسف موسىٰ، طبعة دار المعرفة بيروت ١٤٠٠ هـ.

٣٨٤. نظام الحكم والإدارة في الإسلام للشيخ محمّد مهدي شمس الدين، طبعة بيروت والنّجف الأشرف ١٣٩٨ هـ.

٣٨٥. نظم درر السّمطين للحافظ الزّرنديّ، طبعة النّجف الأشرف ١٣٥٦ هـ.

٣٨٦. النّهاية في غريب الحديث والأثر، لمبارك بن مبارك الجزريّ المعروف بابن الأثير، مؤسّسة إسماعيليان قم ١٣٦٧ هـ ق.

٣٨٧. النّهاية للشيخ الطوسيّ، طبعة دار إحياء التّراث الإسلامي بيروت ١٤٠٠ هـ.

٣٨٨. نهاية الإرب لشهاب الدّين النّويريّ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٣ هـ.

٣٨٩. نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب، لأحمد بن عبدالله القلقشنديّ، نشر دار البحوث العلمية بمصر.

٣٩٠. نهاية المحتاج إلىٰ شرح المنهاج، للنوويّ، طبعة مؤسّسة الرّسالة ١٤٠٩ هـ.

٣٩١. نهج البلاغة للإمام عليّ عليه السلام لمحمّد بن الحسين بن موسىٰ الموسويّ المعروف بالشريف الرّضي، منشورات الإمام علي ٧، قم المقدسة ١٣٦٩ هـ ق.

٣٩٢. النّوادر لفضل الله بن علي الحسينيّ الرّاونديّ، المطبعة الحيدرية النّجف الأشرف ١٣٧٠ هـ.

٣٩٣. نوادر الأُصول في معرفة أحاديث الرّسول لمحمّد بن علي بن سورة التّرمذيّ الشّافعيّ، طبعة الميمنية مصر ١٣٥٩ هـ.

٣٩٤. نور الأبصار في مناقب آل بيت النّبي المختار لمؤمن بن حسن مؤمن الشّبلنجيّ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨ هـ.

٣٩٥. نيل الأوطار لمحمّد بن علي الشّوكانيّ، طبعة دار الصّحابة اليمن ١٤١٢ هـ.

حرف الواو

٣٩٦. الوافي لمحمّد محسن بن مرتضىٰ الفيض الكاشانيّ، نشر مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي ٧إصفهان ١٤٠٦ هـ.

٣٩٧. الوثائق السّياسية والإدارية للعصر الأُموي، الدكتور محمّد ماهر حمادي، طبعة دار إحياء الكتاب الإسلامي بيروت ١٤٠٢ هـ.

٣٩٨. الوزراء والكتاب للجهشياريّ، طبعة مؤسّسة الوفاء بيروت ١٤٠٦ هـ.

٣٩٩. وسائل الشّيعة إلىٰ أحكام الشّريعة لمحمّد بن الحسن المعروف بالحر العامليّ، طبعة دار التّراث العربيّ بيروت ١٣٩٨ هـ.

٤٠٠. وفيات الأعيان لشمس الدّين أحمد بن محمّد البرمكيّ المعروف بابن خلكان، طبعة دار صادر بيروت ١٤٠٦ هـ.

٤٠١. وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقريّ، نشر مكتبة السّيد المرعشيّ النّجفيّ قم ١٣٨٢ هـ.

حرف الياء

٤٠٢. اليقين باختصاص مولانا علي عليه السلام بإمرة المسلمين، لعليّ بن موسىٰ الحليّ المعروف بابن طاووس، طبعة مؤسّسة دار الكتاب قم المقدسة ١٤١٣ هـ.

٤٠٣. ينابيع المودّة لذوي القربىٰ، لسليمان بن إبراهيم القندوزيّ الحنفيّ، طبعة الحيدرية في النّجف الأشرف، وطبعة دار الأُسوة طهران ١٤١٦ هـ

by : Sami Ghorairi
AL-BAIAH
Allegiance, guardiancship & council
and its impacts on the appointment of khalif